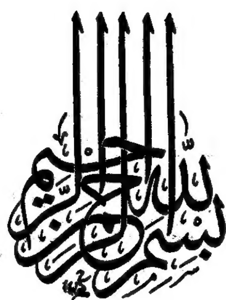
الجواب الصحيح
لمن بدّل دين المسيح

لشيخ الإسلام أبي العبّاس تقيّ الدين أحمد بن عبد الحليم
ابن تيميّة الحرّاني
المتوفّى سنة ٧٢٨ هـ

تحقيق وتعليق
د. علي بن حسن بن ناصر
د. عبد العزيز بن ابراهيم العسكر
د. حمدان بن محمّد الحمدان

المجلّد الثّاني

دار العاصمة
للنشر والتوزيع



الجواب الصحيح

لمن بدّل دين المسيح

(٢)

الطبعة الثانية
١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

دار العاصمة
المملكة العربية السعودية
الرياض - ص ب ٤٢٥٠٧ - الرمز البريدي ١١٥٥١
هاتف ٤٩١٥١٥٤ - ٤٩٣٣٣١٨ - فاكس ٤٩١٥١٥٤

فصل

وإما أن لا[1] يقروا برسالته إلى العرب ولا غيرهم، بل قالوا فيه ما كان يقوله مشركو العرب من أنه شاعر، أو ساحر، أو مفتر كاذب، ونحو ذلك. فيقال لهم على هذا التقدير: فدليلكم أيضاً باطل، ولا يجوز أن تحتجوا بتقدير تكذيبكم لمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بشيء من كلام الأنبياء قبله، سواء صدقتم محمداً[2] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في جميع ما يقوله أو في بعضه، أو كذبتموه فدليلكم باطل، فيلزم بطلان دينكم على كل تقدير، وما ثبت بطلانه على كل تقدير، فهو باطل في نفس الأمر، فيثبت أنه باطل في نفس الأمر، وذلك أنكم إذا كذبتم محمداً لم يبقَ لكم طريق تعلمون به صدق غيره من الأنبياء، فيمتنع مع تكذيبه القول بصدق غيره، بل من اعتقد كذبه وصدق غيره، لم يكن عالماً بصدق غيره بل يكون مصدقاً لهم بغير علم: وإذا لم يكن عالماً بصدقهم لم يجز احتجاجه قط بأقوالهم بل ذلك قول منه بلا علم، ومحاجة فيما[3] لا علم له بها، فإن الدلائل الدالة على صدق محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أعظم وأكثر من الدلائل الدالة على صدق موسى وعيسى، ومعجزاته أعظم من معجزات غيره، والكتاب الذي أرسل به أشرف من الكتاب الذي بعث به غيره، والشريعة التي جاء بها

(١) في س، ك، ط (وأما إن لم).
(٢) في أ (محمد)، وصححناه من سائر النسخ.
(٣) سقطت (فيما) من أ وألحقناها من سائر النسخ.

أكمل من شريعة موسى وعيسى ـ عليهما[1] السلام ـ وأمته أكمل في جميع الفضائل من أمة هذا وهذا. ولا يوجد في التوراة والإنجيل علم نافع وعمل صالح إلَّا وهو في القرآن أو[2] مثله أو منه، وفي[3] القرآن من العلم النافع والعمل الصالح ما لا يوجد مثله في التوراة والإنجيل، فما من مطعن من مطاعن أعداء الأنبياء يطعن به على محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلَّا ويمكن توجيه ذلك الطعن وأعظم منه على موسى وعيسى.

وهذه جملة مبسوطة في موضع آخر لم نبسطها[4] هنا، لأن جواب كلامهم لا يحتاج إلى ذلك، فيمتنع الإقرار بنبوة موسى وعيسى ـ عليهما السلام ـ مع التكذيب بنبوة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ولا يفعل ذلك إلَّا من هو من أجهل الناس وأضلهم، أو من أعظمهم عناداً واتباعاً لهواه، وذلك أن[5] هؤلاء القوم احتجوا بما نقلوه عن الأنبياء، ولم يذكروا الأدلة الدالة على صدقهم[6]، بل أخذوا ذلك مسلماً وطلبوا أن يحتجوا بما نقلوه عن الأنبياء قبله، وبما نقلوه عنه على صحة دينهم،

(١) في س، ك (عليه).
(٢) سقطت (أو) من ط .
(٣) سقطت من س (الواو).
(٤) تحدث بالتفصيل عن هذا في الجزء الثالث والرابع من هذا الكتاب.
(٥) سقطت جملة (وذلك أن) من أ وزدناها من سائر النسخ .
(٦) تحدث الشيخ رحمه الله في الجزء الثالث من الكتاب عن هذه المسألة بالتفصيل وبين أن فيمن ذكره أهل الكتاب على أنه نبي ليس بنبي عند المسلمين كمليخا، وعاموص وأن من ثبت عند المسلمين نبوته كموسى وعيسى وداود، وسليمان، لم يثبت عند المسلمين أنهم قالوا جميع ما ذكروه من الكلام وأن جمهور المسلمين لا يعلمون نبوة أحد من الأنبياء قبل محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلَّا بإخبار محمد بنبوتهم. . . إلخ ما ذكره من الحجج القوية في هذا.

وهذه حجة داحضة سواء صدقوه أو كذبوه، فإن صدقوه بطل دينهم وإن كذبوه بطل دينهم، فإنهم إن صدقوه فقد علم أنه دعاهم وجميع أهل الأرض إلى الإيمان به وطاعته، كما دعا المسيح وموسى وغيرهما من الرسل وأنه أبطل ما هم عليه من الاتحاد وغيره، وكفرهم في غير موضع، ولهذا كان مجرد التصديق بأن محمداً رسول الله ولو إلى العرب يوجب[1] بطلان دين النصارى واليهود وكل دين يخالف دينه. فإن من كان رسولاً لله فإنه لا يكذب على الله، ومحمد[2] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قد علم منه أنه دعا النصارى واليهود إلى الإيمان به وطاعته كما دعا غيرهم، وأنه كفر من لم يؤمن به ووعده النار، وهذا متواتر عنه تواتراً[3] تعلمه العامة والخاصة وفي القرآن من ذلك ما يكثر ذكره، كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۝١ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ۝٤ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ۝٥ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ۝٦ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾[4].

---

(١) في أ(فوجب)، والصواب ما أثبتناه من سائر النسخ.

(٢) في ط (ومحمد رسول الله).

(٣) في أ، س، ك (التواتر)، وصححناه من ط.

(٤) سورة البيِّنة كلها.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨) إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩) فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾[١].

وقد ذكر كفر اليهود والنصارى في غير[٢] موضع، كقوله ـ تعالى ـ عن النصارى:

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا . . . ﴾[٣].

وقال ـ تعالى ـ أيضاً:

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (٧٢) لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ

---

(١) سورة آل عمران: الآيات ١٨ ـ ٢٠.

(٢) سقطت (غير) من ط.

(٣) سورة المائدة: الآية ١٧.

وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾(1).

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾(2).

وقال ـ تعالى ـ :

---

(1) سورة المائدة: الآيات ٧٢ ـ ٧٧.

(2) سورة النساء الآيات ١٧١ ـ ١٧٥.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[2].

فقد قال ـ تعالى ـ :

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ...﴾[3].

في الموضعين.

وقال تعالى:

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ...﴾[4].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿... وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ...﴾[5].

---

(١) سورة التوبة: الآيتان ٣٠ ـ ٣١.

(٢) سورة المائدة: الآيتان ١١٦، ١١٧.

(٣) سورة المائدة: الآية ١٧، وتكررت في المائدة نفسها رقم ٧٢.

(٤) سورة المائدة: الآية ٧٣. (٥) سورة النساء: الآية ١٧١.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ . . . وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ . . . ﴾[1].

والنصارى قالت الأقوال الثلاثة، فذكر الله عنهم هذه الأقوال[2] لكن من الناس من يظن أن هذا قول طائفة منهم، وهذا قول طائفة منهم.

كما ذكره طائفة من المفسرين[3]، كابن جرير الطبري[4] والثعلبي[*] وغيرهما ثم تارة يحكون عن اليعقوبية[5]: أن عيسى هو الله،

---

(١) سورة التوبة: الآية ٣٠.

(٢) في الجملة من قوله: (والنصارى إلى قوله ـ الأقوال) تقديم وتأخير في س، ك، ط لا يضر.

(٣) ورد كلام قبل هذه الجملة في نسختي ك، ط . وهو كلام زائد ومرتبك لا مكان له قد أخل بالمعنى وقد سقط من أ، ومن س. ونصه: «وقولهم ثالث ثلاثة قول النسطورية. وقولهم: إنه ابن الله قول الملكانية، ومنهم من يقول قوله: إن الله هو المسيح بن مريم قول اليعقوبية وقولهم والآية وروح القدس، وظن ابن جرير الطبري أن هذه الطوائف كانوا قبل اليعقوبية والنسطورية والملكية».

(٤) انظر: تفسير ابن جرير ـ رحمه الله ـ ٢٠٢/٦ (مجلد ٤) عند آية المائدة: ٧٣.
وانظر: ١٠/ ٤٨٠ ـ ٤٨١، ط دار المعارف بمصر، وانظر: تفسير القرطبي ٢٤٩/٦ ـ ٢٥٠، ط دار الكتاب العربي.

(*) الثعلبي هو: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أبو إسحاق: مفسر من أهل نيسابور، له اشتغال بالتاريخ من كتبه «الكشف والبيان في تفسير القرآن» مخطوط، وقد ذكر الذهبي صاحب كتاب التفسير والمفسرون ٢٢٩/١ أنه يوجد منه نسخة غير كاملة في مكتبة الأزهر برقم (١٣١) ٥٥٦١، ويعرف بتفسير الثعلبي توفي رحمه الله سنة ٤٢٧هـ .
انظر: البداية والنهاية ٤٠/١٢؛ وإنباه الرواة ١١٩/١؛ والأعلام ٢١٢/١.

(٥) اليعقوبية: نسبة إلى يعقوب البرذعاني، وكان راهباً بالقسطنطينية.

وعن النسطورية[1]: أنه ابن الله، وعن المريوسية[2]: أنه ثالث ثلاثة، وتارة يحكون عن النسطورية: أنه ثالث ثلاثة، وعن الملكية[3]: أنه الله، ويفسرون قولهم: ثالث ثلاثة بالأب والابن، وروح القدس.

والصواب: أن هذه الأقوال جميعها قول طوائف النصارى المشهورة: الملكية واليعقوبية والنسطورية، فإن هذه الطوائف كلها تقول بالأقانيم الثلاثة: الآب والإبن وروح القدس، فتقول: إن الله ثالث ثلاثة، وتقول عن المسيح: إنه الله، وتقول إنه ابن الله، وهم متفقون على اتحاد اللاهوت[4] والناسوت[5] وأن المتحد هو الكلمة، وهم متفقون على عقيدة إيمانهم التي تتضمن ذلك، وهو قولهم: «نؤمن بإله واحد أب ضابط الكل، خالق السموات والأرض، كل ما يرى وما لا يرى، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب

---

(١) النسطورية: نسبة إلى نسطور، وسبق بيان مذهبهم في قسم الدراسة.

(٢) المريوسية: لعلها منسوبة إلى «بريموس» من القرن الثاني الميلادي ولد بالإسكندرية، وانتخب بطريركاً، وكان واعظاً، يقيم الأساقفة والقساوسة، ومكث اثني عشر عاماً، وكانت وفاته سنة ١٢١م كما ذكر النصارى.
انظر تاريخ الكنيسة القبطية تأليف منسي القمص ص ٣٤، (ط ٣، القاهرة الحديثة ١٩٨٢م).

(٣) الملكية: هي المسيحية الرسمية وهي أسبق من النسطورية واليعقوبية، وتنسب إلى ملوك النصارى، وقيل إلى ملكا، الذي ظهر بأرض الروم واستولى عليها، ومذهبهم أن الله ثالث ثلاثة تعالى الله عن قولهم.
انظر: الفصل لابن حزم ٤٨/١؛ والملل والنحل ٢٢٢/١/١؛ والمغني للقاضي عبد الجبار ٨٤/٥؛ وتاريخ ابن البطريق ص ٢٠١، ونشأت الفكر الفلسفي في الإسلام ٩٥/١.

(٤) اللاهوت: تعني الجانب الإلّهي من عيسى في معتقد النصارى.

(٥) الناسوت: يعنون به الجانب البشري من عيسى.

قبل كل الدهور، نور من نور إله حق من إله حق مولود غير مخلوق»[1].

وأما قوله ـ تعالى ـ :

﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ . . . ﴾.

وقوله:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ . . . ﴾.

فقد فسروه[2] بالتثليث المشهور عنهم، المذكور في أمانتهم، ومن الناس من يقول: إن الله هو المسيح ابن مريم قول اليعقوبية، وقولهم[3]: ثالث ثلاثة هو قول النصارى الذين يقولون بالآب والابن[4] والروح القدس[5] وهم[6] قد جعلوا الله فيها ثالث ثلاثة، وسموا كل واحد من الثلاثة بالإله والرب، وقد فسره طائفة بجعلهم عيسى وأمه إلٰهين يعبدان من دون الله.

قال السدي[7] في قوله ـ تعالى ـ :

---

(1) سبقت الإشارة إلى قانون الأمانة عند الطائفتين الرئيستين: الكاثوليك، والأرثوذكس والمقارنة بين النصوص.

(2) في أ (فسره) وصححناه من سائر النسخ.

(3) سقطت (وقولهم) من أ وزدناها من سائر النسخ.

(4) سقطت (الابن) من أ وزدناها من سائر النسخ.

(5) سقطت (والروح القدس) من أ، ك، ط وزدناها من س.

(6) في س زيادة جملة لا مكان لها، نصها: «وظن ابن جرير الطبري أن هذه الطوائف كانوا قبل اليعقوبية والنسطورية والملكية» حيث سبقت الإشارة إليها.

(7) أخرجه ابن جرير في تفسيره ٦/٢٠٢ ـ ٢٠٣ (مجلد ٤)، قال ابن كثير بعد أن ساق تفسير السدي: «وهذا القول هو الأظهر والله أعلم». تفسير ابن كثير ٢/٨١ عند آية المائدة: ٨٣.
والسدي هو: إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير، تابعي، حجازي الأصل، =

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ . . .﴾.

قال: قالت النصارى: إن الله هو المسيح وأمه. فذلك قوله:

﴿. . . ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ . . .﴾.

وقد قيل قول[1] ثالث أغرب من ذلك عن أبي صخر[2]، قال:

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ . . .﴾.

قال: هو قول اليهود عزير[3] ابن الله، وقول النصارى المسيح ابن الله، فجعلوا الله ثالث ثلاثة، وهذا ضعيف، وقد ذكر سعيد بن البطريق[4] في أخبار النصارى أن منهم طائفة ـ يقال لهم

= صاحب التفسير، والمغازي والسير. قال الحافظ ابن حجر: صدوق يهم، ورمي بالتشيّع، مات سنة ١٢٧هـ، وقيل: سنة ١٢٨هـ.
انظر: تقريب التهذيب ١/٧١ (٥٣١)؛ وتهذيب التهذيب ١/٣١٣؛ والأعلام للزركلي ١/٣١٧؛ والخلاصة للخزرجي، ص ٣٥.

(١) في ك (قولاً).

(٢) ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢/٨١؛ وعزاه لابن أبي حاتم بسنده، عن أبي صخر. . . وذكره قال الحافظ ابن كثير: «وهذا قول غريب في تفسير الآية أن المراد بذلك طائفتا اليهود والنصارى، والصحيح أنها أنزلت في النصارى خاصة قاله مجاهد وغير واحد». انتهى كلامه رحمه الله.
وأبو صخر، لعله: حميد بن زياد أبو صخر بن أبي المخارق الخراط، مدني سكن مصر، قال ابن حجر: «صدوق يهم من السادسة مات سنة ١٨٩هـ».
انظر: تقريب التهذيب ١/٢٠٢ (٥٩٤)؛ وتهذيب التهذيب ٣/٤١.

(٣) عزير بن جروة، ويقال بن سوريق، ويقال بن سروخا. من نسل هارون بن عمران. قال الحافظ بن كثير: والمشهور أن عزيراً نبي من أنبياء بني إسرائيل، وأنه كان فيما بين داود، وسليمان، وبين زكريا، ويحيى.
انظر: ترجمة له في البداية والنهاية ٢/٤٦؛ وتتمة المختصر لابن الوردي ١/٤٦؛ ورجال الكتاب المقدس للياس مقار ٢/٢٩٧.

(٤) سعيد بن البطريق: طبيب مؤرخ، من أهل مصر، ولد بالفسطاط، وأقيم بطريكاً في =

المريميون[1] ــ يقولون: إن مريم إلّه وإن عيسى إلّه.

وأما الأول فمتوجه، فإن النصارى المتفقين على الأمانة، كلهم يقولون: إن الله ثالث ثلاثة، والله ــ تعالى ــ قد نهاهم عن أن يقولوا ذلك، فقال ــ تعالى ــ:

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ...﴾[2].

فذكر ــ سبحانه ــ في هذه الآية التثليث والاتحاد ونهاهم عنهما، وبيَّن أن المسيح إنما هو رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه.

وقال:

﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾.

ثم قال:

﴿وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ...﴾.

= الإسكندرية سنة ٣٢١هـ، من مؤلفاته كتاب «نظم الجوهر» في التاريخ، وهو مطبوع.
انظر في ترجمته: طبقات الأطباء ٨٦/٢؛ والأعلام للزركلي ٩٢/٣.

(١) في أ، س، ك (المريسية) وفي ط (المرسية)، وكلها خطأ، وما أثبته من تاريخ ابن البطريق حيث ورد ما نصه: «فمنهم من كان يقول: إن المسيح وأمه الهان من دون الله وهم البربرانية، ويسمون المريميين».
انظر: ص ١٢٦ من كتابه نظم الجوهر (ط الآباء اليسوعيين).
قلت: وهم منسوبون إلى مريم لزعمهم بأنها إلّه، كما ورد في مذهبهم.

(٢) سورة النساء: الآية ١٧١.

لم[1] يذكر هنا أمه. وقوله ــ تعالى ــ :

﴿ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾.

قال معمر[2] عن قتادة[3]: «وكلمته ألقاها إلى مريم هو[4] قوله: كن فكان.

وكذلك قال قتادة: «ليس الكلمة صار عيسى، ولكن بالكلمة صار عيسى»[5].

وكذلك قال الإمام أحمد[6] في مصنفه الذي صنفه في كتابه في الرد على الجهمية، وذكره عنه الخلال[7] والقاضي أبو يعلى[8]. قال أحمد:

---

(1) في ط (ولم).

(2) معمر بن راشد الأزدي (مولاهم)، ثقة، ثبت، فاضل من كبار الطبقة السابعة، مات سنة ١٥٤هـ . وهو ابن ثمانٍ وخمسين سنة.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٢٦٦ (١٢٨٤)؛ وتهذيب التهذيب ١٠/٢٤٣؛ وميزان الاعتدال ٤/١٥٤.

(3) قتادة: سبقت ترجمته.

(4) في ط (وهو).

(5) أخرجه الإمام ابن جرير في تفسيره ٦/٢٥ (مجلد ٤)، قال: حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة: وذكره وانظر تفسير ابن كثير ١/٥٩٠ عند آية ١٧١ من سورة النساء.

(6) في ك، ط (أحمد بن حنبل).

(7) الخلال: أحمد بن هارون أبو بكر الخلال: مفسر عالم بالحديث واللغة من كبار الحنابلة، من أهل بغداد، جامع علم أحمد ومرتبه كما قال الذهبي، من كتبه تفسير الغريب، وطبقات أصحاب ابن حنبل، والسنّة، والعلل وغيرها.
توفي ــ رحمه الله ــ سنة ٣١١هـ.
انظر ترجمته في: طبقات الحنابلة ٢/١٢؛ والبداية والنهاية ١١/١٤٨؛ وتذكرة الحفاظ ٣/٧٨٥؛ ومناقب الإمام أحمد ٦١٨؛ وابن قدامة وآثاره الأصولية للدكتور السعيد ١/٤٦ ــ ٤٧؛ والأعلام ١/٢٠٦.

(8) سبقت ترجمته.

ثم إن الجهم ادعى أمراً فقال: إنّا وجدنا في كتاب الله آية تدل على أن القرآن مخلوق. قلنا: أي آية؟ قال: قول الله:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥ . . . ﴾[1].

فقلنا: إن الله منعكم الفهم في القرآن، عيسى ـ عليه السلام ـ تجري عليه ألفاظ لا تجري على القرآن، لأن عيسى * يجري عليه نسمة *[2] ومولود وطفل وصبي وغلام يأكل ويشرب[3] وهو يخاطب بالأمر والنهي، يجري عليه الوعد والوعيد، هو من ذرية نوح، ومن ذرية إبراهيم، ولا يحل لنا أن نقول في القرآن ما نقول في عيسى، هل سمعتم الله يقول في القرآن ما قال عيسى؟ ولكن المعنى في قوله ـ جل ثناؤه ـ:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ . . . ﴾.

فالكلمة التي ألقاها إلى مريم حين قال له: كن فكان عيسى[4] بـ «كن» وليس عيسى هو الكن، ولكن بالكن كان، فالكن من الله قوله[5]: وليس الكن مخلوقاً، وكذبت النصارى والجهمية على الله في أمر عيسى، وذلك أن الجهمية قالوا: عيسى روح الله وكلمته؛ لأن الكلمة مخلوقة.

---

(١) سورة النساء: الآية ١٧١، وفي س وط (ألقاها إلى مريم).
(٢) مابين النجمتين ساقط من أ وزدناه من س، ك، ط وفي س (تسمية) بدل (نسمة).
(٣) في كتاب الرد على الزنادقة والجهمية: «لأنه يسميه مولوداً وطفلاً وصبياً وغلاماً يأكل ويشرب» ص ١٢٤.
(٤) في أ (فكان) مكررة وهو خلاف النسخ الأخرى وخلاف ما جاء في كتاب الرد على الزنادقة ص ١٢٤.
(٥) في كتاب الرد ص ١٢٤ (قول).

و[1] قالت النصارى: روح الله من ذات الله، وكلمة الله[2] من ذات الله، كما يقال: هذه[3] الخرقة من هذا الثوب. وقلنا نحن: إن عيسى بالكلمة كان، وليس عيسى هو الكلمة.

قال أحمد[4]: ــ وأما قوله ــ جلَّ ثناؤه ــ :

﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾.

يقول من أمره كان الروح فيه كقوله:

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ . . .﴾[5].

يقول[6] من أمره، وتفسير روح الله إنما معناها أنها روح بكلمة الله خلقهم الله[7]، كما يقال: عبد الله وسماء الله[8]، وفي نسخة روح يملكها الله خلقها الله[9].

وقال الشعبي[10] في قوله ــ تعالى ــ :

---

(1) سقطت الواو من ط وهي ثابتة في سائر النسخ وفي الرد على الزنادقة، ص ١٢٤.

(2) في (الرد) «وكلمته من ذات الله».

(3) في الرد: (إن هذه).

(4) سقطت (قال أحمد) من س.

(5) سورة الجاثية: الآية ١٣.

(6) في ك، ط (يقول) بالمثناة التحتية.

(7) في أ، س، ك (خلقياً) وصححته من ط ومن الرد: ص ١٢٥.

(8) في الرد: (عبد الله وسماء الله وأرض الله) ص ١٢٥.

(9) ورد النص الذي نقله الشيخ بتصرف يسير في كتاب «الرد على الزنادقة والجهمية»، للإمام أحمد في ص ١٢٣ ــ ١٢٥، تحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرة، نشر دار اللواء.

(10) هو عامر بن شراحيل الشعبي بفتح المعجمة من شعب همدان، وكنيته أبو عمرو، ولد سنة عشرين للهجرة، وهو من التابعين، اشتهر بكثرة علمه وسعة حلمه، كان =

﴿... وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ...﴾.

الكلمة حين قال له: كن فكان عيسى بـ «كن» وليس عيسى هو الكن، ولكن بالكن كان[1].

وقال ليث[2] عن مجاهد[3]: روح منه. قال: رسول منه[4] يريد مجاهد قوله:

﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۝١٧ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ۝١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ...﴾[5].

= حافظاً، تقياً، فقيهاً، شاعراً، ثقة، مشهوراً، نقل عنه قوله: ما كتبت سوداء في بيضاء، ولا حدثني رجل بحديث إلَّا حفظته، ولا حدثني رجل بحديث فأحببت أن يعيده عليَّ، له مراسيل صحيحة، مات رحمه الله سنة تسع ومائة ١٠٩هـ.

انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب ٥/٦٥ ـ ٦٩؛ وتقريبه ١/٣٨٧؛ والبداية والنهاية ٩/٢٣٠.

(١) بحثت عن هذا الأثر من طريق الشعبي في كتب التفسير بالمأثور: تفسير ابن جرير وابن أبي حاتم، والدر المنثور، وغيرها فلم أقف عليه، وإنما جاء بتفسير قتادة وسبق تخريجه.

(٢) هو ليث بن أبي سليم بن زنيم القرشي مولاهم أحد العلماء والنساك، قال ابن حجر صدوق، اختلط أخيراً، ولم يتميز حديثه فترك... مات سنة ثمان وأربعين ومائة هجرية. وقيل: سنة (١٤٣) هجرية.

انظر: تقريب التهذيب ٢/١٣٨ (٩)؛ وتهذيب التهذيب ٨/٤٦٥ ـ ٤٦٨؛ وميزان الاعتدال للذهبي ٣/٤٢٠ (٦٩٩٧).

والخلاصة للخزرجي ص ٣٢٣.

(٣) سبقت ترجمة مجاهد.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم عن ليث، عن مجاهد، في تفسير آية النساء: ١٧٣ في الجزء الثاني من تفسيره ورقة ٢٠٤، آخر الجزء، مخطوط بمكتبات جامعة الإمام، رقم الفيلم (٢٦٧٦).

(٥) سورة مريم: الآيات ١٧ ـ ١٩.

والمعنى أن عيسى خلق من الروح وهو جبريل روح القدس، سمي روحاً كما سمي كلمة؛ لأنه خلق بالكلمة والنصارى يقولون في أمانتهم: تجسد من مريم ومن[1] روح القدس؛ لأنه كذلك[2] في الكتب المتقدمة، لكن ظنوا أن روح القدس هو صفة لله[3] وجعلوها حياته وقدرته وهو رب، وهذا غلط منهم فإنه لم يسم أحد من الأنبياء حياة الله ولا قدرته ولا شيئاً من صفاته روح القدس، بل روح القدس في غير موضع من كلام الأنبياء ـ عليهم السلام ـ يراد بها ما ينزله الله على قلوب الأنبياء، كالوحي، والهدى، والتأييد ويراد بها الملك، وهكذا في تفسير ابن السائب[4] عن أبي صالح[5] عن ابن عباس: أن عيسى بن مريم استقبل رهطاً من اليهود، فلما رأوه قالوا: قد جاء الساحر ابن الساحرة، والفاعل ابن الفاعلة، فقذفوه وأمه، فلما سمع عيسى ذلك

---

(١) سقطت (ومن) من أ وزدناها من سائر النسخ.

(٢) في ك، ط (لأنه جاء كذلك).

(٣) في أ (الله).

(٤) محمد بن السائب الكلبي، الكوفي، المفسر، النسابة، الأخباري. كان سبئياً من أصحاب ابن سبأ، قال ابن معين: ليس بثقة، وقال الدارقطني وجماعة: متروك وقال الجوزجاني وغيره: كذاب صنف كتاباً في تفسير القرآن وسئل الإمام أحمد هل يحل النظر في تفسيره؟ فقال: لا. وقال الذهبي لا يحل ذكره في الكتب فكيف الاحتجاج به. مات سنة ١٤٦هـ .

انظر: ميزان الاعتدال ٣/٥٥٦؛ وتهذيب التهذيب ٩/١٧٨؛ والأعلام ٦/١٣٣.

(٥) أبو صالح: باذام، بالذال المعجمة، ويقال: باذان: مولى أم هانىء بنت أبي طالب. تابعي وهو ضعيف مدلس كما قال ابن حجر، وقال ابن معين: إذا روى عنه الكلبي فليس بشيء.

انظر ترجمته في ميزان الاعتدال ١/٢٩٦؛ وتهذيب التهذيب ١/٤١٦؛ وتقريبه ١/٩٣ (٢).

قال: اللهم أنت ربي، وأنا من روحك خرجت، وبكلمتك خلقتني[1]، ولم آتهم من تلقاء نفسي[2]. وذكر تمام الحديث.

وقد قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا... ﴾[4].

فهذا يوافق قوله ـ تعالى ـ:

﴿ فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ... ﴾[5].

والمقصود هنا: أنهم سواء صدقوا محمداً أو كذبوه، فإنه يلزم بطلان دينهم على التقديرين، فإنه إن كان نبياً صادقاً، فقد بلغ عن الله

---

(١) في أ (خلقت).

(٢) هذه الطريق عن ابن عباس من أضعف الطرق؛ لأن الكلبي ضعيف ومتهم بالكذب وأبا صالح ضعيف مدلس، قال السيوطي في الاتقان ٢٤٢/٢ «وأوهى طرقه طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، فإن انضم إلى ذلك رواية محمد بن مروان السدي الصغير فهي سلسلة الكذب»، وقال في الدرالمنثور ٤٢٣/٦ «وقد مرض الكلبي مرة فقال لأصحابه في مرضه: كل شيء حدثتكم عن أبي صالح كذب».
قلت: ولم أجد من خرج هذه القصة وقد بحثت في التفاسير، وفي كتب النصارى وفي كتب الآثار وفي تفسير ابن عباس فلم أعثر عليها، والله أعلم.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٩١.

(٤) سورة التحريم: الآية ١٢.

(٥) سورة مريم: الآيات ١٧ ـ ١٩.

في هذا الكتاب كفر النصارى في غير موضع، ودعاهم إلى الإيمان به، وأمر بجهادهم، فمن علم أنه نبي ولو إلى طائفة معينة، يجب[1] تصديقه في كل ما أخبر به، وقد أخبر بكفر النصارى وضلالهم، وإذا[2] ثبت هذا لم يغن عنهم الاحتجاج بشيء من الكتب والمعقول، بل يعلم من حيث الجملة أن كل ما يحتجون به على صحة دينهم فهو باطل، وإن لم يبين فساد حججهم على التفصيل؛ لأن الأنبياء لا يقولون إلا حقاً، كما أن المسيح ـ عليه السلام ـ لما حكم بكفر من كذبه من اليهود، كان كل ما يحتج به اليهود على خلاف ذلك باطلاً، فكل ما عارض قول النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[3] ـ المعصوم فهو باطل، وإن كذبوا محمداً[4] تكذيباً عاماً مطلقاً وقالوا: ليس هو نبي أصلاً، ولا أرسل إلى أحد لا إلى العرب ولا إلى غيرهم بل كان كذاباً[5]، امتنع مع هذا أن يصدقوا بنبوة غيره؛ فإن الطريق الذي يعلم به نبوة موسى وعيسى يعلم به نبوة محمد بطريق الأولى[6]، فإذا قالوا: علمت نبوة موسى والمسيح بالمعجزات وعرفت المعجزات بالنقل المتواتر إلينا. قيل لهم: معجزات محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[7] ـ أعظم، وتواترها أبلغ، والكتاب الذي جاء به محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أكمل، وأمته أفضل، وشرائع دينه أحسن، وموسى جاء بالعدل وعيسى جاء بتكميلها بالفضل، وهو

---

(١) في ك، ط (فيجب).

(٢) في ك، ط (فإذا).

(٣) سقطت الجملة الدعائية من س، ك.

(٤) سقطت (محمداً) من أو فيها (وإن كذبوه).

(٥) في ك، ط (من الكذابين).

(٦) في ط (الأرض) بدل (الأولى) وهو خطأ واضح.

(٧) أضفنا جملة الدعاء من ط.

ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قد جمع في شريعته بين[1] العدل والفضل.

فإن ساغ لقائل أن يقول: هو مع هذا كاذب مفتر، كان على هذا التقدير الباطل غيره أولى أن يقال فيه ذلك[2]. فيبطل بتكذيبهم محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ جميع ما معهم من النبوات إذ[3] حكم أحد الشيئين حكم مثله، فكيف بما هو أولى منه؟ فلو قال قائل: إن هارون ويوشع[4] وداوود وسليمان كانوا أنبياء وموسى لم يكن نبياً. أو أن داوود وسليمان ويوشع كانوا أنبياء والمسيح لم يكن نبياً. أو قال ما تقوله السامرة[5]: أن يوشع كان نبياً ومن بعده كداوود وسليمان والمسيح لم يكونوا أنبياء. أو قال ما يقوله اليهود: إن داوود وسليمان

---

(١) سقطت (بين) من أ، وفي س (به) وألحقناها من ك، ط.

(٢) سقطت (ذلك) من أ وزدناها من سائر النسخ.

(٣) في ط (إذا) وهو خطأ.

(٤) يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف، ولد بمصر، وخرج مع موسى إلى البحر لما سار ببني إسرائيل، ومتفق على نبوته عند أهل الكتاب، فإن السامرة لا يقرون بنبوة أحد بعد موسى إلا يوشع، لأنه مصرح به في التوراة، ويكفرون بما وراءه وهو الحق من ربهم.
انظر البداية والنهاية ١/٣١٩؛ وحسن المحاضرة للسيوطي ١/٥٣.

(٥) السامرة: طائفة من اليهود اختلفوا عن سائر اليهود بأنهم آمنوا بموسى، وهارون، ويوشع ـ عليه السلام ـ وأنكروا نبوة من بعدهم إلا نبياً واحداً يأتي من بعد موسى، وقد افترقوا في تعيينه، ولهم توراة غير التي بأيدي سائر اليهود (التوراة السامرية) ولهم زيادة تقشف عن باقي اليهود، وقبلتهم جبل يقال له (غريزيم)، ويقولون أن مدينة القدس هي نابلس، وتبعد ثمانية عشر ميلاً عن بيت المقدس، ولا يعرفون حرمة لبيت المقدس، ولغتهم غير لغة اليهود، قالوا والتوراة كانت بلسانهم وهي قريبة من العبرانية فنقلت إلى السامرية.
انظر: الملل والنحل للشهرستاني ١/٢١٨؛ والفصل لابن حزم ١/٩٩؛ وتفسير ابن جرير ٢/٦٦؛ والقرطبي ٧/٢٨٥؛ وزاد المسير ٣/٢٦١.

وأشعيا[1] وحبقوق[2] ومليخا[3] وعاموص[4] ودانيال[5] كانوا أنبياء،

---

(١) في أ، س (وأشيعا)، وفي ط (وشيعا)، وصوابه ما أثبتناه من ك (أشعيا). حيث ورد في التوراة التي بين يدي القوم كذلك وفي التراث الإسرائيلي، للدكتور صابر طعيمه ص ١٧٢ أنه «أشعيا بن آموص»، ومعنى الاسم: (خلاص يهوه) أو خلاص الرب.
قال الدكتور صابر «ومع أن أشعيا من أشهر أنبياء العهد القديم إلا أنه لم يعرف عنه إلاّ القليل من سيرته، وفي مقدمات أسفار هوشع، وعاموص، وميخا ما يدل على أن هؤلاء كانوا معاصرين لأشعيا...» إلخ ما ذكر حيث أفاض في الحديث عنه وعن سفره الذي اختلف فيه اليهود والنصارى.
وانظر الكتاب المقدس عندهم ص ٩٩٢ من العهد القديم، ورجال الكتاب المقدس للقس إلياس مقار (ط: دار الثقافة) ٢/٣٣٩.

(٢) حبقوق: معناه في التراث الإسرائيلي (المعانق) ويزعمون أنه كان كيعقوب يصارع الله بالصلاة، ويقرون أنه كان لاوياً، من سبط لاوي بن يعقوب. وله سفره المسمى باسمه ويتألف من ثلاثة إصحاحات.
انظر العهد القديم ص ١٣٢٩؛ والتراث الإسرائيلي، للدكتور صابر طعيمه ص ٢٤٩.

(٣) مليخا أو ملاخي. يذكر الدكتور صابر في التراث الإسرائيلي ص ٢٦٣ «أنه لا توجد دراسات حول ملاخي تفصح عن شخصيته، وسلسلة نسب آبائه، كذلك في كل كتابات العهد القديم لا يعثر على أثر يذكر من قريب أو بعيد، وملاخي لعلها اختصار لكلمة «ملاخيا» التي تعبر في العبرية عند شراح التراث عن ملاك الرب أو مرسل الرب.
وانظر سفره في العهد القديم ص ١٣٥٤، وله ترجمة في رجال الكتاب المقدس للياس مقار ٢/٥٧١.

(٤) عاموص: أحد أنبياء بني إسرائيل، ولد كما في سفره في قرية (تقوع) الواقعة في جنوب (أورشليم)، كان راعياً للغنم كما ورد في سفره. ويذكر الدكتور طعيمه أن ظهوره كان في أيام الملك (يربعام الثاني) ملك إسرائيل. ويتكون سفر عاموص من تسعة إصحاحات.
انظر العهد القديم ص ١٣٠٣؛ والتراث الإسرائيلي ص ٢٢٨؛ ورجال الكتاب المقدس للياس مقار ٢/٤٦٣.

(٥) دانيال: من سبط يهوذا، ويمتد نسبه إلى عائلة داوود بن يسي، ويعني اسمه في =

والمسيح بن مريم لم يكن نبياً، كان هـذا قولاً متنـاقضاً معلوم البـطلان، فإن الذين نفى هؤلاء عنهم النبوة أحق بالنبوة وأكمل نبوة ممن أثبتوها له. ودلائل نبوة الأكمل أفضل[1] فكيف يجوز إثبات النبوة للنبي المفضول دون الفاضل؟ وصار هذا كما لو قال قائل أن زفر[2] وابن القاسم[3] والمزني[4]

= العبـرية (الله ديـاني أو قاضي)، عـاش عصر المحنـة الكبرى التي تعـرض لها شعب يهوذا وقد أسر في غزو بابل، وهو الذي فسر حلم ملك بابل عن التمثال العـظيم كما ورد في سفر دانيال.

انظر العهد القديم ص ١٢٦٠؛ والتراث الإسـرائيلي ص ٢١١ وورد شيء من إخباره في البداية والنهاية ٢/ ٤٠؛ ووردت ترجمته في رجال الكتاب المقـدس للياس مقـار ٢/٤٠٣.

(١) في أ، س (الأفضل أكمل) وما أثبتناه أولى بسياق الجملة.

(٢) في س (رقم) وهو خطأ.

وزفر هو ابن الهذيل بن قيس العنبـري من تميم. فقيه كبيـر من أصحاب أبـي حنيفـة ولي قضـاء البصرة، وهـو أحـد العشـرة الـذين دونـوا الكتب. وقـد جمـع بين العلم والعبادة مات ــ رحمه الله ــ سنة ١٥٨هـ وكانت ولادته سنة ١١٠هـ.

انظر شذرات الذهب ١/٢٤٣؛ والعبر ١/٢٢٩؛ والانتقاء في فضائـل الثلاثـة الأئمة الفقهاء ص ١٧٣ ــ ١٧٤؛ والأعلام ٣/٤٥.

(٣) هو عبد الرحمن بن القاسم المصري، ولد سنة ١٣٢هـ تفقه بالإمام مـالك، وصحبـه عشـرين سنة، وهـو صاحب المـدونة طبعت في ستـة عشر جـزءاً، رواها عن الإمـام مـالـك قـال في الانتقـاء روايتـه صحيحـة قليلة الخـطأ مـات بمصـر سنـة ١٩١هـ. ــ رحمه الله ــ.

انـظر: وفيـات الأعيــان ٣/١٢٩؛ وحسن المحـاضــرة ١/٣٠٣؛ والعبـر ١/٣٠٧ والانتقاء ص ٥٠ والأعلام ٣/٣٢٣.

(٤) هو إسماعيل بن يحيـى المزني، من مزينه قبيلة من مضر، صاحب الإمـام الشافعي، كان عالماً زاهداً مجتهداً محجاجاً. صنف كتباً كثيرة في مذهب الشافعي منها الجامع الكبير؛ والجامع الصغير ومختصر المختصر، وغيرها كانت ولادته سنة ١٧٥هـ ووفاته سنة ٢٦٤هـ. =

والأثرم(١) كانوا فقهاء، وأبا حنيفة ومالكاً والشافعي وأحمد، لم يكونوا فقهاء، أو قال: إن الأخفش(٢) وابن الأنباري(٣) والمبرد(٤) كانوا نحاة،

= انظر: وفيات الأعيان ١/٢١٧؛ وطبقات السبكي ٢/٩٣؛ والانتقاء ص ١١٠؛ والأعلام للزركلي ١/٣٢٩.

(١) هو أحمد بن محمد بن هانىء الطائي، أبو بكر الأثرم، من حفاظ الحديث، أخذ عن الإمام أحمد وآخرين، له كتاب في علل الحديث، وآخر في السنن، وناسخ الحديث ومنسوخه، توفي ـ رحمه الله ـ سنة ٢٦١هـ.

انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ ٢/٥٧٠؛ وتاريخ بغداد ٥/١١٠؛ ومناقب الإمام أحمد بن حنبل لابن الجوزي ص ٦١٢؛ والأعلام للزركلي ١/٢٠٥.

(٢) الأخفش: أبو الحسن سعيد بن مسعده المجاشعي البصري، المعروف بالأخفش الأوسط لقب به لصغر عينيه مع سوء بصرهما. نحوي من علماء البصرة، متكلم حاذق، صحب الخليل قبل صحبته لسيبويه، له تصانيف كثيرة في النحو وغيره، أضاف في العروض بحر الخبب توفي ـ رحمه الله ـ سنة ٢١٥هـ.

انظر: طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص ٧٤ ـ ٧٦؛ ومراتب النحويين ص ١١١؛ وبغية الوعاة ص ٤٣٦؛ وأنباه الرواة على أنباء النحاة ٢/٣٦.

(٣) أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، ولد في الأنبار سنة ٢٧١هـ، من أعلم أهل زمانه بالأدب، واللغة، كان حافظاً للشعر، والأخبار. كان يحفظ ثلاثمائة ألف بيت شاهد، وكان ثقة صدوقاً، له تصانيف في اللغة، وعلوم القرآن وغريب الحديث وغيرها توفي سنة ٣٢٨هـ ببغداد.

انظر: طبقات النحويين ص ١٧١؛ وأنباه الرواة ٣/٢٠١؛ والأعلام ٧/٢٢٦.

(٤) أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي، المبرد بفتح الراء المشددة عند الأكثر وبعضهم يكسر كما قال الزبيدي ولد سنة ٢١٠هـ. بالبصرة، وهو إمام في الأدب والعربية ببغداد في زمنه، له تصانيف منها الكامل، وإعراب القرآن، وغيرهما توفي ببغداد سنة ٢٨٦هـ.

انظر: طبقات النحويين ص ١٠٨ ـ ١٢٠؛ ومراتب النحويين ص ١٣٥؛ وأنباه الرواة ٣/٢٤١.

والخليل[1] وسيبويه[2] والفراء[3] لم يكونـوا نحاة. أو قـال: إن صاحب الملكي والمسيحي[4] ونحوهما من كتب الطب كانوا أطبـاء، وبقراط[5]

---

(١) الخليل بن أحمد الفراهيدي، أبو عبد الرحمن من فراهيـد حي من الأزد باليمن ولـد سنة ١٠٠هـ إمام اللغة والأدب، وواضع علم العروض، وشيخ سيبويه، كان شاعراً، وذكيـاً وورعاً زاهـداً له تصـانيف كثيرة منهـا (العين) في اللغـة، ومعـاني الحـروف، والعروض، وغيرها. توفي ـ رحمه الله ـ سنة ١٧٠هـ.
انظر: طبقات النحويين واللغويين ص ٤٣ ـ ٤٧؛ ومراتب النحويين ص ٥٤ ـ ٧٢؛ وأنباه الرواة على أبناء النحاة ١/٣٤١؛ والأعلام ٢/٣٦٣.

(٢) سيبويه: عمرو بن عثمان بن قنبـر مولى بني الحـارث بن كعب ومعنى سيبويـه رائحة التفاح وهي كلمة فارسية، ولـد سنة ١٤٨هـ إمـام النحاة، واعلم النـاس بالنحـو بعد الخليـل كمـا قـال البغـوي، ألف كتـابـه في النحـو فكـان فـريـداً في بـابـه تـوفي ـ رحمه الله ـ بالأهواز، وقيل بشيراز سنة ١٨٠هـ.
انـظر ترجمتـه في مـراتب النحـويين ص ١٠٦؛ وطبقـات النحـويين ص ٦٦ ـ ٧٤؛ وأنباه الرواة ٢/٣٤٦؛ والأعلام ٥/٢٥٢.

(٣) الفراء: يحيـى بن زياد، الديلمي مولى بني أسد، أبو زكريا ولـد سنة ١٤٤هـ، لقب بـالفراء لأنـه كان يفـري الكلام. إمـام الكوفيين، وأعلمهم بـالنحو، واللغـة، وفنون الأدب، كـان يقـال لـه أمير المؤمنين في النحـو، كـان فقيهـاً، متكلمـاً، يميـل إلى الاعتزال، له تصانيف كثيرة في النحو واللغة، توفي سنة ٢٠٧هـ. في طريق مكة.
انـظر وفيـات الأعيـان ٦/١٧٦؛ وطبقـات النحـويين ص ١٤٣؛ ومـراتب النحـويين ص ١٣٩؛ والأعلام ٨/١٤٥.

(٤) صـاحب الملكي لم أقف عليه، أمـا المسيحي فهكذا ورد في جميـع النسخ، ولعـل المقصود المسيحي بضم الميم وفتح السين المهملة وكسر الباء الموحدة المشددة في آخره حـاء مهملة واسمـه عـز الملك محمـد بن عبـد الله، أميـر مؤرخ مـات سنـة ٤٢٠هـ، كما في وفيات الأعيان ٤/٣٧٧ ولكنه يرد أشكال، وهو أن الشيخ ساقه في معرض الأطباء، وهذا مؤرخ فلا نستطيع الجزم به ولم أقف على غير هذا الاسم.

(٥) بقراط بن أبراقلس. فيلسوف مشهور من فلاسفة اليـونان، وطبيب من أطبـائهم له في الطب تآليف عديدة كما ذكر القفطي، كان في زمان أردشير من ملوك الفرس.
انظر ترجمته في أخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي ص ٦٤.

وجالينوس[1] ونحوهما لم يكونوا أطباء. أو قال: إن كوشيار[2] والخرقي[3] ونحوهما كانوا يعرفون علم الهيئة، وبطليموس[4] ونحوه لم يكن لهم[5] علم بالهيئة.

ومن قال: إن داوود وسليمان ومليخا وعاموص ودانيال كانوا أنبياء، ومحمد بن عبد الله لم يكن نبياً. فتناقضه أظهر، وفساد قوله أبين من هذا جميعه، بل وكذلك من قال: إن موسى وعيسى[6] رسولان والتوراة والإنجيل كتابان منزلان من عند الله، ومحمد[7] ليس برسول، والقرآن

---

(١) جالينوس. حكيم فيلسوف، طبيب بارع، وعالم بالطبيعيات والهندسة، كان بعد المسيح ـ عليه السلام ـ بنحو مائتي سنة، له تصانيف عديدة.
انظر: أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٨٥؛ وتتمة المختصر لابن الوردي ١/١٢١.

(٢) كوشيار بن لبان الجيلي، أبو الحسن، مهندس، من علماء الهيئة، صنف مجمل الأصول في أحكام النجوم؛ والزيج الجامع، أو البالغ في حساب الكواكب. توفي سنة ٣٥٠هـ .
انظر ذيل كشف الظنون ٢/٩٦٨؛ والأعلام للزركلي ٥/٢٣٦.

(٣) هو محمد بن أحمد الحنفي، الخرقي، نسبة إلى (خرق) من قرى مرو، فلكي رياضي، ولد سنة ٤٦٩هـ ، وتوفي سنة ٥٣٣هـ ، من آثاره: التبصرة في الهيئة، الرسالة الشاملة في الحساب، ومنتهى الإدراك في تقسيم الأفلاك.
انظر كشف الظنون ص ٣٣٨؛ وهدية العارفين ٢/٨٨؛ ومعجم المؤلفين ٨/٢٣٨.

(٤) بطليموس القلوذي. صاحب كتاب المجسطي وغيره، إمام في الرياضة، وعالم في النجوم، وقد شرح كتابه «المجسطي» جماعة من علماء الفلك وكلهم عالة على بطليموس وأول من عني بكتابه وترجمه إلى العربية يحيى بن خالد بن برمك.
انظر: أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٦٧؛ وتاريخ الحكماء ص ٩٥؛ وتاريخ ابن الوردي ١/١٢١. وذكر فيه أنه كان في زمان الروم هو وجالينوس.

(٥) في س، ك، ط (له).

(٦) في أ، س (عيسى وموسى).

(٧) في ك،ط (ومحمداً) وكلا الأمرين له وجه.

لم ينزل من الله، فبطلان قوله في غاية الظهور والبيان لمن تدبر ما جاء به محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، وما جاء به من قبله، وتدبر كتابه والكتب التي قبله، وآيات نبوته وآيات نبوة هؤلاء، وشرائع دينه وشرائع دين هؤلاء، وهذه الجملة مفصلة مشروحة في غير هذا الموضع[1]. لكن المقصود هنا: التنبيه على مجامع جوابهم، وهؤلاء القوم لم يأتوا بدليل واحد يدل على صدق من احتجوا به من الأنبياء، فلو ناظرهم من يكذب بهؤلاء الأنبياء كلهم من المشركين والملاحدة لم يكن فيما ذكروه حجة لهم، ولا حجة لهم أيضاً على المسلمين الذين يقرون بنبوة هؤلاء؛ فإن جمهور المسلمين إنما عرفوا صدق هؤلاء الأنبياء بإخبار محمد أنهم أنبياء، فيمتنع أن يصدقوا بالفرع مع القدح في الأصل الذي به علموا صدقهم.

وأيضاً فالطريق الذي به علمت نبوة هؤلاء بما ثبت من معجزاتهم وأخبارهم، فكذلك تعلم نبوة محمد[2] بما ثبت من معجزاته وأخباره بطريق الأولى، فيمتنع أن يصدق أحد من المسلمين بنبوة واحد من هؤلاء مع تكذيبه لمحمد في كلمة مما جاء به.



---

(١) سيتحدث عن هذا بالتفصيل في الجزء الثالث من هذا الكتاب.

(٢) سقطت (محمد) من ط.

فصل[1]

الردّ على النّصارى في زعمهم أن محمّداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يُبَشَّر به

ومما ينبغي أن[2] يعلم: أن كثيراً من النصارى إنما يعتمدون في النبوات على بشارة الأنبياء بمن يأتي بعدهم، فيقولون: المسيح ـ عليه السلام ـ بشرت به الأنبياء قبله، بخلاف محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فإنه لم يبشر به نبي، وجواب هؤلاء من وجهين:

أحدهما: أن يقال: بل البشارة بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في الكتب المتقدمة أعظم من البشارة بالمسيح ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ[3]، وكما أن اليهود يتأولون البشارة بالمسيح على أنه ليس هو عيسى بن مريم بل هو آخر ينتظرونه، وهم في الحقيقة إنما ينتظرون المسيح الدجال، فإنه الذي يتبعه اليهود، ويخرج معه سبعون ألف مطيلس من يهود أصبهان[4] ويقتلهم المسلمون معه حتى يقول الشجر

---

(1) سقطت كلمة (فصل) من أ، وأثبتناه من س، ك، ط .

(2) سقطت (ينبغي أن) من س.

(3) في ك، ط (عليه السلام).

(4) روى مسلم في صحيحه عن أنس: أن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال: «يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً عليهم الطيالسة». رواه مسلم في كتاب الفتن باب في بقية من أحاديث الدجال ٤/٢٢٦٦ (٢٩٤٤)، ورواه أحمد بنحوه في مسند أنس ٣/٢٢٤، وروى ابن ماجه من حديث أبي إمامة الباهلي يرفعه «أن مع الدجال سبعين ألف يهودي كلهم ذو سيف محلى، وساج» ٢/١٣٦١، والطيالسة جمع طيلسان: أعجمي معرب أصله تالسان، والطيلسان الأسود.
انظر: القاموس ٢/٢٢٦ فصل الطاء باب السين، وجاء في المصباح المنير ٢/٥١٣ «والطيلسان من لباس العجم». اهـ .

والحجر: يا مسلم هذا يهودي ورائي تعال فاقتله[1]. كما ثبت ذلك في الصحيح عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وثبت أيضاً في الصحيح عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «ينزل عيسى بن مريم من السماء على المنارة البيضاء شرقي دمشق، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويقتل مسيح الهدى عيسى بن مريم مسيح الضلالة الأعور الدجال على بضع عشرة خطوة من باب لد»[2]؛ ليتبين

---

(١) روى البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب قتال اليهود ٢٣٢/٣، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال: «تقاتلون اليهود حتى يختبىء أحدهم وراء الحجر فيقول: يا عبد الله، هذا يهودي ورائي فاقتله». وروى من حديث أبي هريرة يرفعه بلفظ يا مسلم... إلخ، وروى مسلم من حديث ابن عمر بأسانيد متعددة في الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل... إلخ ٢٢٣٨/٤.

انظر: سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في علامة الدجال ٥٠٨/٤؛ وابن ماجه، في الفتن ١٣٦٢/٢؛ ومسند أحمد ٦٧/٢، ١٣١.

(٢) رواه البخاري من حديث أبي هريرة في كتاب المظالم، باب كسر الصليب وقتل الخنزير ١٠٧/٣؛ وفي كتاب الأنبياء، باب نزول عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ. ونصه عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها» الحديث. ورواه مسلم في الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ١٣٥/١؛ والترمذي في الفتن ٥٠٦/٤؛ وأبو داود في الملاحم ٤٩٨/٤، حديث رقم (٤٣٢٤)؛ وابن ماجه في الفتن ١٣٦٣/٢؛ والحميدي في مسنده ٤٦٨/٢؛ وأحمد ٢٤٠/٢. وليس في هذه الأحاديث ذكر نزوله على المنارة البيضاء شرقي دمشق، ولا ذكر قتله عند باب اللد. ولكن هذه الجملة وردت في أحاديث أخرى فقد وردت في الحديث الطويل الذي فيه خروج الدجال، رواه مسلم من حديث النواس بن سمعان في الفتن، باب ذكر الدجال وصفته ٢٢٥٣/٤ (٢١٣٧)؛ ورواه ابن ماجه في الفتن ١٣٥٧/٢ (٤٠٧٥). =

للناس أن البشر لا يكون إلّهاً، فيقتل من ادعى فيه أنه الله وهو بريء مما ادعى فيه لمن ادعى في نفسه أنه الله وهو دجال كذاب، فهكذا البشارات بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في الكتب المتقدمة، وقد يتأولها بعض أهل الكتاب على غير تأويلها، كما قد بسط في موضع آخر، فإن بسط الكلام في ذكر محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في الكتب التي بأيدي أهل الكتاب له موضع آخر[1].

الجواب الثاني: أن يقال: ليس من شرط النبي أن يبشر به من تقدمه، كما أن موسى كان رسولاً إلى فرعون، ولم يتقدم لفرعون به بشارة، وكذلك الخليل ـ عليه السلام ـ أرسل إلى نمرود[2]، ولم يتقدم به بشارة نبي إليه، وكذلك نوح وهود وصالح وشعيب ولوط لم يتقدم هؤلاء[3] بشارة إلى قومهم بهم[4] مع كونهم أنبياء صادقين؛ فإن دلائل نبوة النبي لا تنحصر في أخبار من تقدمه، بل دلائل النبوة منها المعجزات ومنها غير المعجزات كما قد بسط في موضع آخر[5]، وهؤلاء النصارى إنما مستند دينهم في التثليث والاتحاد وغير ذلك هو السمع وهو دعواهم أن الكتب الإلّهية جاءت بذلك، ليس مستندهم فيه العقل، فإذا تبين أنهم مع تكذيبهم بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يمتنع أن

= وانظر رياض الصالحين، كتاب المنثورات والملح ص ٧٩٥.

(١) سيتحدث عن هذا بالتفصيل في نهاية الجزء الثالث ويستمر في حديثه عن هذه المسألة إلى بداية الجزء الرابع من هذا الكتاب.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) في ك، ط (لم يتقدم بواحد من هؤلاء).

(٤) في س (فيهم) بدل (بهم).

(٥) سيتحدث المؤلف ـ رحمه الله ـ بالتفصيل عن هذه المسألة في كتابه هذا الجواب الصحيح في الجزء الرابع.

تثبت نبوة غيره امتنع استدلالهم بالسمعيات، وأما العقليات فإن تشبثوا ببعضها فهم معترفون بأن حجتهم فيها ضعيفة، وأنها على نقيض مذهبهم أدل منها على مذهبهم، وسنبين ـ إن شاء الله تعالى[1] ـ أن لا حجة لهم في سمع ولا عقل، بل ذلك كله حجة عليهم.

وأما تمثيلهم الكتاب بالوثيقة التي كتب الوفاء في ظهرها فتمثيلٌ باطل غير مطابق؛ لأن الإقرار بالوفاء إقرار بسقوط الدين ولا مناقضة بين ثبوت الدين أولاً وسقوطه آخراً بالوفاء، بل أمكن مع هذا دعواه، وأما من يذكر أنه رسول الله فلا يمكن أن يقر بأنه رسول الله في بعض ما أنبأ به عن الله دون بعض، ولا يمكن اتباع بعض كتابه الذي ذكر أنه منزل من عند الله دون بعض، فإنه إن كان صادقاً في قوله: إنه رسول الله، كان معصوماً في ما يخبر به عن الله، لا يجوز أن يكذب في شيء منه لا عمداً ولا خطأ، ووجب اتباع الكتاب الذي جاء به من عند الله ولم يمكن رد شيء مما ذكر أنه جاء به من الله، وإن كان كاذباً في كلمة واحدة مما أخبر به عن الله، فهو من الكاذبين المفترين، فلا يجوز أن يحتج بشيء من دينهم ولا دين غيرهم بمجرد إخباره عن الله، بل ولا بمجرد خبره وقوله[2] وإن لم يذكر أنه خبر عن الله، كما لا يجوز مثل ذلك في سائر من عرف أنه كاذب في قوله: إني رسول الله، كمسيلمة الحنفي، والأسود[3] العنسي، وطليحة الأسدي[4]، والحارث الدمشقي[5]، وبابا

---

(١) سقطت (تعالى) من ك، ط.

(٢) في أ (أنه)، وصححناه من س، ط.

(٣) سقطت الواو من ط.

(٤) سبقت ترجمة الأسود، وطليحة، ومسيلمة.

(٥) هو الحارث بن سعيد. متنبىء كذاب من أهل دمشق، وله أتباع يعرفون بالحارثية. كان مولى لأحد القرشيين، ونشأ متعبداً زاهداً ثم ادّعى النبوة، ثم لبس على الناس =

الرومي[1] وأمثالهم من الكذابين.

والواحد من المسلمين، وإن كان الله لا يؤاخذه بالنسيان والخطأ، بل والرسول أيضاً وإن لم يكن يؤاخذ[2] بالنسيان والخطأ في غير ما يبلغه عن الله عند السلف والأئمة وجمهور المسلمين، لكن ما يبلغه عن الله لا يجوز أن يستقر فيه خطأ، فإنه لو جاز[3] أن يبلغ عن الله ما لم يقله[4] ويستقر ذلك ويأخذه الناس عنه معتقدين أن الله قاله ــ ولم يقله الله ــ كان هذا مناقضاً لمقصود الرسالة ولم يكن رسولاً لله في ذلك، بل كان كاذباً في ذلك وإن لم يتعمده[5]، وإذا بلغ عن الله ما لم يقله وصدق في ذلك، كان قد صدق من قال على الله غير الحق، ومن تقول عليه ما لم يقله، وإن لم يكن متعمداً ويمتنع في مثل هذا أن يصدقه الله في كل ما يخبر به عنه أو أن يقيم له من الآيات والبراهين ما يدل على صدقه في كل ما يخبر به عنه مع أن الأمر ليس كذلك، ومن قامت البراهين والآيات على صدقه فيما يبلغه عن الله كان صادقاً في كل ما يخبر به عن الله، لا يجوز أن يكون في خبره عن الله شيء من الكذب لا عمداً ولا خطأ، وهذا مما اتفق عليه جميع الناس[6] من المسلمين واليهود والنصارى

= بما يظهر لهم من أوهام وضلالات. ذكر المؤرخون منها أنه يأتي إلى رخامة المسجد فينقرها بيده فتسبح، ويطعمهم فاكهة الصيف في الشتاء وغير ذلك من الأوهام حتى تبعه خلق كثير فتنوا به ووصل خبره إلى عبد الملك بن مروان لكنه لم يدركه حيث اختفى في بيت المقدس فأرسل من احتال عليه حتى أتى به فصلبه وقتله.

انظر: ميزان الاعتدال ١/٤٣٤ (١٦٢١)؛ والأعلام للزركلي ٢/١٥٥. وانظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٣٧٧ «وقد حكى جملاً كثيرة من مخاريقه وأباطيله».

(١) بابا الرومي. لم أقف له على ترجمة.

(٢) في س، ط (مؤاخذاً).

(٣) سقطت (لو) من س.

(٤) في س، ك (يقله الله).

(٥) في ط (يعتمده).

(٦) سقطت (جميع الناس) من س.

وغيرهم لم يتنازعوا أنه لا يجوز أن يستقر في خبره عن الله خطأ، وإنما تنازعوا هل يجوز أن يقع من الغلط ما يستدركه ويبيِّنه، فلا ينافي مقصود الرسالة كما نقل من ذكر «تلك الغرانيق العلى، وأن شفاعتها لترتجى»(١)، هذا فيه قولان للناس: منهم من

---

(١) رواها ابن جرير في التفسير ١٣١/١٧، مجلد (٧)، ط دار الفكر. تفسير آيات سورة الحج: ٥٢ ـ ٥٤ من طرق متعددة ولكنها كلها مرسلة، ورواها في التاريخ ٣٣٨/٢، ورواها ابن سعد في الطبقات ٢٠٥/١؛ والبيهقي في دلائل النبوة ٥٩/٢ باب الهجرة الأولى إلى الحبشة... إلخ، وقد ذكر كثير من المفسرين قصة الغرانيق وما كان من رجوع كثير من المهاجرين إلى أرض الحبشة ظناً منهم أن مشركي قريش قد أسلموا. لكنها كما قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «من طرق كلها مرسلة، ولم أرها مسندة».
تفسير ابن كثير ٢٢٩/٣ عند آية ٥٢: من سورة الحج. وقد عزاها ابن كثير إلى ابن أبي حاتم، وابن جرير، والبزار، وابن إسحاق في السيرة، والبغوي في تفسيره وقال الإمام الشوكاني في تفسيره ٦٦٣/٣ بعد سياق الروايات: (والحاصل أن جميع الروايات في هذا الباب إما مرسلة أو منقطعة لا تقوم الحجة بشيء منها). أما الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ فقد ساق الروايات في فتح الباري ٣٣٣/٨ تفسير سورة الحج، ونقل أقوال العلماء الذين أنكروها ثم تعقبهم بقوله: «... فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على أن لها أصلاً، وقد ذكرت أن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح، وهي مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل، وكذا من لايحتج به، لاعتضاد بعضها ببعض. وإذا تقرر ذلك تعين تأويل ما وقع فيها مما يستنكر وهو قوله ألقى الشيطان... فإن ذلك لا يجوز حمله على ظاهره لأنه يستحيل عليه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أن يزيد في القرآن عمداً ما ليس منه، وكذا سهواً إذا كان مغايراً لما جاء به من التوحيد لمكان عصمته، وقد سلك العلماء في ذلك مسالك فقيل: جرى ذلك على لسانه حين أصابته سنة وهو لا يشعر فلما علم بذلك أحكم الله آياته... وقيل: إن المشركين كانوا إذا ذكروا آلهتهم وصفوهم بذلك فعلق ذلك بحفظه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فجرى على لسانه لما ذكرهم سهواً... وقيل: لعله قالها توبيخاً للكفار... ثم ذكر غير ذلك في كلام طويل فانظره، وانظر القصة في السيرة النبوية للذهبي ص ١١٢؛ وعيون الأثر ١٢١/١؛ =

يمنع[1] ذلـك أيضاً وطعن في وقوع ذلك. ومن هؤلاء من قال: إنهم سمعوا ما لم يقله فكان الخطأ في سمعهم والشيطان ألقى في سمعهم.

ومن جـوز ذلك قـال: إذا حصل البيـان ونسخ مـا ألقى الشيـطان لم يكن في ذلك محذور، وكان ذلك دليلاً على صدقـه وأمانتـه وديانتـه، وأنه غير متبع هواه ولا مصر على غير الحق، كفعل طالب الرياسة المصر على خطئه.

وإذا كان نسخ ما جزم[2] بأن الله أنزله لا محذور فيـه، فنسخ مثـل هذا أولى أن لا يكون فيه محذور، واستدل على ذلك بقوله:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[3].

= وشرح المواهب اللدنية ١/ ٢٨٠ ـ ٢٨٦ وغيرها، ولعل القـول بعدم صحـة القصة أقرب إلى الصواب، وأما إذا كان للمسألة أصل كما ذكر الحافظ ابن حجر فإني أجزم بأن ذلك من الشيطان حيث أوقع في مسامع القوم ذلك فتوهموا أنه صدر من الرسول ـ عليـه الصـلاة والسـلام ـ وهـذا هـو الـلائق بـرسـولنـا ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى والله ـ تعالى ـ أعلم.

الغرنيق: بضم الغين المعجمة، وفتح النون طائر من طير الماء الـطويل العنق، كمـا قال في مختار الصحاح ص ٤٧٢.

(١) في س، ط (منع).

(٢) في س زيادة لفظ الجلالة بعد (جزم)، فالعبارة كذا (ما جزم الله بأن الله).

(٣) سورة الحج: الآيات ٥٢ ـ ٥٤.

وعلى كل قول فالناس متفقون على أن من أرسله الله وأقام الآيات على صدقه فيما يبلغه عن الله: لم يكن ما يبلغه عنه إلَّا حقاً. وإلَّا كانت الآيات الدالة على صدقه دلت على صدق من ليس بصادق، وبطلان مدلول الأدلة اليقينية ممتنع.

والصدق الذي هو مدلول آيات الأنبياء وبراهينهم هو أن يكون خبره عن الله مطابقاً لمخبره[1]، لا يخالفه عمداً ولا خطأ، ولو قال قائل: أنا لا[2] أسمي الخطأ كذباً، أو قال: إن المخطىء لا إثم عليه في خطئه[3].

قيل له: هذا لا ينفع هنا؛ فإن الآيات دلت على أن الله أرسله ليبلغ عنه رسالاته والله لا يرسل من يعلم أنه يخبر عنه بخلاف ما قال له، كما لا يجوز إرسال من يتعمَّد عليه الكذب، بل الواحد من الناس لا يرسل من يعلم أنه يبلغ خلاف ما أرسله به، ولو علم أنه يقول عليه ما لم يقل وأرسله مع ذلك، لكان جاهلاً سفيهاً، ليس بعليم حكيم، فكيف يجوز ذلك على أعلم العالمين، وأحكم الحاكمين؟

وأيضاً: فإن الآيات والبراهين دلت على صدقه في كل ما يبلغه عن الله، وأن الله مصدقه في كل ما يبلغه عنه، فيمتنع أن لا يكون صادقاً في شيء من ذلك، ويمتنع أن يصدق الله في كل ذلك من لا يصدق في كل ذلك، فإن تصديق من لا يصدق كذب، والكذب ممتنع على الله.

وإذا تبيَّن أن من ذكر أنه رسول الله إما أن يكون رسولاً صادقاً في

---

(١) في س (لخبره).

(٢) في أ، س (ألا)، وصححناه من ط (أنا لا).

(٣) في ط (خطابه).

جميع ما يبلغه فيمتنع مع هذا تناقض أخباره؛ لأنها كلها صادقة، وإما أن يكون غير صادق ولو في كلمة فلا يكون رسولاً لله، فلا يحتج بشيء مما يخبر به عن الله كان تمثيل من ذكر أنه رسول الله بالمقر باستيفاء وثيقته تمثيلاً باطلاً؛ فإن صاحب الوثيقة الذي أقر بوفائها بعد، كانت له حجة ثم استوفاها.

ومن ذكر أنه رسول الله إما صادق، وإما كاذب، وعلى التقديرين لا يجوز أن يحتج ببعض كلامه دون بعض[1]، وإذا قال القائل: مقصودي أبين[2] أنه متناقض، وأن نفس كلامه يبين أنه لم يرسل إلينا، وأن ديننا حق، كما أن نفس كلام الذي كان له الحق هو المقر بالوفاء، قيل: إن كان كلامه متناقضاً فليس برسول، وحينئذٍ فلا يجوز لك[3] أن تحتج بشيء مما بلغه عن الله، بخلاف المقر بالوفاء، فإن إقراره مقبول على نفسه، فإنه شاهد على نفسه بالوفاء وإقرار المقر على نفسه[4]، وشهادته على نفسه مقبولة، ولو كان كافراً وفاسقاً، بخلاف شهادته وخبره عن الله[5].

فمن شبه إقرار المقر على نفسه بقول الذي يقول: إنه رسول الله، دل ذلك على غاية جهله بالقياس والاعتبار والتمثيل. فإن[6] إقرار المقر

(١) سقطت الواو من س.
(٢) في ط (أن أبين).
(٣) في أ (ذلك)، وصححناه من سائر النسخ.
(٤) سقطت جملة (بالوفاء وإقرار المقر على نفسه) من ط، وهي في سائر النسخ.
(٥) في س، ط جملة زائدة هذا نصها «بخلاف شهادته على الله أن الله أرسله إذا كذب في كلمة واحدة لم يكن الله أرسله فلا يقبل شيء من شهادته وخبره عن الله».
(٦) سقط من النسخة ك بعد تنبيه الناسخ على سقوطه النص من قوله: «وأما تمثيلهم الكتاب بالوثيقة التي كتب الوفاء في ظهرها فتمثيل والتمثيل» ص ١١١ في =

على نفسه حجة عليه ولو كان فاسقاً معروفاً بالكذب، ليس هو مثل شهادة الإنسان على غيره. فإن شهادته على غيره لا تقبل إذا كان معروفاً بالكذب، فكيف بمن شهد على الله بأن الله أرسله؟ فالمقر على نفسه يمكن قبول إقراره على نفسه ولا يقبل دعواه على غيره، وكذلك الشاهد قد تقبل شهادته فيما ليس هو خصماً فيه، ولا تقبل شهادته بما ادعاه.

وأما من يقول: إنه رسول الله، فلا يمكن أن يصدق في بعض ما يخبر به عن الله ويكذب في بعض، بل إن كان كاذباً في كلمة واحدة، فليس هو رسولاً لله، فلا يحتج بكلامه، وإن قدر أن الكلام في نفسه صدق لكن نسبته إلى الله أن الله أرسله به وأوحاه لا يكون صادقاً فيه إذا كذب في كلمة واحدة؛ لأن الله لا يرسل كاذباً.

وإن لم يكن كاذباً في كلمة واحدة وجب تصديقه في كل ما يخبر به، فلا يمكن تصديقه في بعض ما يخبر به عن الله دون بعض، بخلاف المقر والشاهد.

وإن كان المقصود: بيان تناقضه، كان هذا احتجاجاً على أنه ليس برسول، فلا ينفعهم ذلك، مع أنه تبين أنه ليس بمتناقض.

وإن كان المقصود: إلزام المسلمين به، فقد بيّنا أنه لا يلزمهم[1] من وجوه متعددة، فهذا بيان أنهم[2] لا يجوز لهم الاحتجاج بشيء من كلام محمد ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ سواء صدقوه أو كذبوه.

= المخطوطة إلى قوله: «فإن إقرار المقر على نفسه حجة عليه ولو كان فاسقاً معروفاً بالكذب» ص ١١٤ من نفس المخطوطة ولا توجد الصحيفتان ص ١١٢، ١١٣ في نفس النسخة.

(١) في ك، ط (يلزمه).

(٢) في ط (أنه).

ثم يقال لهم ثانياً: في[1] الجواب عن التمثيل بالوثيقة: إن الإقرار بالاستيفاء يناقض استيفاء الحق، وأما القرآن الذي جاء به محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ[2]، فليس في إخباره بأنه أرسل إلى قريش، ثم إلى العرب، ما يناقض إخباره بأنه أرسل إلى جميع الناس: أهل[3] الكتاب، وغيرهم.

كما أنه ليس في إخباره أنه أرسل إلى بني إسرائيل ومخاطبة[4] الله لهم بقوله: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيْلَ﴾ ما يمنعه[5] أن يكون مرسلاً إلى اليهود من غير بني إسرائيل وإلى النصارى والمشركين، وهو[6] لم يقل قط: إني[7] لم أرسل إلاَّ إلى العرب، ولا قال ما يدل على هذا بل ثبت عنه بالنقل المتواتر أنه قال: إنه مرسل إلى جميع الجن والإنس، إلى أهل الكتاب وغيرهم، ولو قدر أنه قال: إنه لم يرسل إلاَّ إلى العرب، ثم قال: إني أرسلت إلى أهل الكتاب، لكان قد أرسل إلى أهل الكتاب بعد إرساله إلى العرب، كما قال:

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمًا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٍ...﴾[8].

---

(١) في ك، ط (فالجواب).

(٢) في س جاءت الجملة هكذا (وأما محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ).

(٣) في أ (وأهل) والواو زائدة لا مكان لها.

(٤) في س (ويخاطبه).

(٥) في س، ك، ط (ما يمنع)، وقد ورد هذا الخطاب في سورة البقرة: الآيات ٤٠، ٤٧، ١٢٢، وسورة طه: الآية ٨٠.

(٦) في س (ولم يقل قط)، وفي ك، ط (وهو أنه لم يقل قط).

(٧) في س (أن) بدل (أني).

(٨) سورة الأنعام: الآية ١٤٥.

وقال أيضاً:

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ . . . ﴾[1].

ثم إنه بعد هذا حرم الله أشياء فلم يكن بين[2] نفي تحريمها في الزمن الأول، وإثبات تحريمها في الزمن الثاني منافاة.

ولكن يظهر[3] الدين إذا أوجب شيئاً ثم نسخ إيجابه كما نسخ إيجاب الصدقة بين يدي النجوى[4]، ففي مثل هذا يتمسك بالنص الناسخ دون المنسوخ، كما يتمسك بالإقرار بالوفاء الناسخ للإقرار[5] بالدين.



---

(١) سورة النحل: الآية ١١٥.

(٢) في س (من) بدل (بين).

(٣) في ك، ط (نظير).

(٤) قال المفسرون في تفسير قوله ـ تعالى ـ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً . . .﴾ [الآية ١٢ من سورة المجادلة]. قال المفسرون: نهوا عن مناجاة رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ حتى يتصدقوا، فلم يناجه إلَّا علي ـ رضي الله عنه ـ قدم ديناراً فتصدق به، ثم نزلت الرخصة في ذلك، ونسخت لقوله ـ تعالى ـ : ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ . . .﴾ [الآية ١٣ من سورة المجادلة].
انظر: أسباب النزول للواحدي ص ٣٠٨؛ والناسخ والمنسوخ لأبي القاسم هبة الله بن سلامة ص ٢٩٨ ـ ٣٠١، (هامش الكتاب السابق (ط عالم الكتب، بيروت)؛ ولباب النقول للسيوطي ص ٢٠٧؛ وسنن الترمذي كتاب التفسير ٥/٤٠٦ ـ ٤٠٧ (٣٣٠٠)، وقد روى القصة عن الإمام علي ـ رضي الله عنه ـ وحسنها مع الغرابة والله أعلم.

(٥) في س (بالإقراب) وهو خطأ.

فصل

إبطال استدلال النَّصارى على صحَّة دِينهم بما جاء عن الأنبياء السَّابِقِينَ

وقد ذكرنا[1] أنه لا يجوز أن يحتجوا بشيء من القرآن، وما نقل عن محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[2] ـ إلَّا مع التصديق برسالته، وأنه مع التكذيب برسالته لا يمكن الإقرار بنبوة غيره، ولا الاحتجاج بشيء من كلام الأنبياء، فتكذيبهم يستلزم تكذيبهم بغيره، فإذا ثبتت نبوة غيره ثبتت نبوته، وذلك يستلزم بطلان دينهم، فكان صحة دليلهم يستلزم بطلان المدلول وفساد المدلول يستلزم فساد الدليل؛ فإن الدليل ملزوم للمدلول عليه، وإذا تحقق الملزوم تحقق اللازم[3]، وإذا انتفى اللازم انتفى الملزوم، فإذا ثبت[4] الدليل ثبت المدلول عليه، وإذا فسد المدلول عليه لزم فساد الدليل؛ فإن الباطل لا يقوم عليه دليل صحيح.

فإن كان محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ رسول الله لزم بطلان دينهم، وإذا بطل دينهم لم يجز أن يقوم دليل صحيح على صحته، وإن[5] لم يكن رسول الله لم يجز الاستدلال بقوله فثبت أن استدلالهم بقوله باطل على التقديرين.

---

(١) في ط (ذكر).

(٢) في أ (صلَّى الله على سيدنا محمد وآله وسلَّم).

(٣) في س (الملازم).

(٤) في س (صح).

(٥) في ك، ط (وإذا).

ونحن نذكر هنا: أنه لا يجوز استدلالهم بقول أحد من الأنبياء أو الرسل على صحة دينهم، وأيضاً فإن الذين احتجوا بقولهم: مثل موسى وداود والمسيح وغيرهم، إما أن يكونوا عرفوا أنهم أنبياء بدليل على نبوتهم، كالاستدلال بآياتهم وبراهينهم التي تسمى بالمعجزات، وإما أن يكونوا قد اعتقدوا ذلك بلا علم ولا دليل، وإما أن يكونوا احتجوا بذلك على المسلمين؛ لإنهم يسلمون نبوة[1] هؤلاء وعلى كل تقدير لا يصح استدلالهم بقولهم.

أما على[2] الأول؛ فلأنه: أي طريق ثبتت بها[3] نبوة واحد من هؤلاء الأنبياء ــ عليهم السلام ــ، فإنه تثبت نبوة محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بمثلها وأعظم منها، وحينئذ فإن لم يقروا بنبوة محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ مع أن كل دليل يدل على نبوة موسى وداود وعيسى وغيرهم، يدل على نبوة محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، لزم أن يكونوا قد نقضوا دليلهم فجعلوه قائماً مع انتفاء مدلوله، وإذا انتقض الدليل بطلت دلالته، فإنه إنما يدل إذا كان مستلزماً للمدلول.

فإذا كان تارة يوجد مع المدلول وتارة لا يوجد، لم يكن مستلزماً له فلا يكون دليلاً؛ فإن من جعل المعجزات دليلاً على نبوة نبي، وقال: المعجزة هي الفعل الخارق للعادة، المقرون بالتحدي، السالم من المعارضة، ونحو ذلك مما يذكر في هذا المقام وجعلوا ذلك دليلاً على نبوة موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء.

قيل له: إن كان هذا دليلاً، فهو دليل على نبوة محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، وإن لم يكن دليلاً لم يكن دليلاً على نبوة موسى

---

(١) في ط (بنبوة).

(٢) سقطت (على) من أ، وزدناها من سائر النسخ.

(٣) في ك (ثبت بها) وفي ط (ثبت به)، وما أثبتناه من أ، س.

وعيسى؛ فإنه قد ثبت عن محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من المعجزات ما لم يثبت مثله عن غيره، ونقل معجزاته متواتر أعظم من نقل معجزات عيسى وغيره، فيمتنع التصديق بآياته مع التكذيب بآيات محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ .

وإن قالوا معجزات محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لم تتواتر[1] عندنا. قيل: ليس من شرط التواتر أن يتواتر[2] عند طائفة معينة، بل هذا كما يقول المشركون والمجوس وغيرهم لم يتواتر عندنا معجزات[3] موسى والمسيح ـ عليهما السلام ـ ، وإنما تتواتر أخبار كل إنسان[4] عند من رأى المشاهدين له أو رأى من رآهم وهلم جراً.

ومعلوم: أن أصحاب محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ الذين رأوه ونقلوا معجزاته أضعاف أصحاب المسيح ـ عليه السلام ـ ، والتابعون الذين نقلوا ذلك عن الصحابة كذلك فيلزم من التصديق بمعجزات المسيح ـ عليه السلام ـ التصديق بمعجزات محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، ومن التكذيب بمعجزات محمد التكذيب بمعجزات المسيح.

وإن قالوا عرفت نبوة المسيح ببشارات الأنبياء قبله. قيل: وفي الكتب المتقدمة من البشارات بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مثل ما فيها من البشارات بالمسيح وأكثر كما سيأتي بعضها إن شاء الله تعالى[5].

---

(١) في ط (تتوافر).

(٢) في ط (تتواتر) بالمثناة الفوقية.

(٣) سقطت (معجزات) من أ، وزدناها من سائر النسخ.

(٤) في هامش ك، ط (عند كل من).

(٥) سقطت جملة (كما سيأتي بعضها إن شاء الله تعالى) من أ، وزدناها من سائر النسخ.

وإن تأولوا[1] تلك البشارات بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بما يمنع دلالتها. قيل لهم: واليهود يتأولون بشارات المسيح بما يمنع دلالتها على المسيح.

فإذا قالوا: تلك التأويلات باطلة من وجوه معروفة، بين لهم أن هذه باطلة أيضاً بمثل تلك الوجوه وأقوى. فما من جنس من الأدلة يدل على نبوة موسى والمسيح، إلاَّ ودلالته على نبوة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[2] ـ أقوى وأكثر فيلزم من ثبوت نبوة موسى والمسيح ثبوت نبوة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[3] ـ، ومن الطعن في نبوة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ الطعن في نبوة موسى والمسيح.

وإن قالوا: إن المسيح إلّه. قيل لهم: ثبوت كونه إلّهاً ـ لو كان ممكناً ـ أبعد من ثبوت كونه رسولاً، فكيف إذا كان ممتنعاً؟

وذلك أنه ليس معهم ما يدل على إلّهيته إلاَّ ما ينقلونه من أقوال الأنبياء، أو الخوارق، والخوارق لا تدل على الإلّهية فإن الأنبياء ما زالوا يأتون بالآيات الخارقة للعادة ولم تدل على إلّهية أحد منهم.

وأما أقوال الأنبياء ـ عليهم السلام ـ فلا ريب أن دلالتها على رسالته ورسالة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أظهر من دلالتها على إلّهية المسيح، فيمتنع الاحتجاج بها على إلّهية المسيح دون رسالة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[4] ـ ورسالة المسيح، ومتى ثبت أن

---

(١) في س (قاولوا) وهو تصحيف ظاهر.
(٢) سقطت الجملة الدعائية من س، ك، ط.
(٣) سقطت الجملة الدعائية من س، ك، ط.
(٤) سقطت الجملة الدعائية من س، ك، ط.

محمداً رسول الله بطلت[1] إلهية المسيح، فإنه كفر من قال: إنه الله أو ابن الله بل وكذلك متى ثبت أن المسيح رسول الله بطل كونه إلهاً، فإن كونه هو الله مع كونه رسول الله متناقض.

إبطال دعوى النصارى إلهيّة المسيح ـ عليه السلام

وقولهم: إنه إله بلاهوته، ورسول بناسوته، كلام باطل من وجوه:

منها: أن الذي كان يكلم الناس، إما أن يكون هو الله أو هو رسول الله، فإن كان هو الله، بطل كونه[2] رسول الله، وإن كان[3] رسول الله، بطل كونه[4] هو الله.

ولهذا لما كان الذي كلم موسى ـ عليه السلام ـ من الشجرة هو الله لم تنطق الكتب بأنه رسول الله، وهذا وارد بأي وجه فسروا الاتحاد؛ فإنه من المعلوم أن الناس كانوا يسمعون من المسيح كلاماً بصوته المعروف، وصوته لم يختلف[5] ولا حاله عند الكلام تغيرت، كما يختلف الإنسان وحاله عند الكلام إذا حل[6] فيه الجني، وإذا فارقه الجني، فإن الجني إذا تكلم على لسان المصروع ظهر الفرق بين ذلك المصروع وبين غيره من الناس، بل[7] اختلف حال المصروع وحال كلامه وسمع منه من الكلام ما يعلم يقيناً أنه لا يعرفه وغاب عقله بحيث

---

(١) في ط (يطلب).

(٢) في س، ك (بكل لونه) وهو تصحيف بين، وقد صححت في هامش ك.

(٣) في ط (وإن كان هو رسول الله).

(٤) في س، ك (بكل لونه) وهو تصحيف بين، وقد صححت في هامش ك.

(٥) في ط (لم يختلف عليهم).

(٦) في ط (دخل).

(٧) جملة (ظهر الفرق بين ذلك المصروع وبين غيره من الناس بل) ساقطة من س وهي في سائر النسخ.

يظهر ذلك للحاضرين واختلف صوته ونغمته، فكيف بمن يكون رب العالمين هو الحال فيه المتحد به المتكلم بكلامه؟.

فإنه لا بد أن يكون بين كلامه وصوته وكلام سائر البشر وصوتهم من الفرق أعظم من الفرق الذي بين المصروع وغير المصروع بما لا نسبة بينهما.

يبين هذا: أن موسى لما سمع كلامه سمع صوتاً خارقاً للعادة مخالفاً لما يعهد من الأصوات، ورأى من الآيات الخارقة والعجائب ما يبين أن ذلك الذي سمعه[1] لا يقدر على التكلم به إلاَّ الله، وأما المسيح فلم يكن بين كلامه وصوته مع[2] طول عمره، وكلام سائر الناس فرق يدل على أنه نبي فضلاً عن أن يدل على أنه إلٓه، وإنما علم أنه نبي بأدلة منفصلة ولم يكن حاله يختلف مع أنهم يقولون: أن الاتحاد ملازم له من حين خلق ناسوته في بطن أمه مريم وإلى الأبد لا يفارق اللاهوت لذلك الناسوت أبداً وحينئذ فمن المعلوم أن خطابه للناس إن كان خطاب رب العالمين لم يكن هو رسوله، وإن كان خطاب رسوله لم يكن ذلك صوت رب العالمين.

الوجه الثاني: أن[3] خطابه خطاب رسول ونبي، كما ثبت ذلك عنه في عامة المواضع[4].

---

(١) في ط (نسمعه).

(٢) سقطت (مع) من س، ك، ط.

(٣) في أ (أنه) وصححناه من سائر النسخ.

(٤) النصوص في أناجيلهم التي تصرح بذلك كثيرة انظر على سبيل المثال إنجيل متى إصحاح ١٥/ فقرة ٢٤، وإنجيل برنابا ص٥٣/ الفصل ١٥، تحقيق سيف الله أحمد فاضل (ط. ـ دار القلم الكويت). وأعمال الرسل إصحاح ١٠/ فقرة ٣٧، وقد تحدث الدكتور محمد مجدي مرجان في كتابه المسيح إنسان أم إلٓه «عن هذه =

الثالث: أن مصير الشيئين شيئاً واحداً مع بقائهما على حالهما بدون الاستحالة والاختلاط ممتنع في صريح العقل، وإنما المعقول مع الاتحاد أن يستحيلا ويختلطا كالماء مع الخمر واللبن، فإنهما إذا صار شيئاً واحداً، استحالا واختلطا.

الرابع: أنه مع الاتحاد يصير الشيئان شيئاً واحداً، فيكون الإِلّه هو الرسول والرسول هو الإِلّه؛ إذ هذا هو هذا، وإن كان الإِلّه غير الرسول، فهما شيئان ومهما مثلوا به قولهم كتشبيههم ذلك بالنار في الحديد والروح في البدن، فإنه يدل على فساد قولهم، فإن الحديد متى طرق أو وضع في الماء، كان ذلك مصيباً للنار، وكذلك البدن إذا جاع أو صلب وتألم، كان ذلك الألم مصيباً للروح، فيلزم أن يكون رب العالمين قد أصابه ألم الجوع والعطش، وكذلك الضرب والصلب على قولهم وهذا شر من قول اليهود: أنه فقير وأنه بخيل[1]، وأنه مسه اللغوب[2].



= القضية وأبطل دعواهم الإِلّهية في عيسى ـ عليه السلام ـ ويقع هذا الكتاب في مائتين وإحدى وثلاثين صفحة من القطع الصغير (نشر دار النهضة العربية بالقاهرة)، كذلك ألف الغزالي كتاباً بعنوان الرد الجميل لإِلّهية عيسى بصريح الإنجيل، حققه الدكتور محمد الشرقاوي (نشر دار أمية، الرياض) انظر: ص ١٤٧، ص ١٧١. وانظر: كتاب مقامع هامات الصلبان لأبي عبيدة الخزرجي بتحقيق د. محمد شامة ص ٢١٦.

(١) في ط (إنه بخيل).

(٢) قول اليهود بأن الله فقير، ونسبة اللغوب أي التعب إلى الله بعد خلق الخلق نزلت بسببه آيات من سورة آل عمران: الآية ١٨١: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ...﴾ الآية. وقوله ـ تعالى ـ في سورة ق: الآية ٣٨: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾. وانظر: في أسباب النزول لباب النقول للسيوطي ص ٥٥، ص ٢٠٥ (طبعة الحلبي ـ الطبعة الثانية)، وأسباب النزول للواحدي ص ٩٨، ص ٢٩٧.

فصل

وإن كان مقصودهم الاحتجاج بذلك على المسلمين. قيل لهم:

أولاً: هذه حجة جدلية، فما مستندكم فيما بينكم وبين الله في تصديق شخص وتكذيب آخر، مع أن دلالة الصدق فيهما واحدة، بل هي في الذي كذبتموه أظهر؟ فإن كانت حقاً لزم تصديق من كذبتموه وفسد دينكم. وإن كانت باطلة، بطل استدلالكم بها على دينكم، فثبت أنهم مع تكذيب محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لا يستقيم لهم الاستدلال بكلام أحد من الأنبياء ـ عليهم السلام ـ.

وقيل لهم ثانياً: المسلمون إنما عرفوا صدق هؤلاء الأنبياء بما دلهم على صدق محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فإن لم يكن محمد صادقاً لم يعرفوا صدق هؤلاء فيبطل دليلكم، وإن كان صادقاً بطل دين النصارى فيبطل دليل صحته فثبت بطلان دليلهم على كل تقدير.

وقيل لهم ثالثاً: المسلمون لم يصدقوا نبوة أحد من هؤلاء إلَّا مع نبوة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وإن قيل أنهم عرفوا ذلك بطريق آخر، فإن الدليل الذي يدل على صدق واحد منهم يدل على صدق محمد بطريق الأولى، فلا يمكنهم تصديق نبيٍّ[1] مع تكذيب محمد صلَّى الله عليه وسلَّم:

---

(١) في أ (موسى) وفي ط (شى).

وقيل لهم رابعاً: هم إنما يصدقون موسى[1] وعيسى اللذين بشرا بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، فإن كانا قد بشرا به[2] فثبتت[3] نبوته، وإن لم يكونا بشرا به، فهم لا يؤمنون إلَّا بالمبشرين به، وبالتوراة والإنجيل اللذين[4] هو مكتوب فيهما.

فإن قدر عدم ذلك فهم لا يسلمون وجود موسى وعيسى وتوراة وإنجيل منزلين من الله ليس فيهما ذكره صلَّى الله عليه وسلَّم.

وإن قالوا: نحن صدقنا هؤلاء الأنبياء بلا علم لنا بصدقهم وطريق يدل على صدقهم؛ لأن هذا دين آبائنا وجدناهم يعظمون هؤلاء ويقولون هم أنبياء، فاتبعنا آباءنا في ذلك من غير علم، وهذا هو الواقع من أكثرهم. قيل: فإذا كان هذا قولكم في الأنبياء وفيما شهدوا به ـ إن كانوا شهدوا ـ فيلزم أن لا يكونوا عالمين به، بل متبعين فيه لآبائهم بغير علم بطريق الأولى، وبهذا يحصل المقصود، وهو أن ما أنتم عليه من اعتقاد دين النصرانية لا علم لكم ولا دليل لكم على صحته، بل أنتم فيه متبعون لآبائكم كاتباع اليهود والمشركين لآبائهم.

ولا ريب أن هذا حال النصارى، ولهذا سماهم الله ضلالاً في قوله:

﴿ ... وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾[5].

---

(١) في ط (بموسى).

(٢) سقطت (به) من أ، ك وزدناها من س، ط.

(٣) في ط (فتثبت).

(٤) في أ، س، ك (التي) وصححناه من ط.

(٥) سورة المائدة: الآية ٧٧.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝٤ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ . . . ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ . . . وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ . . . ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾[3].

ولهذا كان النصارى معروفين بالجهل والضلال، كما أن اليهود معروفون[4] بالظلم والقسوة والعناد، فتبين بما ذكرناه أنه لا يمكنهم مع تكذيب محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في كلمة واحدة الاحتجاج بقول واحد[5] من الأنبياء على شيء من دينهم ولا دين غيرهم.

● ● ●

---

(١) سورة الكهف: الآيتان ٤، ٥.

(٢) سورة النساء: الآية ١٥٧.

(٣) سورة الشورى: الآية ١٤.

(٤) في أ، س، ك (معروفين) وهو خطأ.

(٥) في س، ك، ط (أحد).

فصل

ردّ دعوى النّصارى خصوصيّة الإسلام لِكَوْن كتابه باللّسان العربي

وأما كون القرآن أنزل باللسان العربي وحده فعنه أجوبة:

أحدها: أن يقال: والتوراة إنما أنزلت باللسان العبري وحده، وموسى ـ عليه السلام ـ لم يكن يتكلم إلا بالعبرية، وكذلك المسيح لم يكن يتكلم بالتوراة والإنجيل وغيرهما إلا بالعبرية، وكذلك[1] سائر الكتب لا ينزلها الله إلا بلسان واحد: بلسان الذي أنزلت عليه ولسان قومه الذين يخاطبهم أولاً، ثم بعد ذلك تبلغ الكتب وكلام الأنبياء لسائر الأمم[2]: إما بأن يترجم لمن لا يعرف لسان ذلك الكتاب، وإما بأن يتعلم الناس لسان ذلك الكتاب فيعرفون معانيه، وإما بأن يبين للمرسل[3] إليه معاني ما أرسل به الرسول إليه بلسانه وإن لم يعرف سائر ما أرسل به.

وقد أخبر الله في القرآن ما قالته الرسل لقومهم، وما[4] قالوا لهم

---

(١) في أ، ك، ط زيادة (ثم).
(٢) لعل الشيخ يقصد هنا بتبليغ الكتب وكلام الأنبياء لسائر الأمم الإعلام دون الدعوة، وإلا فإنه ليست هناك رسالة عامة في دعوتها إلا رسالة الإسلام.
(٣) في س، ك، ط (المرسل).
(٤) سقطت (ما) من أ.

ـ وأكثرهم لم يكونوا عرباً ـ ، وأنزله[1] الله باللسان العربي، وحينئذ فإن شرط التكليف تمكن العباد من فهم ما أرسل به الرسول إليهم، وذلك يحصل بأن يرسل بلسان يعرف به مراده ثم جميع الناس متمكنون من معرفة مراده بأن يعرفوا ذلك اللسان أو يعرفوا معنى الكتاب بترجمة من يترجم معناه، وهذا مقدور للعباد، ومن لم يمكنه فهم كلام الرسول إلا بتعلم اللغة التي أرسل بها، وجب عليه ذلك؛ فإن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب * بخلاف ما لا يتم الوجوب إلا به. فإنه ليس بواجب *[2] ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، لا في الأصل ولا في التمام. فلا نحتاج أن نقول ما لا يتم الواجب إلا به، ـ وكان مقدوراً للمكلف ـ فهو واجب؛ فإن ما ليس مقدوراً عليه لا يكلف به العباد، بل وقد يكون مقدوراً عليه ولا يكلفون به.

فلما كانت الاستطاعة شرطاً في وجوب الحج لم يجب[3] تحصيل الاستطاعة بخلاف قطع المسافات[4]، فإنه ليس شرطاً في الوجوب؛ فلهذا يجب الحج على الإنسان[5] من المسافة البعيدة والقريبة إذا كان مستطيعاً.

وجمهور الناس لا يعرفون معاني الكتب الإلهية: التوراة والإنجيل والقرآن إلا بمن يبينها[6] ويفسرها لهم، وإن كانوا يعرفون اللغة، فهؤلاء يجب عليهم طلب علم ما يعرفون به ما أمرهم الله به ونهاهم عنه، وهذا

---

(١) في أ، س، ك (وأنزل).

(٢) ما بين النجمتين ساقط من أ وزدناه من سائر النسخ.

(٣) مكان هذه الكلمة في أ (يحصره).

(٤) في س، ك، ط (المسافة).

(٥) في س، ك، ط (فلهذا يجب على الإنسان الحج).

(٦) في ط (أو).

هو طلب العلم المفروض على الخلق، وكذلك ما بينه الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من معاني الكتاب الذي أنزله الله عليه يجب على الخلق طلب علم ذلك ممن يعرفه، إذا كان معرفة ذلك لا تحصل بمجرد اللسان.

كما يروى عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما[1] ـ أنه قال: تفسير القرآن على أربعة أوجه: تفسير تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله ـ تبارك وتعالى ـ، فمن ادعى علمه فهو كاذب[2].

والله ـ تعالى ـ قال:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ...﴾[3].

لم يقل: وما أرسلنا من رسول إلا إلى قومه، لكن لم يرسله إلا بلسان قومه الذين خاطبهم أولاً ليبين لقومه، فإذا بين[4] لقومه[5] ما أراده حصل بذلك المقصود لهم ولغيرهم؛ فإن قومه الذين بلغ إليهم أولاً يمكنهم أن

---

(١) سقطت (رضي الله عنهما) من أ وزدناها من سائر النسخ.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٢/٧ عند آية: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات...﴾ الآية من سورة آل عمران: الآية ٧، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس وذكره...
قلت: وسبقت ترجمة الكلبي، وأبي صالح. وخلاصة القول فيهما أن الكلبي متهم بالكذب ورمي بالرفض، وأبو صالح باذام ضعيف مدلس.
انظر تقريب التهذيب (الكلبي) ٢/١٦٣؛ (وأبو صالح) ١/٩٣؛ وهذه الطريق من أضعف الطرق عن ابن عباس وتقدم الكلام عليها، وما ذكره السيوطي ـ رحمه الله ـ في شأنها في الدر المنثور، والاتقان.

(٣) سورة إبراهيم: الآية ٤.

(٤) في أ (تبين).

(٥) سقطت (لقومه) من أ وزدناها من سائر النسخ.

يبلغوا عنه اللفظ، ويمكنهم أن ينقلوا عنه المعنى لمن لا يعرف اللغة، ويمكن غيرهم أن يتعلم منهم لسانه فيعرف مراده، فالحجة تقوم على الخلق ويحصل لهم الهدى بمن[1] ينقل عن الرسول: تارة المعنى، وتارة اللفظ؛ ولهذا يجوز نقل حديثه بالمعنى، والقرآن يجوز[2] ترجمة معانيه لمن لا يعرف العربية باتفاق العلماء[3].

---

(1) في أ (ثم) بدل (بمن).

(2) في ك، ط (تجوز) بالمثناة الفوقية.

(3) ذكر العلماء أن الترجمة على أربعة أنواع، ثلاثة منها جائزة، والرابع محال ومحرم شرعاً وهي:

١ ـ ترجمة القرآن بمعنى تبليغ ألفاظه، فالرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كان يقرأ القرآن ويسمعه للغير، وكذلك أتباعه من بعده، بل وعدم القيام. بهذا كتمان للعلم، وهذا محرم شرعاً، قال ـ تعالى ـ: **﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى...﴾** الآية.

٢ ـ ترجمة القرآن بمعنى تفسيره بلغته العربية، ودليله قوله ـ تعالى ـ آمراً نبيه: **﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم...﴾** الآية. ولقد بينه الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وسار على نهجه الصحابة والتابعون ومن بعدهم إلى يومنا هذا.

٣ ـ ترجمة القرآن بمعنى تفسيره بلغة أجنبية، وهذا ما يجري مجرى تفسيره بلسان عربي، وكلاهما توضيح وبيان لما يستطاع من المعاني والمقاصد لا لجميع المقاصد.

٤ ـ ترجمة القرآن بمعنى نقله إلى لغة أخرى، وهي التعبير عن معاني ألفاظه العربية ومقاصدها بألفاظ غير عربية مع الوفاء بجميع هذه المعاني والمقاصد، وهذه الترجمة الحرفية تخرج القرآن عن أن يكون قرآناً، ولا يقال فيها أنها كلام الله، فلا يشك عاقل في أنها حرام، كما لا تخفى آثارها السيئة على أمة الإسلام، بل قد يصل الأمر إلى كتاب الله وهذا خطر كبير، وشر عظيم. وقد انجر الحكم إلى قراءة الترجمة، والصلاة بها فاتفقت كلمة الفقهاء على منع ذلك، وحرمته. بل وبطلان الصلاة به لأنه ليس كلام الله.

راجع في هذه المسألة: مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ٢/٢٧ فما بعدها؛ =

وجوز بعضهم أن يقرأ بغير العربية عند العجز عن قراءته بالعربية وبعضهم[1] جوزه مطلقاً، وجمهور العلماء منعوا أن يقرأ بغير العربية وإن جاز أن يترجم للتفهم[2] بغير العربية، كما يجوز تفسيره وبيان معانيه. وإن كان التفسير ليس قرآناً متلواً وكذلك الترجمة، وقد قال النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ : «نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً فبلغه إلى من لم يسمعه، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»[3].

= ومباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان ص ٣١٢ فما بعدها؛ والبرهان في علوم القرآن للزركشي ١/٤٦٤؛ ونقض المنطق لابن تيمية ص ٩٧ ـ ٩٩؛ والمغني لابن قدامة ١/٥٢٦؛ والمدونة في الفقه المالكي ١/٦٢؛ والمجموع في الفقه الشافعي ٣/٣٧٩.

(١) في ط (بعضهم) وقد علق في أ، فوق هذه الكلمة بقوله (كأبي حنيفة).

(٢) في س، ك، ط (للتفهيم).

(٣) رواه أبو داود في كتاب العلم، باب فضل نشر العلم من حديث زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ بلفظ، قال: سمعت رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ يقول: نَضَّر اللَّهُ امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه. سنن أبي داود ٤/٦٨ ـ ٦٩ (٣٦٦٠)، والترمذي في كتاب العلم، باب الحث على تبليغ السماع ٥/٣٣ ـ ٣٤ (٢٦٥٦)، وقال (حديث حسن). ثم ذكر في الباب عن ابن مسعود، ومعاذ، وجبير بن مطعم وأبي الدرداء، وأنس؛ وأخرجه ابن ماجه من حديث عباد الأنصاري، عن زيد ابن ثابت في المقدمة ١/٨٤ (٢٣٠) باب من بلغ علماً، وأخرجه من حديث جبير بن مطعم بنحوه في المقدمة ١/ ٨٥ (٢٣١)؛ وأخرجه في المناسك، باب الخطبة يوم النحر ٢/١٠١٥ (٣٠٥٦). ورواه أحمد من حديث أنس ٣/٢٢٥ وفيه زيادة؛ ورواه من حديث جبير بن مطعم ٤/٨٠، ٨٢؛ والدارمي ١/٧٦؛ باب الاقتداء بالعلماء؛ والإمام الشافعي في الرسالة ص ٤٠١ (١١٠٢).

وانظر: مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة للسيوطي ص ١٦ (رقم ١٧) ثم قال ـ رحمه الله ـ هذا الحديث متواتر. وقد أحصى المحقق بدر البدر طرق الحديث عن خمسة عشر صحابياً في تعليقه، ونبه إلى أن هناك اختلافاً في بعض ألفاظ =

وقال أيضاً في الحديث الصحيح: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل غيث أصاب أرضاً، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها طائفة أمسكت الماء، فنفع الله به الناس فزرعوا وسقوا، وكانت منها طائفة إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من تفقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به من الهدى والعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»[1].

فدعا النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لمن يبلغ حديثه وإن لم يتفقه[2] فيه وقال: «رب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه».

وقد كان[3] العارفون باللغة العربية حين بعث الله محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إنما يوجدون في جزيرة العرب وما والاها، كأرض الحجاز واليمن وبعض الشام والعراق، ثم انتشر فصار أكثر الساكنين في وسط المعمورة العربية، حتى اليهود والنصارى الموجودون في وسط الأرض يتكلمون بالعربية، كما يتكلم بها أكثر[4] المسلمين بل

= الحديث في بعض الطرق. انظر: مفتاح الجنة للسيوطي بتحقيق بدر البدر (ط مؤسسة الخليج بالكويت) ص ١٦ ـ ١٨.

(١) رواه البخاري في كتاب العلم؛ باب فضل من علم وعلم ٢٨/١ من حديث أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ؛ مسلم في الفضائل، باب بيان مثل ما بعث النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من الهدي والعلم ١٧٨٧/٤؛ أحمد في مسند أبي موسى الأشعري ٣٩٩/٤.

(٢) سقطت (فيه) من س، ك، ط.

(٣) في أ، س، ك (كانت).

(٤) سقطت (أكثر) من أ، وفي س، ك (أكثر المسلمون).

كثير من اليهود والنصارى يتكلمون بالعربية أجود مما يتكلم بها كثير من المسلمين.

وقد انتشرت هذه اللغة أكثر مما انتشرت سائر اللغات حتى أن الكتب القديمة من كتب أهل الكتاب، ومن كتب الفرس والهند، واليونان، والقبط[1] وغيرهم عربت بهذه اللغة.

ومعرفة الكتب المصنفة بالعربية والكلام العربي أيسر على جمهور الناس من معرفة الكتب المصنفة بغير العربية؛ فإن اللسان العبري[2]، والسرياني[3]، والرومي[4]، والقبطي[5]، وغيرها وإن عرفه طائفة من الناس، فالذين يعرفون اللسان العربي أكثر ممن يعرف لساناً من هذه الألسنة.

وأيضاً فمعرفة ما أمر الله عباده أمراً عاماً هو مما نقله الأمة عن نبيها[6] ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ نقلاً متواتراً، وأجمعت عليه مثل الأمر

---

(١) سقطت (القبط) من أ.

(٢) في جميع النسخ (العربي) وهو خطأ واضح صححناه من هامش ك، ط والعبري بكسر العين المهملة، ويقال العبراني: لغة اليهود.
انظر القاموس المحيط ٢/٨٣، (فصل العين، باب الراء).

(٣) السرياني هو لسان السريان، وهم أمة قديمة، قيل: تكلم آدم وبنوه بالسرياني، وملتهم ملة الصابئين، ويذكرون أنهم أخذوا دينهم عن شيث وإدريس، ولهم كتاب يسمونه صحف شيث، والله أعلم.
انظر: تاريخ ابن الوردي ١/١١٣.

(٤) اللسان الرومي هو لسان الروم، وسبق في أول الكتاب التعريف بالروم.

(٥) القبطي هو لسان الأقباط، وهم من ولد حام، أهل ملك بديار مصر منهم الفراعنة، وهم ملوكهم، وكانوا سالفاً صابئة ذوي هياكل وأصنام، ومنهم علماء بالفلسفة.
انظر: تاريخ ابن الوردي ١/١١٦؛ والبداية والنهاية ١/٢٣٧ عند حديثه عن فرعون الذي أرسل إليه موسى ـ عليه السلام ـ.

(٦) في ط (نبيها محمد) وسقطت كلمة (محمد) من نسخة ك.

بشهادة أن[1] لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأنه أرسل إلى جميع الناس: أميهم وغير أميهم، وإقام الصلوات الخمس، وإيتاء الزكاة، وصيام شهر رمضان، * وحج البيت العتيق من استطاع إليه سبيلاً *[2] وإيجاب الصدق وتحريم الفواحش والظلم، والأمر بالإيمان بالله وملائكته، وكتبه، ورسله والبعث بعد الموت هو ما يعرفه المسلمون معرفة عامة، ولا يحتاج الإنسان في معرفة ذلك إلى أن يحفظ القرآن، بل يمكن الإنسان[3] معرفة ما أمر الله به على لسان رسوله وإن لم يعرف اللغة العربية، ويكفيه أن يقرأ فاتحة الكتاب وسوراً معها يصلي بهن، وكثير من الفرس، والروم، والترك، والهند، والحبشة، والبربر وغيرهم لا يعرفون أن يتكلموا بالعربية الكلام المعتاد، وقد أسلموا وصاروا من أولياء الله المتقين، ومنهم من يحفظ القرآن كله وإذا كلم الناس لا يستطيع أن يكلمهم إلا بلسانه لا بالعربية، وإذا خوطب بالعربية لم يفقه ما قيل له.

الوجه الثاني: أن المسيح ـ عليه السلام ـ كان لسانه عبرياً، وكذلك ألسنة الحواريين الذين اتبعوه أولاً، ثم إنه أرسلهم إلى الأمم يخاطبونهم ويترجمون لهم ما قاله المسيح ـ عليه السلام ـ ، فإن قالوا: إن رسل المسيحِ حولت ألسنتهم إلى ألسنة من أرسل إليهم.

قيل: هذا منقول في رسل المسيح، وفي رسل محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[4] ـ الذين أرسلهم إلى الأمم، ولا ريب أن رسل رسل الله،

---

(١) سقطت (أن) من أ.

(٢) سقط ما بين النجمتين من أ، س.

(٣) في ط (للإنسان).

(٤) في س (عليهم) وفي ك و ط (عليهما).

كرسل محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ والمسيح ـ عليه السلام[1] ـ إلى الأمم، لا بد أن يعرفوا لسان من أرسلهم الرسول إليهم، أو أن يكون عند أولئك من يفهم لسانهم ولسان الرسول ليترجم لهم، فإذا لم يكن عند من أرسل المسيح إليهم من يعرف بالعربية، فلا بد أن يكون رسوله ينطق بلسانهم.

وكذلك رسل النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ الذين أرسلهم إلى الأمم؛ فإن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لما رجع من الحديبية أرسل رسله إلى أهل الأرض، فبعث إلى ملوك العرب باليمن، والحجاز، والشام، والعراق، وأرسل إلى ملوك النصارى بالشام ومصر: قبطهم، ورومهم، وعربهم[2]، وغيرهم، وأرسل إلى الفرس المجوس: ملوك العراق وخراسان.

قال محمد بن سعد في الطبقات: ذكر بعثة[3] رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ الرسل بكتبه إلى الملوك وغيرهم يدعوهم، وذكر ما كتب به رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لناس من العرب وغيرهم. ثم قال: أخبرنا محمد بن عمر[4] الأسلمي قال: حدثني معمر[5]

---

(١) في س ك، ط (كرسل محمد والمسيح عليهما الصلاة والسلام).

(٢) في ط (وعروبهم) وزاد في ط (وعبرهم).

(٣) في ط (بعث).

(٤) في ط (عمرو) وهو خطأ وما أثبتناه من أ، س، هامش ك ومن الطبقات ٢٥٨/١ وسبقت ترجمته.

(٥) في ط زيادة (محمد بن) وهو خطأ ومعمر بن راشد هو أبو عروة الأزدي مولاهم عالم اليمن، اثنى عليه الإمام أحمد توفي سنة ١٥٣هـ . وقد وثقه الذهبي غير أنه ذكر أن له أوهاماً معروفة، وقال ابن حجر ثقة ثبت فاضل.
انظر ترجمته في: الكاشف للذهبي ١٦٤/٣ (٥٦٦٢)؛ وميزان الاعتدال ١٥٤/٤؛ تقريب التهذيب ٢٦٦/٢ (١٢٨٤).

بن راشد، ومحمد بن عبد الله[1]، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله[2]، عن ابن عباس قال: وعن الواقدي: حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة[3]، عن المسور بن رفاعة[4]، وحدثنا عبد الحميد بن جعفر[5] عن أبيه[6] عن جدته[7] ________________

---

(١) محمد بن عبد الله بن مسلم بن أخي الزهري، روى عن عمه الزهري، لينه ابن معين ووثقه أبو داود، وقال بن حجر صدوق له أوهام مات سنة ١٥٧هـ . وقيل ١٥٢.
انظر: الكاشف للذهبي ٣/٦٥؛ وميزان الاعتدال ٣/٥٩٢؛ وتقريب التهذيب ٢/١٨٠؛ وتهذيب التهذيب ٩/٢٧٨؛ والخلاصة للخزرجي ص ٣٤٦.

(٢) عبيد الله عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، أحد فقهاء المدينة، تابعي ثقة فقيه ثبت، مات سنة ٩٤هـ .
انظر: تهذيب التهذيب ٧/٢٣؛ وتقريب التهذيب ١/٥٣٥؛ والخلاصة للخزرجي ص ٢٥١.

(٣) في أ (قيسره) وما أثبته من سائر النسخ، ومن الطبقات وهو الصواب، وأبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة (بفتح السين المهملة، وسكون الموحدة) القرشي قال ابن حجر رموه بالوضع، مات سنة ١٦٢هـ .
انظر تقريب التهذيب ٢/٣٩٧ (٥١)؛ والخلاصة للخزرجي ص ٤٤٤؛ وتهذيب التهذيب ١٢/٢٧.

(٤) المسور بن رفاعة بن أبي مالك القرضي قال الحافظ ابن حجر: مقبول من الرابعة.
انظر ترجمته في تقريب التهذيب ٢/٢٤٩؛ وتهذيب التهذيب ١٠/١٥٠؛ والخلاصة للخزرجي ص ٣٧٧.

(٥) عبد الحميد بن جعفر بن عبد الله بن الحكم الأنصاري، صدوق، رمى بالقدر ربما وهم، مات سنة ١٥٣هـ .
انظر: تهذيب التهذيب ٦/١١١، ١١٢؛ وتقريبه ١/٤٦٧؛ والخلاصة للخزرجي ص ٢٢١.

(٦) جعفر بن عبد الله بن الحكم الأنصاري، والد عبد الحميد، ثقة من الثامنة.
انظر: تقريب التهذيب ١/١٣١ (٨٥)؛ وتهذيب التهذيب ٢/٩٩؛ والخلاصة ص ٦٣.

(٧) حصل هنا إسقاط بعض رجال السند. حيث ورد في طبقات ابن سعد ١/٢٥٨ =

الشفاء[1]، وحدثنا أبو بكر[*] بن عبد الله ابن أبي سبرة[2]، عن محمد بن يوسف[3]، عن السائب بن يزيد[4]، عن العلاء بن الحضرمي[5]، وحدثنا ابن محمد[6] الأنصاري، عن جعفر بن عمرو (بن جعفر بن

= كالآتي: «وحدثنا عبد الحميد بن جعفر، عن أبيه. قال وحدثنا عمر بن سليمان بن أبي حثمة، عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة، عن جدته الشفاء» اهـ.

قلت فعلى هذا: الشفاء جدة أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة كما سيأتي في الترجمة وهو الصحيح.

(1) الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس بن خلف، العدوية، القرشية، صحابية، لها أحاديث وقد روى عنها ابنها سليمان بن أبي حثمة وابن ابنها أبو بكر قيل اسمها ليلى، وغلب عليها الشفاء أسلمت قبل الهجرة، وهي من المهاجرات الأول.

انظر ترجمتها في: تهذيب التهذيب ٤٢٨/١٢؛ وتقريبه ٦٠٢/٢؛ والخلاصة للخزرجي ص ٤٩٢.

(*) أبو بكر بن سليمان بن أبي حثمة، ثقة عارف بالنسب، قال في الخلاصة: روى عن جدته الشفاء. انظر ترجمته في: الخلاصة للخزرجي ص ٤٤٤؛ وتقريب التهذيب ٣٩٧/٢ (٤٣).

عمر بن سليمان بن أبي حثمة العدوي (الذي وجدته عثمان، ولم أقف على عمر) مقبول روى عن جدته الشفاء.

انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ١٢٠/٧؛ وتقريبه ٩/٢؛ والخلاصة للخزرجي ص ٢٥٩.

(2) في أ (قيسرة) وهو خطأ، وسبقت ترجمته رقم (٧).

(3) محمد بن يوسف بن عبد الله الكندي، المدني، الأعرج، ثقة ثبت مات سنة ١٤٠هـ تقريباً. انظر: ترجمته في تهذيب التهذيب ٥٣٤/٩؛ وتقريبه ٢٢١/٢؛ والخلاصة للخزرجي ص ٣٦٥.

(4) السائب بن يزيد بن سعيد الكندي، صحابي صغير كما قال ابن حجر، وله أحاديث قليلة، مات سنة ٩١هـ وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة.

انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب ٤٥٠/٣؛ وتقريبه ٢٨٣/١؛ والخلاصة للخزرجي ص ١٣٢.

(5) سبقت ترجمة العلاء بن الحضرمي، وهو صحابي جليل.

(6) في الطبقات ٢٥٨/١ (معاذ بن محمد الأنصاري) بن معاذ، مقبول من الطبقة =

عمرو)[1] بن أمية الضمري[2]، عن أهله، عن عمرو[3] بن أمية الضمري دخل حديث بعضهم في حديث بعض قالوا: إن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لما رجع من الحديبية في ذي الحجة سنة ست أرسل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام. وكتب إليهم كتباً فقيل: يا رسول الله، إن الملوك لا يقرأون كتاباً إلا مختوماً، فاتخذ رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يومئذ خاتماً من فضة، فصه منه، نقشه ثلاثة أسطر: محمد رسول الله، وختم به الكتب، فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد، وذلك في المحرم سنة سبع، وأصبح كل واحد منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه إليهم.

= الثامنة، وقال الذهبي، ذكره ابن حبان في الثقات. ولم أجد تاريخ وفاته.
انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب ١٠/١٩٣؛ وتقريبه ٢/٢٩٧؛ وميزان الاعتدال ٤/١٣٢ والخلاصة للخزرجي ص ٣٨٠.

(١) ما بين القوسين ساقط من نسخة أ وزدناه من سائر النسخ، ومن الطبقات ١/٢٥٨ وهو المدني، أخو عبد الملك بن مروان من الرضاعة من كبار التابعين، مات في خلافة الوليد، ويذكر ابن حجر في تهذيب التهذيب ما نصه: «روى إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع، عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري، عن أبيه، عن جده حديثاً فقال ابن المديني في العلل: جعفر بن عمرو بن أمية الضمري، هذا ليس هو جعفر بن عمرو بن أمية لصلبه بل هو جعفر بن عمرو بن فلان بن عمرو بن أمية... قال ابن حجر وهذا غاية في التحقيق...».

انظر: تهذيب التهذيب ٢/١٠٠؛ وتقريبه ١/١٣١؛ والخلاصة للخزرجي ص ٦٣.

(٢) عمرو بن أمية الضمري، صحابي مشهور، روى عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وعنه أولاده وغيرهم، أسلم بعد أحد، كان شجاعاً له إقدام، وبعثه النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في أمور مهمة، مات بالمدينة في خلافة معاوية ـ رضي الله عنه ـ.
انظر: تهذيب التهذيب ٨/٦؛ وتقريبه ٢/٦٥؛ والخلاصة للخزرجي ص ٢٨٧.

(٣) في أ (عمر) وهو خطأ.

أرسل النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى هرقل[1]: دحية بن خليفة الكلبي[2]، و[3] إلى المقوقس[4] صاحب مصر والاسكندرية حاطب بن أبي بلتعة[5]، وإلى كسرى[6]: عبد الله بن حذافة السهمي[7]، وأرسل إلى الحارث ابن أبي شمر الغساني[8] ـ وكان نصرانياً بظاهر دمشق ـ فبعث إليه شجاع بن وهب[9] الأسدي، وأرسل إلى غير هؤلاء[10].

وقال أيضاً: أخبرنا الهيثم بن عدي[11] قال: أخبرنا دلهم بن

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) سقطت الواو من س.

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) سبقت ترجمته.

(٦) سبقت ترجمته.

(٧) سبقت ترجمته.

(٨) الحارث بن أبي شمر الغساني. من أمراء غسان في أطراف الشام، كانت إقامته بغوطة دمشق، وأدرك الإسلام فأرسل إليه النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كتاباً مع شجاع بن وهب، ومات في عام الفتح.
انظر: في ترجمته أعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين لابن طولون ص ٣٢؛ والأعلام للزركلي ٢/١٥٥.

(٩) في ط (ذهب) وهو خطأ، وشجاع بن وهب يقال ابن أبي وهب بن ربيعة الأسدي، من المهاجرين الأولين، أسلم قديماً، وهاجر إلى الحبشة، الهجرة الثانية، وشهد بدراً، والمشاهد كلها، استشهد يوم اليمامة وهو ابن بضع وأربعين سنة ـ رضي الله عنه ـ.
انظر في ترجمته: الإصابة لابن حجر ٢/١٣٧؛ والاستيعاب لابن عبد البر هامش الإصابة ٢/١٥٧ ـ ١٥٨.

(١٠) ورد هذا مفصلاً في طبقات ابن سعد ١/٢٥٨ ـ ٢٩١.
وقد ساق عدة طرق مدارها كلها على الواقدي، وهو متروك مع سعة علمه كما قال أهل الجرح والتعديل، وسبقت ترجمته.

(١١) الهيثم بن عدي الطائي المنبجي، الكوفي، نقل الذهبي وابن حجر عن البخاري =

صالح[1] وأبو بكر الهذلي[2] عن عبد الله بن بريدة بن الحصيب الأسلمي[3] قال: وحدثنا محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان والزهري[4]، وحدثنا الحسن بن عمارة[5]، عن فراس[6]، عن الشعبي[7] دخل حديث بعضهم في حديث بعض: أن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال لأصحابه: «أئتوني[8] بأجمعكم بالغداة»، وكان رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إذا صلى الفجر يجلس في مصلاه قليلاً[9] يسبح ويدعو، ثم التفت إليهم فبعث عدة إلى عدة، وقال

= وابن معين وأبي داود وغيرهم أنه كذاب وليس بثقة، وقال الذهبي كان أخبارياً علامة. مات سنة ٢٠٧هـ.

انظر: ميزان الاعتدال ٣٢٤/٤ (٩٣١١)؛ ولسان الميزان ٢٠٩/٦ (٧٤٠).

(١) دلهم بن صالح الكندي، الكوفي. ضعيف من الطبقة السادسة ولم أقف على تاريخ وفاته. انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب ٢١٢/٣؛ وتقريب التهذيب ٢٣٦/١ (٦٠)؛ وميزان الاعتدال ٢٨/٢.

(٢) أبو بكر الهذلي. قيل اسمه سلمي بضم المهملة ابن عبد الله، وقيل روح كما ذكر ابن حجر وقال عنه أخباري متروك الحديث مات سنة ١٦٧هـ.

انظر: تقريب التهذيب ٤٠١/٢ (٩٤)؛ وتهذيب التهذيب ٤٥/١٢.

(٣) عبد الله بن بريدة بن الحصيب الأسلمي، أبو سهل المروزي، قاضيها ثقة مات سنة ١٠٥هـ. وقيل ١١٥هـ. انظر: تقريب التهذيب ٤٠٣/١ (٢٠٣)؛ وتهذيب التهذيب ١٥٧/٥.

(٤) محمد بن إسحاق، ويزيد بن رومان، والزهري سبقت ترجمتهم.

(٥) الحسن بن عمارة البجلي، مولاهم قاضي بغداد متروك مات سنة ١٥٣هـ.

انظر: تقريب التهذيب ١٦٩/١ (٢٩٨)؛ وتهذيب التهذيب ٣٠٤/٢ ـ ٣٠٨.

(٦) فراس في ط (فراش) بالشين المعجمة وهو خطأ. وفراس بكسر أوله وبسين مهملة ابن يحيى الهمداني، صدوق ربما وهم مات سنة ١٢٩هـ.

انظر: تقريب التهذيب ١٠٨/٢ (١٢)؛ وتهذيب التهذيب ٢٥٩/٨.

(٧) سبقت ترجمته.

(٨) في الطبقات ٢٦٤/١ (وافوني) والمعنى واحد.

(٩) في ط (ليلاً) وهو تصحيف.

ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[1] ـ : «انصحوا لله في أمر عباده، فإن من أخبر عن شيء من أمور المسلمين، ثم لم ينصح، حرم الله عليه الجنة، انطلقوا ولا تصنعوا كما صنعت رسل عيسى بن مريم، فإنهم أتوا القريب وتركوا البعيد فأصبحوا ـ يعني الرسل ـ وكل منهم يعرف بلسان القوم الذين أرسل إليهم» وذكر ذلك النبي[2] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقال: «هذا أعظم ما كان من حق الله ـ عز وجل ـ عليهم[3] في أمر عباده».

الوجه الثالث: أن النصارى فيهم عرب كثير من[4] زمن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وكل من يفهم اللسان العربي، فإنه يمكن فهمه للقرآن، وإن كان أصل لسانه فارسياً أو رومياً أو تركياً أو هندياً أو قبطياً، وهؤلاء الذين أرسلوا هذا الكتاب من علماء النصارى قد قرأوا المصحف وفهموا منه ما فهموا وهم يفهمونه بالعربية واحتجوا بآيات من القرآن، فكيف يسوغ لهم مع هذا أن يقولوا: كيف تقوم الحجة علينا بكتاب لم نفهمه؟.

الوجه الرابع: أن حكم أهل الكتاب في ذلك حكم المشركين، ومعلوم[5] أن المشركين فيهم عرب وفيهم عجم ـ ترك وهند وغيرهما ـ

---

(١) في س (وقال صلَّى الله عليه وسلَّم لهم).

(٢) في ط (لنبي).

(٣) سقطت (عليهم) من أ وقد نقل الشيخ هذا النص من الطبقات لابن سعد ١/٢٦٤ بتصرف يسير، وسنده (متروك) لأن فيه الهيثم بن عدي (كذاب)، ودلهم بن صالح (ضعيف)، وأبو بكر الهذلي متروك الحديث، والحسن بن عمارة متروك أيضاً، والمتروك من أسوأ أنواع الضعيف كما قال المحدثون.

(٤) في ط (في).

(٥) سقطت الواو من ط.

فكما أن جميع المشركين كمشركي العرب، وكذلك جميع أهل الكتاب كأهل الكتاب من العرب وفي اليهود والنصارى ممن يعرف بلسان[1] العرب من لا يحصيه إلا الله ـ عزوجل ـ.

الوجه الخامس: أنه ليس فهم كل آية من القرآن فرضاً على كل مسلم، وإنما يجب على المسلم أن يعلم ما أمره الله به[2]، وما نهاه عنه بأي عبارة كانت، و[3]هذا ممكن لجميع الأمم، ولهذا دخل في الإسلام جميع أصناف العجم من الفرس، والترك، والهند، والصقالبة[4]، والبربر، ومن هؤلاء من يعلم اللسان العربي، ومنهم من يعلم ما فرض الله عليه الترجمة، وقد قدمنا أنه يجوز ترجمة القرآن في غير الصلاة والتعبير[5]، كما يجوز تفسيره باتفاق المسلمين، وإنما تنازعوا هل يقرأ بغير العربية تلاوة كما يقرأ في الصلاة[6]؟ فجمهور العلماء منعوا من ذلك، وحينئذ فإذ قرأ الأعجمي فاتحة الكتاب وسورتين معها

---

(١) في ط (لسان).

(٢) (الله به) سقطت من أ.

(٣) سقطت الواو من ط.

(٤) الصقالبة: من ولد صقلب، وينتسبون إلى يافث، كانوا قبل أن تغلبهم الروم منبسطين ما بين بحر الروم، والبحر المحيط، وهم عشرة أصناف ولكل صنف منهم ملك.

انظر: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر لأبي عبد الله الأنصاري ص ٢٥٩. وسبق التعريف بالأمم التي ورد ذكرها مع الصقالبة.

(٥) التعبير هو التفسير، ومنه عبر الرؤيا يعبرها عبراً وعبارة، وعبرها فسرها، وأخبر بما يؤول إليه أمرها.. والعابر الذي ينظر في الكتاب فيعبره أي: «يعتبر بعضه ببعض حتى يقع فهمه عليه».

انظر: لسان العرب ٤/٥٢٩؛ والقاموس المحيط ٢/٨٣ (فصل العين، باب الراء).

(٦) تقدم الكلام على هذه المسألة، والتي قبلها، وسبق التعليق عليهما في موضعه.

بالعربية أجزأه، وكذلك التشهد وغيره من الذكر المأمور به وهذا أمر يسير أيسر من أكثر الواجبات، فكيف يمتنع أن يأمر الله ـ تبارك وتعالى ـ عباده بذلك؟.

وأما جمل ما أمر به الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من الصلاة، والزكاة، والصوم[1]، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وما حرمه الله[2] من الشرك والفواحش والظلم وغير ذلك، فهذا مما يمكن أن يعرفه كل واحد[3] بتعريف من يعرفه، إما باللسان العربي، وإما بلسان آخر لا يتوقف تعريف ذلك على لسان العرب.

● ● ●



(١) سقطت (والصوم) من أ، س، ك.

(٢) سقط لفظ الجلالة من س.

(٣) في س، ك، ط (أحد).

فصل

وأما قوله ــ تعالى ــ : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1].

وقوله:
﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ...﴾[2].

وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا...﴾[3].

دفع ما يُوهم الخصوصيَّة لِكَوْن القرآن عربياً

فهذا يتضمن إنعام الله[4] على عباده، لأن اللسان العربي أكمل الألسنة وأحسنها بياناً للمعاني، فنزول الكتاب به أعظم نعمة على الخلق من نزوله بغيره، وهو إنما خوطب به أولاً العرب ليفهموه، ثم من يعلم لغتهم يفهمه كما فهموه، ثم من لم يعلم لغتهم ترجمه له من عرف لغتهم، وكان إقامة الحجة به على العرب أولاً والإنعام به عليهم أولاً لمعرفتهم بمعانيه قبل أن يعرفه غيرهم.

قال ــ تعالى ــ :
﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[5].

(١) سورة يوسف: الآية ٢.
(٢) سورة فصلت: الآية ٤٤.
(٣) سورة الزخرف: الآية ٣.
(٤) في س، ك، ط (إنعام الله به).
(٥) سورة الدخان: الآية ٥٨.

وقال:

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا﴾[1].

واللد جمع الألد، وهو الأعوج في المناظرة الذي يروغ عن الحق، كما قال النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ : «إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم»[2]، وأما قوله ـ تعالى ـ :

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ...﴾[3].

فهو كما قال ـ تعالى ـ وقوم محمد ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ هم قريش، وبلسانهم أرسل، وهو ـ سبحانه ـ لم يقل: وما أرسلنا من رسول إلاّ إلى قومه، بل الرسول يبعثه الله إلى قومه وغير قومه، كما تقول النصارى: أنه بعث المسيح ـ عليه السلام ـ، والحواريين[4] إلى غير بني إسرائيل، وليسوا من قومه، فكذلك[5] بعث محمداً[6] ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ إلى قومه وغير قومه. ولكن إنما يبعث بلسان[7] قومه، ليبين لهم ثم يحصل البيان لغيرهم بتوسط البيان لهم: اما بلغتهم،

---

(١) سورة مريم: الآية ٩٧.

(٢) رواه البخاري من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ في التفسير، تفسير سورة البقرة ١٥٩/٥، ورواه في المظالم، باب قول الله ـ تعالى ـ وهو ألد الخصام ١٠١/٣ ورواه مسلم في العلم، باب في الألد الخصم ٢٠٥٤/٤ (٢٦٦٨)، ورواه الترمذي في التفسير، تفسير سورة البقرة ٢١٤/٥ (٢٩٧٦)، ورواه النسائي في كتاب آداب القضاة، باب الألد الخصم ٢٤٧/٨، ورواه أحمد في مسند عائشة ـ رضي الله عنها ـ ٥٥/٦، ٦٣، ٢٠٥.

(٣) سورة إبراهيم: الآية ٤.

(٤) في س (أو الحواريين) وفي ط (أو الحواريون) وسقطت من ك.

(٥) في س، ك، ط (وكذلك).

(٦) في س، ك، ط (محمد).

(٧) في س (بلساني).

ولسانهم، وإما بالترجمة لهم ولو لم يتبين[1] لقومه أولاً لم يحصل مقصود الرسالة لا لهم ولا لغيرهم، وإذا تبين لقومه أولاً حصل البيان لهم ولغيرهم بتوسطهم، * وقومه إليهم بعث أولاً ولهم دعا أولاً، وأنذر أولاً *[2]، وليس في هذا أنه لم يرسل إلى غيرهم، لكن إذا تبين لقومه لكونه بلسانهم، أمكن بعد هذا أن يعرفه غير قومه: إما بتعلمه بلسانهم، وإما بتعريف بلسان يفهم به، والرجل يكتب كتاب علم في طب أو نحو أو حساب بلسان قومه ثم يترجم ذلك الكتاب، وينقل إلى لغات أخر وينتفع به أقوام آخرون، كما ترجمت كتب الطب والحساب، التي صنفت[3] بغير العربي وانتفع بها العرب، وعرفوا مراد أصحابها، وإن كان المصنف لها أولاً إنما صنفها بلسان قومه، وإذا كان هذا في بيان الأمور التي لا يتعلق[4] بها سعادة الآخرة، والنجاة من عذاب الله فكيف يمتنع في العلوم التي يتعلق[5] بها سعادة الآخرة والنجاة من العذاب أن ينقل من لسان إلى لسان حتى يفهم أهل اللسان الثاني بها ما أراده بها المتكلم بها أولاً باللسان الأول.

وأبناء فارس المسلمون لما كان لهم من عناية بهذا، ترجموا مصاحف كثيرة، فيكتبونها بالعربي، ويكتبون الترجمة بالفارسية، وكانوا قبل الإسلام أبعد عن المسلمين من الروم والنصارى، فإذا كان الفرس المجوس قد وصل إليهم معاني القرآن بالعربي وترجمته فكيف لا يصل إلى أهل الكتاب وهم أقرب إلى المسلمين منهم؟ وعامة الأصول التي

---

(١) في ط (يبين).
(٢) ما بين النجمتين ساقط من أ وزدناه من هامش س، وهامش ك، ط.
(٣) في ك، ط (صنعت).
(٤) في ط (تتعلق) بالمثناة الفوقية.
(٥) في ط (تتعلق) بالمثناة الفوقية.

يـذكرهـا القرآن عنـدهم شواهـدها ونـظائـرهـا في التـوراة، والإنجيـل، والزبور، وغير ذلك من النبوات، بل كل من تدبر نبوات[1] الأنبياء وتدبـر القرآن جزم يقيناً[2] بأن محمداً[3] رسول الله حقاً. وأن موسى رسـول الله صـدقاً، لمـا يرى من تصـادق الكتابين: التـوراة والقرآن مـع العلم بـأن موسى ــ عليه السـلام ــ لم يأخـذ عن محمد ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ وأن محمداً ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لم يأخذ عن موسى، فإن محمداً ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ باتفاق أهـل المعرفـة بحاله[4] كان أمياً، من قوم أميِّين، مقيماً بمكة، ولم يكن عندهم من يحفظ التوراة والإنجيل[5]، ولا الزبور، ومحمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لم يخرج من بين ظهـرانيهم ولم يسافـر قط إلاَّ سفـرتين: إلى الشام خـرج مـرة مـع عمـه أبـي طـالب قبـل الاحتـلام، ولم يكن يفارقه، ومرة أخرى مـع ميسرة[6] في تجـارته، وكـان ابن بضع وعشرين سنة مع رفقة كانوا يعرفون جميـع أحوالـه ولم يجتمع قط بعـالم أخـذ عنـه شيئـاً، لا من علمـاء اليهــود ولا النصـارى ولا من غيــرهم، لا بحيرى ولا غيره[7]، ولكن كان بحيرى الراهب لمّا رآه عـرفه لمـا كان عنـده من ذكره ونعتـه، فأخبـر أهله بذلـك، وأمـرهم بحفـظه من اليهـود ولم يتعلم لا من بحيــرى ولا من غيــره كلمــة واحــدة، وسنبـين ــ إن

---

(١) في ط (بنبوات). (٢) في ط (يقينيا).

(٣) في أ (محمد) وما أثبتناه من سائر النسخ هو الصواب.

(٤) سقطت (بحاله) من أ وزدناه من س، ك، ط.

(٥) في س، ك، ط (ولا الإنجيل).

(٦) ميسرة: غلام خـديجة ــ رضي الله عنهـا ــ قال الحـافظ ابن حجر: «ذكـر في السيرة وكـان رفيق النبـي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في تجـارة خديجـة قبـل أن يتـزوجهـا، وحكى بعض أدلة نبوته، وترجم لـه ابن عسـاكـر، ولم أقف على رواية صـريحة بـأنه بقي إلى البعثـة فكتبتـه على الاحتمـال». اهـ انـظر: الإصـابـة في تمييـز الصحـابـة ٣/٤٤٩ (٨٢٨٦).

(٧) في أ (ولا يحبر ولا غيره) وفي س (لا يحبر أو لا غيره) وما أثبتناه من ك، ط.

شاء الله ــ الدلائل الكثيرة على أنه لم يأخذ عن أحد[1] من أهل الكتاب كلمة واحدة، وقصة بحيرى مذكورة ذكرها أرباب السير وأصحاب المسانيد والسنن.

قال الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي في جامعه[2]: حدثنا الفضل أبو العباس البغدادي[3]، قال: حدثنا عبد الرحمن بن غزوان أبو نوح[4] أنا يونس بن أبي إسحاق[5] عن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري[6] عن أبيه[7] قال: خرج أبو طالب

---

(١) سقطت (عن أحد) من أ وزدناها من سائر النسخ.

(٢) ٥/ ٥٩٠ ــ ٥٩١ وسيأتي تخريجه والترمذي هو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، من أئمة علماء الحديث وحفاظه من أهل ترمذ (على نهر جيحون) تتلمذ للبخاري وقام برحلات كثيرة، وكان يضرب به المثل في الحفظ، عمي في آخر عمره. له تصانيف منها الجامع الكبير (سنن الترمذي)، والعلل، والشمائل النبوية، والتاريخ. كان مولده سنة ٢٠٩. ووفاته سنة ٢٧٩هـ.
انظر: تهذيب التهذيب ٩/ ٣٨٧، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٣٣ (٦٥٨) والأعلام ٦/ ٣٢٢.

(٣) الفضل بن سهل الأعرج أبو العباس البغدادي، من خراسان، صدوق مات سنة ٢٥٥هـ. انظر: تقريب التهذيب ٢/ ١١٠ (٣٧)، والخلاصة للخزرجي ص ٣٠٩.

(٤) عبد الرحمن بن غزوان (بمعجمه مفتوحة وزاي ساكنة) الضبي أبو نوح، المعروف بقراد (بضم القاف وتخفيف الراء) ثقة له أفراد، مات سنة ١٨٧هـ.
انظر: تقريب التهذيب ١/ ٤٩٤ (١٠٧٥)، والخلاصة للخزرجي ص ٢٣٣ وتهذيب التهذيب ٦/ ١٨٥.

(٥) يونس بن أبي إسحاق السبعي، أبو إسرائيل الكوفي، صدوق يهم قليلاً مات سنة ١٥٢هـ. على الصحيح.
انظر: تقريب التهذيب ٢/ ٣٨٤ (٤٧١)، والخلاصة للخزرجي ص ٤٤٠.

(٦) اسمه عمرو أو عامر، اشتهر بكنيته، ثقة مات سنة ١٠٦هـ. وكان أسن من أخيه أبي بردة.
انظر: تقريب التهذيب ٢/ ٤٠٠ (٧٤)، والخلاصة للخزرجي ص ٤٤٥.

(٧) سبقت ترجمة أبي موسى الأشعري الصحابي الجليل ــ رضي الله عنه ــ.

إلى الشام وخرج معه النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في أشياخ من قريش: فلما أشرفوا على الراهب هبطوا، فحلوا رحالهم فخرج إليهم الراهب، وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت، قال: فهم يحلون رحالهم فجعل يتخللهم الراهب حتى جاء فأخذ بيد رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فقال: هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين، يبعثه الله رحمة للعالمين، فقال له أشياخ من قريش: ما علمك؟ فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبقَ شجر ولا حجر إلَّا خرَّ ساجداً[1]، ولا يسجدن[2] إلَّا لنبي وإني[3] أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غرضوف[4] كتفه مثل التفاحة ثم رجع فصنع لهم طعاماً، فلما أتاهم به ـ وكان هو في رعية الإبل ـ فقال: أرسلوا إليه فأقبل وعليه غمامة تظله، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة، فلما جلس مال فيء الشجرة عليه، فقال: انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه. قال فبينما هو قائم عليهم يناشدهم أن لا يذهبوا به إلى الروم، فإن الروم أن رأوه عرفوه بالصفة فيقتلونه، فالتفت فإذا بسبعة قد أقبلوا من الروم، فاستقبلهم الراهب فقال: ما جاء بكم؟ قالوا: جئنا لأن[5] هذا النبي خارج في هذا الشهر فلم يبقَ طريق إلَّا بعث إليه بأناس وإنا قد أخبرنا خبره بطريقك هذه.

---

(١) في ط (ساجد).

(٢) في ط (يسجدون).

(٣) في أ (وأنه).

(٤) الغرضوف بوزن عصفور: مالان من اللحم، قاله الفارابي، وبعضهم يقول كل ما لان من العظم، وقد يقال غضروف بتقديم الضاد على الراء لغة على القلب. انظر: المصباح المنير: ٦٠٩/٢.

(٥) في أ، س، ك (أن).

فقال: أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده؟ قالوا: لا. قال: فتابعوه وأقاموا معه. قال: أنشدكم الله يا معشر العرب أيكم وليه؟ فقال أبو طالب: أنا. فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب وزوده الراهب من الكعك والزيت[1].

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلَّا من هذا الوجه ورواه البيهقي في كتاب دلائل النبوة[2] من حديث العباس بن محمد عن قراد[3] بن نوح. وقال العباس: لم يحدث به ـ يعني بهذا الإسناد ـ غير قراد وسمعه يحيى وأحمد من[4] قراد.

قال البيهقي[5]: أراد أنه لم يحدث بهذا الإسناد سوى هؤلاء، فأما القصة فهي عند أهل المغازي مشهورة.

---

(١) رواه الترمذي في كتاب المناقب، باب ما جاء في بدء نبوة النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ٥/٥٩٠ ـ ٥٩١ (حديث رقم ٣٦٢٠). ورواه ابن جرير الطبري في تاريخه ٢/٢٧٨، والحاكم في كتاب التاريخ ٢/٦١٥ ـ ٦١٦ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي بقوله «أظنه موضوعاً فبعضه باطل» انظر: التلخيص (حاشية المستدرك) ٢/٦١٥ ورواه البيهقي في دلائل النبوة ١/٣٠٧ ـ ٣١٢، باب ما جاء في خروج النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مع أبي طالب حين أراد الخروج إلى الشام تاجراً... إلخ وساقه الحافظ الذهبي في كتابه السيرة النبوية ص ٢٦ ـ ٣٠ تحت عنوان (سفره مع عمه ـ ان صح) ثم قال: تفرد به قراد واسمه عبد الرحمن بن غزوان، ثقة احتج به البخاري والنسائي ورواه الناس عن قراد، وحسنه الترمذي. ثم قال ـ رحمه الله ـ وهو حديث منكر جداً، ثم ذكر الألفاظ المنكرة في الحديث، ثم ساق للقصة شواهد عند أصحاب السير وذكرها.

(٢) انظر: ١/٣٠٧، ٣١٢.

(٣) في س (براد) وهو خطأ.

(٤) في ط (بن) وهو خطأ.

(٥) انظر: دلائل النبوة ١/٣٠٩.

وقال[1] ابن سعد[2] في الطبقات: حدثنا محمد بن عمر قال: حدَّثني محمد بن صالح[3] وعبد الله بن جعفر[4] وإبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة[5] عن داود بن الحصين[6] قال لما بلغ رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلَّم ـ اثني عشرة[7] سنة خرج به أبو طالب إلى الشام في العير التي خرج فيها للتجارة، فنزلوا بالراهب

---

(1) في ط (قال).

(2) في أ، س، ك (سعيد) وهو خطأ. وسبقت ترجمة ابن سعد، والواقدي.

(3) محمد بن صالح بن دينار التمار المدني قال ابن سعد، كان جيد العقل، قد لقي الناس، وعلم العلم والمغازي، وقال ابن حجر صدوق يخطىء مات سنة ١٦٨هـ.
انظر: تهذيب التهذيب ٩/٢٢٥، وتقريبه ٢/١٧٠ (٣١٢)، والخلاصة للخزرجي ص ٣٤١.

(4) عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة، المدني قال ابن حجر ليس به بأس مات سنة ١٧٠هـ، وعمره بضع وسبعون سنة.
انظر: ترجمته في تهذيب التهذيب ٥/١٧١ ـ ١٧٣، وتقريبه ١/٤٠٦ (٢٢٩)، وميزان الاعتدال ٢/٤٠٣.

(5) إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة الأشهلي، المدني أبو إسماعيل، قال ابن حجر ضعيف من السابعة، وفي ميزان الاعتدال للذهبي قال البخاري عنده مناكير مات سنة ١٦٥هـ.
انظر: تهذيب التهذيب ١/١٠٤ (٨٠)، وميزان الاعتدال ١/١٩ (٣٦)، وتقريب التهذيب ١/٣١.

(6) داود بن الحصين الأموي، أبو سليمان المدني، محدث مشهور، وثقه ابن معين وغيره. قال الحافظ ابن حجر ثقة إلاَّ في عكرمة، ورمي برأي الخوارج مات سنة ١٣٥هـ.
انظر: تهذيب التهذيب ٣/١٨١، وتقريبه ١/٢٣١ (٥)، وميزان الاعتدال للذهبي ٢/٦٠٥ (٢٦٠٠)، والخلاصة للخزرجي ص ١٠٩.
وإسناد القصة ضعيف فيه إبراهيم بن أبي حبيبة وهو ضعيف والواقدي متروك وهو منقطع من هذا الطريق وسبق تخريجها وسيأتي زيادة بيان لها.

(7) في أ، س، ك (عشر).

بحيرى فقال بحيرى لأبي طالب في النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ما قال، وأمره أن يحتفظ به فرده أبو طالب معه إلى مكة، وشب رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مع أبي طالب يكلؤه الله ويحفظه ويحوطه من أمور الجاهلية ومعايبها لما يريده به من كرامته حتى بلغ أن كان رجلاً أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقاً، وأكرمهم مخالطة، وأعظمهم حلماً وأمانة، وأصدقهم حديثاً، وأبعدهم من الفحش والأذى فما[1] رؤي ملاحياً ولا ممارياً أحداً حتى سماه قومه الأمين لما جمع فيه من الأمور الصالحة[2].

وقال ابن الجوزي: خرج أبو طالب إلى الشام ومعه رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وهو ابن اثنتي[3] عشرة[4] سنة وشهرين وعشرة أيام[5] فنزل الركب ببصرى وبها راهب ـ يقال له بحيرى[6] ـ في صومعة له. وكان ذا علمٍ بالنصرانية، ولم يزل في تلك الصومعة راهب تنتهي إليه علم النصرانية صاغراً عن كابر وفيها كتب يدرسونها، وكان كثيراً ما[7] يمر الركب فلا يكلمهم[8] حتى إذا كان في ذلك العام نزلوا منزلاً قريباً من الصومعة، فصنع لهم الراهب طعاماً ودعاهم. وإنما حمله على ذلك لشيء[9] رآه فلما رأى بحيرى ذلك نزل من صومعته وأمر بذلك الطعام فحضر وأرسل إلى القوم فقال: يا معشر قريش. أحب أن

(١) في ك، ط (مما رؤي) وفي الطبقات ١/١٢١ (وما رؤي).
(٢) انظر: طبقات ابن سعد ١/١٢٠ ـ ١٢١ بتصرف.
(٣) في جميع النسخ (اثني) وما أثبتناه من الوفا بأحوال المصطفى ١/١٣١.
(٤) في أ (عشر).
(٥) جملة (وشهرين وعشرة أيام) ليست في الوفا بأحوال المصطفى.
(٦) سبقت ترجمته.
(٧) في أ، س، ك (مما).
(٨) في ط (يكلمه).
(٩) في ط (شيء).

تحضروا طعامي ولا يتخلف منكم أحد، فقال: وهذا شيء تكرموني[1]، فلما حضروا عنده جعل يلاحظ النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لحظاً شديداً، وينظر إلى جسده، وجعل أبو طالب يخاف عليه من الراهب، ثم قال الراهب لأبي طالب: أرجع بابن أخيك، فإنه كائن له شأن عظيم، فإنا نجد صفته في كتبنا ويروونه[2] عن آبائنا. فلما فرغوا من التجارة رجع به أبو طالب سريعاً إلى مكة، فما خرج بعدها به أبو طالب خوفاً عليه»[3].

هذا مع أن في القرآن من الرد على أهل الكتاب في بعض ما حرفوه مثل دعواهم أن المسيح ـ عليه السلام ـ صلب. وقول بعضهم: أنه إلّه. وقول بعضهم: أنه ساحر. وطعنهم على سليمان ـ عليه السلام ـ وقولهم: أنه كان ساحراً وأمثال ذلك ما[4] يبين أنه لم يأخذ عنهم.

وفي القرآن من قصص الأنبياء ـ عليه السلام ـ ما لا يوجد في التوراة والإنجيل[5] مثل قصة هود وصالح وشعيب وغير ذلك.

---

(١) في ط (تكرموني به).

(٢) في س، ك، ط (ويرونه).

(٣) انظر: الوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزي ١٣١/١ ـ ١٣٤ باب في ذكر خروج رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى الشام مع عمه أبي طالب ولقائه بحيرى (ط. السعادة بمصر). تحقيق ـ مصطفى عبد الواحد.
وذكر ابن الجوزي القصة مختصرة في كتابه ـ تلقيح فهوم أهل الأثر ص ١٣ (ط. النموذجية بمصر). وقال البيهقي عن هذه القصة (هي عند أهل المغازي مشهورة. انظر: دلائل النبوة ٣٠٩/١. وأما الذهبي فقد قال هو حديث منكر جداً (السيرة النبوية للذهبي ص ٢٨)، وسبق مزيد تخريج لهذه القصة.

(٤) في ط (مما).

(٥) في س، ك (ولا الإنجيل) وفي ط (ولا في الإنجيل).

وفي القـرآن من ذكر المعـاد وتفصيله وصفـة الجنـة والنـار والنعيم والعـذاب ما لا يـوجد مثله في التـوراة والإنجيل، بـل التـوراة ليس فيهـا تصريح بذكر المعـاد وعامـة ما فيهـا من الوعـد والوعيـد، فهو في الـدنيا كالوعد بالرزق والنصر، والعاقبة، والوعيد بالقحط والأمراض، والأعداء. وإن كان ذكر المعاد موجـوداً[1] في غير التـوراة من النبوات، ولهـذا كان أهل الكتاب يقرون بالمعاد، وقيام القيامة[2] الكبرى، وقد قيل: إن ذلك مذكور في التوراة أيضاً، لكن لم يبسط كما بسط في غير التوراة[3].



---

(١) في أ (موجود) وهو خطأ.

(٢) في س (النصرانية) وهو تحريف ظاهر.

(٣) الراجح عدم التصريح بالثواب والعقاب، أما المعاد فقـد ورد ذكره وإن لم يصـرح به فيهـا. وقـد أورد ابن كمـونـة اليهـودي في كتـابـه «تنقيـح الأبحـاث للملل الثـلاث» ص ٤٠ ــ ٤٣ من جملة الاعتراضات على التوراة عدم تصـريحها بـالثواب والعقـاب الأخـرويين، وعندمـا دافع عن ذلـك لم ينفـه، وإنمـا قـال ــ وهـو منهـزم أمـا هـذا الاعتراض ــ «إن خلو التوراة من التصريح بذلك لا يضر إذا كان قد أنزل على موسى ــ عليه السلام ــ وخاطب به بني إسرائيل، واستفـاض منهم، فإن قيـل فلم لم يكتبه في التـوراة مصرحـاً؟ قيل إن الأمـور الإلّهية لا يجـوز المعارضـة فيهـا ثم ولا السؤال عنها، فلربما يكون لذلك حكمة لا نعرفها. . . إلخ كلامه.

ونحن نقول: إن خلو التوراة المـوجودة من هـذا الأصل العـظيم من أبلغ الأدلة على تحريفها، وأنها ليست التوراة الأصلية التي أنزلت على مـوسى، وإذا ثبت هذا فـإنها ليست من الأمور الإلّهية، وتسقط دعـواه عدم جـواز الاعتراض بـل يبقى الاعتراض قائماً ومعه غيره من الاعتـراضات الكثيـرة التي تحط من قدر هـذه الكتب المحرفـة، وتضعف قيمتها، وتفقد الثقة بها مطلقاً.

وانـظر: سلسلة مقارنـة الأديـان للدكتـور شلبـي (اليهـوديـة) ص ١٩٨ ــ ٢٠٠ تحت عنوان الآخرة والبعث.

فصل

رَدّ زَعْم النّصارى عصمة الحواريين المترجمين للإنجيل

فإن قالوا: إن الكتب التي عندنا من[1] التوراة والإنجيل وغيرهما ترجمها لنا الحواريون، وهم عندنا رسل معصومون، و[2]ترجموها لجميع الأمم بخلاف القرآن فإنه إنما يترجمه من ليس بمعصوم، فعن هذا أجوبة:

أحدها: أن هذا كذب بَيِّن فإن من العرب من النصارى من لا يحصي عدده إلَّا الله ـ تعالى ـ، وكان فيهم نصارى كثيرون تنصروا قبل مبعث محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وكان فيهم قوم على دين المسيح الذي لم يبدل وهم مؤمنون من أهل الجنة، كسائر من كان على دين المسيح ـ عليه السلام ـ، فإن كل من كان على دين المسيح الذي لم يبدل قبل مبعث محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فإنه مؤمن مسلم من أهل الجنة.

ومع هذا فليس على وجه الأرض توراة ولا إنجيل معرب من عهد الحواريين، بل التوراة العبرية تنقل من اللسان العبري أو غيره إلى العربية، وكذلك الإنجيل ينقل من اللسان الرومي، أو السرياني،

(١) في س (في).
(٢) سقطت الواو من ط.

أو اليوناني[1] أو غيرها[2] إلى اللغة[3] العربية، فلو كان عند كل أمة من الأمم توراة وإنجيل ونبوات بلسانهم، لكان نصارى العرب أحق بهذا من نصارى الحبشة والصقالبة والهند[4]، فإنهم جيران البيت المقدس، وهم بنو إسماعيل ـ عليه السلام ـ والأناجيل عندهم أربعة، وهم يدعون أن كل واحد كتبها بلسان، كتبت بلسان العبري[5]، والرومي، واليوناني، مع أن في بعض الأناجيل ما ليس في بعض. مثل قولهم: «عمدوا الناس باسم الآب، والابن وروح القدس»[6] الذي جعلوه أصل دينهم. وهذا إنما هو قوله في إنجيل متى، وإذا كان كل واحد من الأربعة كتب إنجيلاً بلسانه، لم يكن هناك إنجيل واحد[7] أصلي ترجع إليه الأناجيل كلها، ثم هم[8] (مع) هذا يدعون أنها ترجمت باثنين وسبعين لساناً. وهذا فيه من الكذب والتناقض أمور سننبّه ـ إن شاء الله ـ على بعضها، لكن غاية ما يدعون أنه ترجم باثنين وسبعين لساناً، ومعلوم أن الألسنة الموجودة في بني آدم في جميع المعمورة في زماننا وقبل[9] زماننا أكثر من هذا، كما يعرفه من عرف أحوال العالم، بل اللسان الواحد كالعربي، والفارسي، والتركي، جنس تحته أنواع مختلفة لا يفهم بعضهم لسان

---

(١) في س (والسرياني أو غير اليوناني وغيرها)، وفي أ، ك (أو السرياني أو غيرها إلى العربية أو اليوناني).

(٢) في أ، ك (أو غيره).

(٣) سقطت (اللغة) من أ، س، ك.

(٤) سبق التعريف بهذه الأمم.

(٥) في أ، س (العربي)، وصححناه من ك، ط.

(٦) إنجيل متى الإصحاح الثامن والعشرون: ص ١٩.

(٧) سقطت (واحد) من ك.

(٨) في ط (إنهم).

(٩) في ط (وقيل).

بعض إلَّا أن يتعلمه منهم[1]، والعرب أقرب الأمم إلى بني إسحاق: بني إسرائيل[2]، والعيص فإنهم بنو إسماعيل وجيرانهم، فإن أهل الحجاز جيران الشام، ومكة لم تزل تحج إليها العرب، ولم يكن قط عند العرب توراة ولا إنجيل عربيان من عهد المسيح ـ عليه السلام ـ، بل ولا كان بمكة لا توراة ولا إنجيل، لا معرب ولا غير معرب، ولهذا قال ـ تعالى ـ:

﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ . . .﴾[3].

فكيف يدعي أن التوراة، والإنجيل ترجمها[4] الحواريون لكل قوم من جميع[5] بني آدم شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً بلسان يفهمونه به، وهل يقول هذا إلَّا من هو من أكذب الناس وأجهلهم؟

الوجه الثاني: أن يقال ترجمة الكلام من لغة إلى لغة لا تحتاج إلى معصوم بل هذا أمر تعلمه الأمم، فكل من عرف اللسانين أمكنه الترجمة ويحصل العلم بذلك إذا كان المترجمون كثيرين متفرقين

---

(١) لعل الشيخ يقصد اختلاف اللهجات التي في اللغة الواحدة بحيث تجعل أبناءها يحتاجون إلى تفهيم بعض كلماتها، أما اللسان كله فإنه غير مراد هنا.

(٢) إسرائيل لقب على نبي الله يعقوب ـ عليه السلام ـ وهي كلمة عبرية مركبة من إسرا وإيل ومعنى إسرا: عبد، ومعنى إيل: الله، فمعناها إذن عبد الله.
وانظر ترجمته ـ عليه السلام ـ: في البداية والنهاية ١/١٩٤؛ وابن الوردي ١/٢٨؛ وقصص الأنبياء لعبد الوهاب نجار ص ١١٩.
والعيص هو أخو يعقوب الأكبر، هو الذي تناسل منه الروم، والعيص ويعقوب ابنا إسحاق بن إبراهيم ـ عليهما السلام ـ.
وجاءت ترجمته في البداية والنهاية ١/١٩٤؛ وابن الوردي ١/٢٨.

(٣) سورة القصص: الآية ٤٦.

(٤) في ط (ترجمهما).

(٥) سقطت (جميع) من ك.

لا يتواطؤون على الكذب، و[1] بقرائن تقترن بخبر أحدهم وبغير ذلك، وهذا موجود معلوم، بل إذا ترجمه اثنان كل منهما لا يعرف ما يقوله الآخر ولم[2] يتواطؤوا حصل بذلك المقصود في الغالب، وهم يذكرون أن التوراة ترجمها اثنان وسبعون حبراً من اليهود، ولم يكونوا معصومين، وأن[3] الملك فرقهم لئلا يتواطؤوا على الكذب، واتفقوا على ترجمة واحدة، وهذا كان بعد الخراب الأول، فهكذا يمكن ترجمة غير التوراة.

وهذه التوراة في زماننا والإنجيل والزبور يترجم باللغة العربية، ويعرف المقصود به بلا ريب، فكيف بالقرآن الذي يفهم أهله معناه ويفسرونه ويترجمونه أكمل وأحسن مما يترجم أهل التوراة والإنجيل، التوراة والإنجيل؟

الوجه الثالث: أن دعوى العصمة في كل واحد من الحواريين وأنهم رسل الله بمنزلة إبراهيم وموسى ـ عليهما السلام ـ دعوى ممنوعة وهي باطلة، وإنما هم رسل المسيح ـ عليه السلام ـ بمنزلة رسل موسى ورسل إبراهيم ورسل محمد ـ صلَّى الله عليهم[4] وسلَّم ـ، وأكثر النصارى أو كثير منهم[5] أو كلهم يقولون: هم رسل الله وليسوا بأنبياء، وكل من ليس بنبي، فليس برسول الله وليس بمعصوم، و[6] إن كانت له خوارق عادات، كأولياء الله من المسلمين وغيرهم؛ فإنه وإن كانت لهم كرامات من الخوارق، فليسوا معصومين من الخطأ،

---

(١) سقطت الواو من ط.

(٢) سقطت (الواو) من ك، ط.

(٣) في س (فإن).

(٤) في أ (عليه).

(٥) في أ (أو أكثرهم).

(٦) سقطت (الواو) من ط.

والخوارق التي تجري على يدي[1] غير الأنبياء، لا تدل على أن أصحابها أولياء الله عند أكثر العلماء، فضلاً عن كونهم معصومين، فإن ولي الله من يموت على الإيمان * ومجرد الخارق لا يدل على أنه يموت على الإيمان[2] * بل قد يتغير عن ذلك الحال، وإذا قطعنا بأن الرجل ولي الله كمن أخبر النبي بأنه من أهل الجنة، فلا يجب[3] الإيمان بكل ما يقوله إن لم يوافق ما قالته الأنبياء بخلاف الأنبياء ـ عليهم السلام ـ فإنهم معصومون لا يجوز أن يستقر فيما يبلغونه خطأ، ولهذا أوجب الله الإيمان بهم، ومن كفر بواحد منهم فهو كافر، ومن يسب واحداً منهم، وجب قتله في شرع الإسلام، كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾[4].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[5].

---

(١) في ط (أيدي).

(٢) ما بين النجمتين ساقط من أ، ك، وزدناه من س، ط، وفي ط (الخوارق) بدل (الخارق).

(٣) من قوله (والخوارق التي تجري على يدي. . . إلى: قوله فلا يجب الإيمان) ساقط كله من نسخة ك، أي حوالي أربعة أسطر.

(٤) سورة البقرة: الآيتان ١٣٦، ١٣٧.

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٨٥.

وهذا مبسوط في موضع آخر[1].



---

(١) ألف الشيخ ـ رحمه الله ـ كتاباً عظيماً في هذا الموضوع وما يدور حوله تحت عنوان «الصارم المسلول على شاتم الرسول» ويقع في قرابة ستمائة صفحة (طبعة/ مجلس دائرة المعارف/ حيدر أباد، سنة ١٣٢٢هـ .
وانظر من هذا الكتاب صفحات ٤، ٢٨، ١١٦، ١٢٤، ٥٧٠ فما بعدها بيَّن أن من سبَّ النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من مسلم أو كافر فإنه يجب قتله قال ـ رحمه الله ـ : «هذا مذهب عليه عامة أهل العلم، قال ابن المنذر: أجمع عامة أهل العلم على أن حد من سب النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ القتل، وممن قاله: مالك، والليث، وأحمد، وإسحاق، وهو مذهب الشافعي. وقال الخطابي: لا أعلم أحداً اختلف في وجوب قتله . . .».
وقد ساق ـ رحمه الله ـ الآيات الدالة على كفر الشاتم وقتله، وذكر أن الساب أعظم جرماً من المرتد، وذلك أن جماعة ارتدوا على عهد النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ثم دعوا إلى التوبة، وعرضت عليهم حتى تابوا فقبلت توبتهم. أما الذين شتموا فقد أهدرت دماؤهم، ولم تقبل توبتهم ثم ذكر من قتلوا أو امر بقتلهم كابن أبي سرح، وابن خطل، والحويرث بن معبد، وغيرهم. وكذلك حكم سب سائر الأنبياء كحكم سب نبينا محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لأن الإيمان بهم واجب عموماً، وواجب خصوصاً بمن قصَّه الله علينا في كتابه، وسبهم كفر، ورده إن كان من مسلم، ومحاربته إن كان من ذمي. قال ـ رحمه الله ـ : «وما أعلم أحداً فرق بينهما، وإن كان أكثر كلام الفقهاء، إنما فيه ذكر من سب نبينا، فإنما ذلك لمسيس الحاجة إليه . . .».
انظر الصارم المسلول ص ١١٦، وغيرها.
وانظر في هذه المسألة: المحلى لابن حزم ٤٠٩/١١؛ وحاشية الروض المربع ٤٠١/٧؛ والعدة شرح العمدة ص ٥٧٩؛ والكافي ١٠٩١/٢؛ والمقنع لابن قدامة ١٥٣/٤.

فصـل

الـردّ عـلى زعمـهم الاستغنـاء بـرُسُـل الله إليـهم عن رسالة محمّـد ـ صـلى الله عليه وسلم ـ

وأمـا قولهم: لا يلزمنـا اتباعـه؛ لأننا نحن قـد أتانـا رسـل من قبله خاطبونا بألسنتنا وأنذرونا بديننا الذي نحن متمسكون به يومنا هذا وسلموا إلينا التوراة والإنجيل بلغتنا على ما يشهد لهما الكتاب الذي أتى به هـذا الرجل[1] حيث يقول في سورة إبراهيم:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ . . .﴾[2].

وقال في سورة[3] النحل:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا . . .﴾[4].

فالجواب عنه من وجوه:

أحدها: أن إثبات رسول من قبله إليكم لا يمنع إتيان رسـول ثان، فإن بني إسرائيل قد بعث الله إليهم موسى ـ عليه السلام ـ وكانـوا على شـريعة التـوراة، ثم بعث الله ـ تبارك وتعـالى ـ إليهم المسيح ـ عليـه السلام ـ ووجب[5] عليهم الإيمان به ومن لم يؤمن به كان كافراً وإن قال

---

(١) سقطت (الرجل) من س، ك، ط.

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٤.

(٣) سقطت (سورة) من أ، س، ك.

(٤) سورة النحل: الآية ٣٦.

(٥) في س، ك (وجب) وفي ط (فوجب).

إني متمسك بالكتاب الذي أنزل إليَّ.

فكذلك إذا أرسل الله رسولاً بعد المسيح وجب الإيمان به ومن لم يؤمن به كان كافراً، كما أن من لم يؤمن بالمسيح من بني إسرائيل كان كافراً.

وبنوا إسرائيل أكثر اختصاصاً بموسى والتوراة من الروم وغيرهم، فالمسيح والإنجيل فإنهم كانوا عبرانيين والتوراة عبرانية[1].

الوجه الثاني: دعواهم أنهم متمسكون في هذا الوقت بالدين الذي نقله الحواريون عن المسيح ـ عليه السلام ـ كذب ظاهر، بل هم عامة ما هم عليه من الدين: عقائده وشرائعه، كالأمانة، والصلاة إلى المشرق، واتخاذ الصور والتماثيل في الكنائس، واتخاذها وسائط، والاستشفاع بأصحابها، وجعل الأعياد بأسمائهم، وبناء الكنائس على أسمائهم، واستحلال الخنزير، وترك الختان والرهبانية، وجعل الصيام في الربيع، وجعله خمسين يوماً، والصلوات والقرابين والناموس[2]

(١) هكذا جاءت هذه الجملة في جميع النسخ، وأرى أن فيها اضطراباً، وصحتها هكذا: (فالمسيح والإنجيل كانا عبرانيين، والتوراة عبرانية).

(٢) يطلق الناموس على صاحب السر، وقد يقيد بصاحب سر الخير، والجاسوس صاحب سر الشر، والأول قول الجمهور كما قال ابن حجر، وفي المعاجم اللغوية كذلك، ويقال للحاذق ومن يلطف مدخله، وجبريل ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وقد اشتهرت هذه الكلمة عند اليهود والنصارى، ويعنون بها الشريعة، انظر: إنجيل متى الإصحاح الخامس/ فقرة ١٧؛ ويوحنا ١/١٧؛ وسفر الخروج ١٦/١٩؛ ويقسمه القس برسوم شحاته في كتابه (الخلاص) ص ٧٣ إلى ثلاثة أقسام: الناموس الأدبي، والناموس المدني، والناموس الطقسي ثم قال أي: الوصايا، والأحكام، والفرائض، وفي الكتاب حديث واسع عن الناموس فانظره بطبعة دار نوبار.

وانظر: في المعنى الأول فتح الباري ١/٢٤؛ وتفسير غريب الحديث ص ٢٤٦؛ والقاموس المحيط ٢/٥٦.

لم ينقله الحواريون عن المسيح ولا هو موجود لا في التوراة ولا في الإنجيل، وإنما هم متمسكون بقليل مما جاءت به الأنبياء، وأما كفرياتهم وبدعهم فكثيرة جداً لم[1] ينقل أحد عن المسيح والحواريين أنهم أمروهم أن يقولوا ما يقولونه في صلاتهم السحرية[2]: «تعالوا بنا

---

(١) في ط (ولم).

(٢) صلواتهم تنقسم إلى سبع صلوات منها صلاة السحر كما ذكر كاتبهم الآب متى المسكين في كتابه «التسبحة اليومية ومزامير السواعي» ص ٧٣، أما القس فايز فارس فيقسمها في كتابه «حقائق أساسية في الإيمان المسيحي ص ٢٠٠ ـ ٢٠٢ إلى ثلاثة أنواع:

١ ـ الصلاة السرية: وتعني ساعات الاختلاء مع الله.

٢ ـ الصلاة العائلية: رب الأسرة مع أفراد أسرته يجتمعون كل يوم لقراءة كتاب.

٣ ـ الصلاة الجمهورية: يقوم بها البعض في اجتماعات العبادة العمومية نيابة عن جمهور العابدين.

ويبدو أن الأول تحديد لأوقاتها ـ عندهم ـ والثاني بيان لأنواعها، ولم أجد النصوص التي ذكرها المؤلف ـ رحمه الله ـ بنصها ولكني وجدتها بمعناها في كتاب «الرؤية الأرثوذكسية لوالدة الإلّه» لمجموعة من مؤلفيهم ص ٤١ تحت عنوان الصلوات اليومية، وذكروا أنها تتضمن أناشيد وابتهالات عدة موجهة إلى والدة الإلّه... ومنها: «أيتها السيدة العذراء النقية عروس الله... إلخ»، ومنها: «أيتها المجيدة المباركة والدة الإلّه الدائمة البتولية مريم قدمي صلاتنا إلى ابنك وإلّهنا متوسلة إليه لكي يخلص نفوسنا»، قالوا وهذه من صلاة النوم الصغرى ثم ذكروا أناشيد وابتهالات أخرى ص ٤٢ «الكتاب المذكور» وانظر كتبهم التي تحدثت عن ذلك ومنها الخلاصة الشهية في أخص العقائد والتعاليم الأرثوذكسية لأفلاطون، تعريب الخوري يوحنا ص ٢٠٠ ـ ٢١٦ (ط. كرم بيروت)، وكتاب (أو من حوار من الباب المملوكي) للمطران أغناطيوس ص ١٠٥ من منشورات النور، بيروت.

فانظر مدى ما وصلوا إليه من الكفر والإشراك بالله، والحكم على هذه النصوص، وعلى أصحابها لا يحتاج إلى كبير فطنة، وعظيم ذكاء، فالأمر واضح جلي فنسأل الله العافية والسلامة من الزيغ والضلال.

ملاحظة: الكتب التي أشرت إليها موجودة بين يدي وسأشير إلى طبعاتها في الفهارس إن شاء الله.

نسجد للمسيح إلهنا»، وفي الصلاة الثانية والثالثة: «يا والدة الإله مريم العذراء افتحي لنا أبواب الرحمة».

الوجه الثالث: قولهم أنهم سلموا إليهم[1] التوراة والإنجيل بلغاتهم إنما يستقيم إن كان صحيحاً في بعض النصارى لا في جميعهم، فإن العرب من النصارى وغير العرب لم يسلم أحد إليهم توراة ولا[2] إنجيلاً بلسانهم، وهذا أمر معروف ولا توجد[3] قط توراة ولا إنجيل معرب من زمن الحواريين، وإنما عربت في الأزمان المتأخرة فإذا كانت النصارى من العرب تقوم[4] عليهم الحجة قبل محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بكتاب نزل بغير لسانهم ثم عرب لهم، فكيف لا تقوم على الروم وغيرهم الحجة بكتاب نزل بغير لسانهم ثم ترجم بلسانهم؟.

الوجه الرابع: أن يقال: الأمة إذا غيرت دين رسولها الذي أرسل إليها وبدلته أرسل الله إليها من يدعوها إلى الدين الذي يحبه الله ويرضاه، كما أن بني إسرائيل لما غيروا دين موسى وبدلوه، بعث الله إليهم وإلى غيرهم المسيح بالدين الذي يحبه ويرضاه[5]، وكذلك النصارى لما بدلوا دين المسيح وغيروه، بعث الله إليهم وإلى غيرهم محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بالدين الذي يحبه ويرضاه.

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم: عربهم وعجمهم إلَّا بقايا

---

(١) في ك (إلينا).
(٢) سقطت (لا) من أ، س، ك، وزدناها من ط.
(٣) في ك، ط (يوجد) بالمثناة التحتية.
(٤) في س (من تقوم).
(٥) في ك، ط (يحبه الله).

من أهل الكتاب»[1].

وأولئك البقايا الذين كانوا[2] متمسكين بدين المسيح قبل مبعث محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كانوا على دين الله ـ عز وجل ـ، وأما من حين بعث محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فمن لم يؤمن به فهو من أهل النار، كما قال ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في الحديث الصحيح: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولا يؤمن بالذي أرسلت به إلَّا كان من أصحاب النار»[3].

الوجه الخامس: أن يقال: دعواهم أن الرسل سلموا إليهم التوراة والإنجيل وسائر النبوات باثنين وسبعين لساناً، وأنها باقية إلى اليوم على لفظ واحد دعوى يعلم أن قائلها يتكلم بلا علم بل مفتر كذاب[4]، وذلك أن هذا يقتضي أنه الآن في الأرض هذه الكتب باثنين وسبعين لساناً كلها منقولة عن الحواريين وكلها متفقة غير مختلفة البتة فهذا[5] أربع دعاوى: أنها موجودة باثنين وسبعين لساناً، وأنها متفقة، وأنها كلها منقولة عن الحواريين، الرابعة أنهم معصومون.

فيقال: من الذي منكم لو قدر أن هذه الكتب التي باثنين

---

(١) هذا جزء من حديث رواه مسلم عن عياض بن حمار المجاشعي في كتاب الجنة وصفة نعيمها، وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ٤/٢١٩٧ (رقم ٢٨٦٥)، ورواه أحمد في مسنده ٤/١٦٢.

(٢) في س (إن كانوا).

(٣) رواه مسلم من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته في الجزء الأول ص ١٣٤ حديث رقم (١٥٣).

(٤) في س، ك، ط (كاذب).

(٥) في جميع النسخ (فهذا)، والأولى (فهذه).

وسبعين لساناً هي عن الحواريين، وهي موجودة اليوم، فمن الـذي يمكنه أن يشهـد بموافقـة بعضهـا بعضـاً؟ وذلـك لا يمكن إلَّا لمن يعلم الاثنين وسبعين لسـانـاً ويكـون مـا عنـده من الكتب يعلم أنهـا[1] مـأخـوذة عن الحواريين ويعلم أن كل نسخة في العالم بهذا اللسان توافق النسخة التي عنده وإلَّا فلو جمع اثنين وسبعين نسخة باثنين وسبعين لسـاناً لم يعلم أن كل نسخة من هـذه هي المأخـوذة عن الحواريين إن قـدر أنه أخـذ عنهم اثنان وسبعون[2] لساناً. * ولا يعلم أن كـل نسخة في العـالم توافق تلك النسخة[3] *، فإنـه من المعلوم أنه في زمـاننا وقبـل زمانـنـا لم تزل هـذه الكتب تنقل من لسان إلى لسان كما يترجم من العبرانية إلى العربية ومن السريانية والرومية واليونانية إلى العربية وغيرها.

وحينئذ فإذا وجدت نسخة بـالعربيـة لم يعلم أنها ممـا عربت بعـد الحـواريين أو هي من المأخـوذ عن الحـواريين إذا قـدر أنـه أخـذ عنهم نسخة بالعربية ولا يمكن لأحد[4] أن يجمع جميع النسخ المعربة ويقـابل بينها، بل و[5]قد وجدنا النسخ المعربة يخالف بعضها بعضاً في الترجمـة مخالفة شديدة تمنع الثقة ببعضها، وقد رأيت أنا بالزبور عدة نسخ معـربة بينها من الاختلاف ما لا يكاد ينضبط وما يشهد بأنها مبدلة مغيـرة لا يوثق بها، ورأيت من التوراة المعربة من النسـخ ما يكـذب بكثير من تـرجمتها طـائفة من أهـل الكتـاب، فكيف يمكنـه أن يجمـع جميـع النسـخ التي بالاثنين وسبعين لساناً ويقابل بين نسخ كل لسان حتى يكون فيها النسخة

---

(١) في ك، ط (إنما هي).

(٢) في ك، ط (اثنين وسبعين) والوجهان صحيحان.

(٣) ما بين النجمتيـن ساقط من أ، س، وزدناه من ك، ط.

(٤) في أ، س (أحداً) وفي ك (أحد)، وما أثبتناه من ط أولى.

(٥) سقطت الواو من ط.

القديمة المأخوذة عن الحـواريين؟ ثم يقابـل بين نسخ جميـع الألسنة ولا يمكن ذلك إلاَّ لمن يكون عارفاً بالاثنين وسبعين لساناً معرفة تامة، وليس في بني آدم من يقدر على ذلك، ولو قدر وجود ذلك فلم يعرف أن القادر على ذلك فعل ذلك وأخبرنا باتفاقها.

ولو وجد ذلك لكان هـذا خبر واحـد أو[1] أن يترجم كـل لسان من يعلم صحة ترجمته حتى تنتهي الترجمـة إلى لسان واحـد كالعـربـي مثلاً ويعلم حينئذ اتفاقها، وإلاَّ فإذا ترجم هذا الكتاب بلسان أو لسانين أو أكثر وترجم الآخر كذلك لم يعلم اتفـاقها إن لم يعلم أن المعنى بهـذا اللسان هـو المعنى بهذا اللسـان وهذا لا يكـون إلاَّ ممن يعـرف اللسـانين أو من يترجم له اللسانين[2] باللسان الذي يعرفه.

ومعلوم أن أحداً[3] لم يترجم له الاثنان وسبعون لساناً بلسان واحد أو ألسنة يعرفها ولا يعرف أحد باثنين وسبعين لساناً.

وحينئذ فالجزم باتفاق جميع الكتب المكتوبة باثنين وسبعين لسانـاً أو الجزم بأن نسخ كل لسان متفقة جزم بما لا يعلم صحته لو لم يكن في الأرض اليـوم الاثنان وسبعـون لسـانـاً منقـولـة عن الحـواريين لم تختلط بالمترجم بعد ذلك، فكيف وأكثر ما بأيدي النـاس هو ممـا ترجم[4] بعـد ذلك بالعربـي وغيره؟.

هذا إذا ثبت أن الحواريين سلموها باثنين وسبعين لساناً وأنها بـاقية

---

(١) في ك، ط (وأن يترجم).
(٢) في ك، ط (ترجم له اللسانان)، وفي س (يترجم له اللسانان).
(٣) في أ، س (أحد).
(٤) في ك، ط (يترجم).

إلى اليوم وهذا أمر لا يمكن أحداً[1] معرفته، فليس اليوم توراة، وإنجيل، ونبوات يشهد لها أحد أنها مترجمة باللسان العربي من عهد الحواريين، بل ولا بأكثر الألسنة، وإلاَّ فإذا قدر أن الحواريين سلموها باثنين وسبعين لساناً مع حصول الترجمة بعد ذلك وكثرة المترجمات أمكن وقوع التغيير في بعض المترجمات، وحينئذ فالعلم بأن تلك النسخ القديمة[2] لا تتغير فيها لا يمنع وقوع التغيير في بعض ما ترجم بعدها أو في بعض ما نسخ منها[3]، ولا سبيل إلى العلم باتفاقها مع كونها باثنين وسبعين لساناً بخلاف القرآن الذي هو بلسان العرب وخط العرب، فإن العلم باتفاق ما يوجد من نسخة ممكن وهو محفوظ في الصدور و[4]لا يحتاج إلى حفظ في الكتب فهو منقول بالتواتر لفظاً وخطاً.

الوجه السادس: قولهم وسلموا إلينا التوراة والإنجيل بلساننا على ما يشهد لهما[5] الكتاب الذي أتى به هذا الرجل[6]، فيقال لهم: ليس في القرآن ما يشهد لكم بأن التوراة والإنجيل سلمت إليكم بلسانكم فاستشهادكم بالقرآن على هذه الدعوى من جنس استشهادكم به على أن دينكم حق.

ومن جنس استشهادكم بالنبوات على ما أحدثتموه وغيرتم به دين

---

(١) في ط (لأحد).

(٢) سقطت (القديمة) من ك.

(٣) في ك، ط (بعدها).

(٤) سقطت (الواو) من س، ك، ط.

(٥) بياض في أ، وأثبتناه من سائر النسخ.

(٦) سقطت (الرجل) من س، ك، ط.

المسيح ــ عليه السلام ــ من التثليث والاتحاد وغير ذلك وقولهم حيث يقول الله:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ . . .﴾[1].

وقال[2] ــ تعالى ــ :

﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا . . .﴾[3].

فيقال: لا ريب أن قوم موسى ــ عليه السلام ــ هم بنو إسرائيل وبلسانهم نزلت التوراة، وكذلك بنو إسرائيل هم قوم المسيح ــ عليه السلام ــ وبلسانهم كان المسيح يتكلم فلم يخاطب أحد[4] من الرسولين أحد إلّا باللسان العبراني، لم يتكلم أحد منهما لا برومية، ولا سريانية، ولا يونانية، ولا قبطية.

وقوله ــ تعالى ــ :

﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا . . .﴾[5].

كلام مطلق عام، كقوله:

﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ . . .﴾[6].

ليس في هذا تعرض لكون التوراة والإنجيل سلمت إليهم بألسنتهم.

الوجه السابع: أن يقال عمدتهم في هذه الحجة أنهم يقولون:

---

(1) سورة إبراهيم: الآية ٤.
(2) في ط (وقوله).
(3) سورة النحل: الآية ٣٦.
(4) في س، ك، ط (واحد).
(5) سورة النحل: الآية ٣٦.
(6) سورة فاطر: الآية ٢٤.

الحواريون هم عندنا رسل الله كإبراهيم وموسى، والمسيح عندنا هو الله وهو أرسل إلينا هؤلاء[1] فيجب أن يكونوا أرسلوا إلينا بلساننا، وأن يكونوا سلموا إلينا التوراة والإنجيل بلساننا.

فيقال لهم: هب أنكم تدعون هذا وتعتقدونه ونحن سنبين[2] ـ إن شاء الله تعالى ـ أن هذه دعاوى باطلة لكن أنتم في هذا المقام تذكرون أن هذا الكتاب الذي هو القرآن الذي جاء به محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يشهد لكم بذلك وهذا كذب ظاهر على محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وعلى كتابه وأنتم صدرتم كتابكم بأن كتابه يشهد لكم، ونحن نبين كذبكم وافتراءكم عليه سواء أقررتم بنبوته أو لم تقروا بها: فإنه[3] من المعلوم يقيناً عنه أنه لم يشهد للمسيح بأنه الله، بل كفر من قال ذلك، ولا يشهد للحواريين بأنهم رسل أرسلهم الله، بل إنما شهد للحواريين بأنهم قالوا إنا مؤمنون مسلمون وأنهم قالوا نحن أنصار الله كما شهد لمن آمن به بأنهم مؤمنون مسلمون ينصرون الله ورسوله، بل وأنهم أفضل من الحواريين لكون أمته خير الأمم كما قال ـ تعالى ـ :

﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[4].

---

(١) في س، ك، ط (هؤلاء إلينا).

(٢) سيتحدث المؤلف ـ رحمه الله ـ عن هذا في موضعه المناسب من هذا الجزء، وسيبين مدى بطلان هذه الدعوى، بما يثبت أن الحواريين ليسوا رسلاً وإنما هم مبلغون كغيرهم من أصحاب الرسل، وأنه ليس معهم على دعواهم دليل من نقل أو عقل، بل هي دعاوى باطلة، ومزاعم كاذبة.

(٣) في ط (فإن).

(٤) سورة آل عمران: الآية ٥٢.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾[1] .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَـٰهِرِينَ ﴾[2] .

وسيأتي الكلام على هذا مبسوطاً ونبين أن الرسل المذكورين في سورة «يس» ليس هم الحواريين[3] ولا كانوا رسلاً للمسيح ، بل كان هذا الإرسال قبل المسيح وأهل القرية كذبوا أولئك الرسل فأهلكهم الله كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَـٰمِدُونَ ﴾[4] ، (*) .

والرسل المذكورون في سورة «يس» هم ثلاثة، وكان في القرية رجل آمن بهم وهذه وإن كانت أنطاكية فكان هذا الارسال قبل المسيح ، والمسيح ـ عليه السلام ـ ذهب إلى أنطاكية اثنان من أصحابه بعد رفعه

(١) سورة المائدة: الآية ١١١ .

(٢) سورة الصف: الآية ١٤ .

(٣) في أ، س، ك (الحواريون) وصححناه من ط .

(٤) سورة يس: الآية ٢٨ ، ٢٩ .

(*) سيبسط الكلام على هذه المسألة، ويبين خطأ من ظن من المفسرين أن الرسل المذكورين في سورة يس هم الحواريون.

إلى السماء ولم يعززوا بثالث ولا كان حبيب النجار[1] موجوداً إذ ذاك[2]، وآمن أهل أنطاكية[3] بالمسيح ـ عليه السلام ـ وهي[4] أول مدينة آمنت به كما قد بسط في غير هذا الموضع[5].

والمقصود هنا: أن محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لم يشهد للمسيح بالألاهية[6] ولا للحواريين بأنهم رسل الله ولا أنهم سلموا إليهم التوراة والإنجيل بلسانهم ولا بأنهم معصومون وما ذكروه من قوله تعالى:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ. . . ﴾[7].

إنما يتناول رسل الله لا رسل رسل الله بل رسل رسل الله يجوز أن يبلغوا رسالات الرسل بلسان الرسل إذا كان هناك من يترجم لهم ذلك اللسان، وإن لم يكن هناك من يترجم ذلك اللسان كانت رسل الرسل

---

(١) اسمه حبيب بن مري، ثم قيل: كان نجاراً، وقيل: حبالاً، وقيل: إسكافاً ـ خرازاً ـ، وقيل: قصاراً، وقيل كان يتعبد في غار هناك فالله أعلم، قال ابن كثير: «وعن ابن عباس: أنه قد أسرع فيه الجذام، وكان كثير الصدقة، قتله قومه، ولهذا قال الله ـ تعالى ـ: ﴿قيل ادخل الجنة﴾، يعني لما قتله قومه أدخله الله الجنة، رواه ابن أبي حاتم». انظر: البداية والنهاية ١/ ٢٣٠؛ وفتح الباري شرح صحيح البخاري ٦/ ٣٣٧ (كتاب الأنبياء، باب واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية... الآية).

(٢) في س بدل (ذاك) جملة زائدة لا مكان لها هذا نصها: «إذ أنطاكية اثنان من أصحابه بعد رفعه إذ ذاك».

(٣) أنطاكية: بالفتح ثم السكون، والياء مخففة. مدينة هي قصبة العواصم من الثغور الشامية، من أعيان البلاد، وأمهاتها موصوفة بالنزاهة والطيب والفواكه، وبينها وبين حلب يوم وليلة، وبها كانت مملكة الروم. انظر: مراصد الاطلاع ١/ ١٢٥.

(٤) في أ، س، ك (وهم) وصححناه من ط.

(٥) بسط في ص ٢٤٤ فما بعدها من هذا الجزء.

(٦) في ط (بالألوهية).

(٧) سورة إبراهيم: الآية ٤.

تخاطبهم بلسانهم لكن لا يلزم من هذا أن يكونوا قد كتبوا الكتب الإلَٰهية بلسانهم بل يكفي أن يقرأوها بلسان الأنبياء ـ عليهم السلام ـ ثم يترجموها بلسان أولئك وهو ـ سبحانه ـ قال:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ . . . ﴾[1].

ولم يقل وما أرسلنا من رسول إلاَّ إلى قومه بل محمد أرسل بلسان قومه وهم قريش وأرسل إلى قومه وغير قومه كما يذكرون[2] ذلك عن المسيح عليه السلام.



(١) سورة إبراهيم: الآية ٤.

(٢) في ك، ط (يذكرون هم ذلك).

فصل

وأما قوله ـ تعالى :

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا . . . ﴾ .

فحق[1]. وتمام[2] الآية :

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾[3].

وهذا كقوله ـ تعالى ـ في الآية الأخرى :

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾[4].

وقوله :

﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾[5].

ـ في أصح الأقوال ـ أي : ولكل قوم داعٍ يدعوهم إلى توحيد الله

---

(١) سقطت (فحق) من ط .

(٢) في ك، ط (فتمام).

(٣) سورة النحل: الآية ٣٦.

(٤) سورة فاطر: الآية ٢٤.

(٥) سورة الرعد: الآية ٧.

وعبادته كما أنت هادٍ أي داعٍ لمن أرسلت إليه، والهادي: بمعنى الداعي المعلم المبلغ لا بمعنى الذي يجعل الهدى في القلوب كقوله:

﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ . . . ﴾[1].

وقوله: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ . . . ﴾[2].

ومعلوم أن بني إسرائيل كانوا أكثر الأمم أنبياء، بعث إليهم موسى، وبعث إليهم بعده أنبياء كثيرون حتى قيل: إنهم ألف[3] نبي وكلهم يأمرون بشريعة التوراة ولا يغيرون منها شيئاً، ثم جاء المسيح بعد ذلك بشريعة أخرى غيَّر فيها بعض شرع التوراة بأمر الله عز وجل.

فإذا كان إرسال موسى والأنبياء بعده إليهم لم يمنع إرسال المسيح إليهم فكيف يمتنع إرسال محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى أهل الكتاب من اليهود والنصارى ولهم[4] من حين المسيح لم يأتهم رسول من الله كما قال ـ تعالى ـ:

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ

---

(١) سورة الشورى: الآيتان ٥٢ ـ ٥٣.

(٢) سورة فصلت: الآية ١٧.

(٣) قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ: في تاريخه البداية والنهاية ١٥٢/٢: روى البزار قال: حدثنا عمرو بن علي، حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا مجالد، عن الشعبي، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «إني لخاتم ألف نبي أو أكثر، وإنه ليس منهم نبي إلَّا وقد أنذر قومه الدجال، وأنه قد تبين لي فيه ما لم يتبين لأحد منهم، وأنه أعور، وأن ربكم ليس بأعور. ثم قال ـ رحمه الله ـ: وهذا إسناد حسن. . . إلخ. وسيأتي زيادة بيان لعدد الأنبياء وتحديده.

(٤) في ط (وهم).

مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1].

وهـذه[2] الفترة التي كـانت بين المسيح و[3]محمـد ـ صلوات الله عليهمـا وسـلامـه ـ وهي فيمـا ذكـره غيـر واحـد من العلمـاء كسلمـان الفارسي[4] وغيره كانت ستمائـة سنة وقـد قيل: ستمـائة سنـة[5] شمسية وهي ستمائة وعشرون أو ثمانيـة عشر هـلالية وذلـك أن كل مـائة سنـة[6] شمسية تكون مائة وثلاث سنين هلالية. كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَبِثُواْ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴾[7].

وهـذه التسع وبعض العـاشرة، والتـاريـخ قـد تحسب فيـه التـامـة وتحسب فيه الناقصة، فمن قال عشرين حسب الناقصة، ومن قال ثمـانية عشر حسب التامة فقط.



---

(1) سورة المائدة: الآية ١٩.

(2) سقطت الواو من ط.

(3) في ط (وبين) وهي منفردة عن سائر النسخ، والصـواب عدم تكـرار بين إلاَّ إذا كانت الأولى مضافة إلى ضمير فإنها تكرر بين في هذه الحالة كقوله بينه وبين محمد.

(4) أبو عبد الله سلمان الخير الفارسي، مولى رسـول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أصله من فارس كان أبوه دهقان رامهرمز وسيدها وسادن نارها.
روى أصحاب التراجم قصـة إسلامـه العجيبة، وتـدرجه من دينـه إلى النصرانيـة إلى الإسلام حتى أطلق عليه الباحث عن الحقيقة، وأول مشاهده مع الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يوم الخنـدق، وهو الـذي أشار بحفـره، ولم يتخلف عن مشهد بعـده، فضـائله كثيرة، مـات ـ رضي الله عنه ـ سنـة ٣٥هـ في خلافـة عثمـان ـ رضي الله عنه ـ.
انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٢/٦٠؛ والاستيعاب: هـامش الإصابـة ٢/٥٣؛ وتهذيب التهذيب ٤/١٣٧؛ والرياض المستطابة ص١٠٣.

(5) سقطت (سنة) من أ، س، ك وألحقناها من ط.

(6) سقطت (سنة) من أ، س، ك وألحقناها من ط.

(7) سورة الكهف: الآية ٢٥.

فصـل

ردّ زعمهم بأنَّ عَـدْل الله يقتضي أن لا يطالبوا باتباع إنسان لم يأتِ إليهم

وأما قولهم: نعلم[1] أن الله عـدل وليس من عدلـه أن يطالب أمـة يوم القيامة باتباع إنسان لم يـأتِ إليهم ولا وقفوا لـه على كتاب بلسـانهم ولا من جهة داعٍ من قبله، فيقال الجواب من وجوه:

أحدها: أن هـذا الكلام لا يجـوز أن يقولـه من كتب هذا الكتـاب ولا أحد يفهم بالعربية * فـإن هؤلاء يفهمون هـذا الكتاب بـالعربيـة *[2] وقد قرءوه وناظروا بما فيه، وإذا كانوا مع ذلك يفهمون بغير العربية كـانَ ذلـك أبلغ في قيام الحجـة عليهم، فإنهم يمكنهم فهم مـا قال بـالعربيـة وتفهيم[3] ذلك لقومهم باللسان الآخر.

الثاني[4]: كما[5] أنهم يفهمون ما في كتبهم الـرومية، والسـريانيـة والقبطية، وغيرها ويترجمونها للعرب من النصـارى بالعـربية، فـإذا قامت الحجـة على عرب النصـارى بـاللسـان الـرومي فـلأن تقـوم على الـروم باللسان العربـي أولى، فإن اللسـان العربـي أكثـر انتشاراً في العـالم من اللسان الرومي، والناطقون به بعد ظهور الإسلام أكثر من الناطقين بغيـره وهو أكمل بياناً وأتم تفهماً.

---

(١) في ك، ط (ونعلم).

(٢) ما بين النجمتين ساقط من أ، وزدناه من هامش النسختين س، ك، ومن ط.

(٣) في س، ك (ويفهم).

(٤) في ط (الوجه الثاني).

(٥) سقطت (كما) من س، ك، ط.

وحينئذٍ فيكون وصول المعاني به إلى غير أهل لسانه أيسر لكمال معناه ولكثرة العارفين به، وهؤلاء علماء النصارى يقرءون كتب الطب والحساب والفلسفة وغير ذلك باللسان العربي مع أن مصنفيها كانوا عجماً من رومي ويوناني وغير ذلك، فما المانع أن يقرأ القرآن العربي وتفسيره وحديث النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ باللسان العبري؟ مع أنه أخذ عن الرسول بالعربي فهو أولى بأن يعرف به مراد المتكلم به.

الوجه الثالث: أن يقال الناس لهم في عدل الله ثلاثة أقوال، قيل: كل ما يكون مقدوراً فهو عدل، وقيل: العدل منه نظير العدل من عباده، وهما قولان ضعيفان وقيل: من عدله أن يجزي المحسن بحسناته لا[1] ينقصه شيئاً منها ولا يعاقبه بلا ذنب.

ومعلوم أنه إذا أمر العبد بما يقدر عليه كان جائزاً باتفاق طوائف أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى، وإن كان الفعل مكروهاً للإنسان فإن الجنة حفت بالمكاره وحفت النار بالشهوات، وقد كلفت بنو إسرائيل والنصارى من الأعمال ما هو مكروه لهم وشاق عليهم، فكيف يمتنع أن يأمرهم وينهاهم بلغة يبين بعض المسلمين معناها لهم[2] والعرب الذي نزل القرآن بلسانهم طبقوا الأرض، ومنهم نصارى لا يحصون، فكل من عرف بالعربية من النصارى أمكنه فهم ما يقال بالعربي، ومن كان منهم رومياً كان له أسوة من أسلم من سائر طوائف الأعاجم كالفرس، والترك، والهند، والبربر، والحبشة، وغيرهم وهو متمكن من معرفة ما أمره الله[3] والعمل به، كما يمكن هؤلاء كلهم، بل

---

(١) في ط (ولا).

(٢) سقطت (لهم) من أ.

(٣) في ط (أمره الله به).

الروم أقدر على ذلك من غيرهم، فلأي وجه يمتنع أن يأمرهم الله بذلك؟ وما لا يتم الواجب إلاَّ به إذا كان مقدوراً للعبد، فعليه أن يفعله باتفاق أهل الملل: المسلمين، واليهود، والنصارى.

وإنما[1] تنازع الناس فيه هل يسمى واجباً؟ فقيل: يسمى واجباً، وقيل: لا يسمى واجباً، فإن الآمر لم يقصده بالأمر وقد لا يخطر بباله إذا كان الآمر مخلوقاً.

قال هؤلاء[2]: ولأن الواجب ما يذم تاركه شرعاً، أو يعاقب تاركه شرعاً، أو ما يستحق تاركه الذم[3]، أو ما يكون تركه سبباً للذم أو العقاب، وقالوا[4]: وما لا يتم الواجب إلاَّ به لا يستحق تاركه الذم والعقاب، فإن الحج إذا وجب على شخصين أحدهما بعيد والآخر قريب ولم يفعلاه لم تكن عقوبة البعيد على الترك أعظم من عقوبة القريب، مع أن المسافة التي لا بد لهما من قطعها أكثر.

وكذلك من وجب عليه قضاء دينه من غير احتياج إلى بيع شيء من ماله ليست عقوبته على الترك بأقل من عقوبة من يحتاج إلى بيع مال له ليقضي به دينه.

وفصل الخطاب أن ما لا يتم الواجب إلاَّ به هو من لوازم وجود الواجب، ووجود الملزوم بدون لازمه ممتنع، فالمأمور به لا يمكن فعله إلاَّ بلوازمه، والمنهي عنه لا يمكن تركه إلاَّ بترك ملزوماته، لكن هذا الملزوم لزوم عقلي أو عادي، فوجوبه وجوب عقلي عادي، لا أن الآمر

---

(١) في س، ك (وإنما ما)، وفي ط (وإن ما).

(٢) سقطت (هؤلاء) من ط.

(٣) في هامش نسختي س، ك، وفي ط زيادة (أو العقاب).

(٤) في س، ك، ط (قالوا) بدون واو.

نفسه قصد إيجابه والذم والعقاب على تركه.

وتنازع الناس هل يقال ما لا يتم الواجب إلَّا به فهو واجب، سواء كان وجوبه شرعياً أو عقلياً؟ أو يحتاج أن يقال ما لا يتم الواجب إلَّا به وكان مقدوراً للمكلف فهو واجب؟

فالجمهور أطلقوا العبارة الأولى، وبعض المتأخرين قيدوها بالقدرة[1] ولا حاجة إلى ذلك. فإن ما لم يكن مقدوراً ينتفي الوجوب مع انتفائه فيكون شرطاً في الوجوب لا في فعل الواجب والجمهور قالوا: ما لا يتم الواجب إلَّا به فإنه يجب.

والمقصود هنا: أن الله إذا أوجب على العباد شيئاً واحتاج أداء[2] الواجب إلى تعلم شيء من العلم كان تعلمه واجباً فإذا كان معرفة العبد لما أمره[3] الله به تتوقف على أن يعرف معنى كلام تكلم به بغير لغته وهو قادر على تعلم معنى تلك الألفاظ التي ليست بلغته أو على معرفة ترجمتها بلغته وجب عليه تعلم ذلك.

ولو جاءت رسالة من ملك إلى ملك بغير لسانه، لطلب من يترجم مقصود الملك المرسل ولم يجز أن يقول: أنت لم تبعث إليَّ من يخاطبني بلغتي مع[4] قدرته على أن يفهم مراده بالترجمة، فكيف يجوز أن يقال ذلك لرب العالمين؟ ولو أمر به[5] بعض الملوك بعض رعاياه وجنوده بلغته وهم قادرون على معرفة ما أمرهم به إما بتعلم لغته وإما

---

(١) في ط (بالمقدور).
(٢) سقطت (أداء) من ك.
(٣) في أ (أمر).
(٤) في ط (من) بدل (مع).
(٥) سقطت (به) من ك، ط.

بمن يترجم لهم ما قاله لم يكن ذلك ظلماً[1]، فكيف يكون ظلماً من رب العالمين مع أنه ليس بظلم من المخلوقين؟

ولو وجب لبعض الرعية حق على بعض أو ظلم بعضهم بعضاً لوجب على الملك أن ينصف المظلوم ويرسل إلى الظالم من يأمره بالعدل والإنصاف، ويعاقبه إذا لم ينصف إذا كان الظالم متمكناً من معرفة أمر الملك بالترجمة أو غيرها وهذا هو العدل، ليس العدل أن يترك الناس ظالمين في حق الله وحق عباده والله ـ تعالى ـ أرسل رسله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط كما قال ـ تعالى ـ :

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ . . .﴾[2].

فليس لأحد ممن أرسل إليه رسول وهو قادر على معرفة ما أرسل به إليه بالترجمة أو[3] غير الترجمة أن يمتنع من شرع الله الذي أنزله[4]، وهو القسط الذي بعث به رسوله لكون الرسول ليس لغته لغته، مع قدرته على أن يعرف مراده بطرق متعددة.

والناس في مصالح دنياهم يتوسل أحدهم إلى معرفة مراد الآخر بالترجمة وغيرها فيتبايعون، وبينهم ترجمان يبلغ بعضهم عن بعض، ويتراسلون في عمارة بلادهم، وأغراض نفوسهم بالتراجم الذين يترجمون لهم، وأمر الدين أعظم من أمر الدنيا، فكيف لا يتوسلون إلى معرفة مراد بعضهم من بعض؟! وكيف يكون أمر الدنيا أهم من أمر الدين إلاَّ عند من أغفل الله قلبه عن ذكر ربه، واتبع هواه وأعرض عن

---

(١) في ط (لم يكن ظلماً ذلك).
(٢) سورة الحديد: الآية ٢٥.
(٣) في أ (و).
(٤) في أ (نزله).

ذكر ربه[1]، ولم يرد إلاَّ الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم.

قال ــ تعالى ــ :

﴿ فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴾[2].

وقال[3] ــ تعالى ــ :

﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴾[4].

الوجه الرابع: أنه من العجب أن تعد النصارى مثل هذا ظلماً خارجاً عن العدل، وهم قد نسبوا إلى الله من الظلم العظيم على هذا الأصل ما لم ينسبه إليه أحد من الأمم كما سبوه وشتموه، مسبة ما سبه إياها أحد من الأمم فهم من أبعد الأمم عن توحيده وتمجيده، وحمده، والثناء عليه؛ وذلك أنهم يزعمون أن آدم لما أكل من الشجرة غضب الرب عليه وعاقبه، وأن تلك العقوبة بقيت في ذريته إلى أن جاء المسيح وصلب، وأنه كانت الذرية في حبس إبليس، فمن مات منهم ذهبت روحه إلى جهنم في حبس إبليس حتى قالوا ذلك في الأنبياء: نوح وإبراهيم، وموسى، وداود، وسليمان، وغيرهم.

ومعلوم أن إبراهيم كان أبوه كافراً ولم يؤاخذه الله بذنب أبيه فكيف

---

(١) سقطت جملة (واتبع هواه وأعرض عن ذكر ربه) من ك.

(٢) سورة النجم: الآية ٢٩، وفي س، ك (ذلك مبلغهم من العلم).

(٣) في ك (قال).

(٤) سورة الكهف: الآية ٢٨. وانظر في سبب نزول هذه الآية في أسباب النزول للواحدي ص ٢٢٤، ٢٢٥؛ ولباب النقول للسيوطي ص ٩٩.

ردّ عقيدة النصارى في الصَّلْب والفِداء

يؤاخذه بذنب آدم وهو أبوه الأبعد هذا لو قُدِّر أن آدم لم يتب، فكيف وقد أخبر الله عنه بالتوبة؟ ثم يزعمون أن الصلب الذي هو من أعظم الذنوب والخطايا به خلص الله آدام وذريته من عذاب الجحيم، وبه عاقب إبليس مع أن إبليس ما زال عاصياً لله مستحقاً للعقاب من حين امتنع من السجود لآدم ووسوس لآدم إلى حين مبعث المسيح والرب قادر على عقوبته، وبنو آدم لا عقوبة عليهم في ذنب أبيهم، فمن كان قولهم مثل هذه الخرافات التي هي مضاحك العقلاء، والتي لا تصلح أن تضاف إلى أجهل الملوك وأظلمهم، فكيف يدعون مع هذا أنهم يصفون الله بالعدل، ويجعلون من عدله أنه لا يأمر الإنسان بتعلم ما يقدر على تعلمه، وفيه صلاح معاشه، ومعاده، ويجعلون مثل هذا موجباً لتكذيب كتابه، ورسله، والإصرار على تبديل الكتاب الأول، وتكذيب الكتاب الآخر وعلى أنه يتضمن مخالفة موسى، وعيسى، وسائر الأنبياء والرسل؟

والنصارى يقولون: إن المسيح الذي هو عندهم اللاهوت والناسوت جميعاً إنما مكن[1] الكفار من صلبه ليحتال بذلك على عقوبة إبليس، قالوا: فأخفى نفسه عن إبليس لئلا يعلم، و[2]مكن أعداءه من أخذه وضربه، والبصاق في وجهه، ووضع الشوك على رأسه وصلبه وأظهر الجزع من الموت وصار يقول: يا إلّهي لم سلطت أعدائي علي ليختفي[3] بذلك عن إبليس، فلا يعرف إبليس أنه الله أو ابن الله ويريد إبليس أن يأخذ روحه إلى الجحيم كما أخذ أرواح نوح، وإبراهيم،

(١) في س (تمكن).
(٢) في ك، ط (قالوا أو أمكن)، وفي س (تمكن).
(٣) في ك، ط (ليخفي).

ومـوسى وغيرهم من الأنبيـاء والمؤمنين[1]، فيحتج عليـه الـرب، حينئـذٍ ويقـول: بماذا استحللت يـا إبليس أن تأخـذ روحي؟ فيقـول لـه إبليس: بخطيئتك، فيقول ناسوتي: لا خطيئة له كنواسيت الأنبياء، فإنه كـان لهم خطايا استحقوا بها أن تؤخذ[2] أرواحهم إلى جهنم، وأنا لا خطيئة لي.

وقالوا: فلما أقام الله الحجة على إبليس جاز للرب حينئذٍ أن يأخذ إبليس ويعاقبه ويخلص ذرية آدم من إذهابهم إلى الجحيم، وهذا الكلام فيه من الباطل ونسبة الظلم إلى الله ما يطول وصفه، فمن هذا قوله: فقد قدح في علم الرب وحكمته وعدله قدحاً ما قـدحه فيـه أحد، وذلـك من وجوه:

أحدها: أن يقال: إبليس إن كان أخذ الذرية بذنب أبيهم فـلا فرق بين نـاسوت المسيـح وغيره، وإن كـان بخطايـاهم فَلَمْ يـأخـذهم بـذنب أبيهم، وهم قالوا: إنما أخذهم بذنب آدم.

الثاني: أن يقال من خلق بعـد المسيح من الـذرية كمن خلق قبله فكيف جـاز أن يمكن إبليس من الـذريـة المتقـدمين دون المتـأخـرين، وكلهم بـالنسبة إلى آدم سـواء، وهم أيضاً يخـطئـون أعـظم من خـطايـا الأنبيـاء المتقـدمين، فكيف جــاز تمكين[3] إبليس من عقـوبـة الأنبيـاء المتقـدمين، ولم يمكن من عقوبـة الكفار والجبـابـرة الـذين كـانـوا بعـد المسيح؟

الوجه الثـالث: أن يقال أخـذ إبليس لذريـة آدم وإدخالهم جهنم: إمـا أن يكون ظلمـاً من إبليس، وإما أن يكـون عـدلاً، فـإن كـان عـدلاً

(١) في س (والمتقين).

(٢) في س، ك، ط (تأخذ).

(٣) في أ، س، ك (تمكن).

فلا لوم على إبليس، ولا يجوز أن يحتال عليه ليمتنع من العدل الذي يستحقه بل يجب تمكينه من المتأخرين والمتقدمين[1].

وإن كان ظلماً فلم لا يمنعه الرب منه قبل المسيح؟

فإن قيل: لم يقدر فقد نسبوه إلى العجز، وإن قيل: قدر على دفع ظلم إبليس ولم يفعله فلا فرق بين دفعه في زمان دون زمان، إن[2] جاز ذلك جاز في كل زمان وإن امتنع امتنع في كل زمان.

الوجه الرابع: أن إبليس إن كان معذوراً قبل المسيح فلا حاجة إلى عقوبته ولا ملام[3] عليه، وإن لم يكن معذوراً استحق العقوبة ولا حاجة إلى[4] أن يحتال عليه بحيلة تقام بها الحجة عليه.

الوجه الخامس: إنه بتقدير أنه لم يقم عليه الحجة[5] قبل الصلب فلم يقم عليه حجة[6] بالصلب، فإنه يمكنه أن يقول أنا ما علمت أن هذا الناسوت هو ناسوت الرب، وأنت يا رب قد أذنت لي أن آخذ جميع ذرية آدم فأوديهم إلى الجحيم، فهذا واحد منهم، وما علمت أنك أو ابنك اتحد به، ولو علمت ذلك لعظمته فأنا معذور في ذلك فلا يجوز أن تظلمني.

الوجه السادس: أن نقول[7] أن إبليس يقول حينئذٍ: يا رب فهذا

---

(١) في ك، ط (من المتقدمين والمتأخرين).
(٢) في ك، ط (أو).
(٣) في س، ك، ط (يلام).
(٤) سقطت (إلى) من ك، ط .
(٥) في س، ك، ط (حجة).
(٦) سقطت (حجة) من س، ك، ط .
(٧) (أن نقول) ساقطة من أ، س.

الناسوت الواحد أخطأت في أخذ روحه لكن سائر بني آدم الذين بعده لي أن أحبس أرواحهم في جهنم كما حبست أرواح الذين كانوا قبل المسيح، إمابذنب أبيهم، وإما بخطاياهم أنفسهم وحينئذٍ فإن كان ما يقوله النصارى حقاً فلا حجة لله على إبليس.

الوجه السابع: أن يقال هب أن آدم أذنب وبنوه أذنبوا بتزيين الشيطان، فعقوبة[1] بني آدم على ذنوبهم هي[2] إلى الله أو إلى إبليس؟ فهل يقول عاقل أن إبليس له أن يغوي بني آدم بتزيينه لهم ثم له أن يعاقبهم جميعاً بغير إذن من الله في ذلك[3]، وهل هذا القول إلَّا من[4] قول المجوس الثنوية الذين يقولون إن كل ما في العالم من الشر من الذنوب والعقاب وغير ذلك هو من فعل إبليس لم يفعل الله شيئاً من ذلك، ولا عاقب الله أحداً على ذنب؟

ولا ريب أن هذا القول سرى إلى النصارى من المجوس، لهذا لا ينقلون هذا القول في كتاب منزل ولا عن أحد من الحواريين ولهذا كان المانوية دينهم مركباً من دين النصارى والمجوس، وكان رأسهم ماني[5] نصرانياً مجوسياً فالنسب بين النصارى والمجوس[6]، بل وسائر المشركين نسب معروف[7].

---

(١) في س (وعقوبة).
(٢) في أ، س (هو)، وصححناه من ك، ط.
(٣) في س، ك، ط (له في ذلك).
(٤) في س (من جنس قول).
(٥) سبقت ترجمته.
(٦) سقطت (المجوس) من ك.
(٧) عقد الشيخ محمد أبو زهرة فصلاً في كتابه (مقارنة الأديان ــ الديانات القديمة) قارن فيه بين البوذية والنصرانية، وبيَّن أوجه الاتفاق، والصلة القائمة بينهما من ص ٥٣ ــ =

الوجه الثامن: أن يقال إبليس عاقب بني آدم وأدخلهم جهنم بإذن الله أو بغير إذنه؟

إن قالوا بإذنه، فلا ذنب له ولا يستحق أن يحتال عليه ليعاقب ويمتنع، وإن كان بغير إذنه فهل جاز في عدل الله أن يمكنه من ذلك أم لم يجز؟ فإن جاز ذلك في زمان جاز في جميع الأزمنة، وإن لم يجز في زمان لم يجز في جميع الأزمنة، فلا فرق بين ما قبل المسيح وما بعده.

الوجه التاسع: أن يقال هل كان الله قادراً[1] على منع إبليس وعقوبته بدون هذه الحيلة وكان ذلك عدلاً منه لو فعله أم لا؟ فإن كان ذلك مقدوراً له وهو عدل منه لم يحتج أن يحتال على إبليس ولا يصلب نفسه أو ابنه، ثم إن كان هذا العدل واجباً عليه وجب منع إبليس وإن لم يكن واجباً جاز تمكينه في كل زمان فلا فرق بين زمان وزمان.

وإن قيل: لم يكن قادراً على منع إبليس فهو تعجيز للرب عن[2] منع إبليس، وهذا من أعظم الكفر باتفاق أهل الملل من جنس قول

= ٦٨. وهذا يعطينا صورة واضحة على مدى ما وصلت إليه النصرانية من تحريف وصل بها إلى درجة كبيرة من الأوهام والأساطير التي لا يقرها عقل ولا شرع، ويبيِّن مدى عبث العابثين، وتحريف المحرفين، وانتحال المبطلين حيث تحولت إلى عقيدة وثنية منافية لملة أبينا إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ، وجميع الرسل من قبل ومن بعد، ولذلك يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.
وانظر: كتاب أديان الهند الكبرى في سلسلة مقارنة الأديان للدكتور أحمد شلبي، الجزء الرابع ص ٢٠٣، ٢٠٦ ـ ٢٢٣، وكتاب الشيخ محمد رشيد رضا «عقيدة الصلب والفداء» ص ١٦٣، والمسيح في مصادر العقائد المسيحية لأحمد عبد الوهاب ص ١٢٧.

(١) في أ (قادر)، وصوبناه من سائر النسخ. (٢) في ك، ط (على).

الثنوية الذين يقولون: لم يكن يقدر النور أن يمنع الظلمة[1] من الشر، ومن جنس قول ديمقراطيس[2] والحنانين[3] الذين يقولون: لم يمكن[4] واجب الوجود أن[5] يمنع النفس من[6] ملابسه الهيولي[7] بل تعلقت النفس بها بغير اختياره.

الوجه العاشر: أن ما فعله به الكفار اليهود الذين صلبوه[8] طاعة لله أو معصية فإن كان طاعة لله: استحق اليهود الذين صلبوه أن يثيبهم ويكرمهم على طاعته كما يثيب سائر المطيعين له، والنصارى متفقون على أن أولئك من أعظم الناس إثماً ـ وهم من شر الخلق ـ وهم يستحلون من[9] دمهم ولعنتهم ما لا يستحلونه من غيرهم، بل

---

(١) في ك، ط (العالم)، وفي س (الظلم)، وما أثبتناه من أ.

(٢) فيلسوف من فلاسفة اليونان، وحكمائهم، وأطبائهم. ولد حوالي ٤٦٠ق. م، درس الفلسفة وأنشأ جيلاً من تلامذته، وكان ذا مال وثروة، ثم طوف في أنحاء الديار، واستقر به المقام أخيراً في أثينا له تصانيف في الطبعيات، وعلم الفلك، والسلوك والرياضيات والهندسة.
انظر: كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٢٤ (ط السعادة بمصر)، وكتاب فلاسفة يونانيون من طاليس إلى سقراط للدكتور جعفر آل ياسين ص ١٢٨، ط ٢ ، ١٩٧٥م.

(٣) هكذا ورد في جميع النسخ، ولم أقف له على ترجمة، فلعل الاسم محرف والله أعلم.

(٤) في ك، ط (يكن).

(٥) في ك، ط (الذي) بدل (أن).

(٦) في س، ك، ط (عن).

(٧) سبق توضيح معنى الهيولي.

(٨) في س (صلبوه هل كان) وفي ك، ط (صلبوه قد كان).

(٩) سقطت (من) من ط .

يبالغون في طلب اليهود، وعقوبتهم في آخر[1] صومهم الأيام التي تشبه أيام الصليب، وإن كان أولئك اليهود عصاة لله فهل كان قادراً على منعهم من هذه المعصية أم لا؟ فإن لم يكن قادراً لم يكن قادراً على منع إبليس من ظلم الذرية في الزمن المستقبل وإن كان قادراً على منعهم من المعاصي ولم يمنعهم كان قادراً على منع إبليس بدون هذه الحيلة، وإذا[2] كان حسناً منه تمكينهم من هذه المعصية كان حسناً منه تمكين إبليس من ظلم الذرية في الماضي والمستقبل فلا حاجة إلى الحيلة عليه.

واعلم: أن الوجوه الدالة على فساد دين النصارى كثيرة جداً، وكلما تصور العاقل مذهبهم، وتصور لوازمه، تبين له فساده، لكن المقصود هنا بيان تناقضهم في أنهم يقيمون عذر أنفسهم في ترك الإيمان بكتابه ورسوله ودينه لكونه ــ سبحانه ــ عدلاً لا يأمر[3] الناس بما يعجزون عنه، وهو ــ سبحانه ــ لم يأمرهم إلاَّ بما يقدرون عليه وقد نسبوا إليه من الظلم ما لم ينسبه إليه أحد من بني آدم يوضح هذا:

الوجه الحادي عشر: وهو أنه[4] إما أن يقال[5] في الظلم بقول[6] الجهمية المجبرة الذين يقولون يفعل ما يشاء بلا حكمة ولا سبب

---

(١) زاد في أ هنا جملة سبق الإتيان بها قبل أسطر ولا مكان لها وهي (في آخر رأسهم ماني نصرانياً مجوسياً فالنسب بين النصارى والمجوس بل وسائر المشركين معروف)، ويبدو أن هذا سهو من الناسخ.

(٢) في ك، ط (وإن).

(٣) في س (لا يأمرون).

(٤) سقطت (أنه) من ك، ط.

(٥) في ك، ط (تقول).

(٦) في ك، ط (كما تقول).

ولا مراعاة عدل، وإما أن يقال بقول القدرية أنه يجب عليه العدل الذي يجب على المخلوقين، وإما أن يقال هو عادل منزه عن الظلم ولكن ليس عدله كعدل المخلوق، فهذه أقوال الناس الثلاثة.

فإن قيل بالأول: جاز أن يسلط إبليس على جميع الذرية بلا ذنب وأن يعاقبهم جميعاً بلا ذنب، ولا حاجة حينئذٍ إلى الحيلة على إبليس.

وإن قيل بالثاني: فمعلوم أن الواحد من الناس لو علم أن بعض مماليكه أمر[1] غيره بذنب يكرهه السيد ففعله كان العدل منه أن يعاقب الآمر والمأمور جميعاً.

وأما تسليطه للآمر على عقوبة المأمور فليس من العدل وكذلك تسليط الآمر الظالم على جميع ذرية المأمور الذين لم يذنبوا ذنب أبيهم ليس من العدل.

وإن قيل: بل هو استحق أن يستعبدهم لكون أبيهم أطاعه قيل: فحينئذٍ يستحق أن يأسر الأولين والآخرين فلا يجوز أن يمنع من حقه بالاحتيال عليه.

وإن قيل: إنما يستحق أخذهم خطاياهم، قيل: فله أن يأخذ الأولين والآخرين.

وإن قيل: هو لما طلب أخذ روح ناسوت المسيح منع بهذا الذنب؟ قيل: هذا إن كان ذنباً فهو أخف ذنوبه فإنه لم يعلم أنه[2] ناسوت الإلّه وإذا[3] استحق الرجل أن يسترق أولاد غيره فطلب رجلاً

---

(١) في ك، ط (أمره).

(٢) سقطت (أنه) من س.

(٣) في ط (فإذا).

ليسترقه لظنه أنه منهم، ولم يكن منهم لم يكن هذا ذنباً يمنع استرقاق الباقين.

وإن قيل: إن عدل الرب ليس كعدل المخلوقين بل من عدله أن لا ينقص أحداً من حسناته ولا يعاقبه إلاَّ بذنبه لم يجز حينئذٍ أن يعاقب ذرية آدم بذنب أبيهم، ولم يجز أن يعاقب الأنبياء الذين ليس لهم ذنب إلاَّ ذنب تابوا منه بذنب غيرهم فإن[1] الأنبياء معصومون أن يقروا على ذنب، فكل من مات منهم مات وليس له ذنب يستحق عليه العقوبة فكيف يعاقبون بعد الموت بذنب أبيهم إن قدر أنه مات مصراً على الذنب مع أن هذا تقدير باطل، ولو قدر أن الأنبياء لهم خطايا يستحقون بها العقوبة بعد الموت وتسليط إبليس على عقوبتهم مع أن هذا تقدير باطل، فمن بعد المسيح من غير الأنبياء أولى بذلك، فكيف يجوز في العدل الذي يوجب التسوية بين[2] المتماثلين عقوبة الأنبياء ومنع عقوبة من هو دونهم بل من[3] هو من الكفار؟

الوجه الثاني عشر: أن الرب إذا قصد بهذا دفع ظلم إبليس فهلا اتحد بناسوت بعض أولاد آدم ليحتال على إبليس فيمنعه من ظلم من تقدم، فإن المنع من الشر الكثير أولى من المنع من الشر القليل، أتراه ما كان يعلم أن إبليس يعمل هذا الشر كله؟ فهذا تجهيل له، أو كان يعرف[4] وعجز عن دفعه فهذا تعجيز له، ثم ما الفرق بين زمان وزمان؟ أم كان ترك منعه عدلاً منه فهو عدل في كل زمان؟



---

(١) في س (وأن) وفي ك، ط (بأن).
(٢) في أ (مـن)، وما أثبتناه من سائر النسخ هو الصواب.
(٣) سقطت (من) من س.
(٤) في ك، ط (يعترف).

فصل

الردّ على النّصارى في دعواهم أنْ مَنْ في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ يبتغ غيْرَ الإسْلاَمِ ديناً . . .﴾ تقتضي العرب وحدهم

وأما تفسيرهم لقوله ـ تعالى ـ:

﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[1].

بأن مراده قومه كما قالوا.

وأما قوله[2] ـ تعالى ـ:

﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾.

يريد بحسب مقتضى العدل قومه الذين أتاهم بلغتهم لا غيرهم ممن لم يأتهم بما جاء فيه[3].

فيقال لهم من فسر مراد متكلم: أي متكلم كان بما يعلم الناس أنه خلاف مراده فهو كاذب مفتر عليه، وإن كان المتكلم من آحاد العامة، ولو كان المتكلم من المتنبئين الكذابين، فإن من عرف كذبه إذا تكلم بكلام وعرف مراده به لم يجز أن يكذب عليه، فيقال: أراد كذا

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٨٥.

(٢) من قوله: (وأما قوله ـ تعالى ـ إلى آخر الآية/ ساقط من س).

(٣) في ط (به).

وكذا فإن الكذب حرام قبيح على كل أحد سواء كان صادقاً أو كاذباً، فكيف بمن يفسر مراد الله ورسوله بما يعلم كل من خبر حاله علماً ضرورياً أنه لم يرد ذلك بل يعلم علماً ضرورياً أنه أراد العموم؟

فإن قوله ــ تعالى ــ : ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً[2]...﴾ صيغة عامة، وصيغة «من» الشرطية من أبلغ صيغ العموم كقوله ــ تعالى ــ :

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[1].

ثم إن سياق الكلام يدل على أنه أراد أهل الكتاب وغيرهم، فإن هذا في سورة آل عمران في أثناء مخاطبته لأهل الكتاب ومناظرته للنصارى، فإنها نزلت لما قدم على النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وفد نجران النصارى، وروى أنهم كانوا ستين راكباً، وفيهم السيد، والأيهم، والعاقب، وقصتهم مشهورة معروفة كما تقدم ذكرها[3].

وقد قال قبل هذا الكلام بذم دين النصارى الذي[4] ابتدعوه وغيروا به * دين المسيح ولبسوا الحق الذي بعث به المسيح بالباطل الذي ابتدعوه

---

(١) سورة الزلزلة: الآيتان ٧، ٨.

(٢) جاءت هذه الآية: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام...﴾ الآية بعد قوله ــ تعالى ــ : ﴿أفغير دين الله يبغون...﴾ الآية ٨٣ من آل عمران، قال ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ اختصم أهل الكتابين إلى رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فيما اختلفوا بينهم من دين إبراهيم، كل فرقة زعمت أنها أولى بدينه فقال النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ كلا الفريقين بريء من دين إبراهيم فغضبوا، وقالوا والله ما نرضى بقضائك، ولا نأخذ بدينك، فأنزل الله ــ تعالى ــ : ﴿أفغير دين الله يبغون...﴾.
انظر: أسباب النزول للواحدي ص ٨٢، ٨٣.

(٣) تقدم ذكرها، وتخريجها من مظانها في أول الكتاب.

(٤) في ط (الذين).

حتى صار دينهم مركباً من حق وباطل، واختلط أحدهما بالآخر فلا يكاد يوجد معه من يعرف ما نسخه المسيح من شريعة التوراة مما أقره والمسيح قرر أكثر شرع التوراة، وغير المعنى، وعامة النصارى لا يميزون ما قرره مما غيره فلا يعرف دين المسيح *[1].

قال ـ تعالى ـ :

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[2].

فقد بين أن من اتخذ الملائكة والنبيين أرباباً فهو كافر، فمن اتخذ من دونهم أرباباً كان أولى بالكفر، وقد ذكر أن النصارى اتخذوا من هو دونهم أرباباً بقوله ـ تعالى ـ :

﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[3].

ثم قال ـ تعالى ـ في سورة[4] آل عمران:

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ

---

(١) ما بين النجمتين من قوله (دين المسيح ولبسوا به الحق. . . إلى قوله فلا يعرف دين المسيح) ساقط من أ وبعضه ساقط من ك، وما أثبتناه من نسخة س، ط.

(٢) سورة آل عمران: الآيتان ٧٩، ٨٠.

(٣) سورة التوبة: الآية ٣١.

(٤) سقطت (سورة) من أ، س، ك.

﴿... جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[1].

قال ابن عباس وغيره من السلف: ما بعث الله نبياً إلَّا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه[*]، والآية تدل على ما قالوا، فإن قوله ـ تعالى ـ :

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ﴾: يتناول جميع النبيين.

﴿... لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ...﴾[2].

وهذه اللام الأولى تسمى: اللام الموطئة للقسم، واللام الثانية تسمى: لام جواب القسم، والكلام إذا اجتمع فيه شرط وقسم وقدم القسم سد جواب القسم مسد جواب الشرط، والقسم كقوله ـ تعالى ـ :

﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾[3].

ومنه قوله ـ تعالى ـ :

﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[4].

---

(1) سورة آل عمران: الآية ٨١.

(*) أخرجه ابن جرير بسنده عن ابن عباس، وعن علي بن أبي طالب، وعن عكرمة، وعن السدي. انظر: تفسير ابن جرير الطبري ٣/٢٣٦ ـ ٢٣٧ (مجلد ٣)؛ وانظر تفسير ابن كثير ١/٢٧٧ ـ ٢٧٨، تفسير آية ٨١: آل عمران، وفتح القدير للشوكاني ١/٣٥٦ ـ ٣٥٧.

(2) سورة آل عمران: الآية ٨١.

(3) سورة الحشر: الآية ١٢.

(4) سورة التوبة: الآية ٧٥.

وقوله:

﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ...﴾[1].

وقوله:

﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ...﴾[2].

وقوله:

﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ...﴾[3].

ومنه قوله:

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ...﴾[4].

(وقوله)[5]:

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ...﴾[6].

(وقوله)[7]:

﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ...﴾[8].

وقوله:

﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ...﴾[9].

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٠٩.
(٢) سورة النور: الآية ٥٣.
(٣) سورة فاطر: الآية ٤٢.
(٤) سورة لقمان: الآية ٢٥.
(٥) سقطت (وقوله) من جميع النسخ عدا ط.
(٦) سورة التوبة: الآية ٦٥.
(٧) سقطت (وقوله) من جميع النسخ عدا ط.
(٨) سورة الأعراف: الآية ١٤٩.
(٩) سورة الأحزاب: الآية ٦٠.

وقوله[1]:

﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ . . . ﴾[2].

وقوله:

﴿ . . . وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[3].

وقوله:

﴿ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ . . . ﴾[4].

وقوله[5]:

﴿ وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴾[6].

وقوله:

﴿ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ . . . ﴾[7].

وقوله:

﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ . . . ﴾[8].

ومثل هذا كثير وحيث لم[9] يذكر القسم فهو محذوف مراد تقدير

---

(١) (وقوله) ساقطة من جميع النسخ عدا ط.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٨٦.

(٣) سورة المائدة: الآية ٧٣.

(٤) سورة يوسف: الآية ٣٢.

(٥) في ط (قوله تعالى).

(٦) سورة الروم: الآية ٥٨.

(٧) سورة العنكبوت: الآية ١٠.

(٨) سورة هود: الآية ٨.

(٩) سقطت (لم) من أ، وجاءت الجملة هكذا (وحيث ذكر القسم فهو محذوف مراد) وهي لازمة للسياق كما أثبتناها من س، ك، ط.

الكلام ـ والله ـ ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ...﴾ ـ والله ـ ﴿...وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ...﴾[1].

ومن محاسن لغة العرب أنها تحذف من الكلام ما يدل المذكور عليه اختصاراً وإيجازاً، لا سيما فيما يكثر استعماله[2] كالقسم، (وقوله)[3]:

﴿... لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ...﴾[4].

هي ما الشرطية والتقدير، أي شيء أعطيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه، ولا تكتفوا بما عندكم عما جاء به ولا يحملنكم ما آتيتكم من كتاب وحكمة على أن تتركوا متابعته، بل عليكم أن تؤمنوا به وتنصروه، وإن كان معكم من قبله من كتاب وحكمة فلا يغنيكم[5] ما آتيتكم عما جاء به فإن ذلك لا ينجيكم من عذاب الله.

فدل ذلك على أنه[6] من أدرك محمداً من الأنبياء وأتباعهم وإن كان معه كتاب وحكمة فعليه أن يؤمن بمحمد وينصره كما قال:

﴿... لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ...﴾[7].

---

(١) سورة الحشر: الآية ١٢.

(٢) في س (استحاله) وهو تصحيف ظاهر.

(٣) سقطت (وقوله) من أ.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٨١.

(٥) في س، ط (فلا تستغنوا بما) وسقط من قوله: (فلا يغنيكم) إلى (عذاب الله) من ك.

(٦) في ط (أن).

(٧) سورة آل عمران: الآية ٨١.

وقد أقر الأنبياء بهذا الميثاق وشهد الله عليهم به كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ . . . ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾(1) .

ثم قال ـ تعالى ـ :

﴿ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾(2) .

ثم قال ـ تعالى ـ :

﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾(3) .

ثم قال ـ تعالى ـ :

﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾(4) .

ثم قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾(5) .

---

(1) سورة آل عمران: الآية ٨١.

(2) سورة آل عمران: الآية ٨٢. وسقطت هذه الآية من أ.

(3) سورة آل عمران: الآية ٨٣.

(4) سورة آل عمران: الآية ٨٤.

(5) سورة آل عمران: الآية ٨٥.

قالت[1] طائفة من السلف[2]: لما أنزل الله هذه الآية قال من قال من اليهود والنصارى نحن مسلمون. فقال ـ تعالى ـ:

﴿. . . وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا . . .﴾[3].

فقالوا: لا نحج. فقال ـ تعالى ـ:

﴿. . . وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[4].

فكل من لم ير[5] حج البيت واجباً عليه مع الاستطاعة فهو كافر باتفاق المسلمين كما دل عليه القرآن.

واليهود والنصارى لا يرونه واجباً عليهم فهم من الكفار حتى أنه روى في حديث مرفوع إلى النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «من ملك زاداً وراحلة تبلغه إلى بيت الله ولم يحج فليمت إن شاء[6] يهودياً وإن شاء نصرانياً»[7].

---

(1) في أ، س، ك (قال).

(2) أخرج ابن جرير بسنده عن عكرمة، قال: لما نزلت: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً. . .﴾ الآية، قالت اليهود: فنحن مسلمون، قال الله ـ عز وجل ـ: لنبيه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قل لهم إن لله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً، ومن كفر من أهل الملل فإن الله غني عن العالمين.
انظر: تفسير ابن جرير الطبري ٣/٢٤١ (المجلد الثالث) عند آية ٨٥ آل عمران.

(3) سورة آل عمران: الآية ٩٧.

(4) سورة آل عمران: الآية ٩٧.

(5) في س، ك (يرا).

(6) في ط (إن شاء الله).

(7) رواه الترمذي في كتاب الحج، باب التغليظ في ترك الحج ٣/١٧٦ (٨١٢) بسنده عن علي بن أبي طالب يرفعه. ثم قال: وهذا حديث غريب لا نعرفه إلاَّ من هذا الوجه، وفي إسناده مقال. وهلال بن عبد الله ـ أحد رجال السند ـ مجهول والحارث يضعف في الحديث، وقد ذكر هذا ابن حجر أيضاً في كتابه تلخيص الحبير ٢/٢٢٢، ثم ذكر عدة طرق كلها ضعيفة، ثم قال: «وله طريق صحيحة إلاَّ =

وهو محفوظ من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه[1]، وقد اتفق المسلمون على أن من جحد وجوب *مباني الإسلام الخمس*[2]: الشهادتين، والصلوات الخمس، والزكاة وصيام شهر رمضان، وحج البيت فإنه كافر.

وأيضاً فقد قال ـ تعالى ـ في أول السورة[3]:

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[4].

= أنها موقوفة رواها سعيد بن منصور، والبيهقي عن عمر بن الخطاب..» ولفظ البيهقي أن عمر قال: ليمت يهودياً أو نصرانياً ـ يقولها ثلاث مرات ـ رجل مات ولم يحج، ووجد لذلك سعة، وخليت سبيله. قال الحافظ ابن حجر: «وإذا انضم هذا الموقوف إلى مرسل ابن سابط (وهي إحدى الطرق التي ذكرها في مستهل كلامه عن هذا الحديث) علم أن لهذا الحديث أصلاً، ومحمله على من استحل الترك، وتبين بذلك خطأ من ادعى أنه موضوع، والله أعلم.

وقد: أورده ابن الجوزي في الموضوعات ٢/٢٠٩ ـ ٢١٠ وذكر طرق الحديث كلها، ونقل أقوال العلماء من أئمة الجرح والتعديل في رجال أسانيده.

وانظر سنن البيهقي الكبرى ٤/٣٣٤، وحسن الأثر فيما فيه ضعف واختلاف من حديث وخبر وأثر، لمحمد بن السيد درويش الحوت ص ٢٢٣.

قال الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي في تعليقه في سنن الترمذي ٣/١٧٦: «لم يخرج هذا الحديث من أصحاب الكتب الستة سوى الترمذي».

(١) سقطت (رضي الله عنه) من أ، ك، ط.

(٢) سقط ما بين النجمتين من أ، وزدناه من سائر النسخ.

(٣) في س، ط (في أول سورة آل عمران).

(٤) سورة آل عمران: الآيات ١٨ ـ ٢٠.

فقد أمره[1] ـ تعالى ـ بعد قوله:

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ... ﴾[2].

أن يقول أسلمت وجهي لله، ومن اتبعن، وأن يقول للذين أوتوا الكتاب: وهم اليهود والنصارى، والأميين، وهم الذين لا كتاب لهم من العرب وغيرهم أأسلمتم فالعرب الأميون[3] يدخلون في لفظ الأميين باتفاق الناس.

وأما من سواهم: فإما أن يشمله هذا اللفظ أو يدخل في معناه بغيره من الألفاظ المبينة أنه أرسل إلى جميع الناس.

قال ـ تعالى ـ:

﴿ ... فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[4].

فقد أمر أهل الكتاب بالإسلام كما أمر به الأميين وجعلهم إذا أسلموا مهتدين، وإن لم يسلموا فقد قال: إنما عليك البلاغ، أي: تبلغهم رسالات ربك إليهم والله هو الذي يحاسبهم، فدل هذا[5] كله على أنه عليه أن يبلغ أهل الكتاب ما أمرهم به من الإسلام كما يبلغ الأميين، وأن الله يحاسبهم على ترك الإسلام كما يحاسب الأميين.

وفي الصحيحين عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في الكتاب الذي كتبه إلى هرقل ملك النصارى: «من محمد رسول الله[6] إلى هرقل

---

(١) في س (أمره الله).

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٩.

(٣) في أ (الأميين) وصححناه من سائر النسخ.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٢٠.

(٥) في س، ك، ط (بهذا).

(٦) سقط لفظ الجلالة من ط.

عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين»[1].

و[2] ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾[3].

وأبلغ من ذلك أن الله ـ تعالى ـ أخبر في كتابه أن الإسلام دين الأنبياء كنوح وإبراهيم، ويعقوب، وأتباعهم إلى الحواريين، وهذا تحقيق لقوله ـ تعالى ـ :

﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ ...﴾[4].

وإن الدين عند الله الإسلام في كل زمان ومكان.

قال ـ تعالى ـ عن نوح أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض:

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾[5].

فهذا نوح الذي غرق أهل الأرض بدعوته، وجعل جميع الآدميين

---

(١) سبق تخريج هذا الحديث في أول الكتاب.

(٢) سقطت الواو من ط.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٦٤.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٨٥.

(٥) سورة يونس: الآيتان ٧١، ٧٢.

من ذريته يذكر أنه أمر أن يكون[1] من المسلمين.

وأما الخليل فقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[2].

قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[3].

فقد أخبر ـ تعالى ـ أنه أمر الخليل بالإسلام، وأنه قال أسلمت لرب العالمين وأن إبراهيم وصى بنيه، * ويعقوب وصى بنيه *[4] أن لا يموتن إلاّ وهم مسلمون.

وقال ـ تعالى[5] ـ :

﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[6].

وقال ـ تعالى ـ عن يوسف الصديق بن يعقوب أنه قال:

---

(١) في أ، س، ك (أكون) وصححناه من ط.

(٢) سورة البقرة: الآيتان ١٢٧، ١٢٨.

(٣) سورة البقرة: الآيات ١٣٠، ١٣٢.

(٤) ما بين النجمتين ساقط من أ.

(٥) سقطت (تعالى) من أ، س.

(٦) سورة آل عمران: الآيتان ٦٧، ٦٨.

﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[1].

وقال ــ تعالى ــ عن موسى:

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾[2].

وقال عن السحرة الذين آمنوا بموسى:

﴿ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3].

وقالوا أيضاً[4]:

﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾[5].

وقال[6] ــ تعالى ــ في قصة سليمان:

﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾[7].

وقال:

﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾[8].

وقال[9]:

﴿ . . . وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ . . . ﴾[10].

---

(1) سورة يوسف: الآية ١٠١.
(2) سورة يونس: الآية ٨٤.
(3) سورة الشعراء: الآيتان ٥٠، ٥١.
(4) في ك، ط (وقال تعالى).
(5) سورة الأعراف: الآية ١٢٦.
(6) سقطت الواو من ط.
(7) سورة النمل: الآيتان ٣٠، ٣١.
(8) سورة النمل: الآية ٣٨.
(9) في ط (وقال تعالى).
(10) سورة النمل: الآية ٤٢.

وقال عن[1] بلقيس التي آمنت بسليمان:

﴿ . . . رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[2] .

وقال ــ عن أنبياء بني إسرائيل ــ :

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ . . . ﴾[3] .

وقال ــ تعالى ــ عن الحواريين:

﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾[4] .

* وقال ــ تعالى ــ *[5]:

﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾[6] .

فهؤلاء الأنبياء[7] وأتباعهم. كلهم يذكر[8] تعالى أنهم كانوا مسلمين، وهذا مما يبين أن قوله ــ تعالى ــ :

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ . . . ﴾[9] .

وقوله:

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ . . . ﴾[10] .

لا يختص بمن بعث إليه محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، بل

---

(1) في ط (وقال تعالى).

(2) سورة النمل: الآية ٤٤.

(3) سورة المائدة: الآية ٤٤.

(4) سورة المائدة: الآية ١١١.

(5) سقط ما بين النجمتين من جميع النسخ وزدناه من ط.

(6) سورة آل عمران: الآية ٨٥.

(7) في ك، ط (الأنبياء كلهم).

(8) في ط (يذكر الله).

(9) سورة آل عمران: الآية ٨٥.

(10) سورة آل عمران: الآية ١٩.

هو حكم عام في الأولين والآخرين، ولهذا قال ـ تعالى ـ :

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾[1] .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2] .

• • •

(١) سورة النساء: الآية ١٢٥.

(٢) سورة البقرة: الآيتان ١١١، ١١٢.

فصل

توسُّط المسلمين بين تقصير اليهود وغلوّ النصارى

قولهم: ثم وجدنا في هذا الكتاب من تعظيم السيد[1] المسيح وأمه حيث يقول في سورة الأنبياء[2]:

﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[3].

وقال في سورة آل عمران:

﴿وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[4].

مع الشهادات للسيد المسيح بالمعجزات، وأنه حبلت به أمه من غير مباضعة رجل لبشارة ملائكة[5] الله لأمه، وأنه تكلم في المهد، وأحيا[6] الميت، وأبرأ[7] الأكمه، ونقى الأبرص وأنه خلق من الطين كهيئة الطير فنفخ فيه فكان طائراً[8] بإذن الله. أي: بإذن اللاهوت الذي هو كلمة الله المتحدة في الناسوت، ووجدنا أيضاً في الكتاب أن الله رفعه إليه.

وقال في سورة النساء:

---

(١) سقطت (السيد) من أ.

(٢) في ط زيادة (هذا) بعد الأنبياء.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٩١.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٤٢.

(٥) في أ، س، ك (ملاك).

(٦) في ط (وإحياء).

(٧) في ط (وإبراء).

(٨) في ك، ط (طيراً).

﴿. . . وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ. . . ﴾[1].

وفي سورة آل عمران:

﴿. . . إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ. . . ﴾[2].

وقال في سورة البقرة:

﴿. . . وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ. . . ﴾[3].

وقال في سورة الحديد:

﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ. . . ﴾[4].

وقال في سورة آل عمران:

﴿. . . مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾[5].

ثم وجدناه يعظِّم إنجيلنا[6].

الجواب: أما تعظيم المسيح وأمه فهو حق، وكذلك مدح من كان

---

(١) سورة النساء: الآيتان ١٥٧، ١٥٨.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٥٥.

(٣) سورة البقرة: الآية ٨٧.

(٤) سورة الحديد: الآية ٢٧.

(٥) سورة آل عمران: الآيتان ١١٣، ١١٤.

(٦) من أول الفصل إلى هذا الموضع يوافق ورقة (٣) من نص المخطوط الذي وجدناه في المتحف القبطي برقم (١٢٥٤). مع اختلاف يسير في ألفاظه.

على دينه الذي لم يبدل قبل أن يبعث[1] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، أو بقي على ذلك إلى أن بعث محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم[2] ـ فآمن به، فإن هؤلاء مؤمنون مسلمون مهتدون، وكذلك من كان على دين موسى الذي لم يبدل إلى أن بعث المسيح فآمن به فهؤلاء مؤمنون مسلمون مهتدون، وقد قدمنا أن المسلمين هم عدل متوسطون لا ينحرفون إلى [3] غلو، ولا إلى تقصير[4].

وأما اليهود والنصارى: فهم على طرفي نقيض، هؤلاء ينحرفون إلى جهة، وهؤلاء إلى الجهة[5] التي تقابلها كما ذكرنا تقابلهم في النسخ، وكذلك تقابلهم في التحريم، والتحليل، والطهارة، والنجاسة. فإن اليهود حرمت عليهم الطيبات وهم يبالغون في اجتناب النجاسات

---

(١) في ك، ط (انبعث).

(٢) سقطت جملة (صلَّى الله عليه وسلَّم) من أ، س.

(٣) في س، ك، ط (لا إلى غلو).

(٤) قال القرافي ـ رحمه الله ـ الجواب على هذا من وجوه:

١ ـ أن تعظيمهما لا نزاع فيه، ولم تكفر النصارى بالتعظيم، وإنما كفرت بنسبة أمور إليهما لا يليق بجلال الربوبية، ولا بدناة البشرية من الأبوة والبنوة، والحلول والاتحاد واتخاذ الصاحبة والأولاد. . .

٢ ـ أنه إذا اعترف بأن القرآن العظيم ورد بما يعتقد أنه حق فهذا دليل على أن القرآن الكريم حق، فإن الباطل لا يؤكد الحق. بل المؤكد للحق حق جزماً فيكون القرآن الكريم حقاً قطعاً، وهذا هو سبب إسلام كثير من أحبار اليهود ورهبان النصارى.

٣ ـ أن هذا برهان ناطق على رجحان الإسلام على سائر الملل والأديان، فإنه مشتمل على تعظيم جميع الرسل، وجميع الكتب المنزلة.

انظر: الأجوبة الفاخرة للقرافي (رسالة ماجستير/ تحقيق زميلنا د. سالم بن محمد القرني) القسم الأول ص ١٥٣.

(٥) في س، ك (جهة).

حتى أن الحائض لا يؤاكلونها، ولا يساكنونها[1]، ولا يجامعونها[2]، وكانوا لا يرون إزالة النجاسة من الثوب بل يقرض موضعها، ويستخرجون الدم من العروق إلى غير ذلك من الآصار، والأغلال التي كانت عليهم.

وأما النصارى: ففي مقابلتهم تجد عامتهم لا يرون شيئاً حراماً، ولا نجساً إلَّا ما كرهه الإنسان بطبعه، ويصلون مع الجنابة، والحدث، وحمل النجاسات، ويأكلون الخبائث: كالدم، والميتة، ولحم الخزير، إلَّا من كره منهم شيئاً فتركه، والمسلمون وسط كما قال ـ تعالى ـ فيهم:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[3].

أي: عدلاً خياراً، قال[4] ـ تعالى ـ:

﴿ . . . وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ

---

(١) في ك، ط (يشاربونها).

(٢) ذكر السيوطي في لباب النقول ص ٣٥ ما نصه «روى مسلم والترمذي عن أنس أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة منهم لم يؤاكلوها، ولم يجامعوها في البيوت، فسأل أصحاب النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فأنزل الله ﴿ويسألونك عن المحيض. . .﴾ الآية فقال اصنعوا كل شيء إلَّا النكاح.
رواه مسلم في كتاب الحيض، باب في قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن المحيض. . . .﴾ الآية. انظر مختصر صحيح مسلم ص ٥٤ حديث رقم (١٧١)؛ ورواه الترمذي في كتاب التفسير حديث رقم (٢٩٧٧) ٥/٢١٤.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

(٤) في ك، ط (كما قال).

﴿وَيَنْهَاهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَالَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1].

ولهذا كان من انحرف من المسلمين إلى[2] شبه اليهود والنصارى، مأموراً بترك ذلك الانحراف، واتباع الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً، غير المغضوب عليهم كاليهود، وغير[3] الضالين كالنصارى.

وذلك مثل من يبالغ[4] في اجتناب النجاسات فينجس ما لم ينجسه الله ورسوله، ويحرم ما لم يحرمه الله ورسوله، ويأخذه الوسواس في اجتناب النجاسات، ويحرم طيبات[5] أحلها الله للمسلمين، مثل: من يرى أن القياس أن النجاسة لا تزول لا بماء ولا بغيره، أو يرى أنها وإن زالت فلم يبقَ[6] لها أثر فالمحل نجس إذا لم تزل بما يشترطه هو من الماء أو غيره[7]، أو يرى أن الطيبات التي

---

(١) سورة الأعراف: الآيتان ١٥٦، ١٥٧.

(٢) في أ (كما).

(٣) في ك، ط (ولا).

(٤) في ك، ط (بالغ).

(٥) في ط (الطيبات التي).

(٦) في أ (يبقى).

(٧) مذهب مالك، والشافعي، ومحمد بن الحسن، وزفر، ورواية عن أحمد أن الطهارة من النجاسة لا تحصل إلاَّ بما يحصل به طهارة الحدث لدخوله في عموم الطهارة ورجح هذا ابن قدامة في المغني ١/٩؛ والمقنع ١/٧٩.
وذهب أبو حنيفة إلى أنه يجوز إزالة النجاسة بكل مائع طاهر مزيل للعين والأثر كالخل، وماء الورد، وماء الشجر، وهذه رواية عن الإمام أحمد، واختارها الشيخ تقي الدين (ابن تيمية) وابن عقيل، قالوا لأن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قال: «إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً» فأطلق الغسل، وتقييده بالماء يحتاج إلى دليل، ولأنه مائع طاهر مزيل فزالت النجاسة به. =

أحلهـا الله حرام خبيثـة لأنها مستحيلة عن المحـرم مع أن الخـل حلال، وإن كان قد كان خمراً باتفاق المسلمين إذا بدا إلى حالته[1]، أو يرى أن المـاء الطيب، والمـائعات الـطيبة التي ليس فيهـا أثر من الخبيث حـرام لكـون الخبيث لاقاهـا، أو[2] استهلك فيها مـع أنها من الـطيبـات لا من الخبائث، أو يرى تحريم ما سوى موضـع الدم الـذي هو أذى، إلى غيـر ذلك من أقوال قالها بعض العلماء، ولكن غيرهم نازعهم في ذلك واتبـع ما دلَّ عليه الكتاب والسنة.

وأعظم من ذلك من يكفر من خالفه من المسلمين، ويرى نجـاسة الكفار كما[3] عليه كثير من أهل البدع من الـرافضة والخـوارج وغيرهم، فإذا أكل غيرهم من وعائهم نجسه عندهم، وأما ما يفعله كثيـر من الناس من غير أن يقوله عالم مثل من يغسل يـديه، وثيـابه، وحصـر بيته بتـوهم نجـاستهـا، أو يـأمـر الحـائض إذا طهـرت أن تبـدل ثيـابهـا الأول أو[4] تغسلها، أو يمنع الجنب أن يـأكل * أو يشـرب حتى يغتسل *[5]، فهـذا كثير فيمن يشبه اليهود بل يشبه سامرة اليهود[6].

وأما من يشبه النصارى: فمثل من يحسن الظن بمن لا يتطهر، ولا

= انظر: المغني ١/٩ ـ ١٠ والمقنع ١/٧٩ والكافي لابن عبد البـر ١/١٦٢ ومجموع الفتاوى ٢١/٤٧٤.

(١) في أ، س (بد الله بإحالته) وهي جملة مضطربة. (٢) سقطت (أو) من ط.

(٣) في ك، ط (كما دل عليه)، ولا مكان لكلمة (دل) في هذه الجملة.

(٤) في س (و). (٥) سقط ما بين النجمتين من أ وزدناه من سائر النسخ.

(٦) ذكر ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ جملاً مفيـدة ـ في كتابـه القيم تلبيس إبليس ـ فيما يتعلق بتلبيس الشيـطان على العباد في الـوضوء وغيـره في ص ١٣٥ ـ ١٣٧ وأرجـع ذلك إلى الجهل وقال: «اعلم أن الباب الأعظم الذي يـدخل منـه إبليس على الناس هـو الجهل، فهـو يدخـل منه على الجهـال بأمـان، وأما العـالم فلا يـدخل عليـه إلاَّ مسـارقـة، وقـد لبس إبليس على كثيـر من المتعبـدين بقلة علمهم؛ لأن جمهـورهم يشتغل بالتعبد، ولم يحكم العلم. . .» إلخ. ما ذكره من كلام مفيد في هذا الباب.

يصلي من المنسوبين إلى الفقر والزهد والعبادة[1]، مثل من يكون في مواضع الشياطين والنجاسات. كالحمام، والأتاتين[2]، والمزابل وهو متلوث[3] بالبول والعذرة ويعاشر[4] الكلاب ولا يتوضأ ولا يغتسل من الجنابة، بل ولا يصلي أو[5] يصلي بلا وضوء، وقد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن الصلوات الخمس فرض على كل أحد، وأن الوضوء من الحدث، والاغتسال من الجنابة فرض لا[6] يصلي إلاَّ به مع القدرة، ولا[7] يتيمم مع القدرة. فمن أنكر وجوب ذلك فهو كافر باتفاق المسلمين.

---

(١) يشير المؤلف إلى الصوفية الذين ابتدعوا في دين الله، وأحدثوا فيه ما ليس منه، واتبعوا ما رتبه لهم مشائخهم الجهال، الذين رتبوا لهم ترتيبات في المطاعم، وصنفوا مصنفات في رياضة النفوس، وابتدعوا كثيراً من الأقوال والأعمال التي لم يرد بها كتاب ولا سنّة ولا إجماع من سلف الأمة، يقول ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ «وكان أصل تلبيس إبليس عليهم أنه صدهم عن العلم، وأراهم أن المقصود العمل، فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخبطوا في الظلمات. . .» وقد مرت الصوفية بمراحل عديدة كان آخرها مرحلة وحدة الوجود التي يبطن أصحابها الكفر والإلحاد، ويبيحون المحظورات، بل يجعلونها عبادة يدينون بها ويؤثرونها على الصلوات، أعاذنا الله من الزيغ والضلال.

انظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١٦٢؛ ومجموع الفتاوى لابن تيمية ١١/١٩٥؛ وصفوة الصفوة لابن الجوزي ١/٢٥ بتحقيق محمد الفاخوري، ومقدمة ابن خلدون ص ٤٧٣؛ والصلة بين التصوف والتشيع للدكتور مصطفى كامل الشيبي ص ٣٧٦؛ والتصوف بين الحق والخلق لمحمد فهر شقفه، وهذه هي الصوفية لعبد الرحمن الوكيل.

(٢) الأتاتين: قال في المصباح المنير: ١/٤ «الأتون وزان رسول قال الأزهري هو للحمام والجصاصة وجمعته العرب أتاتين بتاءين نقلا عن الفراء. . .». وجاء في مختار الصحاح ص ٤ «الأتون بالتشديد الموقد والعامة تخففه وجمعه أتاتين».

وانظر القاموس المحيط ٤/١٩٤/ باب النون فصل الهمزة.

(٣) في ط (ملوث).

(٤) في ط (ويباشر).

(٥) في ك، ط (أو و).

(٦) في ك، ط (ولا).

(٧) في س، ك، ط (وأن لا).

ومن جعل الزاهد العابد الذي له نوع من الخوارق مثل نوع من الكشف والتصرف الذي يكون من الشياطين[1]، والجهال يظنون أنه من كرامات أولياء الله إذا لم يكن يصلي الصلوات الخمس ويتوضأ ويغتسل من الجنابة من المؤمنين، أو من أولياء الله فهو كافر باتفاق المسلمين، ومن لم يحرم الخبائث التي حرمها الله ورسوله كالبول والعذرة والدم والميتة ولحم الخنزير والخمر فهو كافر باتفاق المسلمين، ومن جعل مستحل ذلك مع العلم بمخالفته لدين الرسول ولياً لله فهو كافر باتفاق المسلمين، وكذلك فيمن ينتحل الإسلام ويذم أهل الكتاب من يكون منافقاً في الدرك الأسفل من النار، ويكون كثير من اليهود والنصارى أخف عذاباً في الآخرة منه. قال الله[2] ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[3].

وكذلك المسلمون وأهل السنة في المسلمين وكذلك[4] في التوحيد فإن اليهود شبهوا الخالق بالمخلوق فيما يختص بالمخلوق، وهو صفات النقص الذي يجب تنزيه الرب عنها. والنصارى شبهوا المخلوق بالخالق فيما يختص بالخالق، وهو صفات الكمال التي لا يستحقها إلاَّ الله ـ تبارك تعالى ـ : فقال من قال من اليهود:

---

(١) انظر تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٣٧٧ ذكر حكايات كثيرة موضوعة في الكرامات، وذكر المخاريق الشيطانية التي لبس بها الحلاج وغيره على كثير من الناس.

(٢) سقط لفظ الجلالة من ك، ط.

(٣) سورة النساء: الآيتان ١٤٥، ١٤٦.

(٤) سقطت (وكذلك) من ك، ط.

﴿ . . . إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴾[1].

وقالوا:

﴿ . . . يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ . . . ﴾[2].

وهو بخيل، وقالوا: إنه خلق العالم فتعب فاستراح.

وحكى عن بعضهم أنه قال: بكى على الطوفان حتى رمد وعادته الملائكة، وأنه ناح على بعض من أهلكه من عباده كما ينوح المصاب على ميته[3]، وأمثال ذلك مما يتعالى الله عنه ويتقدس ــ سبحانه وتعالى ــ .

وأيضاً فهم يستكبرون عن عبادة الله وطاعة رسله، ويعصون أمره ويتعدون حدوده، ولا يجوزون له أن ينسخ ما شرعه بل يحجرون عليه.

والنصارى يصفون المخلوق بما يتصف به الخالق فيجعلونه[4] رب

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٨١.

(٢) سورة المائدة: الآية ٦٤.

(٣) ورد في سفر التكوين: إصحاح ٦:٦ ــ ٨ ما نصه «ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض. . . إلخ.

وجاء في التلمود ــ الذي هو كتاب تشريعاتهم وأخلاقهم ــ أن الله ندم، وحزن بعد خراب هيكل أورشليم. وأنه من ذلك الوقت لم يعد له جلد على اللعب والرقص، كما كان يصنع في الأزمان السالفة. وأول رقصة رقصها مع حواء، أما من بعد تدمير الهيكل فإنه لم ينقطع عن البكاء والنحيب؛ لأنه ارتكب خطيئة ثقيلة، وهو يطوي ثلاثة أرباع الليل منكمشاً على ذاته مالئاً الدنيا زئيراً كالأسد الصريع، ثم يصرخ الويل لي لأني تركت بيتي ينهب، وهيكلي يحرق، وأولادي يتشتتون». تعالى الله عما يقوله الظالمون علواً كبيراً.

انظر: كتاب همجية التعاليم الصهيونية ص ٣١.

(٤) في ك، (فجعلوه) وفي أ، س (فيجعلوه).

العالمين خالق كل شيء ومليكه الذي هو بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، والمسيح ابن مريم وما أمروا إلّا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلّا هو ــ سبحانه ــ عما يشركون واتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً[1] وصوروا تماثيل المخلوقات واتخذوهم شفعاء يشفعون لهم عند الله كما فعل[2] عباد الأوثان كما قال الله[3] ــ تعالى ــ :

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِۚ . . . ﴾[4].

ولهذا قال ــ تعالى ــ :

﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[5].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍۚ . . . ﴾[6].

والمسلمون وسط يصفون الله بما وصف به نفسه، ووصفه به رسله من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، يصفونه بصفات الكمال، وينزهونه عن النقائص التي تمتنع على الخالق ولا يتصف بها

---

(١) في ك، ط (أرباباً من دون الله).
(٢) في س، ك، ط (فعلت).
(٣) سقط لفظ الجلالة من ك، ط.
(٤) سورة يونس: الآية ١٨.
(٥) سورة الأنعام: الآية ٥١.
(٦) سورة السجدة: الآية ٤.

إلاَّ[1] المخلوق، فيصفونه بالحياة والعلم[2] والقدرة، والرحمة والعدل، والإحسان وينزهونه عن الموت. والنوم، والجهل، والعجز، والظلم، والفناء، ويعلمون مع ذلك أنه لا مثيل له في شيء من صفات الكمال فلا أحد يعلم كعلمه، ولا يقدر كقدرته، ولا يرحم كرحمته، ولا يسمع كسمعه ولا يبصر كبصره، ولا يخلق كخلقه، ولا يستوي كاستوائه، ولا يأتي كإتيانه، ولا ينزل كنزوله كما قال ـ تعالى ـ :

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[3].

ولا يصفون أحداً من المخلوقين بخصائص الخالق ـ جل جلاله ـ ، بل كل ما سواه من الملائكة والأنبياء وسائر الخلق فقير إليه عبد له، وهو الصمد الذي يحتاج إليه كل شيء، ويسأله كل أحد، وهو غني بنفسه لا يحتاج إلى أحد في شيء من الأشياء كما قال ـ تعالى ـ :

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۝٨٨ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ۝٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ۝٩١ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝٩٣ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝٩٤ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾[4].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ

---

(١) سقطت (إلاَّ) من س، ك، ط وهي في أ ولازمة للسياق.

(٢) سقطت لفظة (العلم) من ك، ط.

(٣) سورة الإخلاص.

(٤) سورة مريم: الآيات ٨٨ ـ ٩٥.

﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[1].

وكذلك هم في المسيح، فالنصارى يقولون: هو الله، ويقولون: أيضاً هو[2]: ابن الله وهو إله تام وإنسان تام، واليهود يقولون: هو ولد زنا، وهو ابن يوسف النجار، * ويقولون عن مريم: إنها بغي بعيسى كما قال ــ تعالى ــ: ﴿... وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا﴾ *[3].

ويقولون[4] هو ساحر كذاب.

وأما المسلمون فيقولون: هو عبد الله ورسوله * وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول وروح منه *[5]، وهو وجيه في الدنيا والآخرة، ومن المقربين، ويصفونه بما وصفه الله به في كتابه لا يغلون فيه غلو النصارى، ولا يقصرون في حقه تقصير اليهود، وكذلك قولهم في سائر الأنبياء والمرسلين: وفي أولياء الله. فاليهود قتلوا النبيين والذين يأمرون بالقسط من الناس. والنصارى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من

---

(١) سورة النساء: الآيات ١٧١ ــ ١٧٣.

(٢) سقطت (هو) من ك، ط.

(٣) الآية من سورة النساء: ١٥٦ وما بين النجمتين ساقط من أ.

(٤) في س، ك، ط (ويقولون عنه).

(٥) ما بين النجمتين ساقط من أ، ك وزدناه من س، ط.

دون الله والمسيح بن مريم، وما أمروا إلَّا ليعبدوا إلٰهاً واحداً لا إلٰه إلَّا هو ــ سبحانه ــ عما يشركون، ومع هذا فقد شارك النصارى اليهود في نقص حق كثير من الأنبياء فيقولون أن سليمان لم يكن نبياً[1]، ويقولون: إن الحواريين مثل موسى وإبراهيم، ويقولون: إن من عمل بوصايا الله من غير الأنبياء صار مثل الأنبياء، وكان له أن يشرع شريعة، وبعض اليهود غلوا في العزير[2] حتى قالوا ــ إنه ابن الله.

ولهذا قال نبينا ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في الحديث الصحيح «لا تطروني كما أطرت النصارى[3] عيسى بن مريم فإنما أنا عبد الله فقولوا عبد الله ورسوله»[4].

---

(١) ويرجع ذلك إلى أن كتَّاب العهد القديم قد خلعوا صوراً مقيتة على أنبياء الله جميعاً، وقد صور النبي الكريم سليمان ــ عليه السلام ــ في سفر الملوك الأول في الإصحاح الأول منه بأنه رجل ملك وسياسة صارع (أدونيا بن حجيث) الذي حاول أن يتولى الملك بعد داود ــ عليه السلام ــ ، فأخذ سليمان يقتل ويبطش. . .إلخ ما وصفه به الكاتب كعادتهم في وصف كثير من الأنبياء ــ عليهم السلام ــ ، وقبح الله أعداءه وأعداء أنبيائه.

وانظر تفصيلاً عن النبي سليمان ــ عليه السلام ــ في كتاب التراث الإسرائيلي في العهد القديم وموقف القرآن الكريم منه للدكتور صابر طعيمه ص ٥١٧ ــ ٥٤٥، ص ٧٦٤ حيث تحدث عن النبي سليمان في رؤية العهد القديم، وعنه في عطاء القرآن الكريم.

(٢) في ط (العزيز) بالزاي المعجمة، وسبقت ترجمته.

(٣) في أ زيادة (المسيح) بعد كلمة النصارى، وليست في الحديث.

(٤) رواه الإمام البخاري في كتاب الأنبياء، باب واذكر في الكتاب مريم، عن ابن عباس أنه سمع عمر ــ رضي الله عنه ــ يقول على المنبر: سمعت رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يقول لا تطروني. . . الحديث في البخاري ١٤٢/٤، وأحمد في المسند ٢٣/١، ٢٤، ٥٥ وفيه بقية خطبة عمر ــ رضي الله عنه ــ. والدارمي في السنن، باب قول النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لا تطروني ٣٢٠/٢ كتاب الرقائق؛ والحميدي في مسنده ١٦/١ (٢٧).

والله ـ تعالى ـ ذكر في القرآن في سورة (كهيعص) قصة ابني الخالة يحيى وعيسى. ويحيى يسمونه النصارى يوحنا وهو يوحنا[1] المعمداني عندهم فقال ـ تعالى ـ بعد أن ذكر قصة يحيى:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦) فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩) قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠) قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا (٢١) فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا (٢٣) فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا (٢٦) فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ

---

(١) سقطت جملة (وهو يوحنا) من س، ط.

ويوحنا هو يحيى بن زكريا ـ عليهما السلام ـ الذي ورد ذكره في القرآن الكريم: في سورة آل عمران، وفي سورة مريم، وفي سورة الأنبياء، وهو ابن خالة عيسى ـ عليه السلام ـ على قول الجمهور، وقد أورد ابن كثير في تاريخه ٢/٥٢ ـ ٥٥ له ترجمة طويلة، وذكر سبب مقتله، وورد ذكره في كتب العهد الجديد في إنجيل مرقس ٦/٢٠؛ ومتى ١٤/١ ـ ٢؛ ولوقا الإصحاح الأول منه.

وانظر تفصيلاً عنه في: كتاب مستقل للدكتور أحمد السقا بعنوان: يوحنا المعمدان بين الإسلام والنصرانية.

وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾[1].

ثم قال الله ـ تعالى ـ :

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[2].

فذكر ـ سبحانه ـ قصة مريم والمسيح في هذه السورة المكية التي أنزلها في أول الأمر بمكة في السور التي ذكر فيها أصول الدين المدنية التي يخاطب فيها من اتبع الأنبياء من أهل الكتاب والمؤمنين، لما قدم عليه نصارى نجران فكان فيها الخطاب لأهل الكتاب فقال ـ تعالى ـ :

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[3].

* وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ أنه قال: «ما من مولود إلّا يمسه الشيطان فيستهل صارخاً من

(1) سورة مريم: الآيات ١٦ ـ ٣٣.
(2) سورة مريم: الآيات ٣٤ ـ ٣٨.
(3) سورة آل عمران: الآيات ٣٣ ـ ٣٦.

الشيطان إلاَّ مريم وابنها». ثم يقول أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم (وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) *[1].

قال ـ تعالى[2] ـ :

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[3].

ثم ذكر قصة زكريا ويحيى ثم قال:

﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨) فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (٣٩) قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (٤٠) قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (٤١) وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي

(*) ما بين النجمتين ساقط من جميع النسخ عدا نسخة ط.

(١) والحديث: رواه البخاري في كتاب الأنبياء، باب قول الله ـ تعالى ـ واذكر في الكتاب مريم إذا انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً ٤/١٣٨؛ ورواه في التفسير، سورة آل عمران، باب وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ٥/١٦٦؛ ورواه مسلم في كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى ـ عليه السلام ـ ٤/١٨٣٨ (٢٣٦٦)؛ ورواه أحمد في المسند ٢/٢٣٣، ٢٧٤، ٢٨٨، ٢٩٢؛ وابن جرير الطبري في تفسيره من طرق متعددة من حديث أبي هريرة عند آية ﴿وإني أعيذها بك وذريتها...﴾ الآية ٣/١٦٠ (المجلد الثالث) ط. دار الفكر.

(٢) سقطت جملة (قال تعالى) من أ، س.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٣٧.

مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ
أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى
ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾
قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ
أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾
وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ
كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ
وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً
لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم
بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾
إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ
مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ
وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا
مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ
ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ
ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ
فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا
وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ
ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن
فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ

مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1].

فهو ـ سبحانه ـ قد ذكر قصة مريم والمسيح في هاتين السورتين: إحداهما: مكية نزلت في أول الأمر مع السور الممهدة لأصول الدين، وهي سورة (كهيعص) والثانية: مدنية نزلت بعد أن أمر بالهجرة والجهاد، ولهذا تضمنت مناظرة أهل الكتاب ومباهلتهم، كما نزلت في «براءة» مجاهدتهم، فأخبر في السورة[2] المكية أنها لما انفردت للعبادة أرسل الله إليها روحه فتمثل لها بشراً سوياً. فقالت:

﴿ . . . إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾[3].

قال أبو وائل: علمت أن المتقي ذو نهية[4]، أي: تقواه ينهاه عن الفاحشة. وأنها خافت منه أن يكون قصده الفاحشة، فقالت: أعوذ

---

(١) سورة آل عمران: الآيات ٣٨ ـ ٦٨.

(٢) في ط (السور).

(٣) سورة مريم: الآية ١٨.

(٤) رواه البخاري موقوفاً مجزوماً به في كتاب الأنبياء، باب واذكر في الكتاب مريم =

بالرحمن منك إن كنت تقيا، أي[1]: تتقي الله، وما يقول بعض الجهال من أنه كان فيهم رجل فاجر اسمه تقي فهو من نوع الهذيان وهو من الكذب الظاهر الذي لا يقوله إلاَّ جاهل، ثم قال:

﴿. . . إنما أنا رسول ربك ليهب لك غلاماً زكيّاً﴾[2].

وفي القراءة الأخرى: ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾.

فأخبر هذا الروح الذي تمثل لها[3] بشراً سوياً أنه رسول ربها، فدل الكلام على أن هذا الروح عين قائمة بنفسها ليست صفة لغيرها،

= ١٤٠/٤ بلفظ «قال أبو وائل: علمت مريم أن التقي ذو نهية حين قالت إن كنت تقياً». قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٣٤٤/٦ «وصله عبد بن حميد من طريق عاصم، وذكره». ثم بيَّن ـ رحمه الله ـ معنى نهيه فقال: وقوله نهية بضم النون، وسكون الهاء، أي: ذو عقل وانتهاء عن فعل القبيح وأغرب من قال أنه اسم رجل يقال له تقي. كان مشهوراً بالفساد فاستعاذت منه» وأخرجه ابن جرير الطبرى بسنده عن أبي وائل في تفسيره ٤٧/١٦ (المجلد السابع) وانظر تفسير ابن كثير ١١٥/٣ سورة مريم.

وأبو وائل هو:

شقيق بن سلمة الأسدي، الكوفي أحد سادة التابعين، ثقة مخضرم مات في خلافة عمر بن عبد العزيز وله مائة سنة.

انظر: تقريب التهذيب ٣٥٤/١ (٩٦)؛ وتهذيب التهذيب ٣٦١/٤ ـ ٣٦٣؛ والخلاصة للخزرجي ص ١٦٧.

(١) سقطت (تقياً أي) من أ، ك، وألحقناها من س، ط.

(٢) سورة مريم: الآية ١٩. وفي ط (لأهب) وهذا مخالف لسائر النسخ والصحيح ذكرها بلفظ (ليهب) لأنه أوردها فيما بعد بلفظ (لأهب) على القراءة الأخرى. وقراءة (ليهب) هي قراءة أبي عمرو، ويعقوب، وورش عن نافع على معنى أرسلني ليهب لك. أما بالهمز (لأهب) فهي قراءة الباقين.

انظر: فتح القدير للعلامة الشوكاني ٣٢٨/٣؛ والغاية في القراءات العشر للحافظ النيسابوري ص ٢٠٢؛ والتيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني ص ١٤٨.

(٣) في ط (له).

وأنه رسول من الله ليس صفة من صفات الله؛ ولهذا قال جماهير العلماء: أنه جبريل ـ عليه السلام ـ فإن الله سماه الروح الأمين وسماه روح القدس، وسماه جبريل، وهكذا عند أهل الكتاب أنه تجسد من مريم ومن روح القدس، لكن ضلالهم حيث يظنون أن روح القدس حياة الله وأنه إلّه يخلق ويرزق ويعبد وليس في شيء من الكتب الإلّهية ولا في كلام الأنبياء أن الله سمى صفته القائمة به روح القدس، ولا سمى كلامه، ولا شيئاً من صفاته ابناً، وهذا أحد ما يثبت[1] به ضلال النصارى، وأنهم[2] حرفوا كلام الأنبياء وتأولوه على غير ما أرادت[3] الأنبياء؛ فإن أصل تثليثهم مبني على ما في أحد الأناجيل[4] من أن المسيح ـ عليه السلام ـ قال لهم: «عمدوا الناس باسم الآب والإبن وروح القدس». فيقال لهم: هذا إذا كان قد قاله المسيح، وليس في لغة المسيح ولا لغة أحد من الأنبياء، أنهم يسمون صفة الله القائمة به و[5] لا كلمته ولا حياته لا[6] ابنا ولا روح قدس، ولا يسمون كلمته ابناً، ولا يسمونه نفسه ابناً، ولا روح قدس، ولكن يوجد فيما ينقلونه عنهم أنهم يصفون[7] المصطفى المكرم ابناً، وهذا موجود في حق المسيح وغيره كما يذكرون أنه قال ـ تعالى ـ لإسرائيل: «أنت ابني بكرى[8]».

---

(١) في س، ك (يتبين) وفي ط (تبين).

(٢) سقطت (وأنهم) من أ وزدناها من سائر النسخ.

(٣) في ط (أرادت به).

(٤) في إنجيل متى: إصحاح ٢٨: ١٩ وسبق تخريجها.

(٥) سقطت (الواو) من س، ك، ط.

(٦) في أ (ولا) والواو زائدة.

(٧) في س، ك، ط (يسمون).

(٨) في سفر الخروج، الإصحاح ٤: فقرة ٢٢ ـ ٢٣ «فتقول لفرعون هكذا يقول الرب إسرائيل ابني البكر. . . إلخ.

وفي سفر التكوين إصحاح ٤٩: ٣ «رأو بين أنت بكري، قوتي وأول قدرتي، فضل الرفعة، وفضل العز».

وفي إرميا إصحاح ٣١: ٩ «إني صرت ابنا لإسرائيل، وأفرام هو بكري».

أي: بني إسرائيل[1].

وروح القدس. يراد به الروح التي تنزل على الأنبياء كما نزلت على داود وغيره، فإن في كتبهم أن روح القدس كانت في داود وغيره، وأن المسيح قال لهم: «أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم» فسماه أبا للجميع، لم يكن المسيح مخصوصاً عندهم باسم الابن، ولا يوجد عندهم لفظ[2] الابن إلَّا اسماً للمصطفى المكرم[3] لا اسماً لشيء من صفات الله[4]، ولا في كتب الأنبياء أن صفة الله تولدت منه.

وإذا كان كذلك كان في هذا ما يبين أنه ليس المراد بالابن كلمة الله القديمة الأزلية التي يقولون أنها تولدت من الله عندهم مع كونها أزلية، ولا بروح القدس حياة الله، بل المراد بالابن ناسوت[5] المسيح، وبروح القدس ما أنزل عليه من الوحي والملك الذي نزل به فيكون قد أمرهم بالإيمان بالله، وبرسوله، وبما أنزله على رسوله، والملك الذي نزل به[6]، وبهذا أمرت الأنبياء كلهم وليس للمسيح خاصة استحق بها أن يكون فيه شيء من اللاهوت، لكن ظهر فيه نور الله وكلام الله وروح الله كما ظهر في غيره من الأنبياء والرسل؛ فإن[7] غيره أيضاً فيما

---

(١) لعل الشيخ يقصد دعوى بني إسرائيل التي ذكرها القرآن عنهم في قوله تعالى: ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه...﴾ الآية ١٨ من سورة المائدة.

(٢) في س (لغة).

(٣) في أ، س، ك (المخلوق) بدل (المصطفى المكرم).

(٤) في ط: بعد لفظ الجلالة جاءت العبارة هكذا (القديمة حتى يكون الابن صفة الله التي تولدت منه) وسقطت الجملة وما قبلها ابتداءً من قوله: (فإن في كتبهم أن روح القدس) من نسخة ك، وما أثبتناه من أ، س.

(٥) في أ (بشر).

(٦) في ط (وبهذا الذي نزل به) بعد جملة (والملك الذي نزل به).

(٧) في س، ك، ط (ومعلوم أن).

ينقلونه عن الأنبياء يسمى إبنا وروح القدس حلت فيه، وهذا مبسوط في غير هذا الموضع[1].

والمقصود هنا: التنبيه على أن كلام الأنبياء ـ عليهم السلام ـ يصدق بعضه بعضاً، وأنه ليس مع النصارى لا[2]حجة سمعية، ولا عقلية توافق ما ابتدعوه، ولكن فسروا كلام الأنبياء بما لا يدل عليه، وعندهم في الإنجيل أنه قال: «إن الساعة لا يعلمها الملائكة ولا الإبن وإنما يعلمها الأب وحده»[3] فبين أن الإبن لا يعلم الساعة فعلم أن الإبن ليس هو القديم الأزلي وإنما هو المحدث الزماني.



(١) سيتحدث المؤلف ـ رحمه الله ـ عن هذا بتوسع أكثر في القسم الثاني من هذا الكتاب.

(٢) سقطت (لا) من ط.

(٣) إنجيل متى إصحاح ٢٤ : ٣٦. وسبق تخريجها

فصل[1]

والمضاف إلى الله نوعان: فإن المضاف إما أن يكون صفة لا تقوم بنفسها كالعلم، والقدرة، والكلام، والحياة، وإما أن يكون عيناً قائمة بنفسها.

الفرق بين ما يُضاف إلى الله من صفاته، وما يُضاف إليه من مملوكاته

فالأول: إضافة صفة كقوله:

﴿... وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ ...﴾[2].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾[3].

وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ...﴾[4].

وقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الحديث الصحيح حديث الاستخارة: «إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك»[5].

---

(١) سقطت كلمة (فصل) من أ، وزدناها من س، ك، ط.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٥.

(٣) سورة الذاريات: الآية ٥٨.

(٤) سورة فصلت: الآية ١٥.

(٥) تمامه: وأسألك من فضلك العظيم. فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب. اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال: عاجل أمري وآجله فاقدره لي ويسره لي، ثم بارك لي فيه. وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، أو قال: عاجل أمري =

وقوله ــ تعالى ــ : ﴿ ... وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ... ﴾[1].

وقوله: ﴿ ... ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ... ﴾[2].

وقوله: ﴿ ... ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ... ﴾[3].

والثاني: إضافة عين، كقوله ــ تعالى ــ :

﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ ... ﴾[4].

وقوله: ﴿ ... نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴾[5].

وقوله: ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ ... ﴾[6].

فالمضاف في الأول: صفة لله قائمة به ليست مخلوقة[7] له بائنة[8] عنه والمضاف في الثاني: مملوك لله مخلوق له بائن عنه، لكنه مفضل مشرف لما خصه الله به من الصفات التي اقتضت إضافته إلى الله

= وآجله، فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم أرضني به. قال ويسمي حاجته.
الحديث رواه البخاري من حديث جابر بن عبد الله في كتاب التهجد، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى ٢/٥١، وفي كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الاستخارة ٧/١٦٢، وفي كتاب التوحيد، باب قول الله ــ تعالى ــ «قل هو القادر» ٨/١٦٨.
ورواه الترمذي في أبواب الوتر، باب ما جاء في صلاة الاستخارة ٢/٣٤٦ (٤٨٠).
ورواه أبو داود في الصلاة، باب في الاستخارة ٢/١٨٧، ١٨٨ (١٥٣٨)، والنسائي في النكاح، باب كيف الاستخارة ٦/٨٠، وابن ماجه في إقامة الصلاة، باب ما جاء في صلاة الاستخارة ١/٤٤٠ (١٣٨٣)، وأحمد في مسند جابر ٣/٣٤٤. وانظر: فتح الباري ١١/١٥٥، ١٥٩ تجد الكلام عليه هناك.

(١) سورة الأنعام: الآية ١١٥.
(٢) سورة الممتحنة: الآية ١٠.
(٣) سورة الطلاق: الآية ٥.
(٤) سورة الحج: الآية ٢٦.
(٥) سورة الشمس: الآية ١٣.
(٦) سورة الإنسان: الآية ٦.
(٧) في س، ك (مخلوق) وفي ط (مخلوقاً).
(٨) في س، ك، ط (بائن).

ـ تبارك وتعالى ـ ، كما خص ناقة صالح من بين النوق، وكما خص بيته بمكة من البيوت، و[1]كما خص عباده الصالحين من بين الخلق، ومن هذا الباب قوله ـ تعالى ـ : ﴿ . . . فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا . . . ﴾[2].

فإنه وصف هذا الروح بأنه تمثل لها[3] بشراً سوياً، وأنها استعاذت بالله منه إن كان تقياً وأنه قال: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ﴾.

وهذا كله يدل على أنها عين قائمة بنفسها، وهي التي تسمى في اصطلاح النظار جوهراً، وقد تسمى جسماً إذا كانت مشاراً إليها مع اختلاف الناس في الجسم، هل هو مركب من الجواهر المفردة، أم من المادة والصورة، أم ليس مركباً لا من هذا ولا من هذا؟ وإذا كان الله قد بين أن المضاف هنا ليس من الصفات القائمة بغيرها بل من الأعيان القائمة بنفسها علم أن المضاف مملوك لله مخلوق له، لكن إضافته إلى الله تدل على تخصيص الله له من الاصطفاء والإكرام بما أوجب التخصيص بالإضافة، وقد ذكرت فيما كنت كتبته[4] قبل هذا من الرد على النصارى، الكلام في ذلك وغيره وبينت أن المضافات إلى الله نوعان: أعيان، وصفات.

---

(١) سقطت (الواو) من ط.

(٢) سورة مريم: الآية ١٧.

(٣) سقطت (لها) من أ، س، ك.

(٤) لعله يقصد بذلك ما ورد في مجموع الفتاوى ١٧/٢٧٣ ـ ٢٨٥ فقد بسط الكلام هناك كما رد على النصارى في مواضع متعددة من هذا القسم (قسم التفسير) الجزء الرابع منه، والشيخ ـ رحمه الله ـ يعرض لهذه القضية في مواضع كثيرة من كتبه التي رد فيها على غلاة المبتدعة المنتسبين إلى الإسلام، ويعقد مقارنة بينهم وبين النصارى في هذه القضية وغيرها كما ورد في منهاج السنة النبوية.

فالصفات إذا أضيفت إليه كالعلم والقدرة والكلام والحياة والرضا والغضب ونحو ذلك دلت الإضافة على أنها إضافة وصف له قائم به ليست مخلوقة؛ لأن الصفة لا تقوم بنفسها فلا بد لها من موصوف تقوم به، فإذا أضيفت إليه علم أنها صفة له لكن قد يعبر باسم الصفة عن المفعول بها فيسمى[1] المقدور قدرة، والمخلوق بالكلمة كلاماً، والمعلوم علماً، والمرحوم به رحمة كقول النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة»[2].

وقوله ــ تعالى ــ فيما يروي عنه[3] نبيه أنه قال للجنة: (أنت رحمتي أرحم بك من أشاء)[4].

---

(١) في س، ك، ط (يسمى).

(٢) رواه البخاري من حديث أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال: سمعت رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ يقول: «إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة، فأمسك عنده تسعاً وتسعين رحمة، وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة، فلو يعلم الكافر الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار».
أخرجه في الرقاق، باب الرجاء مع الخوف ١٨٣/٧، ورواه مسلم في التوبة، باب في سعة رحمة الله ــ تعالى ــ وأنها سبقت غضبه ٢١٠٨/٤ (٢٧٥٢) بلفظ مقارب، ومن حديث سلمان الفارسي (٢٧٥٣) بنحوه.
وابن ماجه في الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة بلفظ مقارب ١٤٣٥/٢، ومن حديث أبي سعيد الخدري بنحوه (٤٢٩٣)، (٤٢٩٤)، وأحمد في مسند سلمان الفارسي ٤٣٩/٥.

(٣) في ط (عن). وهو خطأ.

(٤) هذا قطعة من حديث طويل أخرجه البخاري عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ في كتاب التفسير، تفسير سورة ق، باب قوله تعالى: (وتقول هل من مزيد) ٤٨/٦، ورواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء ٢١٨٦/٤ (٣٥)، (٣٦)، والترمذي في كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في احتجاج الجنة والنار ٦٩٤/٤ (٢٥٦١)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

ويقال للمطر والسحاب: هذه قدرة قادر، وهذه قدرة عظيمة، ويقال في الدعاء: غفر الله لك علمه فيك، أي: معلومه.

وأما الأعيان إذا أضيفت إلى الله ـ تعالى ـ فإما أن تضاف بالجهة العامة التي يشترك فيها المخلوق مثل كونها مخلوقة ومملوكة له ومقدورة، ونحو ذلك، فهذه إضافة عامة مشتركة كقوله: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾،

وقد يضاف لمعنى يختص بها يميز به المضاف عن غيره مثل: بيت الله، وناقة الله، وعبد الله، وروح الله، فمن المعلوم اختصاص ناقة صالح بما تميزت به عن سائر النياق، وكذلك اختصاص الكعبة، واختصاص العبد الصالح الذي عبد الله وأطاع أمره، وكذلك الروح المقدسة التي امتازت بما فارقت به غيرها من الأرواح؛ فإن المخلوقات اشتركت في كونها مخلوقة مملوكة مربوبة لله يجري عليها حكمه وقضاؤه وقدره، وهذه الإضافة لا اختصاص فيها، ولا فضيلة للمضاف على غيره.

وامتاز بعضها بأن الله يحبه ويرضاه ويصطفيه ويقربه إليه، ويأمر به، أو يعظمه ويحبه فهذه الإضافة يختص بها بعض المخلوقات كإضافة البيت، والناقة، والروح، وعباد الله من هذا الباب[1].

وقد قال ـ تعالى ـ في سورة الأنبياء:

﴿وَٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا

وأحمد في المسند ٢/٢٧٦، ٣١٤، ٤٥٠، ٥٠٧. وفي مسند أبي سعيد الخدري ولفظه: «وقال للجنة أنت رحمتي وسعت كل شيء»، ٣/١٣، ٧٨، ٧٩.

(١) انظر الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة للقرافي ص ١٦١ (رسالة ماجستير، تحقيق سالم القرني، كلية أصول الدين بالرياض).

وَٱبۡنَهَآ ءَايَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1] .

وقال في سورة التحريم :

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتًا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾[2] .

فذكر امـرأة فرعـون[3] التي ربت موسى بن عمـران، وجمعت بينه وبين أمـه حتى أرضعته أمـه عندهـا. وذكر مـريم أم المسيح التي ولـدته وربته فهاتـان المرأتـان ربتا هـذين الرسـولين الكريمين، فلمـا قال هنـا: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا﴾، أي: في المرأة، ﴿وفيه﴾، أي: في فرجها من روحنا،

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٩١.

(٢) سورة التحريم: الآية ١١، ١٢.

(٣) هي آسية بنت مزاحم، آمنت بدعوة موسى ـ عليه السلام ـ فعذبهـا فرعـون زوجها أشـد العذاب، ولكنهـا كانت مثـلاً يستحق أن يضرب في كتـاب الله في الثبات على الطاعة، والصبر في الشدة، والتمسك بدين الله. . . وهذه المرأة صـارت بذلـك في جنـات النعيم. . . قال المفسـرون استجاب الله لهـا فبنى لها بيتـاً في الجنة، وذلـك حينمـا قالت: ﴿رب ابن لي عنـدك بيتاً في الجنـة. . .﴾ الآيـة، وصـدق رسـول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إذ يقول في الحديث الذي رواه أبو موسى الأشعري، «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلَّا آسية امرأة فرعـون، ومريم بنت عمـران، وخديجة بنت خويلد، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» أخرجاه في الصحيحين.

وانظر: تفسير ابن جرير الطبري ٢٨/ ١١٠ (مجلد ١٠)؛ وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٠٣ (مجلد ٩) مطبعة دار الكتاب العربـي.

وتفسير ابن كثير ٤/ ٣٩٣؛ وفتح القدير ٥/ ٢٥٦؛ وأضواء البيان للشنقيطي ٨/ ٣٨٢؛ وتيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٧/ ٤٢٦.

وقال هنا: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوْحَنَا﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿إِنَّمَا أَنَاْ رَسُوْلُ رَبِّكِ لِيَهَبَ[1] لَكِ غُلَاماً زَكِيًّا﴾، دل على أن قوله: روحنا ليس المراد به أنه صفة لله لا الحياة، ولا غيرها، ولا هو رب خالق فلا هو الرب الخالق، ولا صفة الرب الخالق، بل هو روح من الأرواح التي اصطفاها الله وأكرمها كما تقدم في قوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوْحَنَا﴾، وأن الأكثرين على أنه جبريل.

وهذا الأصل الذي ذكرناه من الفرق فيما يضاف إلى الله بين[2] صفاته، وبين مملوكاته أصل عظيم ضل فيه كثير من أهل الأرض من أهل الملل كلهم؛ فإن كتب الأنبياء: التوراة، والإنجيل، والقرآن، وغيرها أضافت إلى الله أشياء على هذا الوجه، وأشياء على هذا الوجه: فاختلف الناس في هذه الإضافة، فقالت المعطِّلة نفاة الصفات من أهل الملل: إن الجميع إضافة ملك وليس لله حياة قائمة به، ولا علم قائم به، ولا قدرة قائمة به، ولا كلام قائم به، ولا حب، ولا بغض ولا غضب، ولا رضى، بل جميع ذلك مخلوق من مخلوقاته.

وهذا أول ما ابتدعته في الإسلام الجهمية وإنما ابتدعوه بعد انقراض عصر الصحابة وأكابر التابعين لهم بإحسان وكان مقدمهم رجل يقال له: الجهم بن صفوان[3]، ــــــــــــــــــــــــــــــــ

(١) هذه قراءة أبي عمرو ويعقوب وورش عن نافع، أما قراءة الجمهور فهي (لأهب) وسبق بيان ذلك.

(٢) في ك، ط (من).

(٣) هو أبو محرز الجهم بن صفوان السمرقندي الضال المبتدع، رأس الجهمية من أبرز أقواله القول بأن الإيمان هو المعرفة بالقلب وإن أعلن الكفر بلسانه وقوله بنفي الصفات وبالجبر والاضطرار في الأعمال، هلك في زمان صغار التابعين، قتل سنة ١٢٨هـ، وسببه أنه كان يقضي في عسكر الحارث بن شريح الخارج على أمراء =

فنسبت[1] الجهمية إليه، ونفوا الأسماء والصفات، واتبعهم المعتزلة وغيرهم فنفوا الصفات دون الأسماء، ووافقهم طائفة من الفلاسفة أتباع[2] أرسطو.

وقالت الحلولية: بل ما يضاف إلى الله قد يكون[3] هو صفة له وإن كان بائناً عنه، بل[4] قالوا: هو قديم أزلي، فقالوا: روح الله قديمة أزلية صفة لله، حتى قال كثير منهم: إن أرواح بني آدم قديمة أزلية وصفة لله[5]، وقالوا: إن ما يسمعه الناس من أصوات القراء ومداد المصاحف قديم أزلي، وهو صفة لله.

وقال حذاق هؤلاء بل غضبه، ورضاه، وحبه، وبغضه، وإرادته لما يخلقه قديم أزلي، * وهو صفة الله *[6] وكلامه الذي سمعه موسى قديم أزلي، وأنه لم يزل راضياً محباً لمن علم أنه يطيعه قبل أن يخلق، ولم يزل غضباناً ساخطاً على من علم أنه يكفر قبل أن يخلق، ولم يزل

= خراسان فقبض عليه نصر بن سيار، فقال له: استبقني، فقال نصر: «لا تقوم علينا مع اليمانية أكثر مما قمت» وأمر بقتله فقتل. انظر: لسان الميزان لابن حجر ١٤٢/٢؛ وميزان الاعتدال ٤٢٦/١؛ والملل والنحل للشهرستاني ١٠٩/١؛ ومقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ١٢٤/١؛ والفصل في الملل والنحل ٢٠٤/٤؛ والفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢١٢؛ ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٣٧٤/٥؛ والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان للسكسكي رسالة ماجستير ص ١٥٥؛ وأصول الدين للبغدادي ص ٣٣٣.

(١) في أ، س (فنسب).
(٢) في س (واتباع).
(٣) سقطت (قد يكون) من أ.
(٤) في أ (قالوا بل).
(٥) (صفة لله) ساقط من أ.
(٦) ما بين النجمتين ساقط من أ، ط، وزدناه من س.

ولا يزال قائلاً: يا آدم، يا نوح، يا إبراهيم قبل أن يوجدوا، وبعد موتهم، ولم يزل ولا يزال يقول: يا معشر الجن والإنس، قبل أن يخلقوا وبعد ما يدخلون الجنة والنار.

وأما سلف المسلمين من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأئمة المسلمين المشهورون بالإمامة فيهم[1] كالأربعة، وغيرهم، وأهل العلم بالكتاب و[2]السنة، فيفرقون بين مملوكاته، وبين صفاته، فيعلمون أن العباد مخلوقون، وصفات العباد مخلوقة، وأجسادهم، وأرواحهم، وكلامهم، وأصواتهم[3] بالكتب الإلٓهية وغيرها، ومدادهم، وأوراقهم، والملائكة[4]، والأنبياء وغيرها، ويعلمون أن صفات الله القائمة به ليست مخلوقة كعلمه، وقدرته، وكلامه[5]، وإرادته، وحياته، وسمعه، وبصره، ورضاه، وغضبه، وحبه وبغضه، بل هو موصوف بما وصف به نفسه وبما وصفته[6] به رسله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف[7] ولا تمثيل، فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ووصفه به[8] رسله، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا[9] يتأولون كلام الله بغير ما أراده، ولا يمثلون صفات الخالق بصفات المخلوق، بل يعلمون أن الله

---

(١) في ط (فيها).
(٢) سقطت الواو من ط.
(٣) في ك، ط (وأصواتهم وكلامهم).
(٤) في أ (المكتبة) وفي ك (والأنبياء والملائكة).
(٥) سقطت (وكلامه) من أ، وزدناها من سائر النسخ.
(٦) في ك، ط (وصفه).
(٧) في ط (تكيف).
(٨) في ك، ط (ولا بما وصفه).
(٩) سقطت (لا) من أ، وزدناها من ط وفي س (وسياق كون كلام الله).

ـ سبحانه ـ ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في[1] أفعاله بل هو موصوف بصفات الكمال، منزه عن النقائص، وليس له مثل في شيء من صفاته، ويقولون: إنه لم يزل[2] ولا يزال موصوفاً بصفات الكمال، لم يزل متكلماً إذا شاء بمشيئته وقدرته، ولم يزل عالماً، ولم يزل قادراً، ولم يزل حياً سميعاً بصيراً، ولم يزل مريداً، فكل كمال لا نقص فيه يمكن اتصافه به فهو موصوف به لم يزل ولا يزال متصفاً بصفات الكمال منعوتاً بنعوت الجلال والإكرام سبحانه وتعالى.

والنصارى من أعظم الناس اضطراباً في هذا الأصل، فتارة: يجعلون كلامه الذي تكلم به كالتوراة والإنجيل مخلوقاً منفصلاً عنه وينفون عنه الصفات، وتارة يجعلون كلمته قديمة أزلية متولدة عنه لم تزل ولا تزال، ثم يقولون هذه الكلمة هي ابنه، ويجعلون هذه الكلمة علمه، أو حكمته ويقولون: إن هذه الكلمة هي إلّه خالق وهو الذي خلق السموات والأرض وأن[3] هذه الكلمة هي المسيح والمسيح إلّه[4] خالق العالم.

ويقولون: مع هذا أن هذه الكلمة ليست هي الآب الذي خلق السموات والأرض فيجعلون كلمته صفة قديمة أزلية، ويجعلونها ابناً له، ويجعلون الصفة إلّهاً خالقاً، ويجعلون المسيح هو الإلّه الخالق، ويقولون مع هذا: هو إلّه حق من إلّه حق من جوهر أبيه.

ولهم في كلام الله وصفاته من التناقض والاضطراب، ومخالفة كلام الأنبياء، وتفسيره بغير ما أرادوه[5]، ومخالفة صريح المعقول

---

(١) سقطت (في) من أ، س.
(٢) سقطت (يزل) من ط.
(٣) في ط (ويقولون) بدل (أن).
(٤) سقطت (إلّه) من أ، س.
(٥) في ط (أراده).

وصحيح المنقول ما سنذكر ـ إن شاء الله[1] ـ منه ما ييسره الله، سبحانه وتعالى[2]، إذ بيان فساد أقوال[3] النصارى بالاستقصاء لا يتسع له هذا الكتاب، ولما قص[4] ـ تعالى ـ قصة المسيح قال:

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ . . . ﴾[5].

أي: يشكون ويتمارون كتماري اليهود والنصارى.

ثم قال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ . . . ﴾[6].

فاختلف اليهود والنصارى فيه[7]، ثم اختلفت النصارى فيه وصاروا أحزاباً كثيرة جداً، كالنسطورية، واليعقوبية، والملكية، * والباروبية، والمريمانية، والسمياطية. وأمثال هذه الطوائف، كما سنذكر ـ إن شاء الله ـ كثيراً من طوائفهم واختلافهم في مجامعهم كما حكى ذلك عنهم أحد أكابرهم سعيد بن البطريق وغيره، فإنه ليس في الأمم أكثر اختلافاً في رب العالمين منهم *[8]، فويل للذين كفروا من هذه الطوائف كلها من مشهد يوم عظيم:

---

(١) في ك، ط (إن شاء الله تعالى) وسيتناول هذا في مواضع متعددة من كتاب الجواب الصحيح وخصوصاً الجزء الثاني منه.

(٢) في أ، س (ما ننزه الله) وسقطت (سبحانه وتعالى) من س و ط.

(٣) في ك، ط (دين).

(٤) في ط (قص الله).

(٥) سورة مريم: الآية ٣٤.

(٦) سورة الزخرف: الآية ٦٥.

(٧) سقطت (فيه) من أ.

(٨) ما بين النجمتين ساقط من أ، وزدناه من س، ك، ط.

﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا . . . ﴾[1] .

يقول ـ تعالى ـ : ما أسمعهم وما أبصرهم يوم يأتوننا، لكن الظالمون اليوم كالنصارى الذين ظلموا بإفكهم وشركهم في ضلال مبين ضلوا عن الحق في المسيح، وقد وصف الله النصارى بالضلال في مثل قوله ـ تعالى ـ :

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾[2] .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾[3] .

لأن الغالب عليهم الجهل بالدين، وأنهم يتكلمون بكلام لا يعقلون معناه * ليس منقولاً عن الأنبياء حتى يسلم لقائله بل هم ابتدعوه، وإذا سألتهم عن معناه قالوا: هذا لا يعرف بالعقول فيبتدعون كلاماً يعرفون بأنهم لا يعقلونه *[4]، وهو كلام متناقض ينقض أوله آخره؛ ولهذا لا تجدهم يتفقون على قول واحد في معبودهم حتى قال بعض الناس: لو اجتمع عشرة نصارى، افترقوا على أحد عشر قولاً .

وقال الربعي[5] : النصارى أشد الناس اختلافاً في مذاهبهم،

---

(١) سورة مريم: الآية ٣٨.

(٢) سورة المائدة: الآية ٧٧.

(٣) سورة الكهف: الآيتان ٤، ٥.

(٤) ما بين النجمتين ساقط من أ، وزدناه من سائر النسخ.

(٥) لعله: محمد بن عبد الله بن أحمد الربعي: مؤرخ من حفاظ الحديث، كان محدث =

وأقلهم تحصيلاً لها، لا يمكن أن[1] يعرف لهم مذهب، ولو سألت قسًّا من أقسائهم عن مذهبهم في المسيح، وسألت أباه وأمه لاختلفوا عليك الثلاثة، ولقال كل واحد منهم قولاً لا يشبه قول الآخر.

وقال بعض النظار: و[2]ما من قول يقوله طائفة من العقلاء إلاَّ إذا تأملته تصورت[3] منه معنى[4] معقولاً وإن كان باطلاً، إلاَّ قول النصارى فإنك كلما تأملته لم[5] تتصور له حقيقة تعقل لكن غايتهم أن يحفظوا الأمانة أو غيرها، وإذا طولبوا[6] بتفسير ذلك فسره كل منهم بتفسير يكفر به الآخر، كما يكفر اليعقوبية، والملكانية، والنسطورية بعضهم بعضاً لاختلافهم في أصل التوحيد والرسالة إذ كان قولهم في التوحيد. والرسالة من أفسد الأقوال وأعظمها تناقضاً كما بين في موضع آخر.



= دمشق وابن قاضيها، له تصانيف منها: أخبار ابن أبي ذئب، وتاريخ مولد العلماء ووفياتهم، ووصايا العلماء عند حضور الموت، مات سنة ٣٧٩هـ.
انظر: شذرات الذهب ٣/٩٥؛ والعبر للذهبي ٣/١٢؛ وتذكرة الحفاظ ٣/١٧٩؛ والأعلام للزركلي ٦/٢٢٥؛ ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١٠/١٩٦.
أما النص الذي ذكره المؤلف ــ رحمه الله ــ فلم أقف عليه، فلعله ورد في كتاب له لم ير النور والله أعلم.

(١) سقطت (أن) من أ، وألحقتها من سائر النسخ.
(٢) في س، ك، ط (ما) بدون واو.
(٣) في ط (لم تصورت) وهو خطأ.
(٤) في س، ك (يعني) وهو تصحيف.
(٥) سقطت (لم) من ط.
(٦) في ط (طيولبوا).

فصل

إبطال دعواهم اتحاد كلمة الله بجسد المسيح

وأما قولهم: فكان طيراً بإذن الله. أي: بإذن اللاهوت الذي هو كلمة الله المتحدة في الناسوت، فهذا إذا قالوه على أنه مذهبهم من غير أن يقولوا أن محمداً أراده تكلمنا معهم في ذلك وبينا فساد ذلك عقلاً ونقلاً.

وأما قولهم: أن محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كان يقول: أن المراد إذن اللاهوت الذي هو كلمة الله المتحدة في الناسوت، فهذا من البهتان الظاهر على محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وهو من جنس قولهم أن قوله:

﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ... ﴾[1].

أراد به: النصارى. ومن جنس قولهم أن قوله:

﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا... ﴾[2].

أراد به: العرب[3]، ومن جنس قولهم:

﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ... ﴾[4].

أراد بهم: الحواريين، ومن جنس قولهم:

---

(١) سورة الفاتحة: الآيتان ٦، ٧.
(٢) سورة آل عمران: الآية ٨٥.
(٣) في أ، س، ك زيادة (من).
(٤) سورة الحديد: الآية ٢٥.

﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[1].

أراد به الإنجيل، فهذه المواضع التي فسروا بها القرآن وزعموا أن محمداً ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ الذي بين للناس ما أنزل إليهم، كان يريد بما[2] يتلوه من القرآن هذه المعاني التي ذكروها هي[3] من الكذب الظاهر الذي يدل على غاية جهل قائلها، أو غاية معاندته، ولكن مثل هذا التأويل غير مستنكر من النصارى، فإنهم قد فسروا مواضع كثيرة من التوراة والإنجيل، والزبور، والنبوات بنحو هذه التفاسير التي حرفوا فيها الكلام الذي جاءت به الأنبياء عن مواضعه تحريفاً ظاهراً، فبدلوا بذلك كتب الله ودين الله، وضاهوا بذلك اليهود الذين حرفوا وبدلوا، وإن اختلفت جهة التحريف والتبديل، فتحريفهم للقرآن من جنس تحريفهم للتوراة والإنجيل وهم من الذين يدعون المحكم ويتبعون ما نشأ به منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، لكن في هذه المواضع حرفوا المحكم الذي معناه ظاهر لا يحتمل إلا معنى واحداً فكانوا من الجهل والمعاندة أبعد عن الصواب ممن حرف معنى المتشابه، وذلك أنه قد علم بالاضطرار من دين محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أنه كان يقول: أن المسيح عبد الله[4] مخلوق كسائر المرسلين وأنه يكفر النصارى الذين يقولون: هو الله أو[5] ابن الله.

قال ــ تعالى ــ:

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ

(تشابه صح) (م)

(1) سورة البقرة: الآيتان ١، ٢.
(2) في س، ك، ط (بها ما).
(3) في ط (وهي).
(4) في ط (عند الله).
(5) في ط (و).

وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[2].

فقد ذكر كفر النصارى في قولهم: هو الله مرتين، وذكر أنه ليس المسيح إلا رسول قد خلت من قبله الرسل فغايته الرسالة كما قال في محمد ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ :

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ . . . ﴾[3].

---

(١) سورة المائدة: الآية ١٧.

(٢) سورة المائدة: الآيات ٧٢ ـ ٧٧.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

وغاية أمه أن تكون صديقة ودل بهذا أنها ليست بنبيه[1]، ثم قال: (كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ).

وهذا من أظهر الصفات النافية للإلهية؛ لحاجة الأكل إلى ما يدخل في جوفه ولما يخرج منه مع ذلك من الفضلات.

والرب ــ تعالى ــ أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

---

(١) قول جمهور العلماء أن مريم ــ رضي الله عنها ــ ليست نبية، وإنما هي صديقة. أما ابن حزم في كتابه الفصل ٥/١٧ ــ ١٩، فقد عقد فصلاً بعنوان «نبوة النساء» وانتصر فيه للقول بأنها نبية، كذلك فعل القرطبي في تفسيره ورجح أنها نبية ١١/٩٠ (مجلد ٦) [الآية ١٦ من سورة مريم]، فقال: «واختلف الناس في نبوة مريم، فقيل: كانت نبية بهذا الإرسال والمحاورة للملك، وقيل: لم تكن نبية، وإنما كلمها مثال بشر ورؤيتها للملك كما رؤي جبريل ــ عليه السلام ــ في صفة دحية الكلبي... والأول أظهر»، وقد تناول هذا أكثر وذكر أدلته في تفسير سورة آل عمران ٤/٨٣ ــ ٨٤.

وقد زاد عليه ابن حزم بإثبات نبوة أم موسى ــ عليه السلام ــ في الفصل ٥/١٨، والصحيح قول جمهور العلماء ــ رحمهم الله ــ أن مريم لم تكن نبية، وكذلك أم موسى جاء في شرح مسلم للنووي: «قال القاضي عياض: هذا الحديث ــ كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران، وآسية...» إلخ. هذا الحديث يستدل به من يقول بنبوة النساء، ونبوة آسية ومريم، والجمهور على أنهما ليستا بنبيتين بل هما صديقتان ووليتان من أولياء الله ــ تعالى ــ، ولفظة الكمال تطلق على تمام الشيء، وتناهيه في بابه، والمراد هنا: التناهي في جميع الفضائل، وخصال البر والتقوى.

ثم قال النووي: وهذا الذي نقله من القول بنبوتهما غريب ضعيف، وقد نقل عن جماعة الإجماع على عدمها والله أعلم.

انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ١٥/١٩٨ ــ ١٩٩ (مجلد ٨)؛ باب فضائل خديجة رضي الله عنها؛ وتفسير القرطبي ٤/٨٣ ــ ٨٤، ١١/٩٠؛ والفصل لابن حزم ٥/١٨؛ والشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢/٦٤٤ ــ ٦٤٥؛ والنبوة والأنبياء للصابوني ص ١٢.

والنصارى يقولون[1]: إنه يلد، وأنه يولد، وأن له كفواً كما قد بين في موضع آخر، وقد أخبر بعبودية المسيح في غير موضع كقوله ـ تعالى ـ

﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَـٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَـٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ . . . ﴾[2].

وأخبر ـ تعالى ـ أن أول شيء نطق به المسيح قوله:

﴿ . . . إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ . . . ﴾

الآيات ـ إلى قوله: ﴿ . . . شَهِيدٌ ﴾[4].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ . . . ﴾[5] الآيات كلها.

فإذا كان قد علم بالاضطرار من دين محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، وبالنقل المتواتر عنه، وبإجماع أمته إجماعاً يستندون فيه

---

(١) في س، ك، ط (تقول).

(٢) سورة الزخرف: الآيات ٥٧ ـ ٥٩.

(٣) سورة مريم: الآية ٣٠.

(٤) سورة المائدة: الآيتان ١١٦ ـ ١١٧.

(٥) سورة النساء: الآية ١٧١.

إلى النقل عنه، وبكتابه المنزل عليه وسنته المعروفة عنه[١] أنه كان يقول: أن المسيح عبد الله ورسوله ليس هو إلا رسول، وأنه يكفر النصارى الذين يقولون: هو الله وهو ابن الله، والذين يقولون: ثالث ثلاثة وأمثال ذلك، كان بعد هذا تفسيرهم لقول الله الذي بلغه نبيه محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فيكون طيراً بإذن الله، أي: بإذن اللاهوت الذي هو كلمة الله المتحدة بالناسوت كذباً ظاهراً على محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ.

وهذا مما يعرف كذبهم فيه على محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ جميع أهل الأرض العالم بحال محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، سواء أقروا بنبوته أو أنكروها.

فالمقصود في هذا المقام: أن هؤلاء كذبوا على محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كذباً ظاهراً معلوماً للخلق المؤمنين به والمكذبين له ليس هو كذباً خفياً.

وإن قدر أن[٢] ما قالوه يكون معقولاً، فكيف إذا كان ممتنعاً في صرائح العقول؟ بل هو قول غير معقول، أي: غير معقول ثبوته في الخارج، وإن كان يعقل ما يختلفون ويعلم به فساد عقولهم لمن قال سائر الأقوال المتناقضة الفاسدة التي يمتنع ثبوتها في الخارج، وذلك كما قد بسط في موضع آخر[٣]، فإن قولهم: بإذن اللاهوت الذي هو

---

(١) جملة (وبكتابه المنزل وسنته المعروفة عنه) ساقطة من ك.

(٢) سقطت (أن) من أ.

(٣) سبق الحديث عن افترائهم على النبي محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وزعمهم بأن كلامه متناقض والرد على هذه الفرية في أول الكتاب.
وفي غير ذلك الموضع في مواضع متعددة من هذا الكتاب وفي مجموع الفتاوى الجزء السابع عشر منه تحدث فيه عن هذه القضية في مواضع متفرقة.

كلمة الله المتحدة في الناسوت باطل من وجوه:

منهـا: أن تلك الكلمة إمـا أن تكون هي الله أو صفـة لذاته، أو لا هي ذاته ولا[1] صفة له، أو الذات والصفة جميعاً.

فإن لم تكن هي ذات الله ولا صفته، ولا الذات والصفة كانت بائنة عنـه مخلوقة لـه، ولم يكن لاهوتـاً، بل ولا خـالقـه، وحينئـذ فلم يتحـد بالمسيح لاهوت، بل إن لم يتحد به إنه كان اتحد به إلا مخلوق.

وإن كـانت الكلمـة هي الـذات أو الـذات والصفـة فـهي رب العـالمين، وهي الآب عندهم، وهم متفقـون على أن المسيـح ليس هـو الآب، ولم يتحد به الآب بل الابن.

وإن كـانت الكلمة صفـة لله ـ عز وجـل ـ، فصفة الله ليست هي الإله الخالق والمسيح عندهم هو الإله الخـالق، وأيضاً فصفـة الله قائمـة بـذاته لا تفـارق ذاته وتحـل بغيره وتتحـد به وكلمـة الله عندهـم اتحـدت بالمسيح.

وإن قالوا: قولنا هذا كما تقول[2] طائفة من المسلمين: إن القرآن أو التوراة، أو الإنجيل حل في القراء أو اتحـد بهم، وأن القديم حـل في المخلوق أو اتحد به، ونحو ذلك.

قيل: لو كان قول هؤلاء صـواباً لم يكن لهم فيـه حجة، فـإنه على هذا التقدير لا فرق بين المسيح وبين سائـر من يقرأ التـوراة، والإنجيل، والزبور والقرآن، وأنتم تدعـون أن المسيح هـو الله أو ابن الله مخصوصـاً بـذلـك دون غيـره، وأيضـاً فهؤلاء وجميـع الأمم متفقـون على أن قـراء

---

(١) في ط (ولا هي).

(٢) في ط (يقول) بالمثناة التحتية.

القرآن، وسائر الكتب الإلهية ليس واحد منهم هو الله، ولا هو ابن الله، ولا أنه خالق للعالم، فإذا جعلتم قولكم مثل قول هؤلاء لزمكم أن لا يكون المسيح هو الله، ولا ابن الله، ولا ربا للعالم، وأيضاً فلم نعلم أحداً من هؤلاء قال: أن اللاهوت اتحد بالناسوت ولا أن القديم اتحد بالمحدث، ولا أن كلام الله صار هو والمخلوق شيئاً واحداً، فالاتحاد باطل باتفاق هؤلاء وغيرهم.

ولكن طائفة منهم أطلقت لفظ الحلول، وطائفة أنكرت لفظ الحلول، وقالوا: إنما نقول ظهر القديم في المحدث لا حل فيه، لكن قالوا ما يستلزم الحلول.

وسلف المسلمين وجمهورهم يخطئون هؤلاء، ويبينون خطأهم عقلاً ونقلاً، وقولهم ليس هو قول أحد من أئمة المسلمين، ولا قول طائفة مشهورة من طوائف المسلمين كالمالكية[1] والشافعية[2]،

---

(١) نسبة إلى الإمام مالك بن أنس الأصبحي الحميري، إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة ولد في المدينة سنة ٩٣هـ. وتوفي بها سنة ١٧٩هـ. كان قوياً صلباً في دينه، بعيداً عن الأمراء والملوك، صنف الموطأ، وله رسالة في الوعظ وفي الرد على القدرية، وتفسير غريب القرآن وغيرها.

انظر: تهذيب التهذيب ٥/١٠؛ والانتقاء لابن عبد البر ص ٨ ـ ٣٦ وتذكرة الحفاظ ٢٠٧/١؛ وطبقات الحفاظ ص ٩٦ (١٨٩)؛ والأعلام للزركلي ٢٥٧/٥.

(٢) نسبة إلى محمد بن إدريس بن العباس الهاشمي القرشي المطلبي الشافعي، أحد الأئمة الأربعة، ولد في غزة سنة ١٥٠هـ وحمل إلى مكة وهو صغير، وتوفي بمصر سنة ٢٠٤هـ برع في العلوم، وصنف وأفتى وهو ابن عشرين سنة، ومن تصانيفه الأم في سبع مجلدات وهو في الفقه، والرسالة، والمسند وغيرها.

انظر: تهذيب التهذيب ٢٥/٩؛ وتذكرة الحفاظ ٣٦١/١؛ والانتقاء ص ٦٦؛ وتهذيب الأسماء واللغات ٤٤/١؛ وطبقات الحفاظ ص ١٥٧ (٣٣٦)؛ والأعلام للزركلي ٢٦/٦.

والحنفية[1]، والحنبلية[2]، والثورية[3]، والداودية[4]، والإسحاقية[5]،

---

(١) نسبة إلى أبي حنيفة النعمان بن ثابت التيمي بالولاء، الكوفي، الفقيه المجتهد أحد الأئمة الأربعة، ولد سنة ٨٠هـ بالكوفة ونشأ بها من تصانيفه المسند في الحديث والمخارج في الفقه، والفقه الأكبر، مات ـ رحمه الله ـ ببغداد سنة ١٥٠هـ.
انظر: البداية والنهاية ١٠/٩٧، ١٠٧؛ والانتقاء ص ١٢٢؛ والأعلام ٨/٣٦؛ وطبقات الحفاظ ص ٨٠ (١٥٦)؛ وتذكرة الحفاظ ١/١٦٨.

(٢) نسبة إلى الإمام أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، إمام المذهب الحنبلي وأحد الأئمة الأربعة، أصله من مرو، ولد ببغداد سنة ١٦٤هـ، رحل في سبيل العلم رحلات طويلة وكثيرة، امتحن بالقول بخلق القرآن في زمن المعتصم وسجن سنتين وأربعة أشهر ـ رضي الله عنه ـ. من تصانيفه المسند في ستة مجلدات، والناسخ والمنسوخ والرد على الزنادقة والجهمية، وغيرها. مات ـ رحمه الله ـ سنة ٢٤١هـ. في زمان المتوكل.
انظر: البداية والنهاية ١٠/٣٢٥ ـ ٣٣٠؛ وطبقات الحنابلة ١/٤ ـ ٢٠؛ طبقات الحفاظ ص ١٨٩ (٤١٧)؛ وتذكرة الحفاظ ٢/٤٣١.

(٣) نسبة إلى سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أمير المؤمنين في الحديث، سيد أهل زمانه ولد سنة ٩٧هـ في الكوفة، مات بالبصرة سنة ١٦١هـ ومن تصانيفه الجامع الكبير والجامع الصغير في الحديث وكتاب في الفرائض.
انظر: طبقات الحفاظ ص ٩٥ (١٨٨)؛ وتذكرة الحفاظ ١/٢٠٢.

(٤) نسبة إلى داود بن علي الأصبهاني الملقب بالظاهري، تنسب إليه الظاهرية، وسميت بذلك لأخذها بظاهر الكتاب والسنة، دون التأويل والرأي والقياس، ولد في الكوفة سنة ٢٠١هـ، له تصانيف كثيرة ذكرها ابن النديم في زهاء صفحتين توفي ببغداد سنة ٢٧٠هـ.
انظر: الفهرست لابن النديم ص ٣٠٣ ـ ٣٠٥؛ ولسان الميزان ٢/٤٢٢؛ وتذكرة الحفاظ ٢/٥٧٢؛ وميزان الاعتدال ٢/١٤؛ وطبقات الحفاظ ص ٢٥٧ (٥٧١)؛ والأعلام ٢/٣٣٣.

(٥) نسبة إلى إسحاق بن إبراهيم بن راهويه الحنظلي التيمي المروزي، ولد سنة ١٦١هـ، عالم خراسان في عصره من سكان مرو، أحد كبار الحفاظ، طاف البلاد لجمع الحديث، وأخذ عنه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم من تصانيفه المسند وغيره مات رحمه الله سنة ٢٣٨هـ بنيسابور. =

وغيـرهم، ولا قـول طـائفـةٍ من طـوائف المتكلمين من المسلميـن، لا المنتسبين إلى السنـة كالأشعـرية، والكـرامية ولا غيـرهم كـالمعتـزلـة والشيعة، وأمثالهم وإنما قال ذلـك طائفـة قليلة انتسبت إلى بعض علماء المسلمين مثل قليل من المالكية، والشافعية، والحنبليـة، وهؤلاء غايتهم أن يقولوا بحلول صفـة من صفات الله، وكـذلـك من قـال بحلول الـرب واتحـاده في العبد من طـوائف الغلاة المنتسبين إلى التشيـع، والتصـوف أو غيرهم، فهم ضلال كالنصارى مع أنه لا حجـة للنصارى على هؤلاء؛ إذ كان ما يقولونه لا يختص به المسيح، بل هو مشترك بينه وبين غيره من الأنبياء، والصالحين.

والنصـارى تـدعي اختصـاص المسيـح بـالاتحـاد مـع أن المتحـد بـالناسـوت صار هـو[1] والناسـوت شيئاً واحـداً، ومع الاتحـاد فيمتنع أن يكون لأحدهما فعل أو صفة خارج عن الآخر، والنصارى يدعون الاتحاد ثم يتنـاقضـون. فمنهم من يقـول: جـوهـر واحـد، ومنهم من يقـول: جوهران، ومنهم من يقـول: مشيئة واحـدة، ومنهم من يقول: مشيئتـان، كما سيأتي الكلام ــ إن شاء الله تعالى ــ على ذلك[2].



= انظر: تهـذيب التهـذيب ٢١٦/١؛ وطبقـات الحنـابلة ١٠٩/١؛ وطبقـات الحفـاظ ص ١٩١ (٤١٨)؛ وتذكرة الحفاظ ٤٣٣/٢.

(١) في جميع النسخ زيادة (هو).

(٢) سيتحدث عن ذلك في مواضع متفرقة من هذا الكتاب، وخصوصاً في الجزء الثاني منه.

فصل

وأما قوله ـ تعالى ـ :

﴿ ... يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ... ﴾[1].

ردّ دعواهم الفضل لهم على المسلمين بقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾

فهذا حق كما أخبر الله به، فمن اتبع المسيح ـ عليه السلام ـ جعله الله فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة وكان الذين اتبعوه على دينه الذي لم يبدل قد جعلهم الله فوق اليهود، وأيضاً فالنصارى فوق اليهود الذين كفروا به إلى يوم القيامة.

وأما المسلمون فهم مؤمنون به ليسوا كافرين به بل لما بدل النصارى دينه وبعث الله محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بدين الله الذي بعث به المسيح وغيره من الأنبياء جعل الله محمداً وأمته فوق النصارى إلى يوم القيامة، كما في الصحيحين عن أبي هريرة، عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد وإن أولى الناس بابن مريم لأنا، إنه[2] ليس بيني وبينه نبي»[3].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ... ﴾[4].

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٥٥.
(٢) في ط (لأنه).
(٣) سبق تخريجه في أول الكتاب.
(٤) سورة الشورى: الآية ١٣.

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾[1].

فكل من كان أتم إيماناً بالله ورسله، كان أحق بنصر الله ــ تعالى ــ ؛ فإن الله[2] يقول في كتابه:

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾[3].

وقال في كتابه:

﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾[4].

واليهود كذبوا المسيح ومحمداً ــ صلَّى الله عليهما وسلَّم ــ كما قال الله فيهم:

﴿ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ . . . ﴾[5].

فالغضب الأول: بتكذيبهم[6] المسيح، والثاني: بتكذيبهم لمحمد[7] ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ والنصارى لم يكذبوا المسيح، فكانوا[8] منصورين على اليهود، والمسلمون منصورون على اليهود

---

(١) سورة المؤمنون: الآيات ٥١ ــ ٥٣.
(٢) في ط (فإن الله تعالى).
(٣) سورة غافر: الآية ٥١.
(٤) سورة الصافات: الآيات ١٧١ ــ ١٧٣.
(٥) سورة البقرة: الآية ٩٠.
(٦) في ك، ط (تكذيبهم).
(٧) في ك، ط (محمداً) وسقطت (بتكذيبهم) منها.
(٨) في ك، ط (وكانوا).

والنصارى، فإنهم آمنوا بجميع كتب الله ورسله، ولم يكذبوا بشيء من كتبه ولا كذبوا أحداً من رسله، بل اتبعوا ما قال الله لهم، حيث قال:

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[2].

ولما[3] كان المسلمون هم المتبعون لرسل الله كلهم المسيح وغيره، وكان الله قد وعد أن ينصر[4] الرسل وأتباعهم قال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في الحديث الصحيح: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرة على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة»[5].

وقال أيضاً: «سألت ربي أن لا يسلط على أمتي عدواً من غيرهم فيجتاحهم فأعطانيها»[6] الحديث.

فكان ما احتجوا به حجة عليهم لا لهم.



---

(١) سورة البقرة: الآية ١٣٦.
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨٥.
(٣) في س (فلما).
(٤) سقطت (أن ينصر) من ك، ط.
(٥) سبق تخريجه.
(٦) سبق تخريجه.

فصل

وأما قوله ـ تعالى ـ [1]:

﴿. . . وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ. . . ﴾[2].

بيان معنى الروح القُدُس ودفع اعتقاد النَّصارى ألوهيَّته

فهو[3] حق كما أخبر الله به، وقد ذكر ـ تعالى ـ تأييد عيسى بن مريم بروح القدس في عدة مواضع، فقال ـ تعالى ـ في سورة البقرة:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ. . . ﴾[4].

وقال ـ تعالى :

﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[5].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿. . . يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ

---

(١) في ك، ط (وأما قولهم). (٢) سورة البقرة: الآية ٨٧.

(٣) في س (فهذا) وفي ك، ط (فهذا حق كما قال تعالى).

(٤) سورة البقرة: الآية ٨٧. (٥) سورة البقرة: الآية ٢٥٣.

طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي . . . ﴾[1] .

وقال ـ تعالى ـ في القرآن :

﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾[2] .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴾[3] .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا ﴾[4] .

فروح القدس الذي نزل[5] بالقرآن من الله هو الروح الأمين، وهو جبريل .

وثبت في الصحيح عن أبي هريرة أنه سمع النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يقول لحسان بن ثابت: «أجب عني اللهم أيده بروح القدس»[6] .

---

(١) سورة المائدة: الآية ١١٠ .

(٢) سورة النحل: الآيتان ١٠١، ١٠٢ .

(٣) سورة الشعراء: الآيتان ١٩٣، ١٩٤ .

(٤) سورة البقرة: الآية ٩٧ .

(٥) في س (ينزل) .

(٦) رواه البخاري في كتاب الصلاة، باب الشعر في المسجد ١/١٦٦، وفي كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة ـ صلوات الله عليهم ـ ٤/٧٩؛ ومسلم في فضائل الصحابة، باب فضائل حسان ـ رضي الله عنه ـ ٤/١٩٣٣ (١٥١)، (١٥٢)؛ وأحمد في مسند أبي هريرة ٢/٢٦٩، ٥/٢٢٢؛ والحميدي في مسنده ٢/٤٧٠ (١١٠٥) .

وفي صحيح مسلم وغيره عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: سمعت النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يقول لحسان بن ثابت[1]: «إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله»[2].

وفي الصحيحين عن البراء بن عازب قال: سمعت رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يقول لحسان بن ثابت: «اهجهم أو هاجهم وجبريل معك»[3].

---

(١) هو حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، صحابي جليل، شاعر الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام عاش في الجاهلية ٦٠ سنة ومثلها في الإسلام وعمي قبل وفاته، مات ـ رضي الله عنه ـ بالمدينة سنة ٥٤هـ، حُفظ بعض شعره في ديوان مطبوع.
انظر: تهذيب التهذيب ٢٤٧/٢؛ والإصابة لابن حجر ٣٢٥/١ (١٧٠٤)؛ والأعلام ١٧٥/٢.

(٢) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان ١٩٣٦/٤ (١٥٧)؛ ورواه أبو داود في كتاب الأدب، باب ما جاء في الشعر ٢٨٠/٥ (٥٠١٥)، ورواه الترمذي في الأدب، باب إنشاد الشعر ١٣٨/٥ (٢٨٤٦)، ورواه أحمد في مسنده من حديث عائشة ٧٢/٦.
المنافحة: المدافعة، ومنه قولهم نفحت الرجل بالسيف إذا تناولته من بعد ونفحته الدابة إذا أصابته بحد حافرها.
انظر: معالم السنن للخطابي ٢٨٠/٥، وقد روى الإمام البخاري في صحيحه قال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا عبدة، عن هشام، عن أبيه قال: ذهبت أسب حسان عند عائشة فقالت: لا تسبه فإنه كان ينافح عن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، رواه البخاري في كتاب المغازي ٦١/٥؛ وفي المناقب ١٦٢/٤.

(٣) رواه البخاري في كتاب المغازي، باب مرجع النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ٥١/٥؛ ومسلم في كتاب فضائل الصحابة باب فضائل حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ ١٩٣٣/٤ (١٥٣)؛ وأحمد في مسنده ٢٨٦/٤، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠١، ٣٠٣ من حديث البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ.

فهذا حسان بن ثابت واحد من المؤمنين لما نافح عن الله ورسوله، وهجا المشركين الذين يكذبون الرسول أيده الله بروح القدس وهو جبريل ـ عليه السلام ـ وأهل الأرض يعلمون أن محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لم يكن يجعل اللاهوت متحداً بناسوت[1] حسان بن ثابت، فعلم أن إخباره بأن الله أيده بروح القدس لا يقتضي اتحاد اللاهوت بالناسوت، فعلم أن التأييد بروح القدس ليس من خصائص المسيح، وأهل الكتاب يقرون بذلك وأن غيره من الأنبياء كان مؤيداً بروح القدس، كداود وغيره، بل يقولون إن الحواريين كانت فيهم روح القدس، وقد ثبت باتفاق المسلمين واليهود والنصارى أن روح القدس يكون في غير المسيح، بل في غير الأنبياء كما سيأتي إن شاء الله [2].

وإنما المقصود في هذا المقام، بيان كذبهم على محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وهذا التأييد نظير قوله ـ تعالى ـ :

﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾[3].

فهذا التأييد بروح منه عام لكل من لم يحب أعداء الرسل وإن كانوا أقاربه، بل يحب من يؤمن بالرسل وإن كانوا أجانب، ويبغض من لم يؤمن بالرسل وإن كانوا أقارب وهذه ملة إبراهيم.

---

(١) في ط (بناسبون) وهو خطأ ظاهر.

(٢) في ك، ط (إن شاء الله تعالى).

(٣) سورة المجادلة: الآية ٢٢.

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ . . . ﴾[1].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[2].

وقال[3]: ﴿ . . . فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ . . . ﴾[4].

وهذا التأييد بروح القدس لمن ينصر الرسل عام في كل من نصرهم على من خالفهم من المشركين وأهل الكتاب كما تقدم[5] وليس في القرآن، ولا في الإنجيل، ولا غير ذلك من كتب الأنبياء أن روح القدس الذي أيد به المسيح هو صفة الله القائمة به وهي حياته ولا أن روح القدس رب[6] يخلق ويرزق فليس روح القدس هي الله، ولا صفة من صفات الله، بل ليس في شيء من كلام الأنبياء أن صفة الله القائمة به تسمى ابناً، ولا روح القدس.

فإذا تأول النصارى قول المسيح[*] عمدوا الناس باسم الآب والابن وروح القدس على أن الابن صفته التي هي العلم، وروح

---

(١) سورة الممتحنة: الآية ٤.
(٢) سورة الزخرف: الآيات ٢٦ ــ ٢٨.
(٣) في ط (وقال تعالى).
(٤) سورة التوبة: الآية ١١٤.
(٥) في س (كما كان تقدم).
(٦) سقطت (رب) من ك. ط .

(*) هذا على التسليم بأنه قال ذلك، وإلاّ فإنه لم يثبت بطريق صحيح كما سيوضح الشيخ ــ رحمه الله ــ في مواضع عديدة.

القدس صفته التي هي الحياة، كان هذا كذباً بيناً على المسيح، فلا[1] يوجد قط في كلامه ولا كلام غيره من الأنبياء تسمية الله، ولا شيئاً من صفاته ابناً، ولا حياته روح القدس.

وأيضاً: فهم يذكرون في الأمانة أن المسيح تجسد من مريم ومن روح القدس وهذا يوافق ما أخبر الله به من أنه أرسل روحه الذي هو جبريل، وهو روح القدس فنفخ في مريم فحملت بالمسيح، فكان المسيح متجسداً[2] مخلوقاً من أمه ومن[3] ذلك الروح ـ وهذا الروح ليس صفة لله[4]، لا حياته ولا غيرها، بل روح القدس قد جاء ذكرها كثيراً في كلام الأنبياء، ويراد بها إما الملك، وإما ما يجعله الله في قلوب أنبيائه وأوليائه من الهدى والتأييد ونحو ذلك كما قال ـ تعالى ـ:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾[5].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ﴾[6].

---

(1) في ك، د (ولا).

(2) في س (متحداً).

(3) في ك، ط (من) بدون واو.

(4) في ك، ط (الله).

(5) سورة المجادلة: الآية ٢٢، وفي التفسير قال الإمام الشوكاني ـ رحمه الله ـ: قواهم بنصر منه على عدوهم في الدنيا، وسمّى نصره لهم روحاً لأن به يحيا أمرهم، وقيل: هو نور القلب، وقال الربيع بن أنس: بالقرآن والحجة، وقيل: بجبريل، وقيل: بالإيمان، وقيل: برحمة.
انظر: فتح القدير ٥/١٩٣.

(6) سورة الشورى: الآية ٥٢. قال ابن كثير الوحي هنا: القرآن ٤/١٢٢ من تفسيره.

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾(١) .

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴾(٢) .

فسمى الملك روحاً وسمى ما ينزل به الملك روحاً وهما متلازمان، والمسيح ــ عليه السلام ــ مؤيد بهذا وهذا.

ولهذا قال كثير من المفسرين: إنه جبريل، وقال بعضهم: إنه الوحي، وهذا كلفظ الناموس يراد به صاحب سر الخير كما يراد بالجاسوس صاحب سر الشر فيكون الناموس جبريل، ويراد به الكتاب الذي نزل به وما فيه من الأمر والنهي والشرع، ولما(٣) قال ورقة بن نوفل للنبي ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ : «هذا هو الناموس الذي كان يأتي موسى»(٤)، فسر الناموس بهذا وهذا وهما متلازمان.



---

(١) سورة النحل: الآية ٢.
المراد بالروح هنا الوحي كما ذكر المفسرون قال الشوكاني ــ رحمه الله ــ سمّى الوحي روحاً، لأنه يحيي قلوب المؤمنين، فإن من جملة الوحي القرآن، وهو نازل من الدين منزلة الروح من الجسد. انظر: فتح القدير ٣/١٤٧.

(٢) سورة غافر: الآية ١٥.

(٣) في أ (قلما) وفي س (فلما)، وصححناه من ك، ط .

(٤) سبق تخريجه في أول الكتاب.

فصل

الرد على النصارى في احتجاجهم بآية سورة الحديد على مدح الرهبانية

وأما قوله ـ تعالى ـ :

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢٥) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٦) ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ ۖ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٧) ﴾[١].

فهو حق كما قال ـ تعالى ـ وليس في ذلك مدح للرهبانية ولا لمن بدل دين المسيح، وإنما فيه مدح لمن اتبعه بما جعل الله في قلوبهم من الرحمة والرأفة حيث يقول: ﴿ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾.

ثم قال: ﴿ . . . وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ . . . ﴾.

أي وابتدعوا رهبانية ما كتبناها عليهم «وهذه الرهبانية لم يشرعها الله[٢] ولم يجعلها مشروعة لهم، بل نفى جعله عنها كما نفى ذلك عما ابتدعه المشركون بقوله:

﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾[٣].

---

(١) سورة الحديد: الآيات ٢٥ ـ ٢٧.

(٢) في أ، س (لهم) بدل (الله). (٣) سورة المائدة: الآية ١٠٣.

وهـذا الجعل المنفي عن البـدع هو الجعـل الذي أثبتـه للمشروع بقوله ـ تعالى ـ : ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[1] .

وقولـه: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾[2] .

فالرهبانية ابتدعوهـا لـم يشرعهـا الله. وللناس في قـوله: «ورهبـانية» قولان:

أحـدهما: أنهـا منصوبـة[3]: يعني ابتدعـوها إمـا بفعل مضمـر[4] يفسره ما بعده، أو يقال هذا الفعل عمل[5] في المضمر والمظهر كمـا هو

---

(١) سورة المائدة: الآية ٤٨.

(٢) سورة الحج: الآية ٦٧.

(٣) إذا نصبت كان في إعرابها وجهان:

١ ـ رهبانية: معطوف على ما قبله، وابتدعوها (الجملة) في موضع صفة رهبانية.

٢ ـ ذهب أبو علي الفارسي، والزمخشري إلى أنها منصوبة على إضمار فعل يفسره ما بعده فهي من باب الاشتغال. قـال أبو حيـان في البحر المحيط ٢٢٨/٨: «وهـذا إعراب المعتزلـة، وكان أبـو علي معتزليـاً، وهم يقولـون ما كـان مخلوقاً لله لا يكـون مخلوقاً للعبد، فالرأفـة، والرحمـة من خلق الله، والرهبـانية من ابتـداع الإنسان فهي مخلوقـة لـه، وهـذا الإعـراب ليس بجيـد...». وقـال ابن هشـام في مغني اللبيب ٦٣٩/٢: «والمشهور أنه عـطف على ما قبله، وابتـدعوهـا صفة، ولا بـد من تقديـر مضاف أي: وحب رهبانية، وإنما لم يحمل أبو علي الآية على ذلك لاعتزاله فقـال: لأنما يبتدعونه لا يخلقه الله ـ عز وجل ـ». اهـ.

وانظر في هذا زيادة على ما تقدم: التبيان في إعـراب القرآن للعكبـري ص ١٢١١؛ ومغني اللبيب لابن هشـام ٦٣٩/٢؛ ودراسات لأسلوب القـرآن الكريم لعبـد الخالق عضيمة/ القسم الثالث/ ١٦/٢ ـ ١٧؛ وتفسير القرطبـي ٢٦٣/١٧ (مجلد ٩).

(٤) في أ، س جملة زائدة بعد كلمـة (مضمر)، وجـاءت هكذا (بفعـل مضمر على قـوله وأصحابه يفسره...) إلخ، ويبدو لي أن جملة (على قوله وأصحابه) زائدة لا مكـان لها.

(٥) في ط (يعمل).

قول الكوفيين[1]. حكاه عنهم ابن جرير[2] وثعلب[3] وغيرهما ونظيره قوله: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا﴾[4].

وقوله: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ...﴾[5].

وعلى هذا القول، فلا تكون الرهبانية معطوفة على الرأفة، والرحمة.

والقول الثاني: * إنها معطوفة عليها فيكون الله قد جعل في قلوبهم[6] * الرأفة والرحمة والرهبانية[7] المبتدعة، ويكون هذا جعلاً

---

(١) قال ابن يعيش في باب الاشتغال: «وذهب الكوفيون إلى أنه منصوب بالفعل الظاهر، وإن كان قد اشتغل بضميره؛ لأن ضميره ليس غيره، وإذا تعدى إلى ضميره كان متعدياً إليه». انظر: شرح المفصل ٢/٣٠.

(٢) ابن جرير: سبقت ترجمته.

(٣) ثعلب: هو أحمد بن يحيى ثعلب الشيباني، مولاهم، اشتهر بالحفظ ومعرفة الغريب، ورواية الشعر القديم، وكان محدثاً، ولد سنة ٢٠٠هـ ببغداد، ومات بها سنة ٢٩١هـ، له تصانيف كثيرة منها: معاني القرآن، وإعراب القرآن والفصيح، وقواعد الشعر، وغيرها.
انظر ترجمته في: مراتب النحويين ص ١٥١؛ وطبقات النحويين أو اللغويين ص ١٥٥ ـ ١٦٧؛ وإنباه الرواة ١/١٣٨؛ ومناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص ٦١٢؛ والأعلام ١/٢٥٢.

(٤) سورة الإنسان: الآية ٣١.

(٥) سورة الأعراف: الآية ٣٠.

(٦) ما بين النجمتين ساقط من س، وجاءت الجملة هكذا (القول الرأفة والرحمة والرهبانية المبتدعة)، وهو ثابت في أ، ط، وأما في ك فسقط كلام كثير سنحدده فيما بعد بعدة أسطر.

(٧) نقل القرطبي في تفسيره ١٧/٢٦٣ (مجلد ٩)، عن الماوردي أن في (رهبانية) قراءتين: إحداهما بفتح الراء وهي الخوف من الرهب، الثانية بضم الراء، وهي منسوبة إلى الرهبان كالرضوانية من الرضوان.
وانظر: لسان العرب ١/٤٢١؛ والنهاية ٢/١١٣.

خلقياً كونياً والجعل الكوني يتناول الخير والشر كقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ . . . ﴾[1] .

وعلى هذا القول: فلا مدح للرهبانية بجعلها[2] في القلوب، فثبت على التقديرين أنه[3] ليس في القرآن مدح للرهبانية[4] .

ثم قال: (إلَّا ابتغاء رضوان الله).

أي لم يكتب عليهم إلَّا ابتغاء رضوان الله، وابتغاء رضوان الله بفعل ما أمر به لا بما يبتدع، وهذا يسمّى استثناء منقطعاً[5] .

---

(١) سورة القصص: الآية ٤١ .

(٢) في س، ط (لأنها) بدل (بجعلها).

(٣) في س، ط (فثبت أنه على التقديرين).

(٤) سقطت (للرهبانية) من ط .

(٥) إذا استثنى بإلا وكان الكلام غير تام وهو الذي لم يذكر فيه المستثنى منه فلا عمل لإلاَّ، وهذا يسمى مُفرَّغاً. وشرطه أن يكون الكلام غير إيجاب. أي سبقه نفي أو نهي أو استفهام إنكاري نحو: وما محمد إلَّا رسول، ولا تقولوا على الله إلَّا الحق، فهل يهلك إلَّا القوم الفاسقون. وإن كان الكلام تاماً أي ذكر فيه المستثنى منه: فإن كان موجباً نصب المستثنى نحو فشربوا منه إلَّا قليلاً، وإن كان الكلام غير موجب فله حالان: إما أن يكون الاستثناء متصلاً، والأرجح في ذلك اتباع المستثنى للمستثنى منه، بدل بعض عند البصريين أو عطف نسق عند الكوفيين، نحو ما فعلوه إلَّا قليل منهم أي لكن قليل منهم.

وأما أن يكون الاستثناء منقطعاً فإن لم يمكن تسليط العامل على المستثنى وجب النصب بالاتفاق نحو ما زاد هذا المال إلَّا ما نقص. وإن أمكن التسليط فالحجازيون ينصبون وجوباً نحو ما لهم به من علم إلَّا اتباع الظن، وتميم يرجحونه ويجيزون الاتباع، نحو وبلدة ليس بها أنيس: إلَّا اليعافير وإلَّا العيس.

هذا ملخص ما ورد عن الاستثناء المفرغ والمتصل، والمنقطع.

وانظر: أوضح المسالك ص ٣٠٧؛ وشذور الذهب ص ٢٦٠ .

كما في قوله:

﴿ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ ﴾[1].

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا . . . ﴾[2].

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ . . . ﴾[3].

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾[4].

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا ﴾[5].

وقوله: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ﴾[6].

وهذا أصح الأقوال في هذه الآية كما هو مبسوط في موضع آخر[7].

---

(١) سورة النساء: الآية ١٥٧.

(٢) سورة النساء: الآية ٢٩.

(٣) سورة الدخان: الآية ٥٦.

(٤) سورة الانشقاق: الآيات ٢٠ ــ ٢٥.

(٥) سورة الواقعة: الآيتان ٢٥ ــ ٢٦.

(٦) سورة النساء: الآية ٩٢.

(٧) في ط جملة زائدة هكذا (وذكر أنهم ابتدعوا الرهبانية) ولا مكان لها هنا حيث ستأتي بعد أسطر قليلة في موضعها المناسب.

ولا يجوز أن يكون المعنى أن الله كتبها عليهم ابتغاء رضوان الله؛ فإن الله لا يفعل شيئاً ابتغاء رضوان نفسه، ولا أن المعنى أنهم ابتدعوها ابتغاء رضوانه كما يظن هذا وهذا بعض الغالطين، كما قد بسط في موضع آخر.

وذكر أنهم ابتدعوا الرهبانية، وما رعوها حق رعايتها[١]، وليس في ذلك مدح لهم بل هو ذم، ثم قال ـ تعالى ـ :

﴿فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡۖ . . .﴾[٢].

وهم الذين آمنوا بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وكثير منهم فاسقون، ولو أريد الذين آمنوا بالمسيح أيضاً فالمراد من اتبعه على دينه الذي لم يبدل وإلَّا[٣] فكلهم يقولون إنهم مؤمنون بالمسيح، وبكل حال فلم يمدح ـ سبحانه ـ إلَّا من اتبع المسيح على دينه الذي لم يبدل، ومن آمن بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لم يمدح النصارى الذين بدلوا دين المسيح ولا الذين لم يؤمنوا بمحمد صلَّى الله عليه وسلَّم[٤].

فإن قيل: قد قال بعض الناس: إن قوله ـ تعالى ـ : ورهبانية ابتدعوها عطف على رأفة ورحمة، وإن المعنى أن الله جعل في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية أيضاً[٥] ابتدعوها وجعلوا الجعل شرعياً

---

(١) من قوله: ولم يجعلها مشروعة لهم بل نفى جعله عنها ـ إلى هذا الموضع ساقط كله من نسخة ك، أي من بعد بداية الفصل بأربعة أسطر إلى هذا الموضع، أي حوالي (٣٠) سطراً.

(٢) سورة الحديد: الآية ٢٧.

(٣) في ك، ط (والآن)، وهو خطأ.

(٤) جملة (لم يمدح إلى آخرها) ساقطة من س.

(٥) سقطت (أيضاً) من س، ك، ط .

ممدوحاً. قيل: هذا غلط لوجوه:

منها: أن الرهبانية لم تكن في كل من اتبعه، بل الذين صحبوه كالحواريين لم يكن فيهم راهب، وإنما ابتدعت الرهبانية بعد ذلك بخلاف الرأفة والرحمة فإنها جعلت في قلب كل من اتبعه.

ومنها: أنه أخبر أنهم ابتدعوا الرهبانية بخلاف الرأفة والرحمة، فإنهم لم يبتدعوها، وإذا كانوا ابتدعوها لم يكن قد شرعها لهم، فإن كان المراد هو الجعل الشرعي الديني لا الجعل الكوني القدري فلم تدخل الرهبانية في ذلك[1]، وإن كان المراد الجعل الخلقي الكوني فلا مدح للرهبانية في ذلك.

ومنها: أن الرأفة والرحمة جعلها في القلوب، والرهبانية لا تختص بالقلوب بل الرهبانية ترك المباحات من النكاح واللحم وغير ذلك، وقد كان طائفة من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ هموا بالرهبانية[2]، فأنزل الله ـ تعالى ـ نهيهم عن ذلك بقوله ـ تعالى ـ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾[3].

وثبت في الصحيحين: أن نفراً من أصحاب النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال أحدهم: أما أنا فأصوم لا أفطر، وقال آخر: أما أنا

---

(١) سقطت جملة (فلم تدخل الرهبانية في ذلك) من ك.

(٢) في س، ك، ط (بالترهب).

(٣) سورة المائدة: الآية ٨٧.
انظر أسباب النزول للواحدي ص ١٥٢ ـ ١٥٣؛ وتفسير ابن جرير الطبري ٧/٧ ـ ٩ (مجلد ٥)؛ وتفسير ابن كثير ٢/٨٧؛ وفتح القدير للشوكاني ٢/٧٠.

فأقوم لا أنام. وقال آخر[1]: أما أنا فلا أتزوج النساء، وقال آخر[2]: أما أنا فلا آكل اللحم.

فقام النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ خطيباً فقال: «ما بال رجال يقول أحدهم كذا وكذا لكني أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأتزوج النساء، وآكل اللحم فمن رغب عن سنتي فليس مني»[3].

وفي صحيح البخاري أن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ رأى رجلاً قائماً في الشمس فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا أبو[4] إسرائيل[5] نذر أن يقوم في الشمس ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم. فقال: «مروه فليجلس وليستظل وليتكلم وليتم صومه»[6].

---

(١) في ط (الآخر).

(٢) في س، ك، ط (الآخر).

(٣) أخرجه البخاري من حديث أنس بن مالك في أول كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح وليس فيه «فقام رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ خطيباً» ٦/١١٦، وأخرجه مسلم من حديث أنس أيضاً في النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت إليه نفسه ووجد مؤونة ٢/١٠٢٠، وفيه اختلاف يسير في اللفظ لا يضر بالمعنى وقد ورد فيه «فحمد الله وأثنى عليه»... الحديث، ورواه أحمد في مسند أنس ٣/٢٤١، ٢٥٩، ٢٨٥، ورواه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص بنحوه ٢/١٥٨.

(٤) سقطت (أبو) من أ.

(٥) هو أبو إسرائيل الأنصاري أو القرشي العامري، قال ابن حجر: «ذكره البغوي وغيره في الصحابة، وقال أبو عمر: قيل اسمه يسير بتحتانية ومهملة مصغراً، وأورده ابن السكن والباوردي في حرف القاف وفي قشير بقاف ومعجمة». اهـ. قلت: هذا ما ذكره ابن حجر ولم نقف على مولده ووفاته وشيء من حياته غير هذه الإشارة من ابن حجر في الإصابة في موضعين ٣/٢٢٧ (٧١١٢)، ٤/٦ (٢٦).

(٦) رواه البخاري من حديث ابن عباس في كتاب الأَيْمان والنذور، باب النذر فيما لا يملك وفي معصيته ٧/٢٣٤، وأبو داود في كتاب الأَيْمان والنذور، باب من رأى =

وثبت في صحيح مسلم عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه كان[1] يقول في خطبته: «خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»[2].

وفي السنن عن العرباض بن سارية[3] أن النبي ـ صلَّى الله عليه

= عليه كفارة إذا كان في معصية ٣/٥٩٩، وابن ماجه في الكفارات ١/٦٩٠ (٢١٣٦)، ومالك في الموطأ، كتاب النذور والأَيْمَان (مرسلًا) بسنده عن حميد بن قيس، وثور بن زيد الديلي، ٢/٤٧٥، ورواه أحمد في المسند ٤/١٦٨ من حديث ابن طاووس، عن أبيه، عن أبي إسرائيل. ورواه الإمام الشافعي في مسنده، عن طاووس ص ٣٣٩.

قال الخطابي ـ رحمه الله ـ في معالم السنن ٣/٥٩٩: «قد تضمن نذره نوعين من طاعة ومعصية فأمره النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بالوفاء بما كان منهما طاعة وهو الصوم، وأن يترك ما ليس بطاعة من القيام في الشمس، وترك الكلام، وترك الاستظلال بالظل، وذلك لأن هذه الأمور مشاق تتعب البدن وتؤذيه، وليس في شيء منها قربة إلى الله ـ سبحانه ـ وقد وضعت عن هذه الأمة الآصار والأغلال التي كانت عليهم.

(١) سقطت (أنه كان) من أ.

(٢) هذا قطعة من حديث رواه مسلم في كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة ٢/٥٩٢ من حديث جابر بن عبد الله قال: كان رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش، يقول: صبحكم ومساكم، ويقول: بعثت أنا والساعة كهاتين، ويقرن بين إصبعيه السبابة، والوسطى ويقول: «أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ثم يقول: أنا أولى بكل مؤمن من نفسه. من ترك مالاً فلأهله، ومن ترك ديناً أو ضياعاً فإليَّ وعليَّ».

وأخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب اجتناب البدع والجدل ١/١٧ (٤٥).

(٣) العرباض (بكسر أوله وسكون الراء بعدها موحدة) ابن سارية السلمي أبو نجيح، صحابي مشهور من أهل الصفة، أسلم قديماً، وهو ممن نزل فيه قوله ـ تعالى ـ: ﴿ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم﴾. حديثه في السنن الأربعة نزل حمص، ومات بعد السبعين، قيل: سنة ٧٥هـ، وقيل: في فتنة ابن الزبير. =

وسلَّم ـ قال: «عليكم بسنتي وسنَّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة»[1].

قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وقد بينت النصوص الصحيحة أن الرهبانية بدعة وضلالة، وما كان بدعة وضلالة لم يكن هدى، ولم يكن الله جعلها بمعنى أنه شرعها، كما لم يجعل الله ما شرعه المشركون من البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام[2].

= انظر: الإصابة لابن حجر ٢/٤٦٦ (٥٥٠٣)؛ وتقريب التهذيب ٢/١٧؛ وتهذيب الأسماء واللغات للنووي ١/٣٣٠ (٤٠٢).

(١) هذا جزء من حديث رواه الترمذي في كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنَّة واجتناب البدع ٥/٤٤ (٢٦٧٦)، وفيه تقديم وتأخير، وقال عنه: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه في المقدمة، باب اتباع سنَّة الخلفاء الراشدين ١/١٥ (٤٢)، ورواه بلفظ مقارب من طريق أخرى وفيه زيادة (تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها)، حديث (٤٣)، ورواه أبو داود في كتاب السنَّة باب في لزوم السنة ٥/١٣ (٤٦٠٧)، وأحمد في مسنده ٤/١٢٦، ١٢٧.

(٢) **البحيرة**: هي الناقة إذا نتجت خمسة أبطن عمد إلى الخامس فما لم يكن ذكراً شق آذانها ثم لا يجز لها وبراً، ولا يذوق لها لبناً، وسماها لآلهتهم.
والسائبة: ما يسيب من ماله، ولا يمنع من حوض ولا حمى.
والوصيلة: الشاة إذا ولدت سبعاً عمد إلى السابع فإن كان ذكراً ذبح لآلهتهم وإن كان أنثى تركت، وإن كان في بطنها اثنان ذكر وأنثى فيتركان جميعاً لا يذبحان، وقالوا: وصلت أخاها.
والحام: الفحل يكون عند الرجل فإذا لقح عشر سنين قيل: قد حمى ظهره وسمي بحام.
انظر: تفسير ابن جرير ٧/٥٦ ــ ٦٠ (مجلد ٥)؛ وتفسير ابن كثير ٢/١٠٧ ــ ١٠٨؛ وفتح القدير ٢/٨٢؛ وصحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ما جعل الله من بحيرة. . . ، ٥/١٩١.

فإن قيل: قد قال طائفة: معناها ما فعلوها إلَّا ابتغاء رضوان الله ما كتبناها عليهم إلَّا ابتغاء رضوان الله[1].

وقالت طائفة: ما فعلوها أو[2] ما ابتدعوها إلَّا ابتغاء رضوان الله.

قيل: كلا القولين خطأ والأول أظهر خطأ؛ فإن الرهبانية لم يكتبها الله عليهم، بل لم يشرعها لا إيجاباً ولا استحباباً، ولكن ذهبت طائفة إلى أنهم لما ابتدعوها كتب عليهم إتمامها وليس في الآية ما يدل على ذلك فإنه قال:

﴿... مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا...﴾[3].

فلم يذكر أنه كتب عليهم نفس الرهبانية ولا إتمامها ولا رعايتها، بل أخبر أنهم ابتدعوا بدعة، وأن تلك البدعة لم يرعوها حق رعايتها.

فإن قيل: قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾.

يدل على أنهم لو رعوها حق رعايتها لكانوا ممدوحين.

قيل: ليس في الكلام ما يدل على ذلك، بل يدل على أنهم ـ مع عدم الرعاية ـ يستحقون من الذم ما لا يستحقونه بدون ذلك، فيكون ذم من ابتدع البدعة ولم يرعها حق رعايتها أعظم من ذم من رعاها، وإن لم يكن واحد منهما محموداً، بل مذموماً مثل نصارى بني تغلب[4]

---

(1) سقطت جملة (ما كتبناها... إلخ) من س. (2) في أ (و).
(3) سورة الحديد: الآية ٢٧.
(4) بني تغلب بن وائل بن قاسط يتصل نسبهم إلى أسد بن ربيعة بن نزار ومنهم بنو جشم، وبنو مالك ابني بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل. وقد =

ونحوهم ممن دخل في النصرانية ولم يقوموا بواجباتها، بل أخذوا منها ما وافق أهواءهم، فكان كفرهم وذمهم أغلظ ممن هو أقل شراً منهم والنار دركات كما أن الجنة درجات.

وأيضاً: فالله تعالى إذا كتب شيئاً على عباده لم يكتب ابتغاء رضوانه، بل العباد يفعلون ما يفعلون ابتغاء رضوان الله.

وأيضاً: فتخصيص الرهبانية بأنه كتبها ابتغاء رضوان الله دون غيرها تخصيص بغير موجب، فإن ما كتبه ابتداء لم يذكر أنه كتبه ابتغاء رضوانه فكيف بالرهبانية؟

وأما قول من قال: ما فعلوها إلاَّ ابتغاء رضوان الله، فهذا المعنى لو دل عليه الكلام لم يكن في ذلك مدح للرهبانية، فإن من فعل ما لم يأمر الله به، بل نهاه عنه مع حسن مقصده، غايته أن يثاب على قصده لا يثاب على ما نهى عنه، ولا على ما ليس بواجب، ولا مستحب، فكيف والكلام لا يدل عليه فإن الله قال[1]:

﴿... مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ...﴾[2].

ولم[3] يقل ما فعلوها إلاَّ ابتغاء رضوان الله، ولا قال: ما ابتدعوها إلاَّ ابتغاء رضوان الله، ولو كان المراد ما فعلوها أو ما ابتدعوها[4] إلاَّ

= ذكر السمعاني في الأنساب نفراً من الصحابة والتابعين من بني تغلب.
انظر: الأنساب ص ١٠٨؛ وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٣٠٢، ٤٦٩.

(١) في س، ك، ط (فإنه قال).

(٢) سورة الحديد: الآية ٢٧.

(٣) في ك، ط (لم) بدون واو، وسقطت الجملة من قوله ولم يقل إلى قوله ولو كان المراد من نسخة س.

(٤) سقطت (أو ما ابتدعوها) من ك.

ابتغـاء رضوان الله، لكـان منصـوبـاً على المفعـوليـة[1]، ولـم يتقـدم لفظ الفعـل ليعمل فيـه ولا نفي الابتداع[2]، بـل أثبته لهم، وإنمـا تقـدم لفظ الكتابة فعلم أن القـول الذي ذكـرناه هـو الصواب، وأنـه استثناء منقـطع فتقـديره وابتـدعوا رهبـانية مـا كتبنـاهـا عليهم، لكن كتبنـا عليهم ابتغـاء رضوان الله، فإن إرضاء الله واجب مكتوب على الخلق وذلك يكون بفعل المأمور وبترك المحظور، لا بفعل ما لم يأمر بفعله وبترك ما لم ينهَ[3] عن تركه، والرهبانية فيها فعل ما لم يؤمر[4] به وترك ما لم ينهَ[5] عنه.



---

(١) في أ، س، ك (المفعول).

(٢) في ط (ابتداع) وسقطت جملة (الابتداع بل أثبته لهم) من ك.

(٣) في س، ك، ط (ينهه).

(٤) في س، ك، ط (يأمر).

(٥) في س، ك، ط (ينهه).

فصل

وأما قوله ـ تعالى ـ :

الردّ على النّصارى في احتجاجهم بأنّ الله مدحهم في قوله ـ تعالى ـ : ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ الآية.

﴿. . . مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[1].

فهذه الآية لا اختصاص فيها للنصارى، بل هي مذكورة بعد قوله ـ تعالى ـ :

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾[2].

ثم قال[3]:

﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ . . .﴾[4].

---

(١) سورة آل عمران: الآيتان ١١٣، ١١٤. (٣) في أ (قالوا) وصححناه من سائر النسخ.

(٢) سورة آل عمران: الآيات ١١٠ ـ ١١٢. (٤) سورة آل عمران: الآية ١١٣.

ومعلوم أن الصفة المذكورة في قوله:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾.

صفة اليهود[1]، وكذلك قوله: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ﴾.

فقوله: عقب ذلك: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾.

لا بد أن يكون متناولاً لليهود، ثم قد اتفق المسلمون والنصارى على أن اليهود مع كفرهم بالمسيح ومحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ليس فيهم مؤمن، وهذا معلوم بالاضطرار من دين محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، والآية إذا تناولت النصارى كان حكمهم في ذلك حكم اليهود، والله ـ تعالى ـ إنما أثنى على من آمن من[2] أهل الكتاب، كما قال ـ تعالى ـ:

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَـٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[3].

وقد ذكر أكثر العلماء أن هذه * الآية الأخرى في آل عمران *[4] نزلت في النجاشي ونحوه ممن آمن بالنبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لكنه لم تمكنه الهجرة إلى النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، ولا العمل

---

(١) في ط (لليهود).

(٢) سقطت (من) من ط.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٩٩.

(٤) سقط ما بين النجمتين من أ.

وانظر في سبب النزول لباب النقول للسيوطي ص ٥٧ ـ ٥٨؛ وأسباب النزول للواحدي ص ١٠٣؛ والصحيح المسند من أسباب النزول للوادعي ص ٣٨ ـ ٣٩.

بشرائع الإسلام لكون[1] أهل بلده نصارى لا يوافقونه على إظهار شرائع الإسلام، وقد قيل[2]: أن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إنما صلَّى عليه لما مات؛ لأجل هذا، فإنه لم يكن هناك من يظهر الصلاة عليه في جماعة كثيرة ظاهرة، كما يصلي المسلمون على جنائزهم.

ولهذا جعل من أهل الكتاب مع كونه آمن بالنبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بمنزلة من يؤمن[3] بالنبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في بلاد الحرب، ولا يتمكن من الهجرة إلى دار الإسلام، ولا يمكنه العمل بشرائع الإسلام الظاهرة، بل يعمل ما يمكنه ويسقط عنه ما يعجز عنه، كما قال ـ تعالى ـ

﴿ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ . . . ﴾[4].

فقد يكون الرجل في الظاهر من الكفار، وهو في الباطن مؤمن، كما كان مؤمن آل فرعون.

قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ

---

(1) في س، ك، (لكونه).

(2) جاء في معالم السنن للخطابي شرح سنن أبي داود ٥٤٢/٣: «النجاشي رجل مسلم قد آمن برسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وصدقه على نبوته إلا أنه كان يكتم إيمانه، والمسلم إذا مات وجب على المسلمين أن يصلوا عليه، إلا أنه كان بين ظهراني أهل الكفر، ولم يكن بحضرته من يقوم بحقه في الصلاة عليه، فلزم رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أن يفعل ذلك إذ هو نبيه ووليه وأحق الناس به، فهذا ـ والله أعلم ـ هو السبب الذي دعاه إلى الصلاة عليه بظهر الغيب».

(3) في س (من لم يؤمن) وهو خطأ.

(4) سورة النساء: الآية ٩٢.

وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ
كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ
ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾
وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ
وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ
يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ
هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم
بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ
مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ
كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ
جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ
سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ
ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ
ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا
يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ
وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ
وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى
ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ
﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٣﴾

﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾[1].

فقد أخبر ــ سبحانه[2] ــ أنه حاق بآل فرعون سوء العذاب، وأخبر أنه كان من آل فرعون رجل مؤمن يكتم إيمانه وأنه خاطبهم بالخطاب الذي ذكره، فهو من آل فرعون[3] باعتبار النسب والجنس والظاهر، وليس هو من آل فرعون الذين يدخلون أشد العذاب وكذلك امرأة فرعون ليست من آل فرعون هؤلاء. قال الله[4] ــ تعالى ــ :

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[5].

وامرأة الرجل من آله بدليل قوله:

﴿ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴾[6].

وهكذا أهل الكتاب فيهم من هو في الظاهر منهم، وهو في الباطن يؤمن بالله ورسوله محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، يعمل بما يقدر عليه ويسقط عنه ما يعجز عنه علماً وعملاً: و ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾، وهو عاجز عن الهجرة إلى دار الإسلام، كعجز النجاشي،

---

(١) سورة غافر: الآيات ٢٨ ــ ٤٦.

(٢) في ط (سبحانه وتعالى).

(٣) سقطت (فرعون) من س.

(٤) سقط لفظ الجلالة من س، ك، ط.

(٥) سورة التحريم: الآية ١١.

(٦) سورة الحجر: الآيتان ٥٩، ٦٠.

وكما أن الذين يظهرون الإسلام فيهم من هم[1] في الظاهر مسلمون، وفيهم من هو منافق كافر في الباطن، إما يهودي، وإما نصراني، وإما مشرك، وإما معطل.

كذلك في أهل الكتاب والمشركين، من هو في الظاهر منهم، ومن[2] هو في الباطن من[3] أهل الإيمان بمحمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ، يفعل ما يقدر على علمه وعمله، ويسقط[4] ما يعجز عنه في ذلك.

وفي[5] حديث حماد بن سلمة عن ثابت[6]، عن أنس قال: لما مات النجاشي قال النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ: «استغفروا لأخيكم» فقال بعض القوم: تأمرنا أن نستغفر لهذا العلج[7]، يموت بأرض الحبشة. فنزلت:

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ...﴾[8].

---

(١) في أ (من هو) وسقطت (فيهم من) من س، وما أثبتناه من ك، ط.

(٢) سقطت (من) من س، ك، ط.

(٣) سقطت (من) من ط.

(٤) في س، ك، ط (ويسقط عنه).

(٥) في ك (إلى).

(٦) سيأتي بعد أسطر ترجمة حماد وثابت.

(٧) العلج: بكسر العين المهملة، العير، والحمار، والرجل الضخم من كفار العجم وبعض العرب يطلق العلج على الكافر مطلقاً، وجمعه علوج، وأعلاج. انظر: القاموس المحيط؛ فصل العين؛ باب الجيم ١/ ٢٠٠؛ والمصباح المنير ٢/ ٥٨١.

(٨) الآية ١٩٩ من سورة آل عمران، وسبق تخريج الحديث، وجميع الأحاديث المتعلقة بموت النجاشي، ونعي الرسول ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ له.

ذكره ابن أبي حاتم وغيره بأسانيدهم[1]، وذكره حماد بن سلمة[2]، عن ثابت[3]، عن الحسن البصري[4] أن رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم[5] ــ قال: «استغفروا لأخيكم النجاشي» فذكر مثله[*].

وكذلك ذكر[6] طائفة من المفسرين، عن جابر بن عبد الله[7] وابن عباس وأنس وقتادة أنهم قالوا: نزلت هذه الآية في النجاشي ملك الحبشة، واسمه أصحمة. وهو بالعربية عطية. وذلك أنه لما مات نعاه جبريل للنبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في اليوم الذي مات فيه، فقال

---

(1) جاء ذلك في تفسير ابن أبي حاتم الجزء الثاني مخطوط رقم (٢٦٧٦) بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية/ المكتبة المركزية قسم المخطوطات. عند تفسير الآية ١٩٩ من سورة آل عمران. بسند رجاله ثقات.

(2) حماد بن سلمة بن دينار البصري، أبو سلمة، ثقة عابد، أثبت الناس في ثابت وتغير حفظه بآخره مات سنة ١٦٧هـ.
انظر تهذيب التهذيب ٣/١١ــ ١٦؛ وتقريبه ١/١٩٧؛ والخلاصة للخزرجي ص ٩٢.

(3) ثابت بن أسلم البناني: بضم الباء الموحدة، ونونين مخففتين، أبو محمد البصري ثقة، عابد مات رحمه الله سنة ١٢٧هـ وقيل ١٢٣هـ.
انظر: تهذيب التهذيب ٢/٢ ــ ٤؛ وتقريبه ١/١١٥؛ والخلاصة للخزرجي ص ٥٦.

(4) الحسن بن يسار (أبي الحسن) البصري الأنصاري مولاهم، من كبار التابعين ثقة فقيه فاضل مشهور، وكان يرسل كثيراً ويدلس مات ــ رحمه الله ــ سنة ١١٠هـ، وقد قارب التسعين.
انظر: تهذيب التهذيب ٢/٢٦٣ ــ ٢٧١؛ وتقريبه ١/١٦٥ (٢٦٣)؛ والخلاصة للخزرجي ص ٧٧.

(5) سقطت (صلَّى الله عليه وسلَّم) من س، ك.

(*) مرسل، وجاء موصولاً من عدة طرق في الصحيحن وغيرهما وسبق تخريجه.

(6) سقطت (ذكر) من أ.

(7) سقطت جملة (بن عبد الله) من س، ك، ط.

رسول الله[1] ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لأصحابه: «اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم» قالوا[2]: من هو؟ قال: «النجاشي» فخرج رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ إلى البقيع. وزاد بعضهم وكشف له من المدينة إلى أرض الحبشة، فأبصر سرير النجاشي وصلى عليه، وكبر أربع تكبيرات، واستغفر له، وقال لأصحابه: «استغفروا له». فقال المنافقون: انظروا[3] إلى هذا يصلي على علج حبشي نصراني لم يره قط: وليس على دينه. فأنزل الله ــ تعالى ــ:

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[4].

وقد ذهبت طائفة من العلماء إلى أنها نزلت فيمن كان على دين المسيح ــ عليه السلام ــ إلى أن بعث محمد[5] ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فآمن به، كما نقل ذلك عن عطاء.

وذهبت طائفة إلى أنها نزلت في مؤمني[6] أهل الكتاب كلهم[7].

---

(١) سقط لفظ الجلالة من ك.

(٢) في ط (فقالوا).

(٣) في س، ك، ط (أبصروا).

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٩٩.

(٥) في ط (بعث الله محمد).

(٦) في أ، س، ك (مؤمن) وما أثبتناه من ط أولى.

(٧) أصحاب القول الأول جابر وأنس، وابن عباس، وقتادة. وأصحاب القول الثاني مجاهد، وابن جريج، وابن زيد.
وقد رجح ابن جرير ــ بعد أن ساق الأقوال كلها ــ القول بأنها في عموم مؤمني أهل الكتاب مبيناً أنه لا داعي للتخصيص لأن الله ــ جل ثناؤه ــ عم بقوله: ﴿وإن من أهل الكتاب﴾ أهل الكتاب جميعاً فلم يخصص منهم النصارى دون اليهود ولا اليهود دون النصارى، ثم ذكر أن الخبر الذي ساقه دليلاً للأول عن جابر فيه نظر، ولو لم يكن كذلك لما كان في معنى الآية خلاف.
=

والقـــول الأول أجـود، فـإن من آمن بمحمـد ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ وأظهر الإيمان به، وهو من أهل دار الإسلام، يعمل ما[1] يعمله المسلمون ظاهراً وباطناً فهذا من المؤمنين وإن كان قبل ذلـك مشركـاً[2] بعبـد الأوثان، فكيف إذا كـان كتابيـاً؟ وهذا مثـل عبد الله بن سـلام[3]، وسلمان الفارسي[4] وغيرهما، وهؤلاء لا يقـال: إنهم من أهل الكتـاب، كما لا يقال في المهاجرين والأنصار: إنهم من المشركين وعباد الأوثان، ولا يُمكَّن أحد من[5] المنافقين ولا من[6] غيرهم من أن يصلي على واحد منهم، بخلاف من هو في الظاهر منهم، وفي الباطن من المؤمنين.

وفي بلاد النصارى من هذا النوع خلق كثير، يكتمون إيمانهم، إما مـطلقاً، وإمـا يكتمونـه[7] عن العامـة ويظهـرون لخـاصتهم، وهؤلاء قـد

= انظر: تفسيره ٤/١٤٦ ـ ١٤٧ (مجلد ٣) الآية ١٩٩ من سورة آل عمـران، وأسباب النـزول للواحدي ص ١٠٣؛ وفتـح القـديـر للشـوكـاني ١/٤١٥؛ وتفسيـر ابن كثيـر ١/٤٤٣.

(١) في ط (بما).

(٢) في أ (من المشركين).

(٣) عبـد الله بن سلام بن الحـارث من ذريـة يـوسف ـ عليـه السـلام ـ الإسـرائيلي ثم الأنصاري كان من بني قينقـاع، وأسلم أول ما قـدم النبـي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ المدينة على الصحيـح وكان اسمـه الحصين فغيره النبـي ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ وفضائله معلومة مشهورة مات ـ رضي الله عنه ـ سنة ٤٣هـ بالمدينة.
انظر: الإصابة لابن حجر ٢/٣١٢؛ والاستيعاب هامش الإصابة ٢/٣٧٤.
وانـظر في فضـائله: صحيـح البخـاري كتـاب المنـاقب ٤/٢٩٩؛ وصحيـح مسلم ٤/١٩٣٠.

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) في أ (ولا يمكن أحداً) وصححنا العبارة من سائر النسخ.

(٦) سقطت (من) من س، ك، ط.

(٧) سقطت (يكتمونه)، (ويـظهـرون لخاصتهم) من أ وزدناها من سائر النسخ.
وجاءت الجملة في أ هكذا (اما مطلقاً واما عن العامة).

يتناولهم قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ . . . ﴾ الآية .

فهؤلاء لا يدعون الإيمان بكتاب الله ورسوله لأجل مال يأخذونه، كما يفعل كثير من الأحبار والرهبان، الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدونهم عن سبيل الله، فيمنعونهم[1] الإيمان بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ .

وأما قوله ـ تعالى[2] ـ :

﴿ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[3] .

فهذه الآية تتناول اليهود أقوى مما تتناول النصارى، ونظيرها[4] قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾[5] .

وهذا[6] مدح مطلق لمن تمسك بالتوراة، ليس في ذلك مدح لمن كذب المسيح، ولا فيها مدح لمن كذب محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ .

وهذا الكلام يفسره[7] سياق الكلام، فإنه قال ـ تعالى ـ :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ . . . ﴾ .

---

(١) في س، ك، ط (ويمنعونهم من).

(٢) سقطت (تعالى) من س، ك، ط.

(٣) سورة آل عمران: الآيتان ١١٣ ـ ١١٤ .

(٤) في س، ك، ط (ونظيره).

(٥) سورة الأعراف: الآية ١٥٩ .

(٦) في س، ك، ط (هذا).

(٧) في ك، ط (تفسيره).

ثم قال ـ تعالى ـ :

﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[1].

فقد جعلهم نوعين: نوعاً مؤمنين ونوعاً فاسقين وهم أكثرهم وقوله[2] ـ تعالى ـ : ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

يتناول من كان منهم[3] مؤمناً قبل مبعث[4] محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، كما يتناولهم قوله ـ تعالى ـ :

﴿وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾

إلى قوله: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[5].

وكذلك قوله ـ تعالى ـ :

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[6].

وقوله عن إبراهيم الخليل:

﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ﴾[7].

ثم لما قال: ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[8].

قال:

﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾

(١) سورة آل عمران: الآية ١١٠.
(٢) في ك، ط (لقوله).
(٣) سقطت (منهم) من ك، ط.
(٤) في ك زيادة (قبل من كان قبل مبعث).
(٥) سورة الحديد: الآية ٢٧.
(٦) سورة الحديد: الآية ٢٦.
(٧) سورة الصافات: الآية ١١٣.
(٨) سورة آل عمران: الآية ١١٠.

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾[1].

* وضرب الذلة عليهم أينما ثقفوا ومباؤهم بغضب الله *[2] ــ وما ذكر معه من قتل الأنبياء بغير حق وعصيانهم واعتداؤهم[3] كان اليهود متصفين به قبل مبعث محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ كما قال ــ تعالى ــ في سورة البقرة:

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾.

ثم قال بعد ذلك:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[4].

فتناولت هذه الآية من كان من أهل هذه[5] الملل الأربع متمسكاً بها[6] قبل النسخ بغير تبديل، كذلك آية آل عمران لما وصف أهل

---

(١) سورة آل عمران: الآيتان ١١١ ــ ١١٢.

(٢) ما بين النجمتين ساقط من أ، وفي النسخ الثلاث الأخرى زيادة لفظ الآية وسط الكلام في غير موضعها.

(٣) في س (واعداهم).

(٤) سورة البقرة: الآيتان ٦١، ٦٢.

(٥) سقطت (هذه) من س، ط.

(٦) سقطت (متمسكاً بها) من أ وزدناها من سائر النسخ.

الكتاب بما كانوا متصفاً به أكثرهم قبل محمد ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ من الكفر، قال[1]:

﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[2].

وهذا يتناول من كان متصفاً منهم بهذا قبل النسخ، فإنهم كانوا على الدين الحق الذي[3] لم يبدل ولم ينسخ، كما قال في الأعراف.

﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾.

وقوله[4]:

﴿ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾[5]

وقد قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾[6].

فهذا خبر من الله عمن كان متصفاً بهذا[7] الوصف قبل مبعث محمد ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ، ومن أدرك من هؤلاء محمداً ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ، فآمن به كان له أجره مرتين.

●●●

(١) في أ، س (قالوا) وصححناه من ك، ط.
(٢) سورة آل عمران: الآيتان ١١٣، ١١٤.
(٣) سقطت (الذي) من أ وزدناها من سائر النسخ.
(٤) سقطت (وقوله) من جميع النسخ.
(٥) سورة الأعراف: الآيات ١٥٩، ١٦٨ـ ١٧٠.
(٦) سورة الأعراف: الآية ١٨١.
(٧) في أ (به بهذا) وهي زائدة.

فصل

ردّ دعواهم تعظيم الإسلام لمعابدهم

قالوا: ثم وجدناه يعظم إنجيلنا، ويقدم صوامعنا ويشرف مساجدنا ويشهد[1] بأن اسم الله يذكر فيها كثيراً وذلك مثل قوله ـ تعالى ـ[2] :

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا . . .﴾[3].

والجواب: أن فيها ذكر الصوامع والبيع، وأما قوله: ﴿ويذكر فيها اسم الله كثيراً﴾ فإنما ذكره عقب ذكره[4] المساجد، والمساجد للمسلمين، وليس المراد بها كنائس النصارى، فإنها[5] هي البيع. ثم قوله ـ تعالى ـ[6] : ﴿يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾:

إما أن يكون مختصاً بالمساجد، فلا يكون في ذلك اخبار بأن اسم الله[7] يذكر كثيراً في البيع والصوامع[8]، وإما أن يكون ذكر اسم[9] الله في الجميع، فلا ريب أن الصوامع والبيع قبل أن يبعث الله[10] محمداً ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ كان فيها من يتبع دين المسيح الذي لم يبدل ويذكر فيها اسم الله كثيراً. وقد قيل: إنها بعد النسخ والتبديل

---

(1) في أ (وشهد).
(2) سقطت (تعالى) من س، ك، ط .
(3) سورة الحج: الآية ٤٠ .
(4) في س، ك، ط (ذكر).
(5) في ط (فإنما).
(6) سقطت (تعالى) من س، ك، ط .
(7) سقط لفظ الجلالة من ط .
(8) في س، ك، ط (في الصوامع والبيع).
(9) سقطت (اسم) من س.
(10) في س، ك (قبل أن بعث محمداً) وفي ط (قبل أن يبعث محمد).

يذكر فيها اسم الله[1] كثيراً وإن الله يحب أن يذكر اسمه.

قال الضحاك[2]: «إن الله يحب أن يذكر اسمه[3] وإن كان يشرك به»[4] يعني: أن المشرك به خير من المعطل الجاحد الذي لا يذكر اسم الله بحال.

وأهل الكتاب خير من المشركين، وقد ذكرنا أنه لما اقتتل فارس والروم وانتصرت الفرس، ساء ذلك أصحاب رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وكرهوا انتصار الفرس على النصارى؛ لأن النصارى أقرب إلى دين الله من المجوس، والرسل بعثوا بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، وتقديم خير الخيرين على أدناهما حسب الإمكان، ودفع شر الشرين بخيرهما، فهدم صوامع النصارى وبيعهم فساد إذا هدمها المجوس والمشركون، وأما إذا هدمها المسلمون وجعلوا

---

(١) سقط لفظ الجلالة من ط.

(٢) الضحاك بن مزاحم الهلالي، البلخي الخراساني، صاحب التفسير قال الذهبي في العبر: «وثقه الإمام أحمد وغيره»، وقال ابن حجر: «صدوق كثير الإرسال». كان آية في التفسير له فيه كتاب، توفي ـ رحمه الله ـ بخراسان سنة ١٠٢هـ، وقيل: ١٠٥هـ.

انظر: العبر في خبر من غبر ١/١٢٤؛ وشذرات الذهب ١/١٢٤؛ وتقريب التهذيب ١/٣٧٣؛ والأعلام للزركلي ٣/٢١٥.

(٣) سقطت (اسمه) من ك.

(٤) أخرجه ابن جرير بنحوه في تفسيره ١٧/١٢٦ (مجلد ٧)، ولفظه هكذا: «في كل هذا يذكر اسم الله كثيراً ولم يخص المساجد».

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «قيل: الضمير في قوله يذكر فيها عائد إلى المساجد، لأنها أقرب المذكورات، وقال الضحاك: الجميع يذكر فيها اسم الله كثيراً».

انظر: تفسير ابن كثير ٣/٢٢٦؛ وانظر: تفسير ابن جرير ١٧/١٢٦؛ وفتح القدير ٣/٤٥٨.

أماكنها مساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً، فهذا خير وصلاح.

وهذه الآية ذكرت في سياق الإذن للمسلمين بالجهاد بقوله ـ تعالى ـ:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[1].

وهذه الآية أول آية نزلت في الجهاد، ولهذا قال:

﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ...﴾[2].

ثم قال: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ...﴾[3].

فيدفع بالمؤمنين الكفار ويدفع شر الطائفتين بخيرهما، كما دفع المجوس بالروم النصارى[4]، ثم دفع النصارى بالمؤمنين أمة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وهذا كما قال ـ تعالى ـ[5] في سورة البقرة:

﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[6].

وأما التقديم في اللفظ، فإنه يكون للانتقال من الأدنى إلى الأعلى، كقوله ـ تعالى ـ:

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[7].

---

(١) سورة الحج: الآية ٣٩.
(٢) سورة الحج: الآية ٤٠.
(٣) سورة الحج: الآية ٤٠.
(٤) في ط (والنصارى).
(٥) سقطت (تعالى) من س، ك، ط.
(٦) سورة البقرة: الآية ٢٥١.
(٧) سورة الأعراف: الآية ٣٣.

وقولـه: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۝ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾[1].

وقولـه:

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۝ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ۝ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ۝ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾[2].

ونظائره متعددة.

وكذلك في قوله ـ تعالى ـ[3]:

﴿... لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾[4].

فبيَّن[5] ـ سبحانه ـ أنه[6] لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت مواضع العبادات، وهدمها فساد إذا هدمها من لا يبدلها بخير منها وأدناها هي الصوامع، فإن الصومعة تكون لـواحد أو لـطائفة[7] قليلة فبـدأ بأدنى المعابد، و ختم بأشرفهـا وهي المساجـد التي يذكـر فيها اسم الله كثيـراً. ففي الجملة حكم هذه المعابد حكم أهلها، وأهلها قبل النسخ والتبديـل مؤمنون مسلمون[8]، وهدم معابد المؤمنين المسلمين فساد، وبعد النسخ والتبـديـل، إذا غلب أهـل الكتاب من هـو شر منهم، كـالمجـوس والمشركين، وهدموا معابدهم، كان ذلك فساداً وإذا هـدمها من هـو خير منهم كأمة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأبدلوهـا مساجـد يذكـر فيها

---

(١) سورة عبس: الآيات ٣٤ ـ ٣٦، وسقطت هذه الآيات من ك.

(٢) سورة الذاريات: الآيات ١ ـ ٤.

(٣) سقطت (تعالى) من أ.

(٤) سورة الحج: الآية ٤٠.

(٥) في س، ك، ط (بين).

(٦) في أ (أن) وصححناه من سائر النسخ.

(٧) في س، ك، ط (أو طائفة).

(٨) في أ (مسلمون يؤمنون).

اسم الله كثيراً، ولا يشرك به، ويذكر فيها الإيمان بجميع كتبه ورسله، كان ذلك صلاحاً لا فساداً.

ولهذا أمر النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أن يتخذ[1] المساجد مواضع معابد الكفار كما كان لثقيف أهل الطائف[2] معبد يعبدون فيه اللات، التي قال الله فيها: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾[3].

فأمر النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أن يهدم ذلك المعبد، ويتخذ مكانه المسجد الذي يعبد الله وحده فيه[4]؛ فإن المساجد هي

---

(١) في ك، ط (يتخذ) بالمثناة التحتية.

(٢) ثقيف قبيلة من قبائل قيس عيلان بن مضر، وثقيف هم بنو قسي بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة ينتهي نسبه إلى قيس عيلان.
وكان لهم معبد بالطائف يقال له اللات مبني على صخرة، وكانوا يحرمون واديه ويكسونه، وسدنته آل أبي العاص من بني مالك بن ثقيف، هدم الصنم أبو سفيان بن حرب، والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهما. وقيل: خالد والمغيرة والأول أصح على ما سنذكره بعد قليل.
انظر: جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٤٨٢، ٤٩١؛ وإغاثة اللهفان ٢/ ٢٣١؛ والإصابة لابن حجر ٣/ ٤٣٢.

(٣) سورة النجم: الآية ١٩.

(٤) اخرج ابن جرير الطبري في تاريخه ٣/ ٩٩ ـ ١٠٠ بسنده. قال: حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة (يعني بن الفضل الأبرش)، عن ابن إسحاق، عن يعقوب بن عتبة... قال: «بعث رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أبا سفيان والمغيرة بن شعبة في هدم الطاغية... وساق بقية القصة ولم يرد فيها أن الرسول اتخذ مكانها مسجداً»، ولكن ابن كثير في تاريخه ٥/ ٣٣، ٣٤؛ وفي تفسيره ٤/ ٢٥٤ ذكر أنهما هدماها وجعلا مكانها مسجداً بالطائف، وذكر ابن القيم في إغاثة اللهفان ٢/ ٢١٣، «أن اللات كانت في موضع منارة مسجد الطائف اليسرى اليوم». والله أعلم. أما ابن حجر فقد ساق القصة في الإصابة ٣/ ٤٣٢ (في ترجمة المغيرة) وعزاها لابن جرير ولم يتعقبها، ووردت في سيرة ابن هشام بدون ذكر الأمر ببناء المسجد ٤/ ١٣٧، ١٣٨.

بيوت الله في الأرض قال ـ تعالى ـ :

﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ . . . ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ . . . ﴾ الآية إلى قوله ﴿ . . . الْمُهْتَدِينَ ﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ . . . ﴾ الآية. إلى قوله: ﴿ بِغَيْرِ حِسَابٍ . . . ﴾[4].

ثم لما ذكر المؤمنين ذكر الكفار من أهل الكتاب والمشركين، فذكر أهل الجهل المركب والبسيط[5]، فقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٣٩) أَوْ كَظُلُمَاتٍ

= وسند ابن جرير الطبري فيه محمد بن إسحاق مدلس وقد عنعن، ولكن القصة مشهورة عند أهل السير وقد ساقها المحققون الذين تقدم ذكرهم، والله تعالى أعلم.

(١) سورة الأعراف: الآية ٢٩.

(٢) سورة الجن: الآية ١٨.

(٣) سورة التوبة: الآيتان ١٧، ١٨.

(٤) سورة النور: الآيات ٣٥ ـ ٣٨.

(٥) الجهل البسيط: عدم العلم عما من شأنه أن يكون عالماً.
والجهل المركب: عبارة عن اعتقاد جازم غير مطابق للواقع.
انظر: التعريفات للجرجاني ص ٨٤.

فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾(1).

فقد تبيَّن أنه ليس لهم حجة في شيء مما جاء به محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، بل ما جاء به حجة عليهم من وجوه متعددة.



(1) سورة النور: الآيتان ٣٩، ٤٠. وقد جاء في أ (يحسبه الظمآن ماء، الآية إلى قوله: ﴿فما له من نور﴾.

فصل

قالوا: وهذا وغيره أوجب لنا التمسك بدينا وأن لا نهمل ما معنا ولا نرفض مذهبنا، ولا نتبع غير السيد المسيح، كلمة الله، وروحه وحوارييه الذين أرسلهم إلينا.

رفض دعواهم وجوب التمسُّك بدينهم بعد بعثة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

والجواب: إنهم احتجوا بحجتين باطلتين:

إحداهما[1]: أن محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ[2] لم يرسل إليهم بل إلى العرب، وقد تبيَّن أن الاحتجاج بها من أعظم الكذب والافتراء على محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فإنه لم يقل قط: إني لم أرسل إلى أهل الكتاب، ولا قال قط: إني لم أرسل إلَّا إلى العرب، بل نصوصه المتواترة عنه وأفعاله تبيِّن أنه مرسل إلى جميع أهل الأرض: أميهم، وكتابيهم.

والحجة الثانية: قولهم أن محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، أثنى على دين النصارى بعد التبديل والنسخ، وهي أيضاً أعظم كذباً عليه من التي قبلها، كيف[3] يثني عليهم وهو يكفرهم في غير موضع من كتابه، ويأمر بجهادهم وقتالهم، ويذم المتخلفين عن جهادهم غاية الذم، ويصف من لم يرَ طاعته في قتالهم بالنفاق والكفر، ويذكر أنه

---

(١) في س، ك، ط (أحدهما).

(٢) سقطت الجملة الدعائية من س، ك، ط.

(٣) في ط (فكيف).

يدخل جهنم، وهذا كله يخبر به عن الله[1] ويذكره تبليغاً[2] لرسالة ربه، وإنما يضاف إليه لأنه بلغه وأداه، لا لأنه أنشأه وابتدأه.

كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾[3].

وأما ثناء الله ورسوله على المسيح وأمه وعلى من اتبعه، وكان على دينه الذي لم يبدل، فهذا حق وهو لا ينافي وجوب اتباع محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ على من بعث إليه[4]، فلو قدر أن شريعة المسيح لم تبدل، وأن محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أثنى على كل من اتبعها، وقال مع ذلك إن الله أرسلني إليكم، لم يكن ذلك[5] متناقضاً، وإذا كفر من لم يؤمن به لم يناقض ذلك ثناؤه عليهم قبل أن يكذبوه.

---

(١) في ط (عز وجل).

(٢) في س(يبلغنا) وهو تصحيف.

(٣) سورة الحاقة: الآيات ٤٠ ـ ٥٢.

(٤) في هامش نسخة أ تعليق بخط مغاير لخط النسخة نصه ما يأتي: «بل يجب عليهم اتباعه، ولو نكث عن دعوتهم، لأمر الله ـ تعالى ـ لهم في كتبه السابقة باتباعه، بل ولو لم يؤمروا في الكتب السابقة، لظهور معجزاته الخارقة، وتحديهم بالقرآن وصدق ما أخبر فيه مما تقدم، وما تأخر، وعزبه المؤمنين من الفتوح، والنصر، والظفر والظهور على الدين كله». اهـ . ولعله استطراد من ناسخ النسخة.

(٥) سقطت(ذلك) من س، ط .

فكيف وهو إنما مدح من اتبع ديناً لم يبدل؟ وأما الذين بدلوا دين المسيح فلم يمدحهم بل ذمهم، كما قال:

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾[1].

وقد قدمنا أن النصارى كفروا كما كفرت اليهود[*]: كفروا بتبديلهم ما في الكتاب الأول، وكفروا[2] بتكذيبهم بالكتاب الثاني.

وأما من لم يبدل الكتاب أو أدرك محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ[3] فآمن به، فهؤلاء مؤمنون، ومما يبيِّن ذلك: أن تعظيم المسيح للتوراة واتباعه لها، وعمله[4] بشرائعها أعظم من تعظيم محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ للإنجيل، ومع هذا فلم يكن ذلك مسقطاً عن اليهود وجوب اتباعهم للمسيح، فكيف يكون تعظيم محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ للإنجيل مسقطاً عن النصارى وجوب اتباعه؟[5].



---

(١) سورة المائدة: الآية ١٤.

(*) هنا ورد في نسخة أ تعليق بهامش النسخة نصه هكذا: «وكفى بها معجزة دالة على صدقه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فإن العداوة من حين نزولها إلى قيام الساعة قائمة «. . . كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله. . . .».

(٢) في أ، س (كفراً).

(٣) سقطت الجملة الدعائية من س، ط.

(٤) في س (وعلمه).

(٥) من قوله: (وأما ثناء الله ورسوله على المسيح وأمه) إلى هذا الموضع ساقط كله من نسخة ك.

فصل

ردّ دعوى النّصارى أنّ الإسلام عظّم الحواريين

وأما قولهم: وحوارييه الذين أرسلهم إلينا أنذرونا بلغتنا، وسلموا لنا ديننا[1] الذين قد عظموا في هذا الكتاب، بقوله في سورة الحديد:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ...﴾[2].

وقال في سورة البقرة:

﴿... فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ...﴾[3].

فأعني[4] بقوله أنبياءه المبشرين، ورسله ينحو بذلك الحواريين الذين[5] داروا في سبعة أقاليم العالم، وبشروا بالكتاب الواحد، الذي هو الإنجيل الطاهر؛ لأنه لو عني عن[6] إبراهيم وداود، وموسى ومحمد، لكان قال: معهم الكتب؛ لأن كل واحد منهم جاء بكتاب دون

---

(١) سقطت جملة (وسلموا لنا ديننا) من أ، ك.

(٢) سورة الحديد: الآية ٢٥.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢١٣.

(٤) هكذا في جميع النسخ، وبرجوعي إلى نص الرسالة وهو مخطوط وعندي منه نسخة وجدت الكلمة هكذا (فعني).

(٥) في س (الذي).

(٦) هكذا وردت في جميع النسخ، وأحسبها زائدة، وبرجوعي إلى النص الأصلي لم أجدها فيه فالعبارة هكذا (لأنه لو كان أعني إبراهيم... إلخ).

غيره، ولم يقل: إلا الكتاب الواحد؛ لأنه ما أتى جماعة مبشرين بكتاب واحد غير الحواريين الذين أتوا بالإنجيل الطاهر. وجاء أيضاً في الكتاب:

﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[1].

* يعني الحواريين ــ لم يقل: رسول، إنما قال: المرسلين *[2]، والجواب من وجوه:

أحدها: أنه ليس فيما ذكر ولا في غيره، ما يوجب تكذيب الرسول الذي أرسل إليكم و[3]إلى غيركم وتمسككم بدين مبدل منسوخ، كما أنه ليس فيما يعظم به موسى والتوراة ومن اتبع موسى ما يوجب لليهود تكذيب الرسول الذي أرسل إليهم، وتمسكهم بدين مبدل منسوخ.

الثاني: أن قولهم: ولا نتبع غير المسيح وحوارييه، قول باطل، فإنهم ليسوا متبعين، لا للمسيح ولا لحوارييه، لوجهين:

أحدهما: أن دينهم مبدل ليس كله عن المسيح والحواريين، بل أكثر شرائعهم أو كثير منها ليست عن المسيح والحواريين.

الثاني: أن المسيح بشر بأحمد، كما قال ــ تعالى ــ :

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ . . .﴾[4].

---

(١) سورة يس: الآية ٢٠.

(٢) ما بين النجمتين ساقط من أ وزدناه من سائر النسخ.

(٣) في ط (أو).

(٤) سورة الصف: الآية ٦.

فإذا لم يتبعوا أحمد، كانوا مكذبين للمسيح، وعندهم من البشارات عن المسيح وغيره من الأنبياء بأحمد، ما هو مبسوط في موضع آخر * كما سيأتي إن شاء الله *[1].

وإنما المقصود هنا منع احتجاجهم بشيء مما جاء به محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وبيان أنه حجة عليهم لا لهم، إذ زعموا أن في بعضه حجة لهم.

الثالث: أن قولهم عن الحواريين: أنهم الرسل الذين عظموا في هذا الكتاب قول باطل، فسروا به القرآن تفسيراً باطلاً من جنس تفسيرهم ﴿**الذين أنعمت عليهم**﴾ بالنصارى. وتفسيرهم ﴿**بإذني**﴾ أي: ينفخ فيه فيكون طيراً بإذن اللاهوت الذي هو كلمة الله المتحدة في الناسوت، وتفسيرهم:

﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ . . . ﴾[2].

بالإنجيل، وتفسيرهم:

﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾[3] هم النصارى.

وتفسيرهم قوله: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ . . . ﴾[4] هم النصارى.

---

(١) ما بين النجمتين ساقط من أ وزدناه من سائر النسخ.
وسيتحدث عن ذلك بالتفصيل في الجزء الثالث وأول الجزء الرابع من هذا الكتاب.

(٢) سورة البقرة: الآيتان ١، ٢.

(٣) سورة البقرة: الآيتان ٣، ٤.

(٤) سورة العنكبوت: الآية ٤٦.

﴿إِلَّا الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا...﴾ هم اليهود.

وأمثال ذلك من تفسيرهم القرآن، مثل[1] ما يفسرون به التوراة، والإنجيل، والزبور، من التفاسير التي هي من تحريف الكلم عن مواضعه، والإلحاد في آيات الله، والكذب على أنبيائه بما يظهر أنه كذب على الأنبياء[2] لكل من تدبر ذلك. وبطلان ذلك يظهر من وجوه:

أحدها: أن الله قال:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[3].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾.

اسم جمع مضاف، يعم جميع من أرسله الله ـ تعالى ـ.

الثاني: أن أحق[4] الرسل بهذا الحكم الذين سماهم[5] في القرآن كما قال ـ تعالى ـ:

﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ

---

(١) في س، ك، ط (بمثل).

(٢) في أ (أنبيائه).

(٣) سورة الحديد: الآية ٢٥.

(٤) في أ (جعل) بدل (أحق) وصوابه ما أثبتناه من سائر النسخ.

(٥) في ط (سماهم الله تعالى).

وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾(١).

وقال(٢) في سورة الشعراء:

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾(٣).

(وقوله)(٤):

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٥).

(وقوله)(٦):

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٧).

وقوله(٨):

---

(١) سورة النساء: الآيات ١٦٣ ــ ١٦٥.

(٢) في س، ك، ط (وقال تعالى).

(٣) سورة الشعراء: الآيات ١٠٥ ــ ١١٠.

(٤) سقطت (وقوله) من أ، س، ك وزدناه من ط.

(٥) سورة الشعراء: الآيات ١٢٣ ــ ١٢٧.

(٦) سقطت (وقوله) من أ، س، ك وزدناه من ط.

(٧) سورة الشعراء: الآيات ١٤١ ــ ١٤٥.

(٨) سقطت (وقوله) من أ، س، ك، وزدناه من ط.

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٦١) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٦٢) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٦٣) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [1].

وقوله [2]:

﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٧٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٧٩) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [3].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا (١٥) فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴾ [4].

وقال ــ تعالى ــ [5]:

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ [6].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [7].

---

(١) سورة الشعراء: الآيات ١٦٠ ــ ١٦٤.

(٢) سقطت (وقوله) من أ، س، ك وزدناه من ط.

(٣) سورة الشعراء: الآيات ١٧٦ ــ ١٨٠.

(٤) سورة المزمل: الآيتان ١٥، ١٦.

(٥) سقطت هذه الجملة من ك.

(٦) سورة غافر: الآية ٥.

(٧) سورة المؤمنون: الآية ٢٣.

وذكر قصته ثم قال[1] بعد ذلك:

﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[2].

ثم لمّا قضى قصته قال ـ تعالى ـ:

﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴾[3].

فذكر إرسال رسله تترى ـ أي متواترة ـ ثم ذكر إرسال موسى، وهارون، وإرسال موسى وهارون قبل[4] المسيح بمدة طويلة.

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾[5].

فهذا إخبار منه ـ سبحانه وتعالى ـ بأنه بعث في كل أمة رسولاً يدعوهم إلى عبادة الله وحده، وقال ـ تعالى ـ في المسيح ـ صلوات الله عليه ـ:

---

(١) في ط (ثم قال من بعد).
(٢) سورة المؤمنون: الآيتان ٣١، ٣٢.
(٣) سورة المؤمنون: الآيات ٤٢ ـ ٤٦.
(٤) في ط (قبل إرسال المسيح).
(٥) سورة النحل: الآية ٣٦.

﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ . . . ﴾[1].

فأخبر أن المسيح رسول من هؤلاء الرسل:

﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ .

وقبله قد بعث في كل أمة رسولاً[2].

وقد روى في حديث أبي[3] ذر عن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «أن الأنبياء مائة ألف نبي، وأن الرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر»[4]. وبعض الناس يصحح هذا الحديث وبعضهم يضعفه، فإن

---

(١) سورة المائدة: الآية ٧٥.

(٢) في أ (رسول) وكلا الأمرين صحيح فيخرج على أن بعث مبني للمجهول في حال الرفع.

(٣) في س (ابن) وهو خطأ.

(٤) أخرجه ابن حبان بسنده قال: أخبرنا الحسن بن سفيان الشيباني، والحسين بن عبد الله القطان، وابن سلم قالوا: حدثنا إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني حدثنا أبي، عن جدي، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر قال: دخلت المسجد فإذا رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ جالس وحده. وفيه أن أبا ذر سأله أسئلة كثيرة ومنها قلت يا رسول الله: كم الأنبياء؟ قال: «مائة ألف وعشرون ألف». قلت يا رسول الله: كم الرسل من ذلك؟ قال: «ثلاثمائة وثلاثة عشر جماً غفيراً» . . . ثم ذكر الحديث بطوله.

قال الهيثمي ــ رحمه الله ــ «في موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان» فيه إبراهيم ابن هشام بن يحيى الغساني قال أبو حاتم وغيره: كذاب. انظر: موارد الظمآن ص ٥٢ ــ ٥٤ حديث رقم (٩٤). وجاء في ميزان الاعتدال ١/٧٢ ــ ٧٣ «هو صاحب حديث أبي ذر الطويل، انفرد به عن أبيه عن جده. قال الطبراني: لم يرو هذا عن يحيى إلا ولده وهم ثقات، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن أبي حاتم ينبغي ألا يحدث عنه وقال ابن الجوزي: قال أبو زرعة: كذاب». وقد أخرج الحاكم في المستدرك ٢/٢٦٢ من حديث أبي أمامة أن رجلاً قال: يا رسول الله أنبي كان آدم؟ قال: «نعم، معلم، مكلم» قال: كم بينه وبين نوح؟ قال: «عشرة قرون» قال: كم كان بينه وبين إبراهيم؟ قال: =

كان صحيحاً، فالرسل ثلثمائة وثلاثة[1] عشر، وإن لم تعرف صحته أمكن أن يكونوا بقدر ذلك وأن يكونوا أكثر، كما يمكن أن يكونوا أقل، فإن الله ـ تعالى ـ[2] أخبر أنه بعث في كل أمة رسولاً.

وقال ـ تعالى ـ:

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾[3].

وروى أن[4] النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ قال[5]: «أنتم توفون سبعين أمة أنتم أكرمها وأفضلها على الله»[6] * وهو حديث جيد *[7].

وقد[8] قال ـ تعالى ـ في سورة الزمر:

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ

= «عشرة قرون» قال: يا رسول الله كم كانت الرسل؟ قال: «ثلاثمائة وخمس عشرة جماً غفيراً». قال الحاكم: سنده صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(١) في س، ك (ثلاث).

(٢) سقطت (تعالى) من س، ك، ط.

(٣) سورة فاطر: الآية ٢٤.

(٤) في س، ك، ط (عن).

(٥) في س، ك، ط (أنه قال).

(٦) رواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، تفسير سورة آل عمران ٥/٢٦٦ (٣٠٠١) بلفظ «إنكم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله». وقال هذا حديث حسن ثم قال وقد روى غير واحد هذا الحديث عن بهز بن حكيم نحو هذا، ورواه ابن ماجه في الزهد، باب صفة أمة محمد ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ ٢/١٤٣٣ (٤٢٨٨)؛ ورواه الإمام أحمد في المسند ٥/٥؛ وجاء في مسند عبد الله بن عمر ص ٢٧ رقم (٢٤) بلفظ أن أمتي هذه توفي سبعين أمة نحن آخرها وخيرها.

(٧) سقط ما بين النجمتين من أ، س وزدناه من ك، ط.

(٨) سقطت (قد) من ك، ط.

لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[1].

وقال ــ تعالى ــ في سورة تبارك:

﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٦ إِذَآ أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِۖ كُلَّمَآ أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ﴾[2].

فهذا إخبار منه بأن كل فوج يلقى في النار، وقد جاءهم نذير كما قال ــ تعالى ــ:

﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولٗا ﴾[3].

وقد قال ــ تعالى[4] ــ:

﴿ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ ﴾[5].

وقال ــ تعالى ــ:

﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٞ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴾[6].

---

(1) سورة الزمر: الآية ٧١.

(2) سورة الملك الآيات ٦ ــ ٩، وقد سقطت آية ٧ من س، ك، ط ومكانها (وقال تعالى).

(3) سورة الإسراء: الآية ١٥.

(4) سقطت (تعالى) من ط.

(5) سورة النساء: الآية ١٦٥.

(6) سورة الأنعام: الآية ١٣٠.

فقد أرسل الله قبل المسيح رسلاً كثيرين إلى جميع الأمم، فكيف يجوز أن يدعي أن المراد بقوله ـ تعالى[1] ـ : ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات﴾ هم الحواريون فقط، الذين أرسلهم المسيح، مع أن الحواريين رسل المسيح بمنزلة رسل موسى، وإبراهيم، ورسل محمد صلَّى الله عليه وسلَّم.

ومن أرسله رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وجبت طاعته على الناس[2] فيما يبلغه عن رسول الله[3]، كما في الصحيحين عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصاني فقد عصى الله ومن عصى أميري فقد عصاني»[4].

فبين أن أميره إنما تجب طاعته في المعروف الذي أمر الله به[5] ورسوله. لا في كل ما يأمر به، ففي الصحيحين عن علي[6]: «أن

(١) سقطت (تعالى) من س، ك، ط.

(٢) في س، ك، ط (وجبت على الناس طاعته).

(٣) في س (صلَّى الله عليه وسلَّم).

(٤) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة في كتاب الأحكام، أول حديث في الباب ١٠٤/٨ بلفظ مقارب.
باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصيته وتحريمها في المعصية ١٤٦٦/٣ (٣٢) (٣٣)؛ ورواه النسائي في كتاب البيعة، باب الترغيب في طاعة الإمام ١٥٤/٧؛ ورواه ابن أبي عاصم في السنة ٥٠٦/٢ ـ ٥٠٧ باب ذكر السمع والطاعة بسنده من طرق متعددة عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ رقم (١٠٦٥)، (١٠٦٦)، (١٠٦٧)، ورواه أبو عوانة في مسنده من حديث أبي هريرة بطرق متعددة ٤٤٤/٤ ـ ٤٤٦.

(٥) سقطت (الواو) من ط.

(٦) في ط (عن علي عليه السلام).

رسـول الله ــ صلّى الله عليـه وسلّم ــ بعث جيشـاً وأمـر عليهم رجـلاً، وأمـرهم أن يسمعوا ويـطيعوا، فـأغضبوه. فقـال[1]: اجمعـوا لي حـطبـاً فجمعـوا له. ثم قـال: أوقدوا نـاراً فأوقـدوا ناراً، ثم قـال: ألم يـأمـركم رسول الله أن تسمعوا لي وتطيعوا؟ قـالوا: بلى. قـال: فادخلوهـا، فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا[2]: إنما فررنا إلى رسول الله من النـار، فكانـوا كذلك حتى سكن غضبه، فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ــ صلّى الله عليه وسلّم[3] ــ، وقال: «لو دخلوها ما خرجوا منها أبداً» وقال: «لا طاعة في معصيـة الله، إنمـا الـطاعـة في المعـروف»[4]. وفي الصحيحين عن عبـد الله بن عمر، عن النبـي ــ صلّى الله عليـه وسلّم ــ أنه قـال: «على المرء[5] المسلم السمع والـطاعة فيمـا أحب وكره إلا أن يؤمـر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع وطاعة»[6].

---

(١) في أ، (فقالوا) وصححناه من سائر النسخ.

(٢) في ك، ط (فقالوا).

(٣) سقطت الجملة الدعائية من س، ك، ط.

(٤) رواه البخاري في الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام مـا لم تكن معصية ١٠٦/٨؛ ورواه في أخبـار الآحاد، أول البـاب ١٣٤/٨، ١٣٥؛ وفي المغازي، بـاب سـريـة عبد الله بن حذافة السهمي، وعلقمة ويقال أنها سرية الأنصار ١٠٧/٥؛ ورواه مسلم في الإمـارة، باب وجـوب طاعـة الأمـراء في غيـر معصيـة وتحـريمهـا في المعصيـة ١٤٦٩/٣ (٤٠)، وأبـو داود في الجهاد، بـاب في الطاعـة ٩٢/٣ ــ ٩٣ (٢٦٢٥)، والنسائي في البيعة، باب جزاء من أمر بمعصية فأطاع ١٥٩/٣، وأحمـد في المسند ٨٢/١، ٩٤، ١٢٤، وأخـرجه أبـو عوانـة في مسنده من حـديث أبـي عبد الـرحمن السلمي عن علي ــ رضي الله عنـه ــ بـطرق متعـددة وفيهـا أن الـرجـل من الأنصـار ٤٥١/٤.

(٥) في س، ك، (المؤمن).

(٦) رواه البخاري في كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية بلفظ السمع والطاعـة على المرء المسلم... الحـديث ١٠٥/٨، ورواه في الجهاد بـاب =

وفي مسلم عن أم الحصين سمعت رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في حجة الوداع يقول: «ولو استعمل عليكم عبد أسود يقودكم بكتاب الله فاسمعوا وأطيعوا»[1].

وفي الصحيحين عنه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «ليبلغ الشاهد[2] الغائب فرب مبلغ أوعى له من سامع»[3].

وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن عمرو عن النبي

= السمع والطاعة للإمام ٤/٧، ورواه مسلم في الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء ٣/١٤٦٩ (١٨٣٩)، وأبو داود في الجهاد، باب في الطاعة ٣/٩٣ (٢٦٢٦)، والترمذي في الجهاد، باب لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ٤/٢٠٩ (١٧٠٧) وقال حديث حسن صحيح، والنسائي في البيعة باب جزاء من أمر بمعصية ٧/١٥٩، ١٦٠، وابن ماجه في الجهاد، باب لا طاعة في معصية ٢/٩٥٦ (٢٨٦٤)، وأحمد ٢/١٧، ١٤٢، وأبو عوانة في مسنده من حديث ابن عمر ٤/٤٥٠ ومن حديث نافع بنحوه.

(١) جاءت جملة (فاسمعوا وأطيعوا) في أول الكلام في نسخة أ بخلاف سائر النسخ ونص الحديث وهو في صحيح مسلم بلفظ: سمعته يقول: «إن أمر عليكم عبد مجدع ـ حسبتها قالت أسود ـ يقودكم بكتاب الله تعالى فاسمعوا له وأطيعوا». رواه مسلم في كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكباً، ٢/٩٤٤ (٣١١)، ورواه أبو عوانة في مسنده من حديث أم الحصين الأحمسية ٤/٤٤٦، ورواه من حديث أبي ذر، وعبادة بن الصامت بألفاظ متقاربة ٤/٤٤٧، ٤٤٨.

(٢) في س، ك، ط (فليبلغ) وما أثبتناه من أ، ومن نص الحديث.

(٣) الحديث قطعة من حديث طويل أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب قول النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ رب مبلغ أوعى من سامع ١/٢٤، ٢٥، وفي موضع آخر من كتاب العلم، باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب ١/٣٥، ورواه في الأضاحي ٦/٢٣٥، وفي الفتن ٨/٩١، وفي التوحيد ٨/١٨٦، ورواه مسلم في الحج، باب تحريم مكة، ٢/٩٨٦ (٤٤٦)، وفي القسامة، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال ٣/١٣٠٥ (٢٩)، (٣٠)، وأخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب من بلغ علماً ١/٨٥ (٢٣٣)، وأحمد في مسنده ٥/٣٧، ٣٩، ٤٠ وكلهم رواه من حديث أبي بكرة عن أبيه.

ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[1].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ٤/١٤٥، والترمذي في كتاب العلم، باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل ٥/٤٠ وقال عنه هذا حديث حسن صحيح، والدارمي في السنن، باب البلاغ عن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وتعليم السنن ١/١٣٦، وأخرجه الخطيب البغدادي في باب كراهة رواية أحاديث بني إسرائيل المأثورة عن أهل الكتاب ٢/١١٧ (١٣٥٠) وأحمد في مسنده ٢/١٥٩، ٢٠٢، وأبو داود في كتاب العلم، باب الحديث عن بني إسرائيل ٤/٧٠ (٣٦٦٢) مقتصراً على قوله: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج» عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.
وأخرجه في كتاب العلم، باب التشديد في الكذب على رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ٤/٦٣ مقتصراً على قوله «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» ـ من حديث الزبير رضي الله عنه ـ وأخرجه ابن ماجه من حديث ابن مسعود مقتصراً على هذه الجملة في المقدمة، باب التغليظ في تعمد الكذب على رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ١/١٣.
قال الخطابي ـ رحمه الله ـ «ليس معناه إباحة الكذب في أخبار بني إسرائيل، ورفع الحرج عمن نقل عنهم الكذب، ولكن معناه الرخصة في الحديث عنهم على معنى البلاغ، وإن لم يتحقق صحة ذلك بنقل الإسناد، وذلك لأنه أمر قد تعذر في أخبارهم لبعد المسافة، وطول المدة، ووقوع الفترة بين زماني النبوة، وفيه دليل على أن الحديث لا يجوز عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلا بنقل الإسناد والتثبت فيه» انظر: معالم السنن ٤/٧٠.
قلت: أما عن تصديق أهل الكتاب أو تكذيبهم في أخبارهم فالأمر على ثلاثة أوجه:
الأول: ما وافق صريح ما جاءنا به الإسلام فهذا مقبول قولاً واحداً من منطلق إيماننا بديننا.
الثاني: ما خالف صريح ما جاء به الإسلام فهذا مرفوض قولاً واحداً من منطلق اعتقادنا في صدق ديننا.
الثالث: ما لا يوافق، ولا يخالف صريح ما جاء به ديننا فهذا علمنا الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أن لا نصدقهم فيه ولا نكذبهم ونقول لهم: ﴿آمَنَّا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَـٰهُنَا وَإِلَـٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.

وفي السنن عنه أنه قال: «نَضَّر الله امرأً سمع[1] منا حديثاً فبلَّغه[2] إلى من لم يسمعه فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»[3].

فالحواريون في تبليغهم عن المسيح كسائر أصحاب الأنبياء في تبليغهم عنهم، وقال الله ـ تعالى ـ في كتابه:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[4].

وأولوا الأمر هم العلماء والأمراء، فإذا أمروا بما أمر الله به ورسوله، وجبت طاعتهم، وإن تنازع الناس في شيء وجب رده إلى الله والرسول، لا يرد إلى أحد دون الرسل الذين أرسلهم الله، كما قال في الآية الأخرى:

﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ﴾[5].

---

(١) في س، ك، ط (استمع فسمع).
(٢) في س، ك، ط (ويبلغه).
(٣) سبق تخريجه.
(٤) سورة النساء: الآية ٥٩.
(٥) سورة البقرة: الآية ٢١٣.

والكتاب اسم جنس لكل كتاب أنزله الله ليس المراد به كتاباً معيناً، كما قال[1] ـ تعالى ـ :

﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[2].

ولم يرد بهذا أن يؤمن بكتاب معين واحد، بل و[3] هذا يتضمن الإيمان بالتوراة، والإنجيل، والقرآن، وكل ما أنزله الله من كتاب، كما قال في سورة الشورى:

﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ . . .﴾[4].

فأمره الله ـ تعالى ـ أن يؤمن بكل ما أنزله الله من كتاب، وأن يعدل بين من بلغتهم رسالته، كما قال:

﴿. . . لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ . . .﴾[5].

فكل[6] من بلغه القرآن فهو مخاطب به يتناوله خطاب القرآن وفي الصحيحين عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «بلغوا عني ولو آية»[7].

---

(١) في ط (كما قال الله تعالى).

(٢) سورة البقرة: الآية ١٧٧.

(٣) سقطت الواو من س، ك، ط.

(٤) سورة الشورى: الآية ١٥.

(٥) سورة الأنعام: الآية ١٩.

(٦) هنا تقديم وتأخير في س، ك، ط لا يضر بالسياق.

(٧) الحديث قطعة من حديث طويل سبق تخريجه من الصحيحين ومن كتب السنن قبل صفحات قليلة.

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ . . . ﴾[1] .

وفي القـراءة الأخرى وكتـابـه ورسله وكـلا القـراءتين مـوافقـة للأخرى[2] وقوله ــ تعالى ــ : ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً . . . ﴾[3] .

أي فاختلفوا بعد ذلك. كما قال في السورة الأخرى:

﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ . . . ﴾[4] .

فلمـا اختلف بنو آدم بعث النبيين مبشـرين ومنـذرين وأنـزل معهم الكتاب.

وذلـك يتناول كـل كتاب أنـزله الله ليحكم الله، ويحكم كتـابه بين الناس بالحق فالحاكم بين النـاس هو الله ــ تعـالى ــ ، وحكمه في كتبـه المنـزلة، فلهـذا أمر الله المؤمنين إذا تنـازعوا في شيء أن يـردوه إلى الله والرسول.

والرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، فأمرهم بالرد إلى كتابه ورسولـه، وقد ذم ــ تعالى ــ من لم يتحاكم إلى كتابه ورسوله فقال ــ تعالى ــ :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ ۖ وَيُرِيدُ

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٥.

(٢) في س، ك (الأخرى) وسيأتي في تخريج القراءتين بعد عدة صفحات.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢١٣.

(٤) سورة يونس: الآية ١٩.

ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[1].

فقد تبيَّن أن الرسل الذين ذكرهم الله في قوله:

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ... ﴾.

يتناول الرسل الذين أرسلهم الله ـ تعالى ـ[2] كلهم، ومن أحقهم بذلك الرسل الذين أخبر في القرآن أنه أرسلهم إلى عباده، فظهر بطلان قولهم أنهم الحواريون.

الوجه الثالث: أنه قال:

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[3].

فذكر أنه أنزل الحديد أيضاً؛ ليتبين من يجاهد في سبيل الله بالحديد.

---

(١) سورة النساء: الآيات ٦٠ ــ ٦٥.

(٢) سقطت (تعالى) من ك، ط.

(٣) سورة الحديد: الآية ٢٥.

والنصارى يزعمون أن الحواريين والنصارى لم يؤمروا بقتال أحد بالحديد.

الوجه الرابع: أنه قال بعد ذلك:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٦) ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً...﴾[1].

وإخباره بإرسال نوح وإبراهيم بعد قوله: لقد أرسلنا رسلنا بالبينات من باب ذكر الخاص بعد العام، وبيان ما اختص به الخاص من الأحكام التي امتاز بها عن غيره، مما دخل في العام كما يأمر السلطان العسكر بالجهاد، ويأمر فلاناً وفلاناً بأن يفعلوا كذا وكذا، ومثل أن يقال[2] أرسل رسله إلى فلان، وأرسل إليهم فلاناً، وأمره بكذا وكذا، قال ـ تعالى ـ:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ...﴾[3].

فنوح هو أبو الآدميين الذين حدثوا بعد الطوفان، فإن الله أغرق ولد آدم إلّا أهل السفينة، وقال في نوح: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾[4][5].

---

(١) سورة الحديد: الآيتان ٢٦، ٢٧.

(٢) سقطت (يقال) من ط.

(٣) سورة الحديد: الآية ٢٦.

(٤) سورة الصافات: الآية ٧٧.

(٥) قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «كل من على وجه الأرض اليوم من سائر أجناس بني آدم ينسبون إلى أولاد نوح الثلاثة وهم سامٍ وحامٍ ويافث». =

وإبراهيم جعل الأنبياء بعده من ذريته، كما قال ـ تعالى ـ في إبراهيم:

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[1].

ثم قال بعد أن ذكر إرسال نوح وإبراهيم وأنه جعل في ذريتهما النبوة والكتاب:

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ...﴾[2].

فأخبر أنه قفى على آثارهم برسله وقفى بعيسى بن مريم، وآتاه الإنجيل، وهؤلاء رسل قبل المسيح، وآخرهم المسيح ولم يذكر أنه أرسل أحداً من أتباع المسيح، بل أخبر[3] أنه جعل في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة، فكيف يجوز أن يقال: أن مراده بالرسل الذين أرسلهم بالبينات، وأنزل معهم الكتاب، والميزان، هم الحواريون، دون الرسل الذين ذكرهم وأرسلهم قبل المسيح.

= وقد نقل إجماع أهل الأديان، الناقلون عن رسل الرحمن، مع ما تواتر عند الناس في سائر الأزمان، على وقوع الطوفان، وأنه عمَّ جميع البلاد، ولم يبقِ الله أحداً من كفرة العباد، استجابة لدعوة نبيه المؤيد المعصوم، وتنفيذاً لما سبق في القدر المحتوم». وقد ذكر قبل هذا أنه لم ينكره إلاَّ طائفة من جهلة الفرس وأهل الهند، وبيِّن أن هذا سفسطة منهم وجهل فضيع، ومكابرة للمحسوسات.

انظر البداية والنهاية ١/١١٨.

(١) سورة العنكبوت: الآية ٢٧.

(٢) سورة الحديد: الآية ٢٧.

(٣) سقطت (أخبر) من ط.

الـوجه الخـامس: أنه ليس في القـرآن آية تنـطق بـأن الحـواريين رسـل[1] الله، بل[2] ولا صـرح في القرآن بـأنـه أرسلهم، لكن قـال في سورة يس:

﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾[3].

فهـذا كـلام الله ليس فيـه ذكـر أن هؤلاء المـرسلين كـانـوا من الحواريين، ولا أن الذين أرسلوا[4] إليهم آمنوا بهم، وفيه أن هؤلاء القوم الذين أرسل إليهم هؤلاء الثلاثة أنـزل الله عليهم صيحة واحـدة، فإذا هم خامدون.

---

(١) في ط (هم رسل الله).

(٢) سقطت (بل) من س.

(٣) سورة يس: الآيات ١٣ ــ ٣٠.

(٤) في ك، ط (أرسل).

وقد ذكر طائفة من المفسرين، أن هؤلاء كانوا من الحواريين، وأن القرية أنطاكية وأن هذا الرجل اسمه حبيب النجار[1]، ثم إن بعضهم يقول: إن المسيح أرسلهم في حياته، لكن المعروف عند النصارى، أن أهل إنطاكية آمنوا بالحواريين واتبعوهم لم يهلك الله أهل إنطاكية.

والقرآن يدل على أن الله أهلك قوم هذا الرجل الذي آمن بالرسل.

وأيضاً فالنصارى يقولون: إنما جاءوا إلى أهل إنطاكية بعد رفع المسيح، وأن الذين جاءوا كانوا اثنين لم يكن لهما ثالث. قيل: أحدهما: شمعون الصفا. والآخر بولص[2]. ويقولون: إن أهل إنطاكية آمنوا بهم، ولا يذكرون حبيب النجار، ولا مجيء رجل من أقصى المدينة، بل يقولون: إن شمعون وبولص، دعوا الله حتى أحيا ابن الملك، فالأمر المنقول عند النصارى، أن هؤلاء[3] المذكورين[4] في القرآن، ليسوا من الحواريين، وهذا أصح[5] القولين عند علماء

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) جاء في تفسير ابن الجوزي ٧/١٠ ــ ١١ [سورة يس: آية/١٤]: «وفي اسميهما ثلاثة أقوال: أحدها ــ صادق، وصدوق، قاله ابن عباس، وكعب.
والثاني: يوحنا وبولس، قاله وهب بن منبه.
والثالث: تومان وبولس، قاله مقاتل.
قال ابن الجوزي ــ رحمه الله ــ، قال مقاتل: واسم هذا الثالث شمعون، وكان من الحواريين، وهو وصي عيسى ــ عليه السلام ــ، وانظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ٦/٣٣٧/ كتاب الأنبياء، باب واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية.

(٣) في هامش ك، ط (هؤلاء الرسل).

(٤) في أ، س، ك (المذكورون) وهو خطأ صوابه ما أثبته من ط .

(٥) في ط (أصل) وهو تصحيف.

المسلمين، وأئمة المفسرين و[1] ذكروا أن[2] المذكورين في القرآن في سورة يس، ليسوا من الحواريين، بل كانوا قبل المسيح، وسموهم بأسماء غير[3] الحواريين، كما ذكر محمد بن إسحاق، قال: سلمة بن الفضل[4]: كان من حديث صاحب يس فيما حدثني محمد بن إسحاق، عن ابن عباس، وعن كعب[5]، وعن وهب[6] بن منبه، أنه كان رجلاً[7] من أهل إنطاكية، وكان اسمه حبيباً، وكان يعمل الحرير[8]، وكان رجلاً سقيماً قد أسرع فيه الجذام، وكان منزله عند باب من أبواب المدينة،

---

(١) سقطت (الواو) من ك، ط .

(٢) في ك (أن الرسل المذكورين).

(٣) في ك، ط (غير أسماء).

(٤) سقطت (ابن الفضل) من ك، وسبقت ترجمته.

(٥) هو أبو إسحاق كعب بن ماتع الحميري، كان يهودياً يمنياً، ثم أسلم، وقدم المدينة أيام عمر، ثم خرج إلى الشام فاختاره معاوية وجعله من مستشاريه، وقد ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي الشام، وهو من رواة الحديث، مات في حمص سنة ٣٢هـ .

انظر: تذكرة الحفاظ ١/٥٢ (٣٣)؛ وحلية الأولياء ٥/٣٦٤ (٣٢٥)؛ والإصابة لابن حجر ٣/٢٩٧ (٧٤٩٨)؛ والأعلام ٥/٢٢٨ .

(٦) سقطت (وعن وهب) من ط، وجاءت الجملة فيها هكذا (وعن كعب بن منبه) وهو خطأ.

ووهب بن منبه: هو أبو عبد الله وهب اليماني الصنعاني، ولد سنة ٣٤هـ في اليمن، روى عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري وغيرهما من الصحابة، وروى عنه ابناه عبد الله وعبد الرحمن، وأخرج له البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي، مات سنة ١١٤هـ .

انظر: معجم المؤلفين ١٣/١٧٤؛ ووفيات الأعيان ٢/٢٣٨؛ والأعلام ٩/١٥٠ .

(٧) في ط (رجل).

(٨) في ط (بالحرث).

يتاجر[1]، وكان مؤمناً ذا صدقة يجمع كسبه إذا أمسى فيما يذكرون فيقسمه نصفين، فيطعم نصفه عياله، ويتصدق بنصفه وكان بالمدينة التي هو بها، مدينة إنطاكية، فرعون من الفراعنة، يقال له: إنطخس بن أنطنخس، يعبد الأصنام، صاحب شرك، فبعث الله إليه المرسلين وهم ثلاثة: صادق، وصدوق، وشلوم[2]، فقدم الله إليه وإلى أهل المدينة منهم اثنين فكذبوهما، ثم عزز الله بالثالث[3].

وروى الربيع بن أنس، عن أبي العالية في قوله ـ تعالى ـ[4]:

﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ . . .﴾[5].

لكي تكون الحجة عليهم أشد، فأتوا أهل القرية فدعوهم إلى الله وحده، وعبادته لا شريك له، فكذبوهم، فأتوا على رجل في ناحية القرية في زرع له فسألهم الرجل: ما أنتم؟ قالوا[6]: نحن رسل رب العالمين،

---

(١) في ط (يتآخر).

(٢) في س، ك، ط (سلوم) بالسين المهملة.

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره بسنده قال: حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثنا ابن إسحاق فيما بلغه عن ابن عباس، وعن كعب الأحبار، وعن وهب بن منبه. وذكره. في التفسير ٢٢/١٠١ (مجلد ٨).
قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٦/٣٣٦، باب واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية. . . الآية: «القرية المراد بها إنطاكية فيما ذكر ابن إسحاق، ووهب ولعلها كانت مدينة بالقرب من هذه الموجودة، لأن الله أخبر أنه أهلك أهلها، وليس لذلك أثر في هذه المدينة الموجودة الآن، ولم يذكر المصنف ـ يعني البخاري في ذلك حديثاً مرفوعاً». اهـ.

(٤) سقطت (تعالى) من س، ك، ط.

(٥) سورة يس: الآيتان ١٣ ـ ١٤.

(٦) في أ (قال) وصححناه من سائر النسخ.

أرسلنا إلى أهل هذه القرية ندعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له. قال لهم: أتسألون على ذلك أجراً؟ قالوا: لا. قال[1]: فألقى ما في يده، ثم أتى أهل المدينة فقال:

﴿يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٢٠ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾[2][*].

وهذا القول هو الصواب، وأن هؤلاء المرسلين كانوا رسلاً لله قبل المسيح، وأنهم[3] كانوا قد أرسلوا إلى إنطاكية وآمن بهم حبيب النجار، فهم كانوا قبل المسيح، ولم تؤمن أهل المدينة[4] بالرسل. بل أهلكهم الله ـ تعالى ـ كما أخبر في القرآن ثم بعد هذا عمرت إنطاكية. وكان أهلها مشركين حتى جاءهم من جاءهم من الحواريين فآمنوا بالمسيح على أيديهم. ودخلوا في دين المسيح.

ويقال: إن إنطاكية أول المدائن الكبار الذين آمنوا بالمسيح ـ عليه السلام ـ، وذلك بعد رفعه إلى السماء. ولكن ظن من ظن من المفسرين أن المذكورين في القرآن هم رسل المسيح[5]. وهم من

---

(١) سقطت (قال) من س.

(٢) سورة يس: الآيتان ٢٠، ٢١.

(*) وقد جاء في الدر المنثور للسيوطي ٥/٢٦١ ما نصه: «أخرج ابن أبي حاتم، عن أبي العالية ـ رضي الله عنه ـ في قوله: «إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث» قال: لكي تكون عليهم الحجة أشد، فأتوا أهل القرية فدعوهم إلى الله وحده لا شريك له فكذبوهم».

(٣) في س، ك، ط (وإن).

(٤) في س، ك، ط (القرية).

(٥) عزاه ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير ٧/١١، ١٤، (ط. المكتب الإسلامي) «إلى قتادة، وابن جريج». اهـ. وهذا قول ضعيف كما سيأتي زيادة بيان له.

الحواريين وهذا[1] غلط لوجوه:

منها: أن الله قد ذكر في كتابه أنه أهلك الذين جاءتهم الرسل، وأهل إنطاكية لما جاءهم من دعاهم إلى دين المسيح آمنوا ولم يهلكوا.

ومنها: أن الرسل في القرآن ثلاثة، وجاءهم رجل من أقصى[2] المدينة يسعى، والذين جاءوا من أتباع المسيح كانوا اثنين، ولم يأتهم رجل يسعى، لا حبيب ولا غيره.

ومنها: أن هؤلاء جاءوا بعد المسيح فلم يكن الله أرسلهم، وهذا كما أن الله ذكر في القرآن أنه أهلك أهل[3] مدين بالظلة لما جاءهم شعيب. وذكر في القرآن أن موسى أتاها وتزوج ببنت واحد منها فظن بعض الناس أنه شعيب النبي، وهذا غلط عند علماء المسلمين مثل ابن عباس، والحسن البصري، وابن جريج وغيرهم كلهم ذكروا أن الذي صاهره موسى ليس هو شعيباً النبي، وحكى أنه شعيب عمن لا يعرف من العلماء[4] ولم يثبت[5] عن أحد من الصحابة والتابعين، كما[6] بسطناه في[7] موضعه[8].

---

(١) في س، ك، ط (فهذا).
(٢) في س، ك، ط (أهل).
(٣) سقطت (أهل) من أ وزدناها من سائر النسخ.
(٤) سقطت (من العلماء) من س، ك، ط وسقطت (ولم) من س.
(٥) في س، ك، ط (ثبت ذلك).
(٦) في س، ك، ط (كما قد).
(٧) في ط (في موضع آخر).
(٨) ذكر المفسرون في ذلك عدة أقوال، فقيل: إنه شعيب النبي، وقيل: بل كان ابن أخي شعيب، وقيل: رجل مؤمن من قوم شعيب، وقال آخرون: كان شعيب قبل زمان موسى ـ عليه السلام ـ بمدة طويلة لأنه قال: «وما قوم لوط منكم =

وأهل الكتاب يقرون بأن الذي صاهره موسى ليس هو شعيباً بل رجل من أهل مدين، ومنهم من يقول: إنها غير مدين التي أهلك الله أهلها، والله أعلم.

وكذلك ذكر المفسرون في المرسلين هل أرسلهم الله، أو أرسلهم المسيح؟ قولين:

أحدهما: أن الله هو الذي أرسلهم[1].

قال أبو الفرج ابن الجوزي. وهذا ظاهر القرآن، وهو مروي[2] عن ابن عباس وكعب، ووهب بن منبه. قال: وقال المفسرون في قوله[3]:

= ببعيد»، وقد كان هلاك قوم لوط في زمن الخليل ـ عليه السلام ـ بنص القرآن، وقد علم أنه كان بين الخليل وموسى عليهما السلام مدة طويلة تزيد على أربعمائة سنة كما ذكره غير واحد، وما قيل: إن شعيباً عاش مدة طويلة إنما هو والله أعلم احتراز من هذا الإشكال كما ذكر الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ، قال: ومن المقوي لكونه ليس بشعيب أنه لو كان إياه لأوشك أن ينص على اسمه في القرآن ها هنا، وما جاء في بعض الأحاديث من التصريح بذكره في قصة موسى لم يصح إسناده. . . وقد ذكر ابن جرير ـ رحمه الله ـ الصواب في هذا أنه لا يدرك إلاَّ بخبر تجب به الحجة في ذلك.

انظر: تفسير ابن جرير الطبري ٢٠/٤٠ (مجلد ٨)؛ وتفسير ابن كثير ٣/٣٨٤؛ وفتح القدير للشوكاني ٤/١٦٨.

ومدين اسم قبيلة، وقيل: اسم بلد، قال الشوكاني: والأول أولى، وسميت المدينة باسم أبيهم: وهو مدين بن إبراهيم كما يقال بكر وتميم. انظر فتح القدير ٢/٢٢٣.

(١) ذكر الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسيره ٣/ ٥٦٩ أن هؤلاء رسل الله وليسوا رسل المسيح، وأجاب عن القول بأنهم رسل المسيح من عدة وجوه.
وانظر أيضاً البداية والنهاية ١/٢٢٩.

(٢) في س، ك (يروي).

(٣) في ط (قوله تعالى).

﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً . . .﴾[1].

أخذ جبريل بعضادتي[2] باب المدينة و[3]صاح بهم صيحة واحدة فإذا هم ميِّتون لا يُسمع لهم حس كالنار إذا أطفئت وذلك قوله:

﴿. . . فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾[4].

أي: ساكنون كهيئة الرماد الخامد[5].

ومعلوم عند الناس أن أهل إنطاكية لم يصبهم ذلك بعد مبعث المسيح بل آمنوا قبل أن يبدل دينه، وكانوا مسلمين مؤمنين به على دينه إلى أن تبدل دينه بعد ذلك، ومما يبيِّن ذلك أن المعروف عند أهل العلم أنه بعد نزول التوراة لم يهلك الله مكذبي الأمم بعذاب من السماء[6] يعمهم، كما أهلك قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم لوط، وفرعون وغيرهم، بل أمر المؤمنين بجهاد الكفار، كما أمر بني إسرائيل على لسان موسى بقتال الجبابرة، وهذه القرية أهلك الله أهلها بعذاب من السماء، فدل ذلك على أن هؤلاء الرسل[7] المذكورين في يس كانوا قبل موسى ــ عليه السلام ــ ، وأيضاً فإن الله لم يذكر في القرآن رسولاً

---

(١) سورة يس: الآية ٢٩.

(٢) في س (بعضاً دين).

(٣) في س، ك، ط (ثم).

(٤) سورة يس: الآية ٢٩.

(٥) انظر: زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ١١/٧، ١٤، (ط. المكتب الإسلامي)، وقد جاء القول الثاني فيه منسوباً إلى قتادة وابن جريج وهو أن عيسى أرسلهم وسبق التحقيق في ذلك، وأن هذا القول ضعيف والأصح أنهم رسل الله.

(٦) في س، ك، ط (سماوي).

(٧) سقطت (الرسل) من أ وزدناها من سائر النسخ.

أرسله غيره، وإنما ذكر الرسل الذين أرسلهم هو[1]، وأيضاً فإنه قال: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ...﴾[2].

فأخبر أنه أرسلهم، كما أخبر أنه أرسل نوحاً وموسى وغيرهما[3]، وفي الآية: ﴿قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ...﴾[4].

---

(١) روى ابن جرير في تفسير قوله تعالى: ﴿**ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى**﴾ [الآية ٤٣ من سورة القصص] ٢٠/٥٠ (مجلد ٨)، روى من حديث عوف الأعرابي، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري، قال: ما أهلك الله قوماً بعذاب من السماء أو من الأرض بعدما أنزلت التوراة على وجه الأرض غير القرية التي مسخوا قردة، ألم ترَ أن الله تعالى ـ يقول: ﴿**ولقد أتينا موسى...**﴾ الآية.
وقد عزاه ابن كثير ـ رحمه الله ـ في البداية والنهاية ١/٢٢٧؛ والتفسير ٣/٣٩٠ من هذا الطريق إلى ابن أبي حاتم، والبزار، وابن جرير ثم قال: ورفعه البزار في رواية له، والأشبه ـ والله أعلم ـ وقفه فدل على أن كل أمة أهلكت بعامة قبل موسى ـ عليه السلام ـ فمنهم أصحاب الرس، قال ـ تعالى ـ في سورة الفرقان: ﴿**وعاداً وثمود وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيراً وكلًا ضربنا له الأمثال**﴾ الآية. وقال ـ تعالى ـ في سورة ق: ﴿**كذبت قبلهم قوم نوح**﴾ إلى قوله تعالى: ﴿**فحق وعيد**﴾، وهذا السياق والذي قبله يدل على أنهم أهلكوا ودمروا وتبروا وهو الهلاك.
وقال الشوكاني في فتح القدير ٤/١٧٤: «أخرج البزار وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «ما أهلك الله قوماً ولا قرناً ولا أمة ولا أهل قرية بعذاب من السماء منذ أنزل التوراة على وجه الأرض غير القرية التي مسخت قردة» ألم ترَ قوله وذكر الآية السابقة ٤٣ من سورة القصص».
قلت: أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٤٠٨ تفسير آية القصص ٤٣، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الإمام الذهبي. والله أعلم.

(٢) سورة يس: الآية ١٤.

(٣) في ط (وغيرها).

(٤) سورة يس: الآية ١٥.

ومثل هذا هو خطاب المشركين لمن قال: إن الله أرسله وأنزل عليه الوحي لا لمن[1] جاء رسولاً من عند رسول، وقد قال بعد هذا:

﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾[2].

وهذا إنما هو في الرسل الذين جاءوهم من عند الله لا من عند رسله. وأيضاً: فإن الله ضرب هذا مثلاً لمن أرسل إليه محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يحذرهم أن ينتقم الله منهم، كما انتقم من هؤلاء، ومحمد إنما يضرب له المثل برسول نظيره لا بمن أصحابه أفضل منهم، فإن أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعلياً أفضل من الحواريين باتفاق علماء المسلمين، ولم يبعث الله بعد المسيح رسولاً بل جعل ذلك الزمان زمان فترة كقوله:

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ ... ﴾[3].

وأيضاً فإنه قال ـ تعالى ـ:

﴿ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا . . . ﴾[4].

ولو كانوا رسل رسول لكان التكذيب لمن أرسلهم، ولم يكن في قولهم: إن أنتم إلَّا بشر مثلنا شبهة، فإن أحداً لا ينكر أن يكون رسل[5] رسل الله بشراً، وإنما أنكروا أن يكون رسول الله بشراً، وأيضاً فلو كان

(١) في س، ك، ط (من).

(٢) سورة يس: الآية ٣٠.

(٣) سورة المائدة: الآية ١٩.

(٤) سورة يس: الآيتان ١٤، ١٥.

(٥) سقطت (رسل) من ط .

التكذيب لهما وهما رسل الرسول لأمكنهما أن يقولا: فأرسلوا إلى من أرسلنا، أو إلى أصحابه فإنهم يعلمون صدقنا في البلاغ عنه، بخلاف ما إذا كانا رسل الله وأيضاً فقوله: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾.

صريح في أن الله هو المرسل ومن أرسلهم غيره إنما أرسلهم ذلك لم يرسلهم الله كما لا يقال لمن أرسله محمد بن عبد الله أنهم رسل الله فلا يقال لدحية بن خليفة[1] الكلبي أن الله أرسله، ولا يقال ذلك للمغيرة بن شعبة، وعبد الله بن حذافة وأمثالهما[2] ممن أرسلهم الرسول وذلك أن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أرسل رسله إلى ملوك الأرض، كما أرسل دحية بن خليفة إلى قيصر وأرسل عبد الله بن حذافة إلى كسرى، وأرسل حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس، كما تقدم ذكر ذلك.

ومعلوم أنه لا يقال في هؤلاء إن الله أرسلهم، ولا يسمون عند المسلمين رسل الله، ولا يجوز باتفاق المسلمين أن يقال هؤلاء داخلون في قوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾[3].

فإذا كانت رسل محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لم يتناولهم اسم رسل الله في الكتاب الذي جاء به. فكيف يجوز أن يقال: إن هذا الاسم يتناول رسل رسول غيره، والمقصود هنا بيان معاني القرآن وما أراده الله ـ تبارك وتعالى ـ بقوله:

﴿إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ...﴾[4].

---

(١) سقطت (ابن خليفة) من أ وزدناها من سائر النسخ.

(٢) في ط (وأمثالهم).

(٣) سورة الحديد: الآية ٢٥.

(٤) سورة يس: الآيتان ١٣، ١٤.

هل مراد الله ورسوله محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من أرسلهم الله، أو من أرسلهم رسوله، وقد علم يقيناً أن محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لم يدخل في مثل هذا فمن قال: إن محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ[1]، أراد بذلك من أرسله رسول[2] فقد كذب على محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عمداً أو خطأ.



(١) سقطت الجملة الدعائية من س، ك، ط.
(٢) في ط (رسولاً).

فصل

وقد تبيَّن بما ذكرناه فساد قولهم في تفسير آية البقرة، فإنهم قالوا: وقال في سورة البقرة:

﴿. . .فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ . . .﴾[1].

قالوا: فأعني بقوله أنبياءه المبشرين ورسله ينحو بذلك عن الحواريين الذين داروا في سبعة أقاليم العالم وبشروا بالكتاب الذي هو الإنجيل الطاهر، لأنه لو كان أعني عن إبراهيم وموسى وداود ومحمد لكان قال: ومعهم الكتب لأن كل واحد منهم جاء بكتاب دون غيره ولم يقل إلاَّ الكتاب الواحد، لأنه ما أتي جماعة مبشرين بكتاب واحد غير الحواريين الذين أتوا بالإنجيل الطاهر[2].

فيقال لهم: قد تقدم بعض ما يدل على فساد هذا التفسير.

وأيضاً فإنه قال ـ تعالى ـ : ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً . . .﴾.

أي: فاختلفوا. ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾.

والحواريون ليسوا من النبيين، وإن كان المسيح أرسلهم ولا يلزم من إرساله لهم أن يكونوا أنبياء كمن أرسلهم موسى ومحمد وغيرهما ولهذا تسميهم عامة النصارى رسلاً ولا يسمونهم أنبياء.

---

(١) سورة البقرة: ٢١٣.

(٢) هكذا نص رسالتهم وفيه أخطاء وضعف في الأسلوب واضح.

وأيضاً فإنه قال: ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾.

والحواريون لم ينزل معهم الكتاب إنما أنزل الكتاب مع المسيح، ولكن الأنبياء أنزل معهم جنس الكتاب؛ فإن الكتاب اسم جنس فيدخل فيه الكتب المنزلة كلها كما في قوله:

﴿... وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ...﴾[1].

وفي قوله: ﴿... كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾[2].

* وفي القراءة الأخرى (وَكِتَابِهِ وَرُسُلِهِ) *[3]، وكذلك قوله عن مريم: ﴿... وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ...﴾[4].

وفي القراءة الأخرى: (وَكِتَابِهِ)[5]، وأيضاً قال ـ تعالى ـ:

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ...﴾[6].

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨٥.

(٣) سقط ما بين النجمتين من أ وزدناه من سائر النسخ.

(٤) سورة التحريم: الآية ١٢.

(٥) قال الشوكاني ـ رحمه الله ـ: «قرأ نافع، وابن كثير، وعاصم في رواية أبي بكر (في آية البقرة) وكتبه بالجمع، وقرأوا في التحريم وكتابه. وقرأ ابن عباس هنا (يقصد آية البقرة) وكتابه، وكذلك قرأ حمزة والكسائي، وروي عنه أنه قال: الكتاب أكثر من الكتب، وبيّن الزمخشري في الكشاف أنه إذا أريد بالواحد الجنس لم يخرج منه شيء».
انظر: فتح القدير ١/٣٠٧؛ والتبصرة في القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ص ٥٣٣؛ والغاية في القراءات العشر ص ١٢٢؛ والتيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني ص ٨٥.

(٦) سورة البقرة: الآية ٢١٣.

وقال ـ تعالى ـ في سورة يونس:

﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ . . . ﴾[1].

وهـذا يدل أنـه لما اختلفت بنـو آدم بعث الله النبيين، واختلافهم كان[2] قبل المسيح بل قبل موسى، بل قبل الخليل، بل قبل نوح، كما قال ابن عباس[3]: كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام ثم حـدث فيهم الشرك والاختـلاف على وجهين: تـارة يختلفـون فيؤمن بعضهم، ويكفر بعضهم، كما قال ـ تعالى ـ:

﴿ . . . وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ . . . ﴾[4].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ . . . ﴾[5].

يعني: أهـل الإيمان والكفـر، وقـد يكـون المختلفـون كلهم على باطل كقوله:

---

(١) سورة يونس: الآية ١٩.

(٢) في س، ك، ط (وكان اختلافهم).

(٣) رواه الحـاكم في المستـدرك، كتـاب التـاريـخ، بـاب ذكـر نـوح ـ عليـه السـلام ـ ٥٤٦/٢، ٥٤٧، وقـال: هـذا حـديث صحيح على شـرط البخـاري، ولم يخـرجـاه ووافقه الذهبي، وجاء في مجمع الزوائد للهيثمي ١٩٦/١، عن أبي أمامة البـاهلي أن رجلاً قال: يـا رسول الله أنبيّ كـان آدم؟ قال: «نعم» قـال: كم بينه وبين نـوح؟ قال: «عشرة قرون» قال: كم بين نوح وإبراهيم؟ قال: «عشرة قرون» قال: يـا رسول الله كم كانت الرسل؟ قال: «ثلاثمائـة وخمسة عشـر». قال الهيثمي: رواه الـطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح. وانـظر: تفسير ابن كثيـر ٢٢٣/٢؛ وفتح القـدير للشوكاني ٢١٧/٢، وقد عزاه فيه إلى ابن أبـي حاتم والحاكم.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٥٣.

(٥) سورة الحج: الآية ١٩.

﴿ . . . وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾[1].

وقولـه:

﴿ . . . وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ . . . ﴾[2].

وأيضاً: فالإنجيـل ليس فيه حكم بين النـاس فيما اختلفـوا فيه بـل عامته مـواعظ ووصايـا وأخبار المسيـح[3]. بخلاف التـوراة والقرآن فـإن فيهما من الحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ما ليس في الإنجيل.

وأيضاً فإنه قال:

﴿ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ . . . ﴾[4].

وذلك يقتضي أن الله هدى الـذين آمنوا بعـد اختلاف الـذين أوتوا الكتاب بغياً بينهم لما اختلفوا فيه من الحق، وهذا ذم لمن أوتـوا الكتاب فاختلفوا.

والنصـارى داخلون في هذا الـذم. ولـو كـان المـراد الإنجيــل[5] لكانوا[6] هم المذمومين دون غيرهم، وليس كذلـك، بل اليهـود وغيرهم من المختلفين مذمومون أيضاً، وإنمـا الممدوح هم المؤمنـون الـذين[7] هداهم الله لما اختلف أولئك فيه من الحق بإذنه.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٦.

(٢) سورة هود: الآيتان ١١٨، ١١٩.

(٣) سبق بيان التوراة والإنجيل في أول الكتاب.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢١٣.

(٥) في ط (بالإنجيل).

(٦) في س، ك، ط (كانوا).

(٧) في أ والذين.

وهـذا يتناول أمـة محمد ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ قـطعـاً، وقـد يتناول كل من آمن من الأمم المتقدمة، كالذين كـانوا على دين مـوسى، والمسيح، وإبراهيم الخليل، كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1].

وأمـا أمة محمـد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، فـإن الله هداهم لمـا اختلف فيـه الأمم قبلهم من الحق بـإذنـه، وهـذا بيِّن فـإنهم على الحق والعـدل الوسط بين طـرفي البـاطـل وهذا ظـاهر في اتبـاعهم الحق الذي اختلفت[2] فيـه اليهـود والنصـارى في التـوحيـد والأنبيـاء والأخبـار، والتشريع، والنسخ، والحلال والحرام، والتصديق، والتكـذيب[3]، وغير ذلك.

أمـا التوحيـد فإن اليهـود شبهوا الخـالق بالمخلوق فـوصفوا الـرب ـ سبحـانـه ـ بصفـات النقص الـذي يختص بهـا المخلوق، فقـالـوا: إن الله[4] فقير وبخيل، وإنه يتعب وغير ذلك.

والنصـارى وصفـوا المخلوق بصفـات الخـالق صفـات الكمـال الذي[5] يختص بها الخـالق، فقالـوا عن المسيح: إنـه خالق السمـوات والأرض القديم الأزلي علَّام الغيوب القادر على كل شيء، و :

---

(١) سورة البقرة: الآية ٦٢.

(٢) في أ (اختلف).

(٣) في أ (وغير ذلك من التصديق والتكذيب)، وما أثبتناه من سائر النسخ أصح.

(٤) في س، ك، ط (إنه فقير).

(٥) في س، ك، ط (التي).

﴿ اتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[1] الآية.

والمسلمون هداهم الله لما اختلفوا[2] فيه من الحق فلم يشبهوا الخالق بالمخلوق ولا المخلوق بالخالق، بل أثبتوا لله ما يستحقه من صفات الكمال، ونزَّهوه عن النقائص وأقروا بأنه أحد ليس كمثله شيء وليس له كفواً أحد في شيء من صفات الكمال فنزهوه عن النقائص خلافاً لليهود[3]، وعن مماثلة المخلوق له خلافاً للنصارى.

وأما الأنبياء ـ عليهم السلام ـ فإن اليهود قتلوا بعضاً وكذبوا بعضاً كما قال ـ تعالى ـ:

﴿ ... أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾[4].

والنصارى أشركوا بهم وبمن هو دونهم[5] فعبدوا المسيح بل اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، وجعلوا الحواريين رسلاً لله وزعموا أن الإنسان يصير بطاعته[6] بمنزلة الأنبياء، وصوروا تماثيل الأنبياء والصالحين، وصاروا يدعونهم ويستشفعون بهم بعد موتهم، وإذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تماثيلهم.

وفي الصحيحين أن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ذكر له كنيسة

---

(١) سورة التوبة: الآية ٣١، وليس في س، ك، ط لفظ (الآية).

(٢) في س، ك، ط (اختلف).

(٣) في أ (خلاف اليهود)، وما أثبتناه من سائر النسخ هو الأولى.

(٤) سورة البقرة: الآية ٨٧.

(٥) في س (دنهم).

(٦) في س، ك، ط (إن الإنسان بطاعته يصير).

بأرض الحبشة وذكر من حسنها وتصاوير فيها، فقال: «أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك التصاوير، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة»[1].

وأما المسلمون فهداهم الله لما اختلف فيه من الحق بإذنه، فآمنوا بأنبياء الله كلهم ولم يفرقوا بين أحد منهم ولم يغلوا فيهم غلو النصارى ولا قصروا في حقهم تقصير اليهود، وكذلك قتل اليهود الذين يأمرون بالقسط من الناس. والنصارى يطيعون من يأمر بالشرك. وإن الشرك لظلم عظيم، ويطيعون من يحرم الحلال ويحلل الحرام. والمسلمون يطيعون من يأمر بطاعة الله، ولا يطيعون من يأمر بمعصية الله. والنصارى فيهم الشرك بالله. واليهود فيهم الاستكبار عن عبادة الله كما قال ـ تعالى ـ في النصارى:

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[2].

وقال في اليهود:

﴿ . . . أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾[3].

والإسلام هو أن يستسلم العبد لله وحده فيعبده وحده بما أمره به. فمن استسلم له ولغيره كان مشركاً، والله لا يغفر أن يشرك به. ومن

---

(1) سبق تخريجه.

(2) سورة التوبة: الآية ٣١.

(3) سورة البقرة: الآية ٨٧.

لم يستسلم له بل استكبر عن عبادته كان ممن قيل فيه:

﴿... ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[١].

فلهذا كان جميع الأنبياء وأممهم مسلمين لله يعبدونه وحده بما أمرهم به وإن تنوعت شرائعهم. فالمسيح لم يزل مسلماً لما كان متبعاً لشرع التوراة ولما نسخ الله له نسخة منها.

ومحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لم يزل مسلماً لما كان يصلي إلى بيت المقدس ثم لما صلى إلى الكعبة ولما بعثه الله إلى الخلق كانوا كلهم مأمورين بطاعته وكانت عبادة الله طاعته، فمن لم يطعه لم يكن عابداً لله فلم يكن مسلماً.

وأما التشريع فإن اليهود زعموا أن ما أمر الله[٢] به يمتنع منه أن ينسخه.

والنصارى زعموا أن ما أمر الله به يسوغ لأكابرهم أن ينسخوه فهدى الله المؤمنين لما اختلفوا فيه من الحق، فقالوا: إن الله ـ سبحانه ـ له أن ينسخ ما شرعه خلافاً لليهود، وليس للمخلوق[٣] أن يغير شيئاً من شرع الخالق خلافاً للنصارى.

وأما الحلال والحرام والطهارة والنجاسة فإن اليهود حرمت عليهم الطيبات وشددت[٤] عليهم من[٥] أمر النجاسات، حتى منعوا[٦] من

(١) سورة غافر: الآية ٦٠.

(٢) في س، ك، ط (أمره).

(٣) في س (المخلوق) وفي ك، ط (لمخلوق).

(٤) في س، ك، ط (وشدد).

(٥) في س، ك، ط (في).

(٦) في س، ك، ط (فمنعوا).

مؤاكلة الحائض، والجلوس معها في بيت ومن إزالة النجاسة، وحرم عليهم شحم الثرب[1] والكليتين، وكل ذي ظفر وغير ذلك.

والمسيح ـ عليه السلام ـ أحل لهم بعض الذي حرم عليهم فقابلهم النصارى، فقالوا: ليس شيء محرم، لا الخنزير ولا غيره. بل ولا شيء نجس، لا البول، ولا غيره وزعموا أن بعض أكابرهم رأى ملاءة[2] صور له فيها صور الحيوان وقيل له: كل ما طابت نفسك ودع ما تكره * وأنه أبيح لهم جميع الحيوان ونسخوا شرع التوراة بمجرد ذلك *[3]. فالحلال عندهم ما اشتهته أنفسهم. والحرام عندهم ما كرهته أنفسهم[4]. فهدى الله[5] الذين آمنوا لما اختلف[6] فيه من الحق فأحل لهم[7] الله الطيبات وحرم عليهم الخبائث وأزال عنهم الآصار والأغلال التي كانت على بني إسرائيل خلافاً لليهود وأمرهم بالطهارة طهارة الحدث والخبث خلافاً للنصارى. والمسيح ـ عليه السلام ـ جعلته اليهود ولد زناً كذاباً ساحراً، وجعلته النصارى هو الله خالق السموات والأرض، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا[8] فيه من الحق بإذنه

---

(١) في ط (الترب) بالمثناة الفوقية، وجاءت في س غير منقوطة والثرب وزان فلس: شحم رقيق على الكرش والإمعاء كما قال في المصباح المنير ١/١١١، ١١٢.

(٢) قال في المصباح المنير ٢/٧٩٨: المُلاءة: بالضم والمد، والرَّيطة ذات لفقين، والجمع ملاء بحذف الهاء. قلت: والرَّيطة الثوب الليِّن الرقيق كما ذكر أيضاً ١/٣٣٨.

(٣) ما بين النجمتين ساقط من أ وزدناه من س وهامش ك، ط.

(٤) سقطت (أنفسهم) من أ وزدناها من سائر النسخ.

(٥) سقط لفظ الجلالة من أ وزدناه من سائر النسخ.

(٦) في ط (اختلفوا).

(٧) في س، ك، ط (فأحل الله لهم).

(٨) في س، ك، ط (اختلف).

فشهدوا أنه عبد الله مخلوق خلافاً للنصارى وأنه رسول وجيه في الدنيا والآخرة ومن المقربين خلافاً لليهود، وأما التصديق والتكذيب فإن اليهود من شأنهم التكذيب بالحق، والنصارى من شأنهم التصديق بالباطل فإن اليهود كذبوا من كذبوه من الأنبياء وقد جاءوا بالحق كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾[1].

والنصارى يصدقون بمحالات العقول والشرائع كما صدقوا بالتثليث والاتحاد ونحوهما من الممتنعات.



(١) سورة البقرة: الآية ٨٧.

فصل

ثم[1] قالوا عن القرآن أنه يشهد[2] لهم أنهم أنصار الله حيث يقول كما قال عيسى بن مريم[3]: من أنصاري إلى الله قال الحواريون:

﴿ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴾[4].

فيقال: هذا حق والحواريون مؤمنون مسلمون وهم أنصار الله، لكن ليس في هذا أنهم رسل الله، ولا في هذا أن كل ما أنتم عليه من الدين مأخوذ عنهم، ولا في هذا أن الواحد من الحواريين معصوم من الغلط، بل أمر[5] الله المؤمنين من أمة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أن يكونوا أنصار الله كما طلب المسيح ذلك بقوله: (مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ).

وقد وصف الله المؤمنين أصحاب[6] النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من أهل المدينة النبوية بأنهم أنصار الله[7] بقوله ـ تعالى ـ :

---

(١) سقطت (ثم) من س، ك، ط.

(٢) في س، ط (شهد).

(٣) في ك، ط زيادة (للحواريين).

(٤) سورة الصف: الآية ١٤.

(٥) في ك، ط (يأمر).

(٦) في س (من أصحاب).

(٧) سقط لفظ الجلالة من س، ك، ط.

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ. . .﴾[1].

والمهاجرون أفضل من الأنصار، وهم أيضاً من أنصار الله نصروه كما نصره الأنصار، لكن لما كان لهم اسم[2] يخصهم، وهو[3] المهاجرون، وهو أفضل الاسمين، خص الأنصار بهذا الاسم. والمهاجرون والأنصار أفضل ممن آمن بموسى ومن آمن بعيسى عند المسلمين.

ومع هذا فليس فيهم عندهم نبي ولا رسول لله، ولكن فيهم رسل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم تسليماً.

• • •

(١) سورة التوبة: الآية ١٠٠.

(٢) سقط (اسم) من ط .

(٣) في ط (وهم).

فصل

الردّ عليهم في زعمهم أن الإسلام عظّم إنجيلهم الذي بين أيديهم

قالوا وأما تعظيمه لإنجيلنا وكتبنا التي بأيدينا[1] فيقول:

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ . . .﴾[2].

وقال في سورة آل عمران:

﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ . . .﴾[3].

وقال في سورة البقرة:

﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[4].

فأعني[5] بالكتاب[6] الإنجيل، والذين يؤمنون بالغيب نحن

---

(١) في س، ك، ط (في أيدينا).

(٢) سورة المائدة: الآية ٤٨.

(٣) سورة آل عمران: الآيات ١ ـ ٤.

(٤) سورة البقرة: الآيات ١ ـ ٥.

(٥) في ط (فعني).

(٦) في س (الكتاب).

النصارى الذين آمنا بالمسيح[1] وما رأيناه، ثم اتبع بالقول والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك فأعني[2] بهم المسلمين الذين آمنوا بما أتى به وما أتى من قبله، وقال في سورة المائدة:

﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۝٤٦ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[3].

وقال في سورة آل عمران:

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾[4].

فأعني[5] أيضاً بالكتاب المنير الذي هو الإنجيل المقدس.

وقال أيضاً:

﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾[6].

فثبت بهذا ما معنا ونفي عن إنجيلنا وكتبنا التي في أيدينا التهم والتبديل والتغيير لما فيها بتصديقه إياها[7].

---

(١) في س، ك، ط (بالسيد المسيح).

(٢) في ط (فعني).

(٣) سورة المائدة: الآيتان ٤٦، ٤٧.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٨٤.

(٥) في ط (فعني).

(٦) سورة يونس: الآية ٩٤.

(٧) النص من أول الفصل إلى هذا الموضع يوجد في المخطوطة التي بأيدينا (رسالة بولص الأنطاكي) في الورقة الخامسة صفحة أ، مع اختلاف يسير في الألفاظ.

والجواب: بعد أن تعرف أن لفظ الآية الأولى من سورة المائدة:

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ... ﴾(١).

أن يقال: أما تصديق خاتم الرسل محمد رسول الله(٢) ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لما أنزل الله قبله من الكتب ولمن جاء قبله من الأنبياء، فهذا معلوم بالاضطرار من دينه متواتراً تواتراً ظاهراً كتواتر إرساله إلى الخلق كلهم وهذا من أصول الإيمان.

قال ــ تعالى ــ:

﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾(٣).

وقال ــ تعالى ــ:

﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾(٤).

---

(١) سورة المائدة: الآية ٤٨.

(٢) سقط (رسول الله) من س، ك، ط.

(٣) سورة البقرة: الآيتان ١٣٦، ١٣٧.

(٤) سورة آل عمران: الآيتان ٨٤، ٨٥.

وقال:

﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾(1).

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ (285) لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾(2).

وتصديقه للتوراة والإنجيل مذكور في مواضع من القرآن، وقد قال(3):

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ... ﴾(4).

---

(1) سورة البقرة: الآية ١٧٧.

(2) سورة البقرة: الآيتان ٢٨٥، ٢٨٦.

(3) في ط (قال تعالى).

(4) سورة المائدة: الآية ٤٨.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ . . . ﴾[1] .

وقال[2] : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ. . . ﴾[3] .

فبيَّن أنـه أنزل هـذا القرآن مهيمناً على ما بين يـديـه من الكتب، والمهيمن الشاهد المؤتمن الحاكم، يشهد[4] بما فيها من الحق وينفي[5] ما حرف فيها ويحكم بإقرار ما أقره الله من أحكامها، وينسخ ما نسخه الله منهـا وهـو مؤتمن في ذلـك عليهـا، وأخبـر أنـه أحسن الحـديث وأحسن القصص وهذا يتضمن أنه كـل من كان متمسكـاً بالتـوراة قبل النسـخ من غير تبديل شيء من أحكامها فإنه من أهل الإيمان والهدى، وكـذلك من كان متمسكاً بالإنجيل من غير تبديل شيء من أحكامـه قبل النسـخ، فهو من أهل الإيمان والهدى، وليس في ذلك مدح لمن تمسك بشـرع مبدل، فضـلاً عمن تمسك بشـرع منسوخ، ولم يؤمن بمـا أرسل الله إليـه[6] من الرسل وما أنزل إليه من الكتب بل قد بين[7] كفر اليهود والنصارى بتبديل الكتاب الأول وبترك الإيمـان بمحمد ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ في غير موضع.

وأما تأويلهم قوله: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾، إنـه الإنجيل. و ﴿إِنَّ الَّـذِينَ

(١) سورة الزمر: الآية ٢٣ وفي ط ﴿تقشعر منه جلود الذين آمنوا. . .) إلى آخر الآية.

(٢) في ط (وقال تعالى).

(٣) سورة يوسف: الآية ٣.

(٤) في ك، ط (فشهد).

(٥) في ط (ويبين).

(٦) في س، وهامش ك، (إليه سبحانه).

(٧) في س، ط (بين سبحانه).

يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِما رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونْ﴾ ـ عَنَى بهم النصارى فهو من تحريف الكلم عن مواضعه، وتبديل كلام الله كما فعلوه في قوله: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسْلَامِ دِيْناً﴾، وفي قوله: ﴿بِإذْنِي﴾ أي باللاهوت[1]، وفي قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

وفي غير ذلك مما ذكروه وتأولوه من القرآن على غير المعنى الذي أراد الله به، وهذا مما يؤيد أنهم فعلوا كذلك بالتوراة والإنجيل؛ فإنه إذا كان القرآن الذي قد عرف تفسيره، والمراد به: العام والخاص، ونقل ذلك عن الرسول نقلاً متواتراً حتى عرف معناه علماً يقيناً اضطرارياً فيبدلون معناه ويحرفون الكلم عن مواضعه، فماذا يصنعون بالتوراة والإنجيل ولم ينقل لفظ ذلك ومعناه كما نقل القرآن وليس في أهل تلك الكتب من[2] يذب عن لفظها ومعناها كما يذب المسلمون عن لفظ القرآن ومعناه؟

وهؤلاء غرهم قوله: ﴿ذَلِكَ الكِتَابُ﴾، فظنوا أن لفظ ﴿ذَلِكَ﴾ لما كان يشار بها إلى الغائب أشير بها إلى الإنجيل.

فيقال لهم هذا كقوله: ﴿ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم﴾.

وأشار بذلك إلى ما تلاه قبل هذه الآية، وقوله:

﴿وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْۚ . . .﴾[3].

---

(١) في ط (بإذن اللاهوت).

(٢) في أ، س، ك (ممن) وما أثبتناه من ط أصح.

(٣) سورة الممتحنة: الآية ١٠.

وقوله:

﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ... ﴾[1].

ومثله ـ قوله تعالى ـ بعد أن ذكر خبر يوسف الصديق:

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ... ﴾[2].

وقال أيضاً لما ذكر خبر مريم:

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ ﴾[3].

كما قال لما ذكر آيات يخبر فيها عن نوح:

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ﴾[4].

وقال:

﴿ الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝١ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[5].

و «تلك» في المؤنث مثل «ذلك» في المذكر، ومع هذا فأشار إلى

---

(١) سورة الطلاق: الآية ٢.

(٢) سورة يوسف: الآية ١٠٢.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٤٤.

(٤) سورة هود: الآية ٤٩.

(٥) سورة يوسف: الآيات ١ ـ ٣.

القرآن ومنه قوله: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾[1].

وقوله: ﴿طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[2].

ومنه قوله: ﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾[3].

ومنه قوله:

﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[4].

وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا...﴾[5].

وقوله:

﴿الٓمٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ...﴾[6] الآية.

ومثل هذا كثير، وذلك أنه لما أنزل قوله: ﴿ذلك الكتاب﴾ ﴿وتلك آيات الكتاب﴾ ونحو ذلك لم يكن الكتاب المشار إليه قد أنزل تلك الساعة، وإنما كان قد أنزل قبل ذلك فصار كالغائب الذي يشار إليه كما يشار إلى الغائب وهو باعتبار حضوره عند النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يشار إليه كما يشار إلى الحاضر، كما قال ـ تعالى ـ :

﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ...﴾[7].

---

(1) سورة الحجر: الآية ١.

(2) سورة النمل: الآية ١.

(3) سورة القصص: الآيتان ١، ٢.

(4) سورة الشورى: الآيات ١ ـ ٣.

(5) سورة الشورى: الآية ٧.

(6) سورة الرعد: الآية ١.

(7) سورة الأنبياء: الآية ٥٠.

ولهـذا قـال غيـر واحـد من السلف[1] «ذلـك الكتـاب» أي هـذا الكتاب، يقولون: المراد هذا الكتاب وإن كانت الإشارة تكون تارة إشارة غائب، وتارة إشارة حاضر، وقد قال:

﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ . . . ﴾[2].

وقـد وصـف النصارى بـأنهم لا يؤمنون بـالله، ولا بـاليـوم الآخـر، وأنهم كافرون ظالمون، فكيف يجعلهم المتقين الذين يؤمنون بالغيب.

قال ـ تعالى ـ :

﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴾[3].

وأول التقوى تقوى الشرك، وقد وصف النصارى بالشرك في قوله:

---

(1) في تفسير ابن جرير الطبري ١/٧٤ «قال ابن عباس ذلك الكتاب هذا الكتـاب»، وبه قـال مجـاهـد، وعكـرمـة، وسعيـد بن جبيـر، والسـدي، ومقـاتـل، وزيـد بن أسلم وابن جريج. وقال الإمام الشوكاني: «والعرب قد تستعمل الإشارة إلى البعيد الغائب مكان الإشارة إلى القريب الحاضر، كما قال خفاف:

أقـول لـه والـرمـح يـأطـر متنـه تـأمـل خفـافـاً أنني أنـا ذالكـا

انظر: فتح القدير ١/٣٣.

وقـال الحافظ ابن كثيـر: «ومن قال أن المـراد بـذلـك الكتـاب الإشـارة إلى التـوراة والإنجيل فقد أبعد النجعة، وأغرق في النزع والتكلف ما لا علم له به».

انـظر: تفسيره ١/٣٩، وقـد ذكـر القـرطبـي ــ رحمـه الله ــ في تفسيـره ١/١٥٧، (المجلد الأول) عشـرة أقوال في المـراد بالإشـارة والصحيح الـذي عليه المعـول أن المراد به القرآن الكريم كما ذكر علماء السلف والله أعلم.

(2) سورة البقرة: الآيتان ٢، ٣.

(3) سورة التوبة: الآية ٢٩.

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(1).

وقال ـ تعالى ـ لما ذكر المسيح:

﴿ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (37) أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾(2).

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ... ﴾(3).

وقوله: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ... ﴾(4).

ونهى عن موالاتهم فقال:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ... ﴾(5).

وقد أخبر أن الله ولي المتقين فقال:

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (18) إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾(6).

---

(1) سورة التوبة: الآية 31.
(2) سورة مريم: الآيتان 37، 38.
(3) سورة المائدة: الآية 72.
(4) سورة المائدة: الآية 73.
(5) سورة المائدة: الآية 51.
(6) سورة الجاثية: الآيتان 18، 19.

فلو كانوا من المتقين فضلاً عن أن يكونوا هم المتقين لكان الله وليهم، ولكانت موالاتهم واجبة على المؤمنين، وهو قد نهى عن موالاتهم وجعل من يتولاهم ظالماً، وجعل المؤمنين بعضهم أولياء بعض، والكفار بعضهم أولياء بعض، ولهذا لما قطع الله الموالاة بين المؤمنين وبين الكافرين.

قال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في الحديث الصحيح: «لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم»[1].

واتفق المسلمون على أن اليهودي والنصراني لا يرث مسلماً ولو كان ابنه وأباه لأن الله قطع الموالاة بينهما، وقد قال ـ تعالى ـ:

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾[2].

وأيضاً فإنه قال ـ تعالى ـ:

﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[3].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب أين ركز النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ رايته يوم الفتح؟ ٩٢/٥ من حديث أسامة بن زيد وفيه (المؤمن) بدل (المسلم) ورواه في كتاب الفرائض ١١/٨، وأخرجه من قول عمر في الحج ١٥٧/٢، ورواه مسلم في الفرائض الحديث الأول من الكتاب ١٢٣٣/٣، وأبو داود في الفرائض، باب هل يرث المسلم الكافر ٣٢٧/٣ (٢٩٠٩)، والترمذي في الفرائض باب ما جاء في إبطال الميراث بين المسلم والكافر ٤/ ٤٢٣ (٢١٠٧)، وابن ماجه في الفرائض، باب ميراث أهل الإسلام من الشرك ٢/ ٩١١ (٢٧٢٩)، والدارمي في الفرائض باب في ميراث أهل الشرك وأهل الإسلام ٢/ ٣٧٠.

(٢) سورة المجادلة: الآية ٢٢.

(٣) سورة البقرة: الآية ٣.

وهي الصلاة التي أمر بها في قوله:

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا﴾[1].

وقد قال ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «لا يقبل الله صلاة بغير طهور»[2]. والنصارى يصلون بغير طهور.

وقال ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : «لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب»[3]. وهم لا يقرؤونها. والصلاة التي فرضها وأثنى عليها مشتملة

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٧٨.

(٢) رواه مسلم من حديث ابن عمر يرفعه بلفظ «لا تقبل صلاة بغير طهور، ولا صدقه من غلول». في كتاب الطهارة، باب وجوب الطهارة للصلاة ١/٢٠٤، والترمذي في كتاب الطهارة، باب ما جاء لا تقبل صلاة بغير طهور ١/٥، ٦ وقال هذا الحديث أصح شيء في هذا الباب وأحسن، وابن ماجه في الطهارة باب لا يقبل الله صلاة بغير طهور ١/١٠٠ (٢٧٢) وجاء الحديث من طريق أبي المليح عن أبيه (أسامة بن عمير الهذلي) يرفعه بنحوه في سنن أبي داود، في كتاب الطهارة ١/٤٩ (٥٩)، وفي سنن النسائي في الطهارة ١/٨٧، باب فرض الوضوء، وفي سنن ابن ماجه ١/١٠٠ (٢٧١)، وفي سنن الترمذي ١/٦ كتاب الطهارة، وروى البخاري من حديث أبي هريرة يرفعه: «لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ» في كتاب الوضوء ٦/٤٣، ومسلم في الطهارة ١/٢٠٤. وقد تعقب الشيخ أحمد شاكر كلام الترمذي «بأن أصح شيء في الباب حديث ابن عمر» وقال: فيه نظر، ثم ذكر بأن أصح شي هو حديث أبي هريرة انظر: سنن الترمذي ١/٦ تعليق رقم (٤).

(٣) رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ١/٢٩٥ (٣٩٤) من حديث عبادة بن الصامت بلفظ «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» وأبو داود في الصلاة، باب القراءة في الفجر ١/٥١٤ (٨٢٢)، والترمذي في الصلاة، باب ما جاء أنه لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب ٢/٢٥ (٢٤٧)، وابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها، باب القراءة خلف الإمام ١/٢٧٣ (٨٣٧)، وأحمد في المسند ٥/٣١٦، ٣٢٢، والحميدي في مسنده ١/١٩١ (٣٨٦).

على استقبال الكعبة وعلى ركوع وسجدتين في كل ركعة، وغير ذلك مما لا يفعله النصارى فكيف يمدحهم بإقامة[1] الصلاة وهم لا يقيمون الصلاة التي أمر بإقامتها.

ثم لو قال اليهودي المراد بقوله: (ذلك الكتاب) التوراة، و(بالمتقين) اليهود، لكان هذا مع بطلانه أقرب من قول القائل: أن المراد بالكتاب الإنجيل؛ لأن التوراة أحق بذلك من الإنجيل فإنها الأصل والله ـ تعالى ـ يقرن بينها وبين القرآن في غير موضع كقوله:

﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴾[2].

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[3].

وقد قالت الجن لما سمعت القرآن:

﴿ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[4].

وقال النجاشي ـ لما سمع القرآن ـ : «إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة»[5]. وكذلك ورقة بن نوفل قال: «هذا

(١) في ط (باقام).

(٢) سورة هود: الآية ١٧.

(٣) سورة الأحقاف: الآية ١٠.

(٤) سورة الأحقاف: الآية ٣٠.

(٥) سبق تخريجه في أول الكتاب.

هو الناموس الذي كان ينزل[1] على موسى بن عمران[2].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِيَ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا ﴾[3].

أي: التوراة والقرآن. وقالوا: ساحران تظاهرا، أي موسى ومحمد. وقالوا: إنا بكل كافرون.

قال الله[4]:

﴿ قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[5].

فقد بين أنه لم يأت من عند الله كتاب أهدى من التوراة والقرآن.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ[6] نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾[7].

---

(١) في س (نزل) وسقطت الكلمة من ك.

(٢) سبق تخريجه في أول الكتاب.

(٣) سورة القصص: الآية ٤٨.

(٤) في س، ط (قال الله تعالى) وسقطت الجملة كلها من ك.

(٥) سورة القصص: الآية ٤٩.

(٦) في هامش س وهامش ك، ط بعد كلمة (موسى) جملة (أي الله هو الذي) وهي تفسيرية.

(٧) سورة الأنعام: الآيتان ٩١، ٩٢.

وأما قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ . . . ﴾[1].

فهي صفة ثانية للذين يؤمنون بالغيب مجملاً، ثم وصفهم بإيمان مفصل[2] بما أنزل إليك، وما أنزل من قبله. والعطف بالواو يكون لتغاير الذوات ويكون لتغاير الصفات كقوله تعالى :

﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴾[3].

والذي خلق فسوى هو[4] الذي قدر فهدى وهو الذي أخرج المرعى، وكذلك قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴾[5].

ومثله[6] قوله :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾

---

(١) سورة البقرة: الآية ٤.
(٢) في ط (مفعل) وهو تحريف.
(٣) سورة الأعلى: الآيات ١ ـ ٥.
(٤) سقطت (هو) من س ومكانها (و).
(٥) سورة الزخرف: الآيات ٩ ـ ١٢.
(٦) في س (ومثل).

﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[1].

فهم صنف واحد وصفهم بهذه الصفات بحرف الواو، وكذلك في قوله:

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝٢٢ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ۝٢٣ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ۝٢٥ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٢٦ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٢٧ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۝٢٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٢٩ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٣٠ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٣١ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٣٢ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ۝٣٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٣٤ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾[2].

وقد فسر قبل[3] ـ قوله يؤمنون بالغيب، صفة المؤمنين من غير أهل الكتاب كمشركي العرب، والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك صفة من آمن به[4] من أهل الكتاب.

وعلى هذا القول: هؤلاء غير هؤلاء، لكن هذا ضعيف فإنه لا بد في المؤمنين من غير أهل الكتاب أن يؤمنوا بما أنزل إليه، وما أنزل من قبله، ولا بد في مؤمن أهل الكتاب أن يؤمن بالغيب. فكل من الإيمانين

---

(١) سورة المؤمنون: الآيات ١ ـ ١١.

(٢) سورة المعارج: الآيات ١٩ ـ ٣٥.

(٣) في س، (وقد قيل أن قوله) وسقطت (قبل) من أ.

(٤) سقطت (به) من س.

واجب على كل واحد، ولا يكون أحد على هدى من ربه مفلحاً إلا بهذا وهذا.

وأما قول النصارى: نحن الذين آمنا بالسيد المسيح وما رأيناه. فهكذا اليهود آمنوا بموسى ــ عليه السلام ــ وما رأوه. والمسلمون آمنوا بمحمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وما رأوه، بل المسلمون آمنوا بموسى، وعيسى وسائر النبيين، وما رأوهم بخلاف اليهود والنصارى الذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض. ثم الغيب ليس المراد به صورة النبي ــ عليه السلام ــ فإن صورة النبي ليست من الغيب فإن الناس يرونها وليس في رؤيتها ما يوجب إيماناً ولا كفراً، ولكن الغيب ما غاب عن مشاهدة الخلق وهو ما أخبرت به الأنبياء من الغيب فيدخل فيه الإيمان بالله، وملائكته وكتبه، ورسله، وهو الإيمان بأنهم رسل الله وسواء رؤيت أبدانهم أو لم تر فقد يراهم من لم يؤمن برسالتهم، وقد يؤمن برسالتهم من لم يرهم.

والمقصود الإيمان برسالتهم لا بنفس صورهم حتى يقول القائل: آمنا بنبي ولم نره وقد يعلم من دلائل نبوته وأعلام رسالته من لم يره أكثر مما يعلمها من رآه.



فصل[1]

وأما قوله في سورة المائدة:

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[2].

فهذا ثناء منه على المسيح والإنجيل وأمر للنصارى بالحكم بما أنزل فيه، كما أثنى على موسى والتوراة بأعظم مما عظم به المسيح والإنجيل فقال ـ تعالى ـ :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ . . .﴾[3].

أي: قائلون للكذب مصدقون مستجيبون مطيعون لقوم آخرين

(١) كلمة «فصل» في غير موطنها لأن الكلام موصول، وكثيراً ما كانت كلمة «فصل» ترد في مثل هذا المقام في غير موضعها، ولعل المقصود التنبيه، وليس الانتقال من فكرة إلى فكرة كما هو متبع الآن.

(٢) سورة المائدة: الآيتان ٤٦، ٤٧.

(٣) سورة المائدة: الآية ٤١.

لم يـأتـوك فهم مصـدقـون للكــذب مـطيعــون لمن[1] يخـالفـك وأنت رسول الله.

فكــل من تصـديق الكــذب والـطاعــة لمن خــالف رســول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ[2] من أعظم الذنوب.

ولفظ «السميع»: يراد به الإحساس بالصوت ويـراد به فهم المعنى ويراد به قبوله فيقال: فلان سمـع ما يقـول فلان. أي: يصـدقه أو يـطيعه ويقبل منه.

فقـوله[3] سمـاعون للكـذب أي: مصدقـون به وإلاَّ مجـرد سمـاع صوت الكاذب وفهم كلامه ليس مذموماً على الإطلاق.

وكـذلك سمـاعون لقـوم آخـرين لم يـأتـوك أي: مستجيبـون لهم مـطيعون[4]. كمـا قال في حق المنـافقين: «وفيكم سمـاعـون لهـم»[5]، أي: مستجيبون مطيعـون لهم، ومن قال: إن المـراد به الجـاسوس فهـو غالط كغلط من قال سماعون لهم: هم الجواسيس، فإن الجاسوس إنمـا ينقـل خبر القـوم إلى من لا يعـرفـه، ومعلوم أن النبـي ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ كان ما يـذكره ويـأمر بـه ويفعله يراه ويسمعـه كل من بـالمدينـة مؤمنهم ومنافقهم، ولم يكن يقصد أن يكتم يهود المدينة ما يقوله ويفعله، خلاف من كان يأتيه[6] من اليهود وهم يصدقون الكذب ويطيعون لليهـود

---

(١) في ط (لما).

(٢) سقطت الجملة الدعائية من س، ك، ط .

(٣) في ك، ط (بقوله).

(٤) في س، ك، ط (مطيعون لهم).

(٥) من سورة التوبة: الآية ٤٧ .

(٦) في ط (يأتيهم).

الآخرين الذين لم يأتوه، والله نهى نبيه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أن يحزنه المسارعون في الكفر من[1] هاتين الطائفتين المنافقتين الذين أظهروا الإيمان به ولم تؤمن قلوبهم ومن أهل الكتاب الذين يطلبون أن يحكم بينهم وليس مقصودهم أن يطيعوه ويتبعوا حكمه بل إن حكم بما يهوونه قبلوه، وإن حكم بخلاف ذلك لم يقبلوه لكونهم مطيعين لقوم آخرين لم يأتوه.

قال ـ تعالى ـ :

﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴾.

أي: لم يأتك أولئك القوم الآخرون «يقولون»، أي: يقول السماعون:

﴿ ... إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[2].

والحكم يفتقر إلى الصدق والعدل فلا بد أن يكون الشاهد صادقاً والحاكم عادلاً وهؤلاء يصدقون الكاذبين من الشهود[3] ويتبعون حكم المخالفين للرسل الذين يحكمون بغير ما أنزل الله، وإذا لم يكن قصدهم اتباع الصدق والعدل فليس عليك أن تحكم بينهم، بل إن شئت فاحكم بينهم، وإن شئت فلا تحكم.

(١) في أ، س تقديم وتأخير في الجملة من قوله: (الآخرين إلى هذا الموضع)، وقد أخل بتركيبها، وما أثبتناه من ك، ط.

(٢) سورة المائدة: الآية ٤١.

(٣) في أ، س (اليهود).

ولكن إذا حكمت فلا تحكم إلاَّ بما أنزل الله إليك، إذ هو العدل.

قال ــ تعالى ــ[1] :

﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[2].

ثم قال:

﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾[3].

فهذا ثناؤه على التوراة، وإخباره أن فيها حكم الله، وأنه أنزل التوراة، وفيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا، وقال عقب ذكرها:

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾[4].

---

(١) في ط زيادة قوله: (قال تعالى: ﴿سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين﴾).

(٢) سورة المائدة: الآية ٤٢.

(٣) سورة المائدة: الآيات ٤٣ ــ ٤٥.

(٤) سورة المائدة: الآية ٤٤.

وهذا أعظم مما ذكره في الإنجيل؛ فإنه قال في الإنجيل:

﴿. . . وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ . . .﴾[1].

وقال فيه:

﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[2].

وقال في التوراة:

﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟﴾.

وقال[3] عقب ذكرها:

﴿. . . وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[4].

فهو ـ سبحانه ـ مع إخباره بإنزال الكتابين يصف التوراة بأعظم مما يصف به الإنجيل.

كما قال ـ تعالى ـ:

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ . . .﴾[5].

وإذا كان ما ذكره من مدح موسى والتوراة لم يوجب ذلك مدح اليهود الذين كذّبوا المسيح ومحمداً[6] صلّى الله عليه وسلّم[7]،

---

(١) سورة المائدة: الآية ٤٦.

(٢) سورة المائدة: الآية ٤٧.

(٣) في س (فقال) والآية من سورة المائدة: الآية ٤٤.

(٤) سورة المائدة: الآية ٤٤.

(٥) سورة المائدة: الآية ٤٤.

(٦) في س (ومحمد).

(٧) في س، ك، ط (وسلم تسليماً).

وليس فيه ثناء على دين اليهود المبدل المنسوخ باتفاق المسلمين والنصارى، فكذلك[1] أيضاً ما ذكره من مدح المسيح والإنجيل ليس فيه مدح النصارى الذين كذبوا محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وبدلوا أحكام التوراة والإنجيل، واتبعوا المبدل المنسوخ، واليهود توافق المسلمين على أنه ليس فيما ذكر مدح للنصارى، والنصارى توافق المسلمين على أنه ليس فيما ذكر مدح لليهود بعد النسخ والتبديل. فعلم اتفاق أهل الملل كلها: المسلمون، واليهود والنصارى، على أنه ليس[2] فيما ذكر في القرآن من ذكر التوراة والإنجيل، وموسى، وعيسى مدح لأهل الكتاب الذين كذبوا محمداً[3] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، ولا مدح لدينهم المبدل قبل مبعثه فليس في ذلك مدح لمن تمسك بدين مبدل، ولا بدين منسوخ، فكيف بمن تمسك بدين مبدل منسوخ؟



(١) في س (وكذلك).
(٢) في س (إنس) وهو تصحيف.
(٣) في س (محمد).

فصل

وهنا[1] أصل لا بد من بيانه[2] وهو أنه قد دلت النصوص على أن الله لا يعذب إلَّا من أرسل إليه رسولاً تقوم به الحجة عليه.

قيام الحجَّة على مَنْ بَلَغَتْه دعوة الرُّسل

قال ــ تعالى ــ:

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[3].

وقال ــ تعالى ــ:

﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾[4].

وقال ــ تعالى ــ عن أهل النار:

﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ...﴾[5].

وقال[6]:

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا

---

(١) في ك، ط (هذا).

(٢) في ك، ط (ثباته).

(٣) سورة الإسراء: الآيات ١٣ ــ ١٥.

(٤) سورة النساء: الآية ١٦٥.

(٥) سورة الملك: الآيتان ٨، ٩، وذكر تمام الآية في ك، ط ﴿إن أنتم إلَّا في ضلال كبير﴾.

(٦) في ط (قال تعالى).

﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(1).

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴾(2).

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾(3).

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا . . . ﴾.

إلى قوله:

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ﴾(4).

---

(1) سورة الزمر: الآية ٧١.

(2) سورة الأنعام: الآية ١٣٠.

(3) سورة القصص: الآية ٥٩.

(4) سورة القصص: الآيتان ٤٧، ٤٨، وقد جاء في النسخ المخطوطة كلها خطأ في الآية الأولى حيث ورد ﴿ولو أنّا أهلكناهم بعذاب من قبله. . .﴾ الآية، ثم قال إلى قوله: ﴿فلما جاءهم الحق. . .﴾ الآية، وذكر آية القصص مع أن الآية الأولى من سورة طه رقم ١٣٤، والمراد عرض آيات القصص.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾[1] .

(وقوله) :

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾[2] .

وإذا كان كذلك فمعلوم أن الحجة إنما تقوم بالقرآن على من بلغه كقوله: ﴿ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ ﴾ ، فمن بلغه بعض القرآن دون بعض قامت عليه الحجة بما بلغه دون ما لم يبلغه، فإذا[3] اشتبه معنى بعض الآيات، وتنازع الناس في تأويل الآية، وجب رد ما تنازعوا فيه إلى الله ورسوله[4]، فإذا اجتهد الناس في فهم ما أراده الرسول[5] فالمصيب له أجران والمخطىء له أجر[6] فلا يمنع[7] أن يقال ذلك في أهل الكتاب قبلنا فمن لم يبلغه جميع نصوص الكتاب قبلنا، لم تقم عليه الحجة إلّا[8] بما بلغه وما [9] خفي عليهم[10] معناه منه فاجتهد في معرفته فإن

---

(١) سورة المائدة: الآية ١٥، وقد سقط ذكر هذه الآية من ك، ط .

(٢) سورة المائدة: الآية ١٩ .

(٣) في س (وإذا).

(٤) في س، ك، ط (والرسول).

(٥) في ك، ط (الرسل).

(٦) في ط (أجر واحد).

(٧) في س، ك، ط (يمتنع).

(٨) سقطت (إلّا) من ك، ط .

(٩) في ك، ط (فيما) بدل (وما).

(١٠) في س (عليه).

أصاب فله أجران. وإن أخطأ فله أجر وخطأه محطوط عنه. فأما من تعمد تحريف الكتاب لفظه أو معناه وعرف ما جاء به الرسول فعانده فهذا مستحق للعقاب، وكذلك من فرَّط في طلب الحق واتباعه[1] متبعاً لهواه مشتغلاً عن ذلك بدنياه.

وعلى هذا، فإذا كان بعض أهل الكتاب قد حرفوا بعض الكتاب وفيهم آخرون لم يعلموا ذلك فهم[2] مجتهدون في اتباع ما جاء به الرسول لم يجب أن يجعل هؤلاء من المستوجبين للوعيد، وإذا[3] جاز أن يكون في أهل الكتاب من لم يعرف جميع ما جاء به المسيح، بل خفي عليه بعض ما جاء به أو بعض معانيه فاجتهد لم يعاقب على ما لم يبلغه. وقد تحمل أخبار اليهود الذين كانوا مع تبع[4] والذين كانوا ينتظرون الإيمان بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من أهل المدينة كابن التيهان[5] وغيره على هذا، وإنهم لم يكونوا مكذبين للمسيح تكذيب غيرهم من اليهود.

---

(١) سقطت (واتباعه) من أ وزدناها من سائر النسخ.

(٢) في س، ك، ط (وهم).

(٣) في ك، ط (فإذا).

(٤) تبع بن حسان بن تبان: من ملوك حمير في اليمن. قيل: اسمه مرثد، وهو تبع الأصغر، آخر التبابعة، ملك بعد عبد كلال، وعقد الحلف بين اليمن وربيعة، وسار إلى الشام فلقيه قوم من حمير، فشكوا إليه ما نزل بهم من اليهود في يثرب (المدينة) فسار إلى يثرب ونزل في سفح «أحد» وبعث إلى اليهود فقتل منهم ثلاثمائة رجل، وذللها لهم، وكان ملكه ٧٨ سنة.

انظر: البداية والنهاية ٢/٣١٠؛ والأعلام للزركلي ٢/٨٣.

(٥) في أ، س (الهيبان) وفي ك، ط (الهتيان) وكلها خطأ والصواب (التيهان) بفتح المثناة الفوقانية مع كسرها كما ضبطه الحافظ ابن حجر في الإصابة ٤/٢٠٩. وهو أبو الهيثم بن التيهان بن مالك الأنصاري الأوسي، يقال التيهان لقب، واسمه مالك وقد اشتهر بكنيته، كان أحد النقباء ليلة العقبة، ثم شهد بدراً والمشاهد كلها. قالوا: =

وقد تنازع الناس هل يمكن مع الاجتهاد واستفراغ الوسع أن لا يبيِّن للناظر[1] المستدل صدق الرسول أم لا؟[2].

وإذا لم يبيِّن له ذلك هل يستحق العقوبة في الآخرة أم لا[3]؟

وتنازع[4] بعض الناس في المقلد منهم أيضاً والكلام في مقامين:

المقام الأول[5]: في بيان[6] خطأ المخالف للحق وضلاله. وهذا مما يعلم بطرق متعددة عقلية وسمعية، وقد يعرف الخطأ في أقوال كثيرة[7] من أهل القبلة المخالفين للحق، وغير أهل القبلة بأنواع متعددة من الدلائل.

والمقام الثاني: الكلام في كفرهم واستحقاقهم الوعيد في الآخرة.

فهذا فيه ثلاثة أقوال للناس من أصحاب الأئمة المشهورين مالك

= وكان شاعراً له قصيدة في رثاء النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يقول فيها:

لقد جدعت آذاننا وأنوفنا ... غداة فجعنا بالنبي محمد

مات ـ رضي الله عنه ـ سنة إحدى وعشرين على الصحيح كما قال ابن حجر.

انظر في ترجمته: الإصابة ٢٠٩/٤ (١١٩٩)؛ والاستيعاب لابن عبد البر هامش الإصابة ١٩٩/٤؛ ومغازي الواقدي ٧١٨/٢؛ وطبقات ابن سعد ٢١٨/١، وصفة الصفوة ١٨٣/١، والأعلام للزركلي ٢٥٨/٥.

(١) في ك، ط (للمناظر).

(٢) في ك، ط (أولّا).

(٣) في س، ك، ط (أم لا يستحقها).

(٤) سقطت (الواو) من ك.

(٥) سقط المقام الأول من أ، س، ك وزدناه من ط.

(٦) في ك، ط (شأن).

(٧) في س (كثير).

والشافعي وأحمد لهم الأقوال الثلاثة.

قيل[1]: إنه يعذب في النار من لم يؤمن وإن لم يرسل إليه رسول لقيام الحجة عليه بالعقل، وهذا قول كثير ممن يقول بالحكم العقلي من أهل الكلام والفقه من أصحاب أبي حنيفة وغيرهم، وهو اختيار أبي الخطاب[2].

وقيل: لا حجة عليه بالعقل، بل لا[3] يجوز أن يعذب من لم يقم عليه حجة لا بالشرع، ولا بالعقل، وهذا قول من يجوِّز تعذيب أطفال الكفار ومجانينهم، وهذا قول كثير من أهل الكلام كالجهم[4]، وأبي الحسن الأشعري[5] وأصحابه، والقاضي ـــــــــــ

---

(١) في س (فقيل).

(٢) محفوظ بن أحمد الكلوذاني، نسبة إلى كلوذان من ضواحي بغداد ولد عام ٤٣٢هـ، وتوفي عام ٥١٠هـ، وهو إمام الحنابلة في عصره، وأحد تلاميذ القاضي أبي يعلى، واسع العلم، قوي الإدراك. ألف في فنون مختلفة وصنف في المذهب الحنبلي، وله اختيارات معتمدة عند أئمة الحنابلة، وله شعر حسن من تصانيفه: الهداية في الفقه، والتمهيد في أصول الفقه، وغيرها.
انظر: شذرات الذهب ٤/٢٧؛ والعبر في خبر من غبر ٤/٢١؛ وطبقات الحنابلة ٢/٢٥٨؛ وذيله ١/١١٦ ــ ١٢٧ (٦٠)؛ ومناقب الإمام أحمد ص ٦٣٥؛ والبداية والنهاية ١٢/١٨٠؛ وابن قدامة وآثاره الأصولية للدكتور عبد العزيز السعيد ١/٥٥.

(٣) سقطت (لا) من أ، س وزدناها من ك، ط.

(٤) الجهم بن صفوان السمرقندي وسبقت ترجمته.

(٥) أبو الحسن الأشعري: علي بن إسماعيل بن إسحاق من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري. ولد سنة ٢٦٠هـ في البصرة، كان معتزلياً ثم رجع عن ذلك وجاهر بخلافهم، وألَّف كتابه الإبانة في أصول الديانة، يوضح فيه أنه يقول بقول الإمام أحمد، اشتهر بسعة علمه، ودقة فهمه، وكثرة تصانيفه، ومن أشهر مؤلفاته: مقالات الإسلاميين، والإبانة عن أصول الديانة، واللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع وغيرها. توفي رحمه الله سنة ٣٢٤هـ ببغداد. =

أبـي يعـلى[1]، وابن عقيل[2] وغيرهم.

والقول الثالث: وعليه السلف والأئمة: إنه لا يعذب إلاَّ من بلغته الـرسالـة، ولا يعـذب إلاَّ من خـالف الـرسـل كمـا دل عليـه[3] الكتـاب والسنة.

قال ــ تعالى ــ لإبليس[4]:

﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[5].

وإذا كان كذلك فنحن فيما[6] نـاظر فيـه أهل الكتـاب: متقدميهم ومتـأخريهم، تـارة نتكلم في المقـام الأول، وهـو بيـان مخـالفتهم للحق وجهلهم وضلالهم، فهذا تنبيـه لجميع الأدلـة الشرعيـة والعقلية وتـارة[7] نبيِّن[8] كفـرهم الذي يستحقـون به العـذاب في الدنيـا والآخـرة، فهـذا

= انظر: وفيات الأعيـان ٣/٢٨٤ (٤٢٩)؛ والعبر للذهبـي ٢/٢٠٢؛ والبـداية والنهـاية ١١/١٨٧؛ وشذرات الذهب ٢/٣٠٣؛ تـاريخ بغـداد ١١/٣٤٦؛ والأعلام للزركلي ٤/٢٦٣.

(١) سبقت ترجمته.

(٢) ابن عقيـل هو علي بن محمـد بن عقيل البغـدادي، قاضي القضـاة، وعـالم العراق وشيخ الحنابلة في وقته، ولد سنة ٤٣١هـ، واشتهر بسعة علمه، وكثرة تصانيفه ومنها الفنـون في مختلف العلوم يقال لم يؤلف في الـدنيا أوسـع منه، والفصـول في الفقه وغيرهما وهو من تلاميذ القاضي أبـي يعلى الفراء، مات رحمه الله سنة ٥١٣هـ.
راجع طبقات الحنـابلة ٢/٢٥٩؛ وذيل طبقـات الحنابلة ٣/١٤٢؛ والبـداية والنهـاية ١٢/١٨٤؛ وابن قـدامة وآثـاره الأصوليـة للدكتور عبـد العزيـز السعيـد القسم الأول ص ٥٦ ــ ٥٨.

(٣) في س (على ذلك).

(٤) سقطت (لإبليس) من ك.

(٥) سورة ص: الآية ٨٥.

(٦) في ك، ط (فهو كما تناظر).

(٧) سقطت (تارة) من أ، ط، ك وزدناها من س.

(٨) في ك، ط (وتبين).

أمره إلى الله ورسوله لا يتكلم فيه إلاَّ بما أخبرت به الرسل[1]، كما أنّا أيضاً لا نشهد بالإيمان والجنة إلاَّ لمن شهدت له الرسل، ومن لم تقم عليه الحجة في الدنيا بالرسالة كالأطفال والمجانين وأهل الفترات[2] فهؤلاء فيهم أقوال أظهرها ما جاءت به الآثار أنهم يمتحنون يوم القيامة فيبعث الله[3] إليهم من يأمرهم بطاعته، فإن أطاعوه استحقوا الثواب، وإن عصوه استحقوا العقاب[4][5].

---

(1) في أ (أخبر به الرسول).

(2) في ك (العثران) وهو تحريف ظاهر.

(3) سقط لفظ الجلالة من ك، ط.

(4) في ط (العذاب).

(5) ذكر العلماء أن أهل الفترة على قسمين:

١ ــ من بلغته الدعوة وهم على قسمين:

(أ) من كان موحداً كقس بن ساعدة، وزيد بن عمرو بن نفيل، وغيرهما فهؤلاء ماتوا على التوحيد كما وردت بذلك نصوص.

(ب) ومن كان مشركاً كعمرو بن لحى. أول من سن عبادة الأصنام فبحر البحيرة، وسيب السائبة. . . إلخ. وقد ثبت في صحيح مسلم ٢١٩١/٤ (٢٨٥٦) أن الرسول ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قال رأيت عمرو بن لحى يجر قصبه (امعاءه) في النار، وعبد الله بن جدعان وقد ثبت في صحيح مسلم ١٩٦/١ (٢١٤) أن عائشة لما سألت النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ هل ينفعه صلته للرحم وكرمه؟ قال ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ : «لا، إنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين»، فهؤلاء ماتوا على الشرك ــ وهذا القسم بنوعيه ليس محلاً للنزاع.

٢ ــ من لم تبلغه الدعوة وبقي على حين غفلة. وللعلماء فيه ثلاثة أقوال:

الأول: أنهم ينجون من العذاب. وهذا قول الأشاعرة من أهل الكلام، وبعض الشافعية من الفقهاء، ومن أدلتهم قوله ــ تعالى ــ : ﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [سورة الإسراء: الآية ١٥].

وقوله ــ تعالى ــ : ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [سورة النساء: الآية ١٦٥] وغيرها. وحديث: «ما من أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل». قالوا: وأهل الفترة معذورون لعدم إرسال الرسل إليهم.

=

. . . .

= **الثاني**: أنهم من أهل النار، وهذا قول المعتزلة، وبعض الماتوريدية.
قالوا: لأنهم مكلفون، وإن لم يرسل لهم رسل أن يستدلوا بعقولهم فما استحسنه العقل فهو حسن، وما استقبحه فهو قبيح، واستدلوا بأدلة عامة لا تفيد التنصيص، والتخصيص كقوله ــ تعالى ــ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَباً وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ. . .﴾ [الآية ٩١ من سورة آل عمران].
وقوله ــ تعالى ــ : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ. . .﴾ [الآية ١٤٨ من سورة النساء]. وغيرها من أدلة العموم.
واستدلوا بمحاجة الرسل لأقوامهم حينما دعوهم إلى التفكر واستخدام العقل، وهذا واضح في أن هؤلاء مرسل إليهم، ولا خلاف فيمن بلغته الدعوة.
الثالث: أن أهل الفترة يمتحنون في عرصات القيامة بنار يأمر الله بدخولها فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً، ومن لم يدخلها فقد عصى الله ــ تعالى ــ فيدخله الله فيها، وهذا قول السلف وجمهور الأئمة، واختاره الإمام ابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير، وابن حجر، وابن حزم، والشنقيطي في أضواء البيان ٤٨٣/٣، وأدلة هذا القول كثيرة منها:
الحديث الذي رواه أحمد في مسنده من طريق الأسود بن زريع أن رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ قال: «أربعة يحتجون يوم القيامة: رجل لا يسمع شيئاً، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات في الفترة. . . وذكر في آخر الحديث ــ فيرسل إليهم أن ادخلوا النار فوالذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً.
قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢١٦/٧ وهذا لفظ أحمد، ورجاله من طريق الأسود بن زريع، وأبي هريرة رجال الصحيح، ثم ذكر الهيثمي حديثاً آخر بمعناه.
وهذه الأحاديث تخصص ما ورد من أدلة العموم التي استدل بها أصحاب القول الآخر، وغير متنافية معها، والجمع بين الأدلة واجب ما أمكن كما بين العلماء. وعللوا أن عمل الدليلين أولى من إسقاط أحدهما. وأما أدلة الفريق الآخر فلا تدل على أن أهل الفترة ناجون، وأنهم من أهل الجنة.
يقول ابن حجر ــ رحمه الله ــ في فتح الباري ٢٤٦/٣: «قد صحت مسألة الامتحان في حق من مات في الفترة والمجنون». اهـ.
ويرد هنا سؤال: هل يتنافى التكليف والامتحان في عرصات القيامة مع كون الآخرة دار جزاء؟ والجواب كما ذكر العلماء: لا تنافي في ذلك، والأدلة على أنه يكلف =

= المرء في الآخرة قوله ـ تعالى ـ : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾ الآية [سورة القلم: الآيتان ٤٢ ـ ٤٣]. وهذا تكليف، وحديث في صحيح البخاري ٧٢/٦؛ كتاب التفسير وفيه «يكشف ربنا عن ساقه يوم القيامة فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رئاءً وسمعة، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبعاً واحداً.

وأما من قال بعدم التكليف فأدلتهم عقلية لا تقوى على معارضة الأدلة النقلية والله ـ عز وجل ـ فعّال لما يريد، ولا راد لمشيئته.

راجع في هذه المسألة المؤلفات التالية:

مختصر الفتاوى المصرية ص ٦٤٦؛ وطريق الهجرتين لابن القيم ص ٧٠٥، ٦٩٥؛ وفتح الباري ٢٤٦/٣، ٤٨٦، ٦٦٤/٨؛ وتفسير ابن كثير ٣٥/٣؛ والفصل لابن حزم ٦٠/٤، ٧٠؛ ومقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ٣٤٩/١؛ ومجمع الزوائد للهيثمي ٢١٦/٧؛ وأضواء البيان للشنقيطي ٤٨٣/٣، وجمع الجوامع للسبكي ٦٢/١ ـ ٦٣ حاشية البناني على شرح المحلى على متن جمع الجوامع، والبداية والنهاية ٢٣٠/٢؛ وتجريد التمهيد لابن عبد البر ص ٣٢٦، ورسالة ماجستير للشيخ موفق شكري بعنوان (أهل الفترة).

وأما أطفال المشركين فقد تعددت أقوال العلماء في شأنهم فقيل في الجنة وقد ذهب إلى ذلك البخاري، والنووي، وابن الجوزي، وابن حزم، وابن حجر، وجماعة من المفسرين. وقيل: في النار، قاله القاضي أبويعلى، وذهب إليه الأزارقة من الخوارج وغيرهم.

وقيل: يمتحنون في عرصات القيامة، اختاره ابن تيمية وابن القيم.

وقيل: التوقف فلا يحكم لهم بجنة أو نار.

انظر في هذه المسألة: مجموع الفتاوى ٣٧٢/٢٤؛ وفتح الباري ٢٤٥/٣؛ والنووي بشرح مسلم ٢٠٧/١٦؛ وشرح الأصول الخمسة لعبد الجبار الهمذاني ص ٤٧٧؛ والفصل ٧٤/٤؛ وروح المعاني للألوسي ٣٧/١٥؛ وتجريد التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر ص ٣١٠، وحكى الأقوال كلها بأدلتها في نحو خمسين صفحة؛ والفتح المبين لأبي يعلى ٢٤٥/١؛ وأحكام أهل الذمة ٦١٩/٢ ـ ٦٥٦؛ طريق الهجرتين ص ٦٧٩.

وإذا كان كذلك فنحن نشهد لمن كان مؤمناً بموسى متبعاً له أنه[1] مؤمن مسلم مستحق للثواب.

وكذلك من كان مؤمناً بالمسيح متبعاً له. ونشهد لمن قامت عليه الحجة بموسى فلم يتبعه كآل فرعون أنهم من أهل النار.

وكذلك من[2] قامت عليه الحجة بالمسيح الذين قال الله فيهم:

﴿... قَالَ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾[3].

والذين قال فيهم:

﴿... يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٥٥) فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ (٥٦) وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[4].

وأما من بعد عهده بالمسيح وبلغته بعض أخباره دون بعض، أو بموسى وبلغه[5] أخباره دون بعض، فهؤلاء قامت عليهم الحجة بما بلغهم من أخبارهم دون ما لم يبلغهم من أخبارهم، وإذا اختلفوا في تأويل بعض التوراة والإنجيل فمن قصد الحق واجتهد في طلبه لم يجب

---

(١) في س (وأنه) وفي ط (بأنه) وسقطت من ك.

(٢) في ك، ط (لمن).

(٣) سورة المائدة: الآية ١١٥.

(٤) سورة آل عمران: الآيات ٥٥ ــ ٥٧.

(٥) في ك، ط (وبلغته).

أن يعذب، وإن كان مخطئاً للحق جاهلاً به ضالاً عنه، كالمجتهد في طلب الحق من أمة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ .

وعلى هذا فإذا قيل: أن الحواريين، أو بعضهم، أو كثيراً من أهل الكتاب، أو أكثرهم كانوا يعتقدون أن المسيح نفسه صلب. كانوا مخطئين في ذلك ولم يكن هذا الخطأ مما يقدح في إيمانهم بالمسيح إذا آمنوا بما جاء به، ولا يوجب لهم النار فإن الأناجيل التي بأيدي أهل الكتاب فيها ذكر صلب المسيح وعندهم أنها مأخوذة عن الأربعة: مرقس[1]، ولوقا[2]، ويوحنا[3]،

---

(١) مرقس: اسم لاتيني معناه (مطرقة) وهو من السبعين الذين يقال أن المسيح عيسى ـ عليه السلام ـ اختارهم، وأرسلهم ليعلموا المسيحية، وقد طاف البلاد داعياً ثم اتخذ مصر مقراً له، وكان يهودياً من بيت لاوي، ثم تتلمذ على يد بطرس، ومات مقتولاً كما في سفر الأعمال في الاسكندرية سنة ٦٨ قتله الوثنيون في عهد نيرون من ملوك الرومان، وقد ألف الإنجيل لطلب أهل رومية لذلك فيما بين عامي ٦٠ ـ ٧٠م.
انظر: نظم الجوهر لابن البطريق ص ٤٤؛ والمسيحية للدكتور شلبي ص ٢٠٩؛ وتحقيق تاريخ الأناجيل ص ٣٤؛ ومحاضرات في النصرانية ص ٥٣؛ وقاموس الكتاب المقدس ص ٨٥٣.

(٢) لوقا: اسم لاتيني ربما كان اختصار «لوقانوس» وهو تلميذ بولس الذي كان عدواً للنصارى ثم أصبح رسولاً لهم، وهو من أهل أنطاكية ولم ير المسيح وليس من الحواريين، ولا من تلاميذهم. كان طبيباً، وقيل: مصوراً كتب إنجيله باللغة اليونانية فيما بين عامي ٦٠ ـ ٧٠م، وهو رسالة إلى صديقه (ثاوفيلس) كما أعلن هو عن ذلك في الإصحاح الأول منه، وقد ذكر المحققون من المسيحيين أنه ليس إلهاماً.

انظر: تحقيق تاريخ الأناجيل ص ٣٦ ـ ٣٧؛ والمسيحية لشلبي ص ٢١٢؛ ومحاضرات في النصرانية ص ٥٥؛ وقاموس الكتاب المقدس ص ٨٢٢.

(٣) يوحنا أحد الحواريين الاثني عشر، ولد في صيدا من أعمال الجليل، وهو ابن زيدي الصياد، وأخو يعقوب الكبير، كان صياداً ثم اتبع المسيح، نفاه القيصر (دوميتان) إلى جزيرة بطمس من جزر بحر إيجه ثم عاد إلى أفسس ولبث بها مبشراً، ثم مات شيخاً، كتب إنجيله باليونانية، وعرض فيه ليسوع المسيح من وجهة نظر اللاهوتية، =

ومتى[1]. ولم يكن في الأربعة من شهد صلب المسيح، ولا من الحواريين، بل ولا في أتباعه من شهد صلبه[2]، وإنما الذين شهدوا الصلب طائفة من اليهود فمن الناس من يقول: أنهم علموا أن المصلوب غيره وتعمدوا الكذب في أنهم صلبوه وشبه صلبه على من أخبروهم. وهذا قول طائفة من أهل الكلام: المعتزلة وغيرهم وهو قول ابن حزم[3] ـــــــــــ

= ويتصف إنجيل يوحنا بالطابع الفلسفي الذي يعد روح المدرسة الاسكندرية.
انظر: الفارق بين المخلوق والخالق ص ٣٤١ ـ ٣٤٢؛ وتحقيق تاريخ الأناجيل ص ٤١؛ والمسيحية لشلبي ص ٢١٣؛ ومحاضرات في النصرانية ٥٧ ـ ٥٨؛ وقاموس الكتاب المقدس ص ١١٠٦.

(١) متى: من الاسم العبري (متيا) الذي معناه (عطية يهوه) أحد الحواريين الذين آمنوا بالمسيح، وعاونوه، وتتلمذوا عليه، وعددهم اثنا عشر وقد ورد ذلك في الإصحاح العاشر: ص ١ ـ ٤ من إنجيل متى، ويعرف بمتى العشار حيث كان عشاراً، أي: من جباة الضرائب للحاكم الروماني في ذلك الوقت، وكان يهودياً ثم آمن بدعوة المسيح، وترك وظيفة العشارين، وقد كتب إنجيله بالعبرية ثم فقد هذا الإنجيل حسبما ذكر صاحب كتاب الفارق بين المخلوق والخالق، وترجم بعد ذلك باللغة اليونانية، ولم يعلم متى ترجم، ومن هو المترجم، وتثار حوله شكوك كثيرة، مات متى سنة ٧٩م ببلاد الحبشة.
انظر: الفارق بين المخلوق والخالق ص ١٩ ـ ٢٠؛ وسلسلة مقارنة الأديان (المسيحية) ص ٢٠٩؛ ومحاضرات في النصرانية ص ٤٩؛ وتحقيق تاريخ الأناجيل المعتمدة ص ٣٠ ـ ٣٤، وقاموس الكتاب المقدس ص ٨٣٢.

(٢) في ك، ط (الصلب).

(٣) هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، عالم الأندلس في عصره، ولد بقرطبة سنة ٣٨٤هـ، وكانت له ولأبيه من قبله رياسة الوزارة وتدبير المملكة فزهد بها وانصرف إلى العلم والتأليف، كان فقيهاً، حافظاً، زاهداً، متواضعاً، متفنناً في علوم جمة، صاحب تصانيف كثيرة منها المحلى في الفقه في أحد عشر جزءاً، والفصل في الملل والأهواء والنحل في خمسة أجزاء وجمهرة الأنساب وغيرها من المؤلفات الكثيرة مات رحمه الله سنة ٤٥٦هـ.
انظر في ترجمته: وفيات الأعيان ٣/٣٢٥ (٤٤٨)؛ ومعجم الأدباء ١٢/٢٣٥ وله فيه =

وغيره[1]. ومنهم من يقول: بل اشتبه على الذين صلبوه، وهذا قول أكثر الناس[2]، والأولون يقولون أن قوله:

﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ. . .﴾.

أي: شبه للناس الذين أخبرهم أولئك بصلبه.

الجمهور يقولون: بل شبه للذين يقولون[3] صلبوه كما قد ذكرت القصة في غير هذا الموضع. والمقصود هنا أن الناس في هذا المقام على طرفين ووسط.

= ترجمة طويلة، وتاريخ الحكماء للقفطي ص ٢٣٣؛ والعبر للذهبي ٢٣٩/٣؛ وشذرات الذهب ٢٩٩/٣؛ والأعلام ٢٥٤/٤.

(١) ما ذكره المؤلف عن ابن حزم ورد في الفصل ٥٩/١، وقالت به المعتزلة وانظر: المغني للقاضي عبد الجبار ١٤٣/٥ ـ ١٤٤ (بتحقيق محمود الخضيري).

(٢) نص القرآن صريح في أن عيسى ـ عليه السلام ـ لم يقتل، ولم يصلب، ولكن شبه على القوم. والاختلاف هو في صفة التشبيه فقيل: أن عيسى انتدب أحدهم ليلقي عليه شبهه ويكون رفيقه في الجنة فقام أحدهم ويقال له جرجس فجلس مكانه ورفع الله عيسى ثم وقع الصلب على جرجس. وقيل: أن الله ألقى شبهه على رجل اسمه يهوذا الأسخريوطي الذي تذكر الأناجيل أنه هو الذي دس عليه وأرشد القابضين إليه، وقد كان من تلاميذه، ورفع الله عيسى ووقع الصلب على يهوذا، والأناجيل مختلفة في ذلك اختلافاً عظيماً وقيل: بل حول الله القوم كلهم الذين كانوا مع عيسى في صورة عيسى فلم يعرفوا عيسى من غيره لتشابه الصور عليهم.
انظر: تفسير ابن جرير ١١/٦، ١٢ (مجلد ٤)؛ وتفسير القرطبي ٩/٦ ـ ١٠ (مجلد ٣)؛ والبداية والنهاية ٩١/٢ ـ ٩٢؛ وفتح القدير ٥٣٤/١؛ ومحاضرات في النصرانية لأبي زهرة ص ٢٨، ٢٩؛ ومجموع الفتاوي ٣٢٢/٤. وفي ظلال القرآن ٨٠١/٦؛ وإنجيل برنابا بتحقيق سيف الله أحمد فاضل ص ٢٨٩ الفصل السابع عشر بعد المئتين.

(٣) في ك (يقول صلبوه) وسقطت (يقولون) من أ، س.

أما الطرف الواحد: فهم الغلاة من النصارى الذين يدعون أن الحواريين كانوا معصومين فيما يقولونه ويروونه ويرونه، وكذلك يقولون بتصويب علماء النصارى فيما يقولونه[1] من تأويل الإنجيل.

والطرف الآخر يقول: بل كل من غلط وأخطأ في شيء من ذلك فإنه مستحق للوعيد[2] بل كافر.

والثالث، الوسط: أنهم لا يعصمون، ولا يؤثمون[3] بل قد يكونون مخطئين خطأ مغفوراً لهم[4] إذا كانوا مجتهدين في معرفة الحق واتباعه بحسب وسعهم وطاقتهم، وعلى هذا تدل[5] الأدلة الصحيحة وكتب الله تدل على ذم الضال والجاحد[6] ومقته مع أنه لا يعاقب إلا بعد إنذاره.

وقد ثبت في الصحيح عن عياض بن حمار[7]، عن النبي

(١) في أ، س (يقوله) وما أثبتناه من ك، ط.
(٢) في ك، ط (يستحق الوعيد).
(٣) في أ (يقولون) وهو تحريف وصححناه من سائر النسخ.
(٤) في أ، س (مغفور) وصححناه من ك، ط.
(٥) في ك، ط (تصح).
(٦) سقطت (الجاحد) من س.
(٧) في ك، ط (حماد) وهو تصحيف صوابه ما أثبتناه وعياض بن حمار بن أبي حمار التميمي المجاشعي، سكن البصرة، وكان صديقاً للنبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قديماً وكان إذا قدم مكة لا يطوف إلا في ثياب رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لأنه كان من الجملة الذين لا يطوفون إلا في ثوب أحمسي. حديثه في صحيح مسلم، وسنن أبي داود، والترمذي، عاش إلى حدود الخمسين ـ رضي الله عنه ورحمه ـ.
انظر: الإصابة ٤٨/٣؛ والاستيعاب هامش الإصابة ١٢٩/٣؛ والرياض المستطابة في جملة من روى في الصحيحين من الصحابة ص ٢٤٠.

ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب»[١].

فأخبر أنه مقتهم إلا هؤلاء البقايا، والمقت هو البغض بل أشد البغض ومع هذا فقد أخبر في القرآن أنه لم يكن ليعذبهم[٢] حتى يبعث إليهم رسولاً، فقال: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا . . . ﴾.

وقال:

﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴾[٣].

فدل ذلك على أن المقتضي لعذابهم قائم ولكن شرط العذاب هو بلوغ[٤] الرسالة، ولهذا قال:

﴿ . . . لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ . . . ﴾[٥].

وفي الصحيحين عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «ما أحد أحب إليه العذر من الله[٦]؛ من أجل ذلك، أرسل الرسل، وأنزل الكتب».

وفي رواية: «من أجل ذلك، بعث الرسل مبشرين ومنذرين،

---

(١) الحديث: سبق تخريجه، وهو في صحيح مسلم رقم (٦٣)، ومسند أحمد ١٦٢/٤.

(٢) في أ (يعذبهم).

(٣) سورة طه: الآية ١٣٤ وقد حصل خلط وخطأ في الآية في جميع النسخ بين آية سورة طه، وآية سورة القصص: ٤٧، وجاء في ط (بالآية كاملة من سورة القصص).

(٤) في ك، ط (هو بعد بلوغ).

(٥) سورة النساء: الآية ١٦٥.

(٦) في ك، ط (من الله عز وجل).

وما أحد أحب إليه المدح من الله؛ من أجل ذلك مدح نفسه، وما[1] أحد أغير من الله؛ من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن»[2].

وقد تنازع الناس في حسن الأفعال[3] وقبحها كحسن العدل والتوحيد، والصدق، وقبح الظلم، والشرك، والكذب: هل يعلم بالعقل أم لا يعلم إلا بالسمع[4]، وإذا قيل: أنه يعلم بالعقل فهل يعاقب من

---

(١) في ط (وما من).

(٢) الحديث: سبق تخريجه.

(٣) في ط (الأقوال).

(٤) ذهب أكثر أصحاب الشافعي، وطائفة من المتكلمين، وجماعة من أصحاب أبي حنيفة والإمام أحمد، وأكثر أصحابه، وطائفة من الفقهاء. إلى أن العقل لا يحسن ولا يقبح ولا يوجب، ولا يحرم، والعقل بذاته ليس بدليل على تحسين شيء ولا تقبيحه، ولا يعرف حسن الشيء وقبحه حتى يرد السمع بذلك، والعقل آلة تدرك به الأشياء، فيدرك به ما حسن، وما قبح بعد أن ثبت ذلك بالسمع.

جاء في العدة في أصول الفقه ٢/٤٢٢ «وقد دل على هذا الأصل قوله ـ تعالى ـ: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾ فأخبر أنهم آمنون من العذاب قبل بعثة الرسل إليهم، فعلم أن الله ـ تعالى ـ لم يوجب على العقلاء شيئاً من جهة العقل. بل أوجب ذلك عند مجيء الرسل، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ سورة النساء: الآية ١٦٥ فلو كان العقل حجة عليهم لما قال: ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ بل كان الواجب أن يقول لئلا يكون للناس على الله حجة بعد العقل، ولما لم يقل هذا ثبت أن العقل لا تأثير له في ذلك».

أما القول الثاني: فهو قول طائفة من الأحناف، والمعتزلة بأسرهم. وهو أن الحسن والقبح ضربان ضرب علم بالعقل كحسن العدل، والصدق النافع، وشكر النعمة، وقبح الظلم، والكذب الضار، وكفران النعمة. وضرب عرف بالسمع كحسن مقادير العبادات وهيئاتها، وقبح الزنا، وشرب الخمر، قالوا: وسبيل السمع إذا ورد بموجب العقل أن يكون وروده مؤكداً لما في العقل. والذي رجحه كثير من أهل العلم هو القول الأول والله أعلم. =

فعل ذلك قبل أن يأتيه رسول؟ على ثلاثة أقوال معروفة في أصحاب الأئمة وغيرهم، وهي ثلاثة أقوال لأصحاب الإمام أحمد وغيرهم. فقالت طائفة لا يعرف ذلك إلا بالشرع لا بالعقل، وهذا قول نظار المجبرة كالجهم بن صفوان وأمثاله، وهو قول أبي الحسن الأشعري وأتباعه * من أصحاب الأئمة الأربعة *[1] كالقاضي أبي بكر بن الطيب[2]، وأبي عبد الله بن حامد[3]، والقضي أبي يعلى[4]، وأبي المعالي[5]،

= انظر في هذه المسألة: كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي ١/١٨٣، والعدة في أصول الفقه بتحقيق د. أحمد مباركي ٢/٤٢٢ ـ ٤٢٣، وشرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير تحقيق محمد حامد فقي ص ٩٥، ونهاية السول في شرح منهاج الأصول للبيضاوي الحاشية ١/٨٢ ـ ٨٧.

(١) سقط ما بين النجمتين من أ وزدناه من س، ك، ط.

(٢) محمد بن الطيب بن محمد أبو بكر، ولد في البصرة سنة ٣٣٨هـ، وسكن بغداد، قاض من كبار علماء الكلام، انتهت إليه الرئاسة في مذهب الأشاعرة، وصنف التصانيف الكثيرة المشهورة في علم الكلام وغيره، وفي الرد على الفرق، وجهه عضد الدولة سفيراً إلى ملك الروم فجرت له في القسطنطينية مناظرات مع علماء النصارى انتصر فيها عليهم. ومن كتبه إعجاز القرآن، والملل والنحل، وتمهيد الدلائل، وكشف أسرار الباطنية وغيرها. مات ـ رحمه الله ـ سنة ٤٠٣هـ.
انظر: وفيات الأعيان ٤/٢٦٩ (٦٠٨)؛ وشذرات الذهب ٣/١٦٨؛ وتاريخ بغداد ٥/٣٧٩ (٢٩٠٦)؛ والعبر في خبر من غبر ٣/٨٦؛ والأعلام ٦/١٧٦.

(٣) الحسن بن حامد بن علي، أبو عبد الله البغدادي. وإمام الحنابلة في زمانه، ومدرسهم، وفقيههم، اشتهر بزهده وورعه، من أصحابه القاضي أبو يعلى وأبو إسحاق وغيرهما وقد انتفع به خلق كثير. من تصانيفه الجامع في المذهب الحنبلي، وشرح الخرقي، وتهذيب الأجوبة وغيرها مات سنة ٤٠٣هـ.
انظر: طبقات الحنابلة ٢/١٧١ (٦٣٨)؛ والمنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد ٢/٨٢ (٦٢٩).

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني إمام الحرمين. ولد سنة ٤١٩هـ في جوين من نواحي نيسابور، من أصحاب الشافعي، عالم متفنن في العلوم من =

وأبي الوفاء بن عقيل[1] وغيرهم، وقيل: بل قد يعلم حسن الأفعال[2] وقبحها بالعقل.

قال[3] أبو الخطاب محفوظ بن أحمد[4]: وهذا[5] قول أكثر الفقهاء والمتكلمين[6].

وهذا هو المنقول عن أبي حنيفة نفسه، وعليه عامة أصحابه، وكثير من أصحاب مالك، والشافعي، وأحمد، وأهل الحديث كأبي الحسن التميمي[7]، وأبي الخطاب، وأبي بكر القفال[8]، وأبي نصر

= الأصول والفروع. كثير الرحلات، وهو من المتكلمين، ونقل في الشذرات جملة من كلامه في العقيدة النظامية كدليل على رجوعه عن مذاهب المتكلمين. له تصانيف كثيرة منها: الشامل في أصول الدين، والإرشاد والعقيدة النظامية، وغياث الأمم؛ وغيرها. مات سنة ٤٧٨هـ.

انظر: وفيات الأعيان ١٦٧/٣ (٣٧٨)؛ وشذرات الذهب ٣٥٨/٣؛ والعبر في خبر من غبر ٢٩١/٣؛ والأعلام ١٦٠/٤.

(١) سبقت ترجمته.

(٢) في ك، ط (الأقوال).

(٣) في ك، ط (وقال).

(٤) أبو الخطاب: سبقت ترجمته.

(٥) في س (فهذا).

(٦) عقد أبو الخطاب ـ رحمه الله ـ في هذا فصلاً في كتابه التمهيد (مخطوط) رقم ٢٨٠١ (بجامعة الملك سعود بالرياض ورقة ٢٠١) فقال: «اختلف أصحابنا هل في قضايا العقل حظر، وإباحة، وإيجاب، وتحسين، وتقبيح أم لا؟ ثم ساق كلاماً طويلاً في هذا الكتاب الذي اشتغل بتحقيقه باحثان بكلية الشريعة بجامعة أم القرى، بمكة المكرمة لنيل درجة الدكتوراة. وتم طبعه بتحقيقهما.

(٧) أبو الحسن التميمي عبد العزيز بن الحارث التميمي الحنبلي. فقيه، أصولي فرضي له تصانيف كثيرة في الفقه والفرائض وأصول الفقه وسمع الحديث، وروى عن غير واحد، وهو من أصحاب الإمام أحمد مات ـ رحمه الله ـ سنة ٣٧١هـ.

انظر: البداية والنهاية ٢٩٨/١١؛ ومعجم المؤلفين ٢٤٤/٥.

(٨) محمد بن علي بن إسماعيل الشاشي القفال، أبو بكر ولد سنة ٢٩١هـ. فقيه =

السجزي[1]، وأبي القاسم سعد بن علي الزنجاني[2]، وهو قول الكرامية[3] وغيرهم من نظار المثبتة للقدر، وهو قول المعتزلة وغيرهم

= شافعي، إمام عصره، كان فقيهاً محدثاً، أصولياً، لغوياً، شاعراً. له مصنفات كثيرة في أصول الفقه وفي الفقه مات رحمه الله سنة ٣٦٥ في شاش وراء نهر سيحون.
انظر: وفيات الأعيان ٤/٢٠٠ (٥٧٥)؛ وشذرات الذهب ٣/٥١؛ وتهذيب الأسماء واللغات ٢/٢٨٢؛ والعبر في خبر من غبر ٢/٣٣٨؛ والأعلام ٦/٢٧٤.

(١) عبيد الله بن سعيد بن حاتم السجزي الوائلي البكري، أبو نصر من حفاظ الحديث أصله من سجستان، ونسبته إليها على غير قياس. كان متقناً، مكثراً بصيراً بالحديث والسنة، واسع الرحلة، زاهداً، له كتب منها الإبانة عن أصول الديانة في الحديث مات سنة ٤٤٤هـ.
انظر: شذرات الذهب ٣/٢٧١ ـ ٢٧٢؛ والعبر ٣/٢٠٦؛ وتذكرة الحفاظ ٣/٢٩٧؛ وحسن المحاضرة ١/٣٥٣؛ والأعلام ٤/١٩٤.

(٢) وقع في النسخ «(الريحاني) وهو تصحيف صوابه الزنجاني، بالزاي المعجمة والنون والجيم المعجمتين وهو أبو القاسم سعد بن علي بن محمد الزنجاني، شيخ الحرم، كان إماماً حافظاً متعبداً، قدوة عالماً زاهداً نزيل الحرم، وصفه المقدسي «بأنه أعرف من رأى بالحديث». مات سنة ٤٧١هـ عن ٩٠ سنة».
انظر: شذرات الذهب ٣/٣٣٩ (٣٤٠)؛ والبداية والنهاية ١٢/١٢٠.

(٣) إحدى فرق المرجئة، وهم أصحاب محمد بن كرام، قال في اللباب: بفتح أوله، والراء المشددة النسبة إليه كرامي، وقد كان أبوه يحفظ الكرم فقيل له كرام، وقال عنه الذهبي عابد متكلم شيخ الكرامية، وله أتباع، ومريدون وقد سجن بنيسابور لأجل بدعته ثمانية أعوام، ثم خرج وسار إلى بيت المقدس، ومات بالشام سنة ٢٥٥هـ ومن مذهب الكرامية أن الإيمان قول اللسان دون اعتقاد القلب، وعمل الجوارح فمن أقر بلسانه فهو مؤمن حقاً، وإن اعتقد بقلبه ما شاء من الشرك، وجحدوا العبادات، وزعموا أن المنافقين كانوا مؤمنين في الحقيقة.
انظر: اللباب في تهذيب الأنساب ٣/٨٩؛ وميزان الاعتدال للذهبي ٤/٢١؛ والفصل في الملل والأهواء والنحل ٤/٢٠٤، ٢٠٥؛ والملل والنحل ١/١٤٥؛ والفرق بين الفرق ص ٢١٦؛ ومجموع الفتاوى ٣/١٠٣؛ والتبصير في الدين للاسفراييني ص ٦٥ ـ ٧٠؛ واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص ٦٧؛ وتلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٨٤.

من نظار القدرية، ثم هؤلاء على قولين:

منهم من يقول: يستحقون عذاب الآخرة بمجرد مخالفتهم للعقل كقول: المعتزلة، والحنفية، وأبي[1] الخطاب، وقول هؤلاء مخالف للكتاب والسنة.

ومنهم من يقول: بل[2] لا يعذبون حتى يبعث إليهم رسول كما دل عليه الكتاب والسنة. لكن أفعالهم تكون مذمومة ممقوتة يذمها الله ويبغضها ويوصفون بالكفر الذي يذمه الله ويبغضه، وإن كان لا يعذبهم حتى يبعث إليهم رسولاً، كما قال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في الحديث الصحيح كما تقدم: «إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب، وإن ربي قال لي: قم في قريش فأنذرهم. قلت: إذاً يثلغوا[3] رأسي حتى يدعوه خبزة.

قال: «إني مبتليك ومبتل بك ومنزل عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرأه نائماً ويقظان فابعث جنداً أبعث مثليهم، وقاتل بمن أطاعك من عصاك، وأنفق أنفق عليك»[4].

وقال: «إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين. وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأَمَرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به

---

(١) في أ (وابن) وصححناه من سائر النسخ ومن الترجمة.

(٢) سقطت (بل) من ك، ط.

(٣) يثلغوا رأسي أي: يشدخوا رأسي. انظر: تفسير غريب الحديث لابن حجر ص ٥٠؛ والقاموس المحيط (فصل الثاء، باب الغين) ٣/١٠٤.

(٤) رواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ٤/٢١٩٧ ـ ٢١٩٨ (٦٣)؛ ورواه أحمد في مسنده ٤/١٦٢ (من حديث عياض بن حمار).

سلطاناً»[1].

وقال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في الحديث الصحيح[2]: «كل مولود يولد على الفطرة».

وفي رواية: على هذه الملة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون[3] فيها من جدعاء». ثم يقول أبو هريرة ــ رضي الله عنه[4] ــ: «اقرءوا إن شئتم: فطرة الله التي فطر الناس عليها. قيل: يا رسول الله أرأيت من يموت من أطفال المشركين[5] وهو صغير؟ قال: «الله أعلم بما كانوا عاملين»[6]. ومع

---

(1) هذا قطعة من الحديث السابق الطويل والذي رواه مسلم في كتاب الجنة ٤/٢١٩٧ (٦٣) ورواه أحمد في مسنده ٤/١٦٢ من حديث عياض بن حمار وهذا الجزء في أول الحديث فهو سابق للجزء الذي قبله.

(2) سقطت (الصحيح) من ط.

(3) في ط (تحسنون) وهو خطأ.

(4) سقطت الجملة الدعائية من أ، س وزدناها من ك، ط.

(5) سقطت جملة (من أطفال المشركين) من أ، ك، ط وزدناها من س ولفظ الحديث هكذا.

(6) والحديث: أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يُصلَّى عليه؟ ٢/٩٧؛ وفي التفسير، تفسير سورة الروم ٦/٢٠ وليس في هذين الموضعين ذكر جملة «أفرأيت من يموت وهو صغير» ولكنها وردت في الحديث الذي أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة في كتاب القدر، باب الله أعلم بما كانوا عاملين ٧/٢١١؛ ورواه مسلم في كتاب القدر، باب معنى كل مولد يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين ٤/٢٠٤٧ ــ ٢٠٤٩ رقم ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧ ومن حديث ابن عباس برقم ٢٨، وأخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب في ذراري المشركين ٥/٨٨ (٤٧١٤)؛ والترمذي في القدر ٤/٤٤٧ (٣١٣٨) وفيه (الملة) بدل (الفطرة)، ومالك في الجنائز ١/٢٤١ (٥٢)، وأحمد في المسند ٢/٢٣٣، ٢٥٣، ٢٧٥، ٢٨٢، ٣١٥، ورواه الحميدي في مسنده بطرق متعددة ٢/٤٧٣ (١١١٣)، (١١١١).

مقت الله لهم، فقد أخبر أنه لم يكن ليعذبهم حتى يبعث[1] إليهم رسولاً. وهذا يدل على إبطال قول من قال أنهم لم يكونوا مسيئين، ولا مرتكبين لقبيح حتى جاء السمع. وقول من قال: أنهم كانوا معذبين بدون السمع إما لقيام الحجة بالعقل كما يقوله من يقوله من القدرية وإما لمحض المشيئة، كما يقوله المجبرة[2].

قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[4].

= ومعنى قوله جمعاء: السليمة سميت بذلك لاجتماع السلامة لها في أعضائها، والجدعاء هي مقطوعة الأذن.

يقول الخطابي في معناه «إن البهيمة أول ما تولد تكون سليمة من الجدع، والخرم، ونحو ذلك من العيوب حتى يحدث فيها أربابها هذه النقائص، كذلك الطفل يولد مفطوراً على خلقته السليمة ولو ترك عليها لسلم من الآفات، إلا أن والديه يزينان له الكفر، ويحملانه عليه».

انظر: معالم السنن للخطابي (هامش سنن أبي داود) ٥/٨٨ (كتاب السنة)، وانظر تفسير غريب الحديث ص ٥٣.

(١) في ط (نبعث).

(٢) سبق الحديث عن القدرية، والجبرية في أول الكتاب.

(٣) سورة القصص: الآية ٥٩.

(٤) سورة القصص: الآية ٤٧.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴾[1].

فهذا يبين أنه لم يكن ليعذب الكفار حتى يبعث إليهم رسولاً، وبين أنهم قبل الرسول كانوا[2] قد اكتسبوا الأعمال التي توجب المقت والذم وهي سبب للعذاب[3] لكن شرط العذاب قيام الحجة عليهم بالرسالة.



(١) سورة طه: الآية ١٣٤.

(٢) في ك، ط (كانوا قبل الرسول).

(٣) في س، ك، ط (للعذاب).

فصل

أسباب ضلال النَّصارى ومَنْ على شاكلتهم

ومما ينبغي أن يعلم أن سبب ضلال النصارى وأمثالهم من الغالية كغالية العباد والشيعة وغيرهم ثلاثة أشياء:

أحدها: ألفاظ[1] متشابهة مجملة مشكلة منقولة عن الأنبياء، وعدلوا عن الألفاظ الصريحة المحكمة وتمسكوا بها، وهم كلما سمعوا لفظاً لهم فيه شبهة تمسكوا به وحملوه على مذهبهم وإن لم يكن دليلاً على ذلك. والألفاظ الصريحة المخالفة لذلك إما أن يفوضوها، وإما أن يتأولوها كما يصنع أهل الضلال، يتبعون المتشابه من الأدلة العقلية والسمعية ويعدلون عن المحكم الصريح من القسمين.

والثاني: خوارق ظنوها آيات[2] وهي من أحوال الشياطين، وهذا مما ضل به كثير من الضلال المشركين وغيرهم مثل دخول الشياطين في الأصنام وتكليمها[3] للناس. ومثل إخبار الشياطين للكهان بأمور غائبة، ولا بد لهم مع ذلك من كذب، ومثل تصرفات تقع من الشياطين.

والثالث: أخبار منقولة إليهم ظنوها صدقاً وهي كذب[4]. وإلاَّ فليس مع النصارى ولا غيرهم من أهل الضلال على باطلهم لا معقول

---

(١) في ك (ألفاظاً).

(٢) في ك (الآيات) وفي ط (من الآيات).

(٣) في ك، ط (وتكليمهم).

(٤) جملة: والثالث: أخبار منقولة إليهم ظنوها صدقاً وهي كذب) ساقطة من س.

صريح ولا منقول صحيح، ولا آية من آيات الأنبياء. بل[1] إن تكلموا بمعقول تكلموا بألفاظ متشابهة مجملة. فإذا استفسروا عن معاني تلك الكلمات، وفُرِّق بين حقها وباطلها تبين ما فيها من التلبيس والاشتباه.

وإن تكلموا بمنقول: فإما أن يكون صحيحاً لكن[2] لا يدل على باطلهم.

وإما أن يكون غير صحيح[3] ثابت بل مكذوب.

وكذلك ما يذكرونه[4] من خوارق العادات: إما أن يكون صحيحاً قد ظهر على يد نبي كمعجزات المسيح ومن قبله كإلياس واليسع وغيرهما من الأنبياء، وكمعجزات موسى ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فهذه حق.

وإما أن تكون قد ظهرت على يد بعض الصالحين، كالحواريين[5]، و[6] ذلك لا يستلزم أن يكونوا معصومين كالأنبياء، فإن الأنبياء معصومون فيما يبلغونه لا يتصور أن يقولوا على الله إلَّا الحق، ولا يستقر في كلامهم باطل، لا عمداً ولا خطأ.

وأما الصالحون: فقد يغلط أحدهم ويخطىء مع ظهور الخوارق على يديه، وذلك لا يخرجه عن كونه رجلاً صالحاً، ولا يوجب أن يكون معصوماً إذا كان هو لم يدَّعِ العصمة، ولم يأت بالآيات دالة على ذلك،

---

(١) سقطت (بل) من ك، ط.

(٢) سقطت (لكن) من ك، ط.

(٣) سقطت (صحيح) من س، ك، ط.

(٤) في ك (ما يظهرونه).

(٥) في ك (وكالحوائيين).

(٦) سقطت (الواو) من ك.

ولو ادعى العصمة وليس بنبي، لكان[1] كاذباً لا بد أن يظهر كذبه وتقترن[2] به الشياطين فتضله ويدخل في قوله ـ تعالى ـ :

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ۝٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾[3].

والنصارى عندهم منقول[4] في الأناجيل أن الذي صلب ودفن في القبر رآه بعض الحواريين وغيرهم بعد أن دفن، قام من قبره رأوه[5] مرتين أو ثلاثاً، وأراهم موضع المسامير، وقال: لا تظنوا أني شيطان[6].

---

(١) في س (إذ كان).

(٢) في ك، ط (فتقترن).

(٣) سورة الشعراء: الآيتان ٢٢١، ٢٢٢.

(٤) في أ، س (منقولاً).

(٥) سقطت (رأوه) من ك، ط .

(٦) جاءت القصة متكررة في الأناجيل الأربعة بألفاظ مختلفة في:

إنجيل يوحنا: الإصحاح العشرون: الفقرات ١ ـ ١٠.

إنجيل لوقا: الإصحاح الرابع والعشرون: الفقرة ٧.

إنجيل مرقس: الإصحاح السادس عشر: الفقرات ١ ـ ٢٠.

إنجيل متى: الإصحاح الثامن والعشرون: الفقرات ١ ـ ٢٠.

ونصها في إنجيل متى إصحاح ٢٨: من أوله: «وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية، ومريم الأخرى لتنظرا القبر: وإذا زلزلة عظيمة حدثت لأن ملاك الرب نزل من السماء، وجاء ودحرج الحجر عن الباب، وجلس عليه، وكان منظره كالبرق، ولباسه أبيض كالثلج فمن خوفه ارتعد الحراس، وصاروا كأموات. فأجاب الملاك، وقال للمرأتين: لا تخافا أنتما. فإني أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب. ليس هو ها هنا؛ لأنه قام... إلخ.

وقد اختلفت الأناجيل في تفصيل القيام. فمتى ذكر أنه ظهر في الجليل، ولوقا ذكر أنه ظهر في أورشليم، ويوحنا ذكر أنه ظهر في اليهودية والجليل معاً، ومرقس ذكر أنه ظهر بين تلاميذه، وهذا الاختلاف والتناقض في حادثة معينة دليل واضح على اضطراب النصوص عندهم ـ اضطراباً يدعو إلى اليقين الجازم بأن هذا كلام بشر يخطئون أكثر مما يصيبون، وأنهم نسوا حظاً مما ذكروا به، ولو كان من عند الله =

وهذا إذا كان صحيحاً فذاك شيطان ادعى أنه المسيح، والتبس[1] على أولئك، ومثل هذا قد جرى لخلق عظيم[2] في زماننا، وقبل زماننا، كناس كانوا بـ «تدمر»[3] فرأوا شخصاً عظيماً طائراً في الهواء، وظهر لهم مرات بأنواع من اللباس، وقال لهم: أنا المسيح ابن مريم، وأمرهم بأمور يمتنع أن يأمر بها المسيح ـ عليه السلام ـ، وحضروا إلى عند الناس وبيّنوا لهم[4] أن ذلك هو شيطان أراد أن يضلهم.

وآخرون يأتي أحدهم إلى قبر من يعظمه ويحسن به الظن من الصالحين وغيرهم، فتارة يرى القبر قد[5] انشق وخرج منه إنسان على صورة ذلك الرجل، وتارة يرى ذلك الإنسان قد دخل في القبر، وتارة يراه إما راكباً وإما ماشياً داخلاً إلى مكان ذلك الميت كالقبة المبنية على القبر، وتارة يراه خارجاً من ذلك المكان ويظن أن ذلك هو ذلك الرجل الصالح، وقد يظن أن قوماً استغاثوا به فذهب إليهم، ويكون ذلك شيطاناً تصور بصورته[6]. وهذا جرى لغير واحد ممن أعرفهم[7]، وتارة يستغيث

= ـ تعالى ـ لما حصل فيه اختلاف، ولكنه من عند غير الله فوجدنا فيه اختلافاً كثيراً والحمد لله الذي حفظ لنا كتابنا وجعله المصدق والمهيمن وجعل نبينا خاتم الأنبياء وسيد المرسلين ورسول رب العالمين إلى الناس أجمعين.

(١) في ك (والبس).

(٢) في ك، ط (كثير).

(٣) تدمر: بفتح التاء، ثم السكون وضم الميم. مدينة قديمة مشهورة في برية الشام بينها وبين حلب خمسة أيام، وهي قريبة من حمص، من عجائب الأبنية: وهي إحدى مدن سوريا اليوم.
انظر: معجم البلدان ١٧/٢؛ مراصد الاطلاع ٢٥٤/١.

(٤) سقطت (لهم) من ك، ط.

(٥) سقطت (قد) من ط.

(٦) في س، ك (بصورة).

(٧) في س (عرفهم).

أقوام بشخص يحسنون به الظن إما ميت وإما[1] غـائب، فيرونـه بعيونهم قـد جاء، وقـد يكلمهم وقد يقضي بعض حـاجـاتهم[2] فيـظنـونـه ذلـك الشخص الميت، وإنما هو شيطان زعم أنه هـو، وليس هو إيـاه، وكثيراً ما يأتي الشخص بعد الموت في صورة الميت، فيحدثهم ويقضي ديوناً، ويرد ودائع ويخبرهم عن الموتى، ويظنون أنـه هو الميت نفسـه قد جـاء إليهم، وإنما هو شيطان تصور بصورته.

وهـذا كثير جـداً لا سيما في بـلاد الشرك، كبـلاد الهند ونحـوها، * ومن هؤلاء من تراه أنت تحت سريره آخذ بيد ابنه في الجنازة، ومنهم من يقـول: إذا مت فلا تـدعوا أحـداً يغسلني فأنـا آتي من هذه النـاحيـة أغسل نفسي، فيأتي بعـد الموت شخص في الهـواء على صورتـه يغسله هـو والذي أوصـاه، ويظن ذلـك أنـه جـاء، وإنمـا هـو شيـطان تصـور بصورته *[3]، وتارة يرى أحدهم شخصاً إما طائراً في الهواء وإمـا عظيم الخلقـة، وإما أن يخبـره بـأشيـاء غـائبـة ونحـو ذلـك، ويقـول لـه: أنـا الخضر[4]، ويكون ذلك شيطانـاً كذب على ذلـك الشخص، وقد يكـون

---

(١) سقطت (إما) من ط.

(٢) في ط (حوائجهم).

(٣) من قوله: (ومن هؤلاء من تـراه ــ إلى قولـه تصور بصـورته)، سـاقط من أ وزدناه من سائر النسخ.

(٤) اختلف في اسمه، ونسبه، وزمانه، ونبوته، وموته على أقوال ذكرها العلماء: فقيـل: اسمه الخضر بن قابيل بن آدم، وقيل: إيليا بن ملكان... إلى نوح ــ عليه السلام ــ وقيـل غير ذلـك. وأما زمـانه فقـد كان متقـدماً على زمـان موسى حتى أدركـه موسى ــ عليـه السلام ــ وأما نبوته فقد رجح الحافظ ابن كثيـر ــ رحمه الله ــ بـادلة كثيـرة أنـه كان نبيـاً، وذلك بمـا ورد في سورة الكهف، فيمـا قصه الله من خبـره من أعمال تدل على أنها وحي من الله وليست من أمره كما قـال تعالى: ﴿رَحْمَـةً مِنْ رَبِّكَ وَمَـا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾. قال ابن كثير: وأمـا القول بـأنه من المـلائكة فـذلك قـول غريب =

الرائي من أهل الدين والزهد والعبادة، وقد جرى هذا لغير واحد، وتارة يرى عند قبر نبي أو غيره، أن الميت قد خرج إما من حجرته، وإما من قبره وعانق ذلك الزائر وسلم عليه، ويكون شيطاناً تصور بصورته، وتارة يجيء من يجيء إلى عند قبر ذلك الشخص فيستأذنه في أشياء: ويسأله[1] عن أمور فيخاطبه شخص يراه أو يسمع صوتاً، ولا يرى[2]

= جداً، ثم قال: وإذا ثبتت نبوته لم يبقَ لمن قال بولايته، وأن الولي قد يطلع على حقيقة الأمور دون أرباب الشرع الظاهر مستند يستندون إليه، ولا معتمد يعتمدون عليه.

أما حياته: فقد رجح الحافظ ابن كثير ــ رحمه الله ــ بادلة عظيمة أنه ليس حياً: منها قوله: «والمعلوم أن الخضر لم ينقل بسند صحيح ولا حسن تسكن النفس إليه أنه اجتمع برسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ في يوم واحد، ولم يشهد معه قتالاً في مشهد من المشاهد. وهذا يوم بدر... كان مع الرسول سادة المسلمين، وسادة الملائكة حتى جبريل، فلو كان حياً لكان وقوفه تحت هذه الراية أشرف مقاماته، وأعظم غزواته... ثم لو كان باقياً لكان تبليغه عن رسول الله ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ الأحاديث النبوية، والآيات القرآنية، وإنكاره للأحاديث المكذوبة، والآراء البدعية، وقتاله مع المسلمين، وشهوده جمعهم وجماعتهم... أفضل ما يقال عنه من كنونه في الأمصار، وجوبه الفيافي والأقطار...». وقال ابن القيم ــ رحمه الله ــ: «الأحاديث التي يذكر فيها الخضر وحياته كلها كذب، ولا يصح في حياته حديث واحد». وقد علق شيخنا أبو غدة ــ حفظه الله ــ في المنار المنيف لابن القيم على هذا، وذكر كلاماً مفيداً وجملاً سديدة. بيَّن فيها التصانيف التي صنفت في موت الخضر وفي حياته، وذكر أنها مسألة شغلت اهتمام العلماء قديماً وحديثاً، فألفوا فيها تآليف مستقلة أو توسعوا في بيانها في كتبهم نظراً لاستفحال الخلاف فيها».

انظر: البداية والنهاية لابن كثير ١/٣٢٥ ــ ٣٣٦؛ وتفسيره ٣/٩٦؛ وفتح الباري ٦/٣٠٩ ــ ٣١٢؛ والإصابة ١/٤٢٨ ــ ٤٤٨؛ والمنار المنيف ص ٦٧ ــ ٧٦ لابن القيم، وتعليق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة عليه ص ٦٩؛ وفتح القدير للشوكاني ٣/٢٩٧؛ ومجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٧/١٨، ١٠٠، ١/٢٤٩.

(١) في ك، ط (يسأله).
(٢) في ك، ط (أو يرى).

شخصاً، ويكون ذلك شيطاناً أضله.

وقد يرى أشخاصاً في اليقظة، إما ركباناً، وإما غير ركبان، ويقولون: هذا فلان النبي، إما إبراهيم، وإما المسيح، وإما محمد، وهذا فلان الصديق إما أبو[1] بكر وإما عمر[2]، وإما بعض الحواريين. وهذا فلان لبعض من يعتقد فيه الصلاح إما جرجس[3]، أو[4] غيره ممن تعظمه النصارى. وإما بعض شيوخ المسلمين[5]، ويكون ذلك شيطاناً ادعى أنه ذلك النبي، أو ذلك الشيخ، أو الصديق، أو القديس.

ومثل هذا يجري كثيراً لكثير من المشركين والنصارى، وكثير من المسلمين، ويرى أحدهم شيخاً يحسن به الظن، ويقول: أنا الشيخ فلان، ويكون شيطاناً. وأعرف من هذا شيئاً كثيراً وأعرف غير واحد ممن يستغيث ببعض الشيوخ الغائبين، و[6]الموتى، يراه قد أتاه في اليقظة وأعانه.

وقد جرى مثل هذا لي ولغيري ممن أعرفه، ذكر غير واحد أنه

---

(١) في ط (أما أبا).

(٢) سقطت (وإما عمر) من ط.

(٣) جرجس: قال ابن جرير الطبري في تاريخه ٢/٢٤: «كان فيما ذكر عبداً لله، صالحاً من أهل فلسطين، ممن أدرك بقايا من حواري عيسى ـ عليه السلام ـ وكان تاجراً يكسب بتجارته ما يستغني به عن الناس، ويعود بالفضل على أهل المسكنة، ثم ذكر قصته مع ملك الموصل في زمانه حين وعظه، ونصحه من عبادة الأوثان. فعاقبه على ذلك بالسجن، والتعذيب.

له في تاريخ الأمم والملوك ترجمة طويلة ٢/٢٤ ـ ٣٦. ولم أقف له على ترجمة في غير هذا الموضع فيما اطلعت عليه من كتب التراجم.

(٤) في ك، ط (وأما غيره).

(٥) جاءت الجملة في أ (وأما بعض المتكلمين) وصححناها من سائر النسخ.

(٦) سقطت (الواو) من ط.

استغاث بـي من بلاد بعيدة، وأنه رآني قد جئته. ومنهم من قال: رأيتك راكباً بلباسك[1] وصورتك، ومنهم من قال: رأيتك على جبل، ومنهم[2] من قال: غير ذلـك فأخبـرتهم أني لم أغثهم، وإنما ذلـك شيطان تصـور بصورتي ليضلهم لما أشركوا بالله، ودعوا غير الله[3].

وكذلك غير واحد ممن أعـرفه من أصحـابنا استغـاث به بعض من يحسن بـه الظن، فـرآه قد جـاءه وقضى حـاجتـه، قـال صـاحبـي: وأنـا لا أعلم بـذلك، ومن هؤلاء الشيـوخ[4] من يقول[5]: إنـه يسمـع صـوت ذلـك الشخص المستغيث به ويجيبـه، وتكون الشيـاطين أسمعته صـوتـاً يشبه صوت الشيخ[6] * المستغيث به، فـأجابـه الشيخ بصـوته فـأسمعت المستغيث صوتاً يشبه صوت الشيخ، فيظن أنه صوت الشيخ *[7].

وهـذا جرى لمن أعـرفه وأخبـر[8] بذلـك عن نفسـه، وقـال: بقي

---

(١) في س، ك، ط (بثيابك).

(٢) سقطت (منهم) من س.

(٣) انظر: الكتاب القيم (تلبيس إبليس) لابن الجـوزي ص ٣٧٧ ـ ٣٨٧، فقد ذكـر فيه حكـايات كثيـرة في تلبيس إبليس على الجهال ولعبـه بعقولهم، عن طـريق الحيـل، والأوهام، والمخاريق، التي يظنون أنهـا كرامـات، وإنما هي ضـلالات وخرافـات، زينهـا لهم ليحتنكهم بها، وسُلطان إبليس قَـويٌّ على مَنْ قـلّ علمـه وضعف إيمـانـه ويقينـه. أما عبـاد الله المخلصون فـلا سلطان له عليهم كمـا ورد في سورة الحجـر: الآيـات ٣٩ ـ ٤٣: ﴿قَـالَ رَبِّ بِمَـا أَغْـوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْـوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ. قَالَ هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ. إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِم سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِين. وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُم أَجْمَعِيْنَ﴾.

(٤) في س (من الشيوخ).

(٥) في أ، س (يقال) وصححناه من ك، ط.

(٦) سقطت (الشيخ) من س، ك، ط.

(٧) سقط ما بين النجمتين من أ وزدناه من سائر النسخ.

(٨) في ك، ط (فأخبر).

الجني الـذي يحـدثني يبلغني مثـل صـوت المستغيثين بـي، ويبلغهم مثل[1] صوتي، ويريني في شيء أبيض نظير ما أسأل[2] عنه، فأخبر بـه الناس أني رأيته، وأنه سيأتي، ولا أكون قد رأيته، وإنما رأيت شبيهه[3].

وهكذا تفعل الجن بمن يعزم عليهم ويقسم عليهم.

وكـذلـك مـا رآه قسـطنـطين من الصليب الـذي رآه من نجـوم، والصليب الـذي رآه مرة أخـرى[4] هو ممـا[5] مثله الشياطين، وأراهم[6] ذلـك ليضلهم به، كمـا فعلت الشياطين مـا هو أعـظم من ذلك بعبـاد[7] الأوثان.

---

(١) في أ (من) وصححناه من سائر النسخ.

(٢) في س (أرسل).

(٣) في س، ط (شبهه).

(٤) يقول يوسابيوس القيصري في كتابه (حياة قسطنطين) تـرجمة القمص مـرقس داود ــ نشر مكتبة المحبة بمصر سنة ١٩٧٥:

«... إنه حوالي الظهر رأى بعينيـه صليباً من نـور في السماء، فـوق الشمس يحمل هذه الكتابة «اغلب بهذا»».

قال: «... وبينما هو يتأمـل ويفكر في فحـواها أقبـل الليل فـجـأة، ثم ظهر لـه في نـومه مسيح الله بنفس العلامـة التي رآها في السمـاء، وأمره بـأن يصنع مثـالاً لهـذه العلامة التي رآها في السماء، وأن يستعملها كوقاية له في كل حروبه مع أعدائه».

انظر: الكتاب المذكور ص ٢٤. وفيه حديث واسع عن قسطنطين وأمه هيلانة...

قلت: وهذه خرافات واضحة البطلان لا تحتاج في ردها إلى برهـان؛ إذ هي ساقـطة من نفسها وهي من جملة الأساطير التي ذكرهـا المؤلف ــ رحمه الله ــ، وقسـطنطين من الرومان الوثنيين الذين وجدوا في النصرانية فرصة ليحرفـوا ويبدلـوا حسبما تمليـه عليهم أهواؤهم ليحولوا النصرانيـة إلى وثنية تـامة، وهـو ما يسيـر عليه نصـارى اليوم حتى في حروبهم يرفعون الصليب وذلك من باب الوقاية كمـا أملته عليهم شيـاطينهم نعوذ بالله من الزيغ والضلال.

(٥) في ك، ط (وهو ما).

(٦) في س(وأوثهم) وهو تصحيف.

(٧) في س، ك، ط (العباد).

وكذلك من ذكر أن المسيح جاءه في اليقظة وخاطبه بأمور كما يذكر عن بولس فإنه إذا كان صادقاً كان ذلك الذي رآه في اليقظة[1] وقال: إنه المسيح، شيطاناً[2] من الشياطين، كما جرى * مثل ذلك *[3] لغير واحد.

والشيطان[4] إنما يضل الناس ويغويهم بما يظن أنهم يطيعونه فيه فيخاطب النصارى بما يوافق دينهم، ويخاطب من يخاطب من ضلال المسلمين بما يوافق اعتقاده، وينقله إلى ما يستجيب[5] لهم[6] فيه بحسب اعتقادهم.

ولهذا يتمثل لمن يستغيث من النصارى بجرجس في صورة جرجس، أو بصورة من يستغيث به[7] النصارى من أكابر دينهم، إما بعض البطاركة، وإما بعض المطارنة وإما بعض الرهبان. ويتمثل لمن يستغيث به[8] من ضلال المسلمين بشيخ من الشيوخ في صورة ذلك الشيخ، كما تمثل[9] لجماعة ممن أعرفهم في صورتي، وفي صورة جماعة من الشيوخ الذين ذكروا في[10] ذلك، ويتمثل كثيراً في صورة

(١) سقطت جملة (وخاطبه بأمور ــ إلى قوله: وقال أنه المسيح) من ك، ط .

(٢) في ط (إنما هو شيطان).

(٣) ما بين النجمتين ساقط من أ وزدناه من سائر النسخ .

(٤) في أ والشياطين.

(٥) في ط (يستجب).

(٦) في ك (له).

(٧) في ك، ط (به من).

(٨) مكان (به) بياض في أ، وسقطت من س وزدناها من ك، ط .

(٩) في ك، ط (يتمثل).

(١٠) في س (لي).

بعض الموتى: تارة يقول: أنا الشيخ عبد القادر[1] وتارة يقول: أنا الشيخ[2] أبو الحجاج الأقصري[3]، وتارة يقول: أنا الشيخ عدي[4]، وتارة يقول: أنا أحمد بن الرفاعي[5]، وتارة يقول: أنا أبو مدين

---

(١) عبد القادر بن موسى الجيلاني، أو الكيلاني، أو الجيلي نسبة إلى جيلان وراء طبرستان، ويقال لها جيل. ولد سنة ٤٧١هـ، انتقل إلى بغداد، واتصل بشيوخ العلم، والتصوف، وتفقه في مذهب أحمد على يد ابن عقيل، وأبي الخطاب، وسمع الحديث من جماعة، وتصدر للوعظ والتدريس، وأسس الطريقة القادرية من طرق الصوفية. مات سنة ٥٦١هـ.
انظر: شذرات الذهب ٤/١٩٨ ـ ٢٠٢؛ والعبر ٤/١٧٥؛ والنجوم الزاهرة ٥/٣٧١؛ والأعلام ٤/٤٧.

(٢) سقطت كلمة (الشيخ) من أ، س. وألحقناها من ك، ط.

(٣) أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحيم القرشي الأقصري. نسبة إلى الأقصر من صعيد مصر، من كبار الصوفية في عصره، له أتباع ومريدون. ذكروا لأتباعه حكايات تدل على غلوهم فيه، وهي من حيل الشيطان ومخاريقه. مات سنة ٦٤٢هـ.
انظر ترجمته في: الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد للأدفوني ص ٧٢٢ ـ ٧٢٤ ترجمة رقم (٥٧٤)؛ والأعلام ٨/٢٣٨.

(٤) عدي بن مسافر بن إسماعيل الهكاري نسبة إلى جبة الهكارية من أعمال الموصل، ولد سنة ٤٦٧هـ. ولد في بيت قار من أعمال بعلبك، وجاور بالمدينة، وهو من شيوخ الصوفية، وتنسب إليه طائفة العدوية، كان زاهداً، عابداً، أثنى عليه شيخ الإسلام ابن تيمية في الوصية الكبرى، لكن أتباعه خرجوا عن الصواب، وغلوا فيه ومن أقوالهم فيه أنه إذا ذكر على موج البحر سكن، وعلى الأسد وقف. نعوذ بالله من الزيغ والضلال. مات سنة ٥٧٧هـ.
انظر: وفيات الأعيان ٣/٢٥٤ (٤١٥)؛ وشذرات الذهب ٤/١٧٧؛ والعبر ٤/١٦٣؛ والأعلام ٤/٢٢١.

(٥) أحمد بن علي الرفاعي الحسيني أبو العباس. شيخ الطريقة الرفاعية، ولد سنة ٥١٢هـ. بقرية حسن من أعمال واسط، كان شافعي المذهب. وسكن البطائح، وانضم إليه خلق عظيم من الفقراء، والطائفة الرفاعية، والبطائحية منسوبة إليه. قال الذهبي: كان إليه المنتهى في التواضع والقناعة، لكن أصحابه فيهم الجيد والرديء، وقد كثر الزغل فيهم، وتجددت لهم أحوال شيطانية منذ أخذت التتار =

المغربي[1]، وإذا كان يقول: أنا المسيح، أو إبراهيم، أو محمد: فغيرهم بطريق الأولى، والنبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال: «من رآني في المنام فقد رآني حقاً، فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي». وفي رواية «في صورة الأنبياء»[2].

فرؤيا الأنبياء في المنام حق. وأما رؤية الميت في اليقظة فهذا جني تمثل في صورته.

وبعض الناس يسمي هذا روحانية الشيخ، وبعضهم[3] يقول: هي رفيقه[4]، وكثير من هؤلاء يرى[5] يقوم من مكانه ويدع في مكانه صورة

= العراق... مات سنة ٥٧٨هـ.

انظر: وفيات الأعيان ١/١٧١ (٧٠)؛ والعبر ٤/٢٣٣؛ ومرآة الجنان ٣/٤٠٩؛ ومرآة الزمان في تاريخ الأعيان ١/٣٧٠؛ والأعلام ١/١٦٩.

(١) أبو مدين المغربي: لم أقف له على ترجمة، وذلك بعد البحث الطويل في كتب التراجم والفرق.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من حديث أبي هريرة ١/٣٥، ٣٦؛ وفي التعبير ٨/٧١، ورواه مسلم في كتاب الرؤيا، باب قول النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «من رآني في المنام فقد رآني» ٤/١٧٧٥ (١٠)، (١١)؛ وأبو داود في الأدب، باب ما جاء في الرؤيا ٥/٢٨٥ (٥٠٢٣)؛ وابن ماجه في كتاب تعبير الرؤيا، باب رؤية النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في المنام ٢/١٢٨٤ (٣٩٠١)؛ وأحمد في المسند ٢/٢٣٢، ٢٦١، ٣٤٢، ٤١٠، ٤١١، ٤٢٥.

ورواه الترمذي من حديث ابن عمر بلفظ مقارب في كتاب الرؤيا، باب ما جاء في قول النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من رآني في المنام فقد رآني ٤/٥٣٥ (٢٢٧٦)، وقال: حسن صحيح، وفي الباب عن أبي هريرة، وأبي قتادة، وابن عباس.

(٣) في ك، ط (وبعض الناس).

(٤) في أ، س (رفيقته). والمقصود قرينه، ورفيقه من الشياطين.

(٥) في ك، ط (من) بدل (يرى).

مثل صورته، وكثير من هؤلاء، ومن هؤلاء من يقول يرى في مكانين[(١)]، ويرى واقفاً بعرفات. وهو في بلده لم يذهب، فيبقى الناس الذين لا يعرفون حائرين.

فإن العقل الصريح يعلم أن الجسم الواحد لا يكون في الوقت الواحد في مكانين.

والصادقون قد رأوا ذلك عياناً لا يشكون فيه، ولهذا يقع النزاع كثيراً بين هؤلاء وهؤلاء، كما قد جرى ذلك غير مرة.

وهذا صادق فيما رأى وشاهد، وهذا صادق فيما دل عليه العقل[(٢)] الصريح.

لكن ذلك المرئي، كان جنياً تمثل بصورة[(٣)] الإنسان.

والحسيات إن لم يكن معها عقليات تكشف حقائقها وإلاَّ وقع فيها غلط كبير.

وهذا القسم المشهود في الخارج غير ما يتخيله الإنسان في نفسه، فإن هذا يعرفه جميع الناس، ويصوبه[(٤)] جميع العقلاء، يتخيلون[(٥)] أشياء في أنفسهم، كما يتخيله النائم في منامه، وتكون تلك الصورة موجودة في الخيال لا في الخارج.

---

(١) في س (من في مكانين) وفي ك، ط (يرى في مكانين).
(٢) سقط لفظ (العقل) من أ، ك، ط، وألحقناه من س.
(٣) في ك، ط (في صورة).
(٤) في س (وتقربه) وفي ك، ط (ويعرفه).
(٥) في ط (ويتخيلون).

والفلاسفة وسائر[1] العقلاء يعترفون بهذا، لكن كثير[2] من الفلاسفة يظن أن ما رأته الأنبياء[3] من الملائكة، وما سمعته من الكلام كان من هذا النوع، ويظنون أن ما يرى من الجن هو من هذا النوع، وهؤلاء جهال غالطون في هذا، كما جهلوا وغلطوا في ظنهم أن خوارق العادات سببها قوى نفسانية، أو طبيعية، أو قوى فلكية، وأن الفرق بين النبي والساحر، إنما هو حسن قصد هذا، وفساد قصد[4] الآخر، وإلاَّ فكلاهما خوارق[5] سببها قوى نفسانية أو فلكية، وهذا النفي باطل، كما قد بسطنا الكلام عليه، وبيَّنا جهل هؤلاء وضلالهم في غير[6] هذا الموضع[7].

والذين شاهدوا ذلك في الخارج وثبت عندهم بالأخبار الصادقة المتواترة، وجود ذلك في الخارج يعلمون أن هؤلاء جاهلون ضالون، ويعلمون أن الملائكة تظهر في صورة البشر، كما ظهرت لإبراهيم،

---

(١) في ك، ط (وجميع).

(٢) في ط (كثيراً).

(٣) في س (أنبياء).

(٤) في ك، ط (وفساد قصد ظن الآخر).

(٥) في جميع النسخ عدا ط (خوارقة).

(٦) في ط (في غير ذلك هذا).

(٧) ألف شيخ الإسلام في هذا الموضوع كتاب النبوات ويقع في قرابة ثلاثمائة صفحة، مطبوع بدون تحقيق، ويظهر أنه ليس كاملاً. وقد تناول فيه الشيخ ـ رحمه الله ـ هذه المسألة بالتفصيل، وناقش الفلاسفة مناقشة علمية في عدم تفريقهم بين النبي والساحر إلاَّ من حيث كون النبي يأمر بالخير، والساحر يأمر بالشر، وقد سبق هذا بحديث عن آيات الأنبياء، وما تتميز به خوارقهم عن غيرهم، ثم وضَّح الفرق بين النبي والكاهن ثم ناقش الفلاسفة بعد ذلك في ص ٢١٠ من الكتاب.
وانظر كتابه: الرد على المنطقيين ص ٤٤١ فما بعدها كلام جيد في الفرق بين السحر والمعجزة.

ولـوط، ومـريم، في صـورة البشـر، وكمـا كـان جبـريـل يـظهـر للنبـي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ تارة في صورة دحية الكلبـي، وتـارة في صورة أعـرابـي، ويراه كثيـر من الناس عيـاناً، ومـا في خيـال الإنسـان لا يـراه غيـره[1]، وكذلـك كمـا[2] ظهـر إبليس[3] للمشـركين في صـورة الشيـخ النجـدي[4](*)، وظهر لهم يـوم بدر[5] في صـورة سـراقـة بن مـالـك بن جعشم[6]؛ فلما رأى الملائكة هرب.

---

(١) سقطت (غيره)؛ من ك.

(٢) في ك، ط (لما)، وفي س (وكذلك الشياطين كما).

(٣) في ك، ط (الشيطان).

(٤) في ك، ط زيادة (وغيره).

(*) ظهر في صورة الشيخ النجدي عندما اجتمع كفار قريش في دار الندوة ليتشـاوروا في أمر الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فلما أدلوا بآرائهم صوَّب رأي أبـي جهل الذي يقضي بقتـل الـرسـول ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ على أيـدي شبـاب من كـل قبيلة شاب، حتى يتفرق دمه في القبائل فلا يعطون إلاَّ الدية.
انظر القصة بكاملها في سيرة ابن هشام ٢/٨٩ ـ ٩١ عن ابن إسحاق ـ وذكر السنـد وتمام القصة. لكن ابن إسحاق قال: حـدثني من لا أتهم من أصحابنـا وساق السنـد عن ابن عبـاس، وقد ذكـر السيوطي ـ رحمـه الله ـ القصة كـاملة في لبـاب النقـول ص ١٠٨، وعـزاها إلى ابن أبـي حـاتم، عن ابن عبـاس. وذلـك في آيـة الأنفـال: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا...﴾ الآية ٣٠.
وقال ابن كثير بعد أن ساق القصة كاملة عن ابن إسحاق: «وهذه القصـة التي ذكرهـا ابن إسحاق قد رواها الواقدي بأسانيده عن عائشة، وابن عباس، وعلي، وسراقـة بن مالك، وغيرهم. دخل حديث بعضهم في بعض فذكر نحو ما تقدم».
انظر: البداية والنهاية ٣/١٧٦. وساق ابن جرير في تفسيره القصة كاملة.
انظر: ٩/١٤٩ (مجلد ٥).

(٥) سيأتي تخريجها قريباً.

(٦) سراقة بن مالك بن جعشم بن مدلج الكناني المدلجي، أبـو سفيان، قـال ابن حجر: روى البخـاري قصتـه في إدراكـه النبـي ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ لمـا هـاجـر إلى المدينة، ودعا النبـي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عليه حتى ساخت رجلا فرسه ثم إنه =

قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[1].

ورُوي عن ابن عباس وغيره، قال: تبدّى إبليس في جند من الشياطين ومعه راية في صورة رجال من مدلج، والشيطان في صورة سراقة بن مالك بن جعشم، فقال: لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم. وأقبل جبريل ـ عليه السلام ـ على إبليس، فلما رآه وكانت يده في يد رجل من المشركين انتزع[2] إبليس يده وولى مدبراً هو وشيعته[3]، فقال الرجل: يا سراقة أتزعم أنك لنا جار؟ فقال: إني أرى ما لا ترون، إني أخاف الله، والله شديد العقاب[4].

= طلب منه الخلاص، وأن لا يدل عليه ففعل. وكتب له أماناً، وأسلم يوم الفتح، وفي قصته مع النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ يقول مخاطباً أبا جهل:

أبا حكم والله لو كنت شاهداً ... لأمر جوادي إذ تسوخ قوائمه
علمت ولم تشكك بأن محمداً ... رسول ببرهان فمن ذا يقاومه

له ١٩ حديثاً، وكان في الجاهلية قائفاً. ومات سنة ٢٤هـ.

انظر: الإصابة ١٨/٢ ـ ١٩ (٣١١٥)؛ والاستيعاب هامش الإصابة ١١٨/٢ ـ ١٢٠؛ والأعلام ٨٠/٣. وانظر دلائل النبوة للبيهقي ٢١٥/٢.

(١) سورة الأنفال: الآية ٤٨.

(٢) في ك، ط (نزع).

(٣) في س، ك، ط (وشعبه).

(٤) أخرجه ابن جرير بسنده عن ابن عباس وذكره كاملاً. ثم رواه من طرق متعددة بألفاظ مختلفة فأخرجه من طريق ابن إسحاق كما سبق ذكره، وذكره بسنده عن قتادة، وعن ابن عباس من طريق أخرى. وقد عزاه السيوطي في الدر المنثور إلى ابن المنذر وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي. وكلهم رواه عن ابن عباس وساق ابن كثير لهذه القصة عدة أسانيد، وذكرها ابن هشام في السيرة عن ابن إسحاق =

قال ابن عباس: وذلك لما رأى الملائكة، قال الضحاك: سار الشيطان معهم برايته وجنوده وألقى في قلوب المشركين أن أحداً لن يغلبكم وأنتم[1] تقاتلون على دينكم ودين آبائكم[2].

وكثير من الناس تحمله الجن إلى مكان بعيد، فتحمل[3] كثيراً من الناس إلى عرفات وغير عرفات، وإذا رأى واحد من هؤلاء في غير بلده يكون تارة محمولاً، قد[4] حملته الجن، وتارة تصورت[5] على صورته،

= والأثر، عن ابن عباس صحيح، لأنه ورد من صحيفة علي بن أبي طلحة التي وثقها العلماء، وقد جاء في ميزان الاعتدال للذهبي ٣/١٣٤ علي بن أبي طلحة بن سالم المخارقي الهاشمي ولاء، وهو يرسل الأثر إلى ابن عباس، حيث يسقط الواسطة بينه وبينه.

قلت: ذكر بعض العلماء أنه يأخذ عن ثقتين وهما مجاهد، وعكرمة، وهو في نفسه صدوق. انظر: الناسخ والمنسوخ للسخاوي ص ١٣، وانظر في ترجمته: تهذيب التهذيب ٧/٣٣٩.

انظر: تفسير ابن جرير الطبري ١٠/١٤ (مجلد ٦)؛ وسيرة ابن هشام ٢/١٨٦؛ تفسير ابن كثير ٢/٣١٧؛ والدر المنثور للسيوطي ٣/١٩٠؛ ودلائل النبوة للبيهقي ٢/٣٥٤؛ وآكام المرجان في أحكام الجان للشبلي ص ٢٩٠؛ والبداية والنهاية لابن كثير ٣/٢٥٩.

(١) في أ (وإنكم) وما أثبتناه من سائر النسخ هو الأولى.

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري ـ باللفظ الذي ذكره المؤلف ـ بسنده عن الحسن، وأخرجه بسنده عن ابن عباس، وعن السدي، وعن عروة بن الزبير، وعن ابن إسحاق، وعن قتادة، وعن طلحة بن عبيد الله بن كريز، وعن محمد بن كعب.
انظر: تفسير ابن جرير ١٥/٧ ـ ١٢ (تحقيق محمد شاكر، ط دار المعارف بمصر)؛ والبداية والنهاية لابن كثير ٣/١٧٥، ٢٨٣.
ولم أقف عليه بتفسير الضحاك بعد بحث طويل في مظانه من كتب التفسير بالمأثور لابن جرير، وابن أبي حاتم، والسيوطي، وغيرها، والله أعلم.

(٣) في ط (فتنقل).

(٤) في ك، ط (تارة قد).

(٥) في ك، ط (قد تصورت).

ولا يكون هذا من أولياء الله المتقين الذين لهم كرامات، بل قد [1] يكون من الكافرين، أو الفاسقين، وأعرف من ذلك قضايا[2] كثيرة ليس هذا موضع تفصيلها[3].

وعند المشركين والنصارى من ذلك شيء كثير[4] يظنونه من جنس الآيات التي للأنبياء.

إنما هي من جنس ما للسحرة والكهان، ومن لم يفرق بين أولياء الرحمن، وأولياء الشيطان. ويفرق بين معجزات الأنبياء، وكرامات الصالحين، وبين خوارق السحرة والكُهّان، ومن تقترن[5] بهم الشياطين. وإلاَّ التبس عليه الحق بالباطل، فأما أن يكذب بالحق الذي جاء به الأنبياء الصادقون، وأما أن يصدق بالباطل الذي يقوله الكاذبون[6] والغالطون.

وهذه الأمور مبسوطة في موضع آخر، والمقصود هنا التنبيه على هذا الأصل وعلماء النصارى يسلمون هذا وعندهم من ذلك أخبار كثيرة من حكايات أولياء الشيطان الذين عارضهم أولياء الرحمن، وأبطلوا[7] أحوالهم كما أبطل موسى ـ صلوات الله عليه ـ[8] ما عارضته[9] به

---

(١) سقطت (قد) من س.

(٢) في ك، ط (قصصاً).

(٣) في ك، ط (ليس تفصيلها في هذا الموضع).

(٤) في أ (كثيراً) وصححناه من سائر النسخ.

(٥) في ك، ط (يقترن) بالمثناة التحتية.

(٦) في ك، ط (الكافرون).

(٧) في أ، س (وبطلوا) وصوبناه من ك، ط.

(٨) سقطت الجملة الدعائية من ك، ط.

(٩) في س، ك، ط (ما عارضه).

السحرة من الخوارق، كما ذكر ذلك[1] في التوراة[2]، وكما يذكرونه عن فلان وفلان، مثل حكاية سيمون الساحر[3] مع الحواريين وغير ذلك وإذا[4] كان هذا معلوماً كان ما يذكرونه من هذا الجنس، إذا كان مخالفاً لما ثبت عن الأنبياء من الشيطان، فلا يجوز أن يحتج به[5] على ما يخالف شرائع الأنبياء الثابتة عنهم، بل هؤلاء من جنس الدجال الكبير الذي أنذرت به الأنبياء كلهم حتى نوح أنذر[6] قومه. وقال خاتم الرسل ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «ما من نبي إلا قد أنذر أمته حتى نوح أنذر

---

(١) سقطت (ذلك) من ك، ط.

(٢) وردت قصة انتصاره على السحرة في التوراة: سفر الخروج، الإصحاح الرابع فقرة ١ ـ ٩ حين ألقى العصا فانقلبت بأمر الله حية، وأدخل يده في جيبه فإذا هي بيضاء كالثلج، وأخذ من ماء النهر ماء ثم وضعه على اليابسة ليكون دماً.
أما في القرآن الكريم فقد وردت هذه في مواضع متعددة منها سورة طه من آية ٦٠ ـ ٧٣؛ وسورة الشعراء من ٣٦ ـ ٥١، وغيرهما.

(٣) جاءت حكاية سيمون الساحر في سفر أعمال الرسل الإصحاح الثامن فقرة ٩ ـ ٢٤.
انظر: الإنجيل (كتاب الحياة ـ ترجمة تفسيرية) ص ١٦٨ (ط دار العلم العربي ـ القاهرة ١٩٨٣؛ وانظره في الكتاب المقدس ـ العهد الجديد ص ٢٠٣، ط دار حلمي، وسيمون: اسم عبراني معناه (السامع)، وفي الأصل لفظه نفس لفظ (سمعان)، وجاء في قاموس الكتاب المقدس أنه «كان يدهش شعب السامرة بسحره فكانوا يقولون أن سحره شيء عظيم... ثم ذكر أنه آمن عندما التقى بالمبشر فيلبس، ولم ينشأ إيمانه عن توبة...، وهم يطلقون اسم السيمونية على كل من يتاجر في الوظائف الكنسية، وقد كان له أتباع اسمهم السيمونيون اعتبروا سيمون مسيحهم وفاديهم...».
انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٤٩٧، تأليف نخبة من أساتذة اللاهوت ط ٢ عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى.

(٤) في ك، ط (فإذا).

(٥) سقطت (به) من ك، ط.

(٦) في أ، س، ك (أنذره)، وهو خطأ واضح وصححناه من ط ومن نص الحديث.

قومه وسأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لأمته: إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه كافر (ك ف ر) يقرؤه كل مؤمن قارىء وغير قارىء». وقال: «واعلموا أن أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت»[1].

وقد أخبر أن المسيح عيسى بن مريم مسيح الهدى ينزل إلى الأرض على المنارة البيضاء شرقي دمشق، فيقتل مسيح الضلالة[2]، وهذا هو الذي تنتظره اليهود ويجحدون المسيح عيسى بن مريم، ويقولون: هذا هو الذي بشرت به الأنبياء، «ويتبعه من يهود أصبهان سبعون ألفاً مطيلسين»[3]، «ويقتلهم المسلمون مع عيسى بن مريم شر قتلة حتى يقول الشجر والحجر: يا مسلم هذا يهودي ورائي تعال

---

(١) الحديث: أخرجه البخاري من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ في كتاب التوحيد، باب قول الله ـ تعالى ـ ولتصنع على عيني ١٧٢/٨، وفي كتاب الفتن ١٠٣/٨، باب ذكر الدجال (وليس فيه عبارة: وسأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لأمته)، وأخرجه أيضاً من حديث ابن عمر في الفتن، باب ذكر الدجال ١٠٢/٨، وليس فيه: (مكتوب بين عينيه كافر). وكل روايات البخاري ليس فيها جملة: (حتى نوح أنذر قومه)، ورواه مسلم في الفتن، باب ذكر ابن صياد ٢٢٤٥/٤ (٩٥) بلفظ مقارب لما ذكره المؤلف؛ ورواه من حديث أنس في الفتن، باب ذكر الدجال وصفته وما معه ٢٢٤٨/٤ (١٠١)؛ وروى حديث ابن عمر أبو داود في كتاب السنة، باب في الدجال ١١٨/٥ (٤٧٥٧)؛ والترمذي في الفتن، باب ما جاء في علامة الدجال ٥٠٨/٤ (٢٢٣٥)، وقال: حديث حسن صحيح. وأحمد في مسند ابن عمر ١٥٣/٢؛ وفي مسند أنس ١٠٣/٣؛ وفي مسند أبي عبيدة بن الجراح ١٩٥/١ بألفاظ مختلفة.

وورد في حديث طويل رواه أبو أمامة الباهلي في سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال ١٣٦٠/٢ قوله: «وإنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، وإنه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب أو غير كاتب. . . إلخ. أوصافه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

اقتله»[1]. وكل هذا ثابت في الصحيح عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ. ولهذا أمر أمته أن يستعيذوا بالله من فتنته، فقال: «إذا قعد أحدكم في التشهد في الصلاة فليتعوذ بالله من أربع: من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال»[2].

والأنبياء كلهم أنذروا بالكذابين الذين يتشبهون بالأنبياء، لكن من الناس من يتعمد الكذب، وكثير منهم لا يتعمد، بل يلتبس عليه فيغلط فيخبر بما يظنه حقاً، ولا يكون كذلك، ويرى في اليقظة[3] ما يظنه فلاناً الولي أو النبي، أو الخضر، ولا يكون كذلك.

والغلط جائز على كل أحد إلَّا الأنبياء ـ عليهم السلام ـ، فإنهم معصومون، لا يقرون على خطأ، فمن لم يزن علومه وأعماله وأقواله وأفعاله بالمعلوم[4] عن الأنبياء، وإلَّا كان ضالاً، فنسأل[5] الله العظيم أن يهدينا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه مسلم من حديث أبي هريرة في كتاب المساجد ومواضع الصلاة فيها، باب ما يستعاذ منه في الصلاة ٤١٢/١، حديث رقم (١٢٨)، وحديث رقم (١٣٠)، (١٣١)، (١٣٢)، (١٣٣). بألفاظ متقاربة؛ ورواه النسائي في كتاب السهو، باب التعوذ في الصلاة ٥٨/٣؛ وأحمد في المسند ٤٧٧/٢. وفيه قدم الرابعة على الثالثة.

(٣) جملة (ويرى في اليقظة... إلى ولا يكون كذلك) ساقطة من ك.

(٤) في ك (العلوم).

(٥) في ك، ط (نسأل).

والمسلمون[1] وأهل الكتاب متفقون على إثبات مسيحين: مسيح هدى من ولد داود، ومسيح ضلال. يقول أهل الكتاب: إنه من ولد يوسف[2]. ومتفقون على أن مسيح الهدى سوف يأتي كما يأتي مسيح الضلالة، لكن المسلمون والنصارى يقولون[3]: مسيح الهدى هو عيسى بن مريم، وإن الله أرسله ثم يأتي مرة ثانية، لكن المسلمون يقولون: إنه ينزل قبل يوم القيامة فيقتل مسيح الضلالة، ويكسر الصليب ويقتل الخنزير، ولا يبقى دين[4] إلاَّ دين الإسلام، ويؤمن به أهل الكتاب: اليهود، والنصارى.

---

(١) من هذه الكلمة (والمسلمون وأهل الكتاب إلى نهاية الفصل)، جاء متأخراً في نسخة ك، ط حيث ورد في ورقة ١٨٤ في نسخة ك، السطر الرابع عشر، وفي نسخة ط ص ٣٢٩ ـ ٣٣٠، (ط : المدني).

(٢) المسلمون يؤمنون بمجيء المسيح الدجال، الذي وردت أوصافه كما سبق أن ساق المؤلف طرفاً منها، أما تحديد اسمه ونسبه فلم يرد به السمع، ولسنا ملزمين بشيء لم يرد به السمع.
أما أهل الكتاب فيزعمون أنه من ولد يوسف، ونحن نطالبهم بالدليل الصحيح وليس معهم في ذلك شيء.

(٣) يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ : «فالمسلمون يؤمنون بالمسيح الصادق الذي جاء من عند الله بالهدى ودين الحق، هو عبد الله، ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، والنصارى إنما تؤمن بمسيح دعى إلى عبادة نفسه وأمه، وأنه ثالث ثلاثة، وأنه الله وابن الله، وهذا هو أخو المسيح الكذاب لو كان له وجود؛ فإن المسيح الكذاب يزعم أنه الله، والنصارى في الحقيقة أتباع هذا المسيح، كما أن اليهود إنما ينتظرون خروجه، وهم يزعمون أنهم ينتظرون النبي الذي بشروا به، فعوضهم الشيطان بعد مجيئه من الإيمان به انتظاراً للمسيح الدجال، وهكذا كل من أعرض عن الحق يعوض عنه بالباطل».
انظر: هداية الحيارى، بتحقيق د. أحمد السقا ص ١٣٥، ١٣٦.

(٤) في ط (ولا يبقى ديناً).

كما قال ــ تعالى ــ :

﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ... ﴾[1] .

والقول الصحيح الـذي عليه الجمهـور قبل مـوت المسيح ، وقـال ــ تعالى ــ :

﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا ... ﴾[2] .

وأمـا النصارى فتـظن[3] أنه الله ، وأنـه يأتي يـوم القيامـة لحسـاب الخلائق وجزائهم، وهـذا مما ضلوا فيـه. واليهود تعتـرف بمجيء مسيح هـدى يأتي ، لكن يـزعمون أن عيسى ــ عليـه السـلام ــ لم يكن مسيـح هـدى، لظنهم[4] أنـه جاء بـدين النصـارى المبـدل، ومن جـاء بـه فهـو كاذب ، وهم ينتظرون[5] المسيحين.



---

(١) سورة النساء: الآية ١٥٩ .

(٢) سورة الزخرف: الآية ٦١.

(٣) في ط (فيظنون) وفي ك (فيظن).

(٤) في س، ك، ط (لزعمهم).

(٥) في ك (ينظرون).

فصل[1]

الخوارق التي يُضِلّ بها الشياطين أبناء آدم

والخوارق التي تضل[2] بها الشياطين لبني آدم مثل تصور الشيطان بصورة شخص غائب أو ميت ونحو ذلك، ضل بها خلق[3] كثير من الناس من المنتسبين إلى المسلمين، أو إلى أهل الكتاب وغيرهم، وهم بنوا ذلك على مقدمتين:

إحداهما[4]: أن من ظهرت هذه على يديه فهو ولي لله. وبلغة النصارى هو قديس عظيم.

الثانية[5]: أن من يكون كذلك فهو معصوم فكل[6] ما يخبر به فهو[7] حق وكل ما يأمر به فهو عدل، وقد لا يكون ظهرت على يديه خوارق، لا رحمانية ولا شيطانية، ولكن صنع حيلة من حيل أهل الكذب والفجور. وحيل أهل الكذب والفجور كثيرة جداً، فيظن أن ذلك من العجائب الخارقة للعادة، ولا يكون كذلك مثل الحيل المذكورة عن الرهبان.

---

(١) سقطت كلمة (فصل) من ك.
(٢) في ك، ط (يضل) بالمثناة التحتية.
(٣) سقطت (خلق) من ك، ط.
(٤) في ك، ط (أحدهما).
(٥) في جميع النسخ (الثاني).
(٦) في ك ط (وكل).
(٧) سقطت (فهو) من ط.

وقد صنَّف بعض الناس مصنفاً في حيل الرهبان، مثل الحيلة المحكية عن أحدهم في جعل الماء زيتاً بأن يكون الزيت في جوف منارة، فإذا نقص صب فيها ماء، فيطفو الزيت على الماء، فيظن الحاضرون أن نفس الماء انقلب زيتاً.

ومثل الحيلة المحكية عنهم في ارتفاع النخلة، وهو أن بعضهم مر بدير راهب وأسفل منه نخلة فأراه النخلة صعدت شيئاً شيئاً[1] حتى حاذت الدير، فأخذ من رطبها ثم نزلت حتى عادت كما كانت فكشف الرجل الحيلة فوجد النخلة في سفينة في مكان منخفض إذا أرسل عليه الماء امتلأ حتى تصعد السفينة * وإذا صرف الماء إلى موضع آخر هبطت السفينة *[2].

ومثل الحيلة المحكية عنهم في التكحل بدموع السيدة، يضعون[3] كحلاً في ماء متحرك حركة لطيفة، فيسيل حتى ينزل من تلك الصورة فيخرج من عينها فيظن أنه دموع.

ومثل الحيلة التي صنعوها بالصورة التي يسمونها القونة[4]

---

(١) سقطت (شيئاً) الثانية من ط.

(٢) سقط ما بين النجمتين من أ وزدناه من سائر النسخ.

(٣) في ط (وهو أنهم يضعون) وفي ك (ويضعون).

(٤) هكذا في جميع النسخ (القونة) ولعل المراد بها (الأيقونة) وهذا ما أفهمه من السياق، والأيقونة كلمة يونانية أو قبطية الأصل ويقصد بها صورة دينية، وهي تشمل صور السيد المسيح، أو السيدة العذراء، أو الحواريين، أو الرسل، أو الشهداء، أو القديسيين، وغير ذلك من الموضوعات الدينية التي وردت في التوراة والإنجيل أو في تاريخ الكنيسة وهي من العناصر الأساسية في العبادة عند النصارى؛ قالوا لأنها تنقل بواسطة الرسم، والألوان البشارة عينها التي أعلنها الله للكنيسة، والتي حفظت في ضميرها، وعبر عنها التقليد الشريف، ونقلها الكتاب المقدس، قلت: وهم يعظمون الأيقونات أي ــ الصور للسيد المسيح ومريم العذراء، وآباء الكنائس =

بصيدنايا، وهي أعظم مزاراتهم بعد القمامة وبيت لحم[1]، حيث ولد المسيح: وحيث قبر، فإن هذه[2] صورة السيدة مريم، وأصلها خشبة[3] نخلة سقيت بالأدهان حتى تنعمت[4] وصار الدهن يخرج منها دهناً[5] مصنوعاً يظن أنه من بركة الصورة.

ومن حيلهم الكثيرة النار التي يظن عوامهم أنها تنزل من السماء في عيدهم في قمامة[6] وهي حيلة قد شهدها غير واحد من المسلمين والنصارى ورأوها بعيونهم أنها نار مصنوعة يضلون بها عوامهم يظنون أنها نزلت من السماء ويتبركون بها وإنما هي صنعة صاحب محال وتلبيس.

ومثل ذلك كثير من حيل النصارى فجميع ما عند النصارى المبدلين لدين المسيح من الخوارق، إما حال شيطاني. وإما محال

= ويوجبون وضعها في الكنيسة، والبيوت، والطرقات؛ قالوا لأن تأمل الأيقونة يبعث فيهم قوة تحثهم على تكريم من ترمز إليه الأيقونة، وهذا في الحقيقة عبادة للصور وإن زعموا أنهم لا يعنون بذلك عبادتها كما ورد في كتبهم على ألسنة آبائهم، ورهبانهم الذين اتخذوهم أرباباً من دون الله.

انظر: كتاب الأيقونات القبطية للدكتور رؤوف حبيب ص ١؛ والكتاب كله مليء بنماذج وصور، وفيه حديث عن الأيقونات كلها؛ وكتاب الرؤية الأرثوذكسية لوالدة الإله ص ٧٧ ـ ٩٤ والكتاب لمجموعة من المؤلفين؛ والمظاهر الرائعة للفنون القبطية للدكتور رؤوف حبيب.

(١) سبق التعريف بهذه المواضع كلها.

(٢) في س، ك، ط (فإن هذه هي).

(٣) في ك، ط (حشة).

(٤) في ك، ط (سمنت).

(٥) سقطت (دهناً) من ط، وجاءت الجملة في أ، س، ك هكذا (يخرج منها دهن مصنوع).

(٦) سقطت (في قمامة) من أ.

بهتاني ليس فيه شيء من كرامات الصالحين[١].

وكذلك أهل الإلحاد المبدلين لدين محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، الذين يتخذون ديناً لم يشرعه الله ورسوله، ويجعلونه طريقاً إلى الله، وقد يختارونه على الطريق التي شرعها[٢] الله ورسوله، مثل أن يختاروا سماع الدفوف والشبابات[٣] على سماع كتاب الله ـ تعالى ـ، فقد يحصل لأحدهم من الوجد والغرام الشيطاني ما يلبسه معه الشيطان حتى يتكلم على لسان أحدهم بكلام لا يعرفه ذلك الشخص إذا أفاق، كما يتكلم الجني على لسان المصروع، وقد يخبر بعض الحاضرين بما في نفسه ويكون ذلك من الشيطان، * فإذا فارق الشيطان ذلك الشخص لم يدر ما قال، ومنهم من يحمله الشيطان *[٤] ويصعد به قدام الناس في الهواء.

ومنهم من يشير إلى بعض الحاضرين فيموت أو يمرض أو يصير مثل الخشبة.

ومنهم من يشير إلى بعض الحاضرين فيلبسه الشيطان ويزول عقله حتى يبقى دائراً زماناً طويلاً بغير اختياره.

---

(١) حكى القرافي ـ رحمه الله ـ في كتاب الأجوبة الفاخرة جملاً كثيرة تتعلق بحيل النصارى وتلبيسهم على العوام. قال ـ رحمه الله ـ: «ولما علم حذاقهم أن دينهم ليست له قاعدة ينبني عليها، ولا أصل يرجع إليه، جمعوا عقول العامة بتخيلات موهمة، وأباطيل مزخرفة، وضعوها في الكنائس والمزارات.

... ثم ذكر أموراً كثيرة من حيلهم فانظره في الكتاب المشار إليه بتحقيق زميلنا د. سالم بن محمد القرني ـ رسالة ماجستير ص ١٣٥ ـ ١٤٠.

(٢) في ك (الذي شرعها) وفي ط (الذي شرعه).

(٣) قال في القاموس المحيط ١/٨٥ (فصل الشين، باب الباء): «التشبيب النسيب بالنساء».

(٤) سقط ما بين النجمتين من أ، وزدناه من سائر النسخ.

ومنهم من يدخل النار ويأكلها ويبقى لهبها في بدنه وشعره.

ومنهم من تحضر له الشياطين طعاماً أو شيئاً من لادن[1] أو سكر[2] أو زعفران[3] أو ماء ورد[4]. ومنهم من تأتيه بدراهم تسرقها الشياطين من بعض المواضع.

ثم من هؤلاء من[5] إذا فرق الدراهم على الحاضرين، أخذت منهم، فلا يمكنون من التصرف فيها، إلى أمور يطول وصفها، وآخرون ليس لهم من يعينهم على ذلك من الشياطين، فيصنعون حيلاً ومخاريق.

فالملحدون المبدلون لدين الرسل، دين المسيح، أو دين محمد ـ صلَّى الله عليهما[6] وسلَّم[7] ـ هم[8] كأمثالهم من أهل الإلحاد[9]

---

(١) اللادن: جاء في المعتمد في الأدوية المفردة للمظفر (حرف اللام) بأنه «شيء من رطوبة يدبق بيد اللامس. يكون على شجرة القيسوس، فترعاه المعز، فتلزق الرطوبة على أفخاذها ولحاها، ومن الناس من يأخذه فيصفيه، ويعمل منه أقراصاً. ثم ذكر فوائده وأطال فيه».
انظر: المرجع السابق ص ٤٣٩.

(٢) السكر: يستخرج من القصب فيجمد، وحلاوته أقل من حلاوة العسل، وهو يدخل في عداد الأشياء الفاتحة للسدد، المنقية للمجاري. وهو صنفان أبيض وأحمر، وأجوده الأبيض.
انظر: المعتمد ص ٢٣٣.

(٣) الزعفران: نبات صحراوي، وهو أنواع، وأقواه ما كان حديثاً حسن اللون، وعلى شعرته بياض يسير.
انظر: المعتمد ص ٢٠٣.

(٤) ماء الورد: هو أنواع أجوده النصيبيني العطر، الذكي الرائحة.
انظر: المعتمد ص ٤٨١ وقد ذكر فوائده.

(٥) سقطت (من) من ك، ط.

(٦) في ط (عليه).

(٧) سقطت (وسلم) من ك.

(٨) سقطت (هم) من ط.

(٩) سقطت (الإلحاد) من ك.

والضلال: الكفار[1]، المرتدين و[2]المشركين، ونحوهم[3] كمسيلمة الكذاب، والأسود العنسي، والحارث الدمشقي، وبابا الرومي وغيرهم، ممن لهم خوارق شيطانية.

وأما أهل الحيل فيكثرون، وهؤلاء ليسوا أولياء الله، بل خوارقهم إذا كانت شيطانية من جنس خوارق الكهنة والسحرة، لم يكن لهم حال شيطاني بل محال بهتاني. فهم متعمدون للكذب[4] والتلبيس، بخلاف من تقترن[5] به الشياطين فإن فيهم من يلتبس[6] عليه، فيظن أن هذا من جنس كرامات الصالحين، كما أن فيهم من يعرف أن ذلك من الشياطين، ويفعله لتحصيل أغراضه، فالمقصود أنه كثير من الخوارق، ما يكون من الشياطين، أو يكون حيلاً ومخاريق، ويظن أنها من كرامات الصالحين. فإن ما يكون شبيه[7] الشرك أو الفجور، إنما يكون من الشيطان[8]، مثل أن يشرك الرجل بالله فيدعو الكواكب أو يدعو مخلوقاً من البشر ميتاً، أو غائباً أو يعزم و[9]يقسم بأسماء مجهولة لا يعرف معناها، أو يعرف أنها أسماء الشياطين، أو يستعين بالفواحش والظلم، فإن ما كان هذا سببه من الخوارق فهو من الشيطان، كما قد بسط الكلام على ذلك في غير هذا الموضع.

---

(١) في ط (والكفار).
(٢) سقطت (الواو) من ك، ط.
(٣) في ك، ط (وغيرهم).
(٤) في ط (الكذب).
(٥) في س، ك، ط (يقترن) بالمثناة التحتية.
(٦) في ك، ط (يلبس).
(٧) في س، ك، ط (سببه).
(٨) في ط (الشياطين).
(٩) في ك، ط (أو).

والصالحون لهم كرامات، مثل كرامات صالحي هذه الأمة، ومثل كرامات الحواريين وغيرهم ممن كان على دين المسيح، لكن وجود الكرامات على أيدي الصالحين لا توجب أن يكونوا معصومين كالأنبياء، لكن[1] يكون الرجل صالحاً ولياً لله وله كرامات، ومع هذا فقد يغلط ويخطيء فيما يظنه، أو فيما يسمعه، ويرويه، أو فيما يراه، أو فيما يفهمه من الكتب، ولهذا كان كل من سوى الأنبياء يؤخذ من قولهم ويترك، بخلاف الأنبياء ــ صلوات الله عليهم أجمعين ــ، فإنه يجب تصديقهم في كل ما أخبروا به من الغيب، وطاعتهم في كل ما أمروا به ولهذا[2] أوجب الله الإيمان بما أوتوه[3]، ولم يوجب الإيمان بجميع ما يأتي به غيرهم.

قال ــ تعالى ــ :

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾[4].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ . . . ﴾[5].

ولهذا اتفق المسلمون على أن من كذب نبياً معلوم النبوة فهو كافر مرتد. ومن سب نبياً وجب قتله بل يجب الإيمان بجميع ما أوتيه النبيون

---

(١) في س، ك، ط (بل) بدل (لكن).

(٢) في ط (ولها).

(٣) في ك (بكل ما أوتوه) وفي ط (بكل ما أتوه).

(٤) سورة البقرة: الآية ١٣٦.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٧٧.

كلهم، وأن لا نفـرق[1] بين أحـد منهم، فنؤمـن[2] ببـعض ونكـفـر[3] ببعض. قال ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴾[4].

وليس هذا لأحد غير الأنبياء، ولو كان من رسل الأنبياء، وكانوا من أعظم الصديقين المقدمين[5].

فضلال[6] الضلال من هؤلاء مبني على مقدمتين.

إحداهما[7] : أن هذا له كرامة فيكون ولياً لله.

والثانية[8] : أن ولي الله لا يجوز أن يخطىء، بل يجب تصديقه في كل ما أخبر، وطاعته في كل ما أمر، وليس لأحد من البشر أن يصدق في كل ما أخبر به، ويطاع في كل أمر إلا أن يكون نبياً.

والمقدمتان المذكورتان، قد تكون إحداهما باطلة، وقد يكون كلاهما باطلاً، فالرجل المعين، قد لا يكون من أولياء الله، تكون[9] خوارقه من الشياطين، وقد يكون من أولياء الله، ولكن ليس بمعصوم، بل يجوز عليه الخطأ، وقد لا يكون من أولياء الله، ولا يكون له خوارق، ولكن له محالات وأكاذيب.



(١) سبق إيضاح هذه المسألة.

(٢)، (٣) في ك، ط جاءت الأفعال كلها بالمثناة التحتية.

(٤) سورة النساء: الآيتان ١٥٠ ـ ١٥١.

(٥) في س (القديسين).

(٦) انفردت ط عن سائر النسخ بكتابة (فصل) قبل هذه الكلمة ولا مكان لها.

(٧) في ك (أحدهما).

(٨) في ك (والثاني).

(٩) في ك، ط (وتكون).

فصل(١)

قالوا: وقال في سورة آل عمران:

﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾(٢).

فأعني(٣) أيضاً بالكتاب المنير، الذي هو الإنجيل المقدس.

فيقال: قد تقدم أن الرسل تتناول(٤) قطعاً الرسل الذين ذكرهم الله في القرآن، لا سيما أولو العزم كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم؛ فإن هؤلاء مع محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ خاتم النبيين ـ صلوات الله عليهم وسلامه ـ، خصهم الله وفضلهم بقوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى

---

(١) سقطت كلمة (فصل) من ك.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٨٤.

(٣) في ط (فعنى) وما أثبتناه من جميع النسخ هو الموافق لما ورد في الرسالة، وقد كررت فيها كلمة (فأعني)، وجاء فيها كلمات كثيرة محرفة فمثلاً يكتبون (سورة) صورة بالصاد، ويحرفون الآيات القرآنية ففي قوله (تعالى): ﴿وقل آمنت بما أنزل الله. . .﴾ الآية. استبدلت كلمة قل (بقلت)، وهكذا جرياً على ما اعتادوه من التحريف والتبديل في كتبهم فتلك عادة لهم كما أخبر الله ـ تعالى ـ عنهم في كتابه العزيز بقوله ـ تعالى ـ: ﴿يحرفون الكلم عن مواضعه. . .﴾.

(٤) في ك، ط (يتناول) بالمثناة التحتية.

ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٧ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[1] .

وفي قوله ـ تعالى ـ :

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ . . . ﴾[2] .

فالدين، دين رسل الله، دين واحد كما بينه الله في كتابه، وكما ثبت في الصحيحين عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد وأن[3] أولى الناس بابن مريم لأنا: إنه[4] ليس بيني وبينه نبي»[5] .

ويتناول أيضاً اسم الرسل من لم يسمهم[6] بأعيانهم في القرآن. قال ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ۝١٦٣ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ۝١٦٤ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[7] .

---

(١) سورة الأحزاب: الآيتان ٧، ٨.

(٢) سورة الشورى: الآية ١٣.

(٣) في ك، ط (وأنا).

(٤) في ك، ط (لأنه) وسقطت (لأنا) من ك، ط.

(٥) سبق تخريج الحديث في أول الكتاب.

(٦) في س (يسم).

(٧) سورة النساء: الآيات ١٦٣ ـ ١٦٥.

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾[1] .

وأما الحواريون فإن الله ــ تعالى ــ ذكرهم في القرآن، ووصفهم بالإسلام واتباع الرسول وبالإيمان بالله[2]، كما[3] أنزل في قوله ــ تعالى ــ :

﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾[4] .

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾[5] .

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾[6] .

---

(١) سورة غافر: الآية ٧٨.

(٢) في ط (والإيمان بالله).

(٣) في أ (وكما) والواو زائدة هنا.

(٤) سورة آل عمران: الآيتان ٥٢، ٥٣.

(٥) سورة المائدة: الآية ١١١.

(٦) سورة الصف: الآية ١٤.

ولم يذكر الله ـ تعالى ـ في القرآن أنه أرسلهم البتة. بل ذكر أنه ألهمهم الإيمان به وبرسوله وأنهم أمروا باتباع رسوله وقوله:

﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ... ﴾.

لا يدل على النبوة، فإنه قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ... ﴾[1].

وأم موسى لم تكن نبية، بل ليس في النساء نبية كما تقوله عامة النصارى والمسلمين.

وقد ذكر إجماعهم على ذلك غير واحد، مثل القاضيين: أبي بكر بن الطيب، وأبي يعلى ابن أبي[2] الفراء، والأستاذ أبي المعالي الجويني[*]، وغيرهم. ويدل على ذلك قوله ـ تعالى ـ :

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ ﴾[3].

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ... ﴾[4].

فجعل غاية مريم الصديقية كما جعل غاية المسيح الرسالة[5].

---

(١) سورة القصص: الآية ٧.

(٢) سقطت (أبي) من أ، س وجاءت (الفرا) وفي أ (الفراد) وهو خطأ.

(*) سبقت ترجمة هذه الأعلام.

(٣) سورة يوسف: الآية ١٠٩.

(٤) سورة المائدة: الآية ٧٥.

(٥) هذه مسألة سبق الحديث عنها وإيضاحها عند ذكر أقوال العلماء في نبوة مريم ـ رضي الله عنها ـ .

وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا[1]: مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم»[2] يعني من نساء الأمم قبلنا، وهذا يدل على أن أم موسى ليست ممن كمل من النساء فكيف تكون نبية؟ وقوله ـ تعالى ـ: ﴿جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾[3].

والكتاب اسم جنس كما تقدم يتناول كل كتاب أنزله الله[4] ـ تعالى ـ. وقال[5] ـ تعالى ـ:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾[6].

وقوله: ولا كتاب منير، نكرة في سياق المعنى فيعم[7] كل كتاب منير[8]. ولو لم يكن إلا الإنجيل؛ لقيل ولا الكتاب المنير. وأيضاً

---

(١) في ط (إلا أربعة) وهي زيادة ليست في الحديث، ولا في سائر النسخ.

(٢) أخرجه البخاري من حديث أبي موسى الأشعري في ثلاثة مواضع، في كتاب الأنبياء، باب قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون﴾ ١٣١/٤؛ وفي فضائل الصحابة، باب فضل عائشة ٢١٩/٤، ٢٢٠؛ وفي الأطعمة باب الثريد ٢٠٥/٦ وللحديث بقية «وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»؛ ورواه مسلم في فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ ١٨٨٦/٤ (٧٠)؛ والترمذي في الأطعمة، باب فضل الثريد ٢٧٥/٤ (١٨٣٤) ثم قال حسن صحيح؛ وابن ماجه في الأطعمة، باب فضل الثريد على الطعام ١٠٩١/٢ (٣٢٨٠)؛ وأحمد في المسند ٣٩٤/٤، ٤٠٩.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٨٤.

(٤) سقط لفظ الجلالة من س، ك.

(٥) في س، ك، ط (وقال الله تعالى).

(٦) سورة الحج: الآية ٨.

(٧) في س، ط (تعم).

(٨) قوله (نكره في سياق... إلخ). الجملة ساقطة من ك.

فالتوراة أعظم من الإنجيل وقد بين الله أنه لم ينزل كتاباً أهدى من التوراة والقرآن. فقال ــ تعالى ــ :

﴿ . . . قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُواْ سِحْرَانِ ــ وقرىء «ساحران»[1] ــ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[2].

وهذا تعجيز لهم أن يأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما كقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ . . .﴾[3].

وهذا يبين أنه ليس الإنجيل ولا الزبور أهدى من التوراة والقرآن فكيف يجعل الكتاب المنير هو الإنجيل دون التوراة والزبور؟

وأيضاً فإن الله ــ تعالى ــ إنما يخص بالذكر من الكتب المتقدمة التوراة دون غيرها، فهي التي يقرنها بالقرآن كقوله ــ تعالى ــ

﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًاۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا

---

(١) قرأ الكوفيون «قالوا سحران» على أنه تثنية سحر، وقرأ الباقون ساحران، على أنه تثنية «ساحر».
انظر: كتاب التبصرة في القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ص ٤٥٧؛ وانظر فتح القدير للشوكاني ٤/١٧٧؛ والتيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني ص ١٧٢؛ والغاية في القراءات العشر للنيسابوري ص ٢٣١.

(٢) سورة القصص: الآيتان ٤٨، ٤٩.

(٣) سورة يونس: الآية ٣٨.

كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾[1] .

وقد وصف التوراة بأن فيها نوراً وهدى للناس، فكيف يجعل النور في الإنجيل دونها؟ وقال ـ تعالى ـ :

﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴾[2] .

فقد ذكر التوراة والقرآن، وقولهم أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا[3] فبين أن الكتاب اسم جنس يتناول هنا التوراة والإنجيل كقوله ـ تعالى ـ : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ .

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾[4] .

فذكر الكتاب بلفظ المنفرد[5] ، ومعلوم أنه أراد بالذين أوتوا الكتاب من قبلنا اليهود والنصارى لا يختص ذلك بالنصارى كما قال: ﴿ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا ﴾ .

---

(١) سورة الأنعام: الآيتان ٩١، ٩٢.

(٢) سورة الأنعام: الآيات ١٥٤ ـ ١٥٦ .

(٣) سقطت (من قبلنا) من أ، س، ك وزدناها من ط.

(٤) سورة المائدة: الآية ٥ .

(٥) في ط (المفرد).

وقد[1] تبين[2] بطلان قول هؤلاء الذين يحرفون الكلم عن مواضعه، ويفسرون كلام الله ورسوله بما يعلم كل من عرف حاله من مؤمن وكافر أنه لم يرده.

وبَيَّنَ أن الله لم يرد بالكتاب الإنجيل وحده كما لم يرد بالرسل الحواريين، بل أراد بالكتاب[3] المنير ما أنزله الله[4] من الكتب كالتوراة والإنجيل، كما أراد بالرسل من أرسله الله مطلقاً كنوح وإبراهيم وموسى والمسيح ابن مريم صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين.



---

(١) في ك (فقد).

(٢) في أ (بين).

(٣) سقطت (بالكتاب) من ك.

(٤) سقط لفظ الجلالة من أ، وأثبتناه من سائر النسخ.

فصل

قالوا: وقال أيضاً:

﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾(١).

إثبات أن عند أهل الكتاب ما يُثبت صدق محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ

فيقال لهم: من المعلوم بالاضطرار، أنه ليس المراد بهذا النصارى فقط كما تقدم، بل اليهود يقرؤون الكتاب من قبلنا، والنصارى يقرؤون الكتاب من قبلنا. والكتاب اسم جنس كما تقدم نظائره في قوله: (أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا)، وقوله: (وطعام الذين أوتوا الكتاب)، وقوله: (يا أهل الكتاب)، في غير موضع، وقوله:

﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ ﴾(٢).

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل

---

(١) سورة يونس: الآية ٩٤.

(٢) سورة البينة: الآية ١.

لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[1].

وقد قال ـ تعالى ـ :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾[2].

وتناول لفظ أهل الكتاب هنا لليهود، أظهر[3] من تناوله للنصارى؛ لذكره لعنة أصحاب السبت وكذلك قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[4].

فهذا خبر عن[5] طائفة من اليهود قالوا ذلك وقال ـ تعالى ـ :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴾[6].

---

(١) سورة آل عمران: الآيات ١٨ ـ ٢٠.

(٢) سورة النساء: الآية ٤٧. وقد ذكر السيوطي في لباب النقول ص ٦٤ سبب نزول هذه الآية: «قال: أخرج ابن إسحاق، عن ابن عباس، قال: كلم رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ رؤساء أحبار اليهود، منهم عبد الله بن صوريا، وكعب بن أسيد فقال لهم: «يا معشر يهود، اتقوا الله وأسلموا، فوالله إنكم لتعلمون أن الذي جئتكم به الحق، فقالوا: ما نعرف ذلك يا محمد، فأنزل الله فيهم: ﴿يا أيها الذين أوتوا الكتاب. . .﴾ الآية».

(٣) في ط (وأظهر).

(٤) سورة آل عمران: الآية ٧٢.

(٥) سقطت (عن) من أ وزدناها من سائر النسخ.

(٦) سورة آل عمران: الآية ١٠٠.

وسبب نزولها أنه[1] أراد طائفة من اليهود إلقاء الفتنة بين المسلمين[2]. فهم داخلون قطعاً، وإن كان الخطاب مطلقاً يتناول الطائفتين.

وأمره ـ تعالى ـ بسؤال الذين يقرؤون الكتاب من قبله على تقدير الشك، لا يقتضي أن يكون الرسول شك ولا سأل، إن قيل الخطاب له، وإن قيل لغيره فهو أولى وأحرى؛ فإن تعليق الحكم بالشرط لا يدل على تحقيق الشرط، بل قد يعلق[3] بشرط ممتنع لبيان حكمه.

قال ـ تعالى ـ :

﴿ . . . وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[4].

فأخبر أنهم لو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون[5]، مع انتفاء

---

(١) سقطت (أنه) من س، ك، ط.

(٢) روى الواحدي في أسباب النزول بسنده عن عكرمة، قال: كان بين هذين الحيين من الأوس والخزرج قتال في الجاهلية. فلما جاء الإسلام اصطلحوا، وألف الله بين قلوبهم، وجلس يهودي في مجلس فيه نفر من الأوس والخزرج، فأنشد شعراً قاله أحد الحيين في حربهم فكأنهم دخلهم من ذلك. . . فنزلت هذه الآية فقرأها عليهم النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فألقوا السلاح. وصرح في رواية أخرى باسم اليهودي وهو شاس بن قيس، وكان شيخاً قد غبر في الجاهلية، عظيم الكفر. وعزاه السيوطي في لباب النقول ص ٤٨ ـ ٤٩ إلى الفريابي، وابن أبي حاتم عن ابن عباس، وإلى ابن إسحاق عن زيد بن أسلم.

وانظر: تفسير ابن جرير الطبري ٤/١٧ (مجلد ٣)؛ وتفسير ابن كثير ١/٣٨٩.

(٣) في ط (يتعلق).

(٤) سورة الأنعام: الآيات ٨٤ ـ ٨٦.

(٥) جملة (فأخبر أنهم لو أشركوا. . . إلخ) ساقطة من ك.

الشرك عنهم بل مع امتناعه لأنهم قد ماتوا؛ لأن الأنبياء معصومون من الشرك به[1].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ۝٦٤ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[2].

فهذا خطاب للجميع. وذكر هنا لفظ «إن» لأنه خطاب لموجود. وهناك خبر عن ميت وكذلك قوله: ﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل﴾، لا يدل على وقوع الشك، ولا السؤال. بل النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لم يكن شاكاً ولا سأل أحداً منهم. بل روي عنه أنه قال: «والله لا أشك ولا أسأل»[3].

---

(١) سقطت (به) من س، ك، ط.

(٢) سورة الزمر: الآيات ٦٤ ـ ٦٦.

(٣) أخرجه الإمام ابن جرير في تفسيره ١١/١١٦ (مجلد ٦) بسنده عن قتادة مرسلاً ـ قال: ذكر لنا أن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال: «لا أشك ولا أسأل» ورد ذلك عند آية يونس: ٩٤، ورواه ابن جرير بسند آخر عن قتادة. وذكره ابن كثير في تفسيره ٢/٤٣٢ بدون ذكر السند عن قتادة ثم ذكره، وقال: وكذا قال ابن عباس، وسعيد بن جبير، والحسن البصري. قال ابن كثير: وهذا فيه تثبيت للأمة، وإعلام لهم أن صفة نبيهم ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ موجودة في الكتب المتقدمة التي بأيدي أهل الكتاب. اهـ.
وانظر: تفسير الشوكاني ٢/٤٧٥؛ وأحكام أهل الذمة لابن القيم ١/١٣. وقد رجح بعض المفسرين أن الخطاب ليس للنبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وإنما هو لمن يشك من أتباعه. وهذا واضح من قول ابن كثير ـ رحمه الله ـ : «وهذا فيه تثبيت للأمة...» إلخ.

ولكن المقصود بيان أن أهل الكتاب عندهم ما يصدقك فيما كذبك فيه الكافرون.

كما قال ـ تعالى ـ في الآية الأخرى:

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾[4].

وقال:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[5].

---

(١) سورة الرعد: الآية ٤٣.

(٢) سورة الأحقاف: الآية ١٠.

(٣) سورة الشعراء: الآية ١٩٧.

(٤) سورة القصص: الآيتان ٥٢، ٥٣.

(٥) سورة الإسراء: الآيات ١٠٧ ـ ١٠٩.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾[1] .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ لَّٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ . . . ﴾[2] .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[3] .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ . . . ﴾[4] .

فالمقصود: بيان أن أهل الكتاب عندهم ما يصدقك فيما كذبك فيه الكافرون وذلك من وجوه:

أحدها: أن الكتب المتقدمة تنطق بأن موسى وغيره دعوا إلى عبادة الله وحده، ونهوا عن الشرك فكان في هذا حجة على من ظن أن الشرك دين.

ومثل هذا ـ قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾[5] .

---

(١) سورة المائدة: الآية ٨٣.

(٢) سورة النساء: الآية ١٦٢.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٧.

(٤) سورة الأنعام: الآية ٢٠.

(٥) سورة الزخرف: الآية ٤٥.

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[1].

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾[2].

الوجه الثاني: أن أهل الكتاب يعلمون أن الله إنما أرسل إلى الناس بشراً مثلهم، لم يرسل إليهم[3] ملكاً؛ فإن من الكفار من كان يزعم أن الله لا يرسل إلاَّ ملكاً أو بشراً معه ملك، ويتعجبون من إرسال بشر ليس معه ملك ظاهر كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ ﴾[4].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٢٥.

(٢) سورة النحل: الآية ٣٦.

(٣) سقطت (إليهم) من ط .

(٤) سورة الإسراء: الآيتان ٩٤، ٩٥.

عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ﴾[1] .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾[2] .

وكذلك قال الذين من بعدهم :

﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾[3] .

وكذلك قال قوم[4] فرعون لموسى وهارون :

﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾[5] .

وقال فرعون :

﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾[6] .

وكذلك قالوا لمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ و[7] قال

---

(١) سورة المؤمنون: الآيات ٢٣ ـ ٢٥.
(٢) سورة القمر: الآيتان ٢٣، ٢٤.
(٣) سورة المؤمنون: الآيتان ٣٣، ٣٤.
(٤) سقطت (قوم) من ط .
(٥) سورة المؤمنون: الآية ٤٧.
(٦) سورة الزخرف: الآيتان ٥٢، ٥٣.
(٧) سقطت (الواو) من ط .

ــ تعالى ــ :

﴿ الٓر تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ ﴾[1].

وقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝٨ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ ﴾[2].

فبيَّن ــ سبحانه ــ أنكم لا تطيقون التلقي عن الملك، فلو أنزلناه ملكاً لجعلناه في صورة بشر. وحينئذٍ كنتم تظنونه بشراً فيحصل[3] اللبس عليكم. فأمر الله ــ تعالى ــ بسؤال أهل الكتاب عمن أرسل إليهم أكان بشراً أم كان ملكاً ليقيم الحجة بذلك على من أنكر إرسال بشر، كما قال ــ تعالى ــ :

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝٧ وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ۝٨ ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ ٱلۡوَعۡدَ فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ ۝٩ ﴾[4].

وأهل الذكر هم أهل الذكر الذي أنزله[5] الله ــ تعالى ــ .

---

(١) سورة يونس: الآيتان ١، ٢.

(٢) سورة الأنعام: الآيتان ٨، ٩.

(٣) في س، ك، ط (فيجعل).

(٤) سورة الأنبياء: الآيات ٧ ــ ٩.

(٥) في أ (أنزل).

الوجه الثالث: أنهم يسألون أهل الكتاب عما جرى للرسل مع أممهم، وكيف كان عاقبة المؤمنين بهم، وعاقبة المكذبين لهم.

الوجه الرابع: يسألون أهل الكتاب عن الدين الذي بعث الله به رسله، وهو دين الإسلام الذي اتفقت عليه الرسل، كالأمر بالتوحيد، والصدق، والعدل، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والنهي عن الشرك، والظلم والفواحش.

الوجه الخامس: يسألونهم[1] عما وصفت به الرسل ربهم، هل هو موافق لما وصفه به محمد أم لا؟ وهذه الأمور المسؤول عنها متواترة عند أهل الكتاب معلومة لهم ليست مما يشكون فيه، وليس إذا كان مثل هذا معلوماً لهم بالتواتر فيسألون[2] عنه يجب أن يكون كل ما يقولونه معلوماً لهم بالتواتر.

وأيضاً فإنهم يسألون أيضاً عما عندهم من الشهادات والبشارات بنبوة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ .

وقد أخبر الله بذلك في القرآن فقال ـ تعالى ـ[3] :

﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾[4].

---

(١) في ط (يسألونه).

(٢) في أ (يسألون).

(٣) سقطت جملة (فقال تعالى) من أ.

(٤) سورة الأعراف: الآيتان ١٥٦، ١٥٧.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [1] .

فقد أخبر عن عيسى أنه صدق بـالرسـول والكتاب الـذي قبله وهو التوراة وبشر بالرسول الذي يأتي بعده وهو أحمد. قال ـ تعالى ـ :

﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ .

إلى قولـه:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ . . . ﴾ [2] .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [3] .

وقال ـ تعالى ـ عن من أثنى عليه من النصارى:

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا . . . ﴾ [4] .

---

(١) سورة الصف: الآية ٦.

(٢) سورة البقرة: الآيات ١٤٤ ـ ١٤٦.

(٣) سورة الشعراء: الآيات ١٩٢ ـ ١٩٧.

(٤) سورة المائدة: الآية ٨٣.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾(١).

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾(٢).

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾(٣).

وقال ـ تعالى ـ في سورة الأنعام :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾(٤).

---

(١) سورة الإسراء: الآيات ١٠٦ ـ ١٠٩.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١١٤.

(٣) سورة القصص: الآيات ٥١ ـ ٥٤.

(٤) سورة الأنعام: الآية ٢٠.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[1] .

والأخبار بمعرفة أهل الكتاب بصفة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عندهم في الكتب المتقدمة متواترة عنهم.

وكان قبل أن يبعث النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ تجري حروب وقتال بين العرب وبين أهل الكتاب فتقول[2] أهل الكتاب: قد قرب مبعث هذا النبي الأمي الذي يبعث بدين إبراهيم، فإذا ظهر اتَّبعناه، وقتلناهم معه شر قتلة، فلما بعث النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، كان منهم من آمن به، ومنهم من كفر به فقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ ﴾ .

أي: يستنصرون بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ على الذين كفروا:

﴿ . . . فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[3] .

ولهذا كان النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في خطابه لأهل الكتاب يقول لهم: «والله الذي لا إلّه إلاَّ هو إنكم لتعلمون أني

---

(١) سورة البقرة: الآية ٨٩.

(٢) في ط (فيقول) بالمثناة التحتية.

(٣) سورة البقرة: الآية ٨٩.

رسول الله»[1]، وكذلك من أسلم منهم كعبد الله بن سلام كان[2] يقول لغيره من أهل الكتاب: «والله الذي لا إله إلاَّ هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله»، وهذا أمر معروف في الأحاديث الصحاح المخرجة[3] في الصحيحين وغيرهما، فظهر بما ذكرناه تحريف هؤلاء لكلام الله وأنه لا حجة لهم فيما أنزل على محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كما تقدم نظائر ذلك.



(١) الحديث: ورد في صحيح البخاري (في كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ) ٤/ ٢٦٠ من حديث أنس بن مالك وهو حديث طويل وفيه قصة إسلام عبد الله بن سلام، وقوله: إن رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال لليهود: «يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلاَّ هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً وإني جئتكم بحق، فأسلموا قالوا: ما نعلمه. قال: فأي رجل فيكم عبد الله بن سلام قالوا ذاك سيدنا، وابن سيدنا، وأعلمنا وابن أعلمنا، قال: أفرأيتم إن أسلمَ؟ قالوا: حاشا لله، ما كان ليسلم (قالها ثلاثاً).
قال: يا ابن سلام أخرج عليهم، فخرج فقال: يا معشر اليهود اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلاَّ هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله، وإنه جاء بحق. فقالوا له: كذبت فأخرجهم رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ». ورواه الإمام أحمد في مسنده ٣/ ٢١١، وليس فيه قول عبد الله بن سلام. وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/ ٢٤٨ [آية ١٧١ من سورة النساء] إلى ابن إسحاق، وابن جرير، وابن المنذر والبيهقي في الدلائل، وذكر القسم الأول من الحديث وأخرجه البيهقي كاملاً في دلائل النبوة ٢/ ٢٤٨ ـ ٢٥٠، وساق له طرقاً أخرى كثيرة، والله أعلم.

(٢) في ط (وكان).

(٣) في ط (والمخرجة).

فصل

نقص دعواهم أنَّ القرآن صدق كتبهم التي بين أيديهم

قالوا: فثبت بهذا ما معنا نعم، ونفى عن إنجيلنا وكتبنا التي في أيدينا التهم والتبديل لها، والتغيير لما فيها بتصديقه[1] إياها.

فيقال: كلامكم الذي تحتجون به في هذا الموضع وغيره، إما أن يكون باطلاً محضاً، وإما أن يكون مما لبستم فيه الحق بالباطل، فإن قولكم بتصديقه إياها، إن أردتم أنه صدق التوراة والإنجيل والزبور التي أنزلها الله على أنبيائه، فهذا لا ريب فيه، فإن هذا مذكور في القرآن في غير موضع وقد أوجب على عباده أن يؤمنوا بكل كتاب أنزله وكل نبي من الأنبياء، مع إخباره أنه أنزل هذه الكتب قبل القرآن وأنزل القرآن مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَ... ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ... ﴾[3].

---

(١) في أ، س، ك (تصديقه) وصححناه من ط.

(٢) سورة آل عمران: الآيات ١ ـ ٤.

(٣) سورة المائدة: الآية ٤٨.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ﴾[1] .

وقال[2] :

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾[3] .

وقال :

﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾[4] .

وقال :

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[5] .

وقال ـ تعالى ـ[6] :

﴿ . . . ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم . . . ﴾[7] .

وقد أوجب على عباده أن يؤمنوا بجميع كتبه ورسله، وحكم بكفر

---

(١) سورة النساء: الآية ٤٧ .

(٢) في س، ك، ط (وقال تعالى)، وقد ذكر في هذه النسخ آية آل عمران الأولى وبعض الثانية.

(٣) سورة المائدة: الآية ٤٨ .

(٤) سورة فاطر: الآية ٣١.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٠١.

(٦) سقطت (تعالى) من س، ك، ط .

(٧) سورة النساء: الآية ٤٧ .

من آمن ببعض وكفر ببعض، فقال ـ تعالى ـ :

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾[1] .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ ﴾[2] .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾[3] .

فذم المفرِّق[4] بينهم بأن يؤمن ببعض دون بعض، وبيَّن أنه فضل بعضهم على بعض، فقال ـ تعالى ـ :

﴿ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ . . . ﴾[5] .

---

(١) سورة البقرة: الآيتان ١٣٦، ١٣٧ .

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨٥ .

(٣) سورة النساء: الآيات ١٥٠ ـ ١٥٢ .

(٤) في أ، س، ك (التفريق)، وما أثبتناه من ط .

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٥٣ .

فبيَّن أنه فضل بعضهم على بعض، وقال ـ تعالى ـ :

﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ . . . ﴾[1].

وقد اتفق المسلمون على ما هو معلوم بالاضطرار من دين الإسلام وهو أنه يجب الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين، وبجميع ما أنـزله[2] الله من الكتب، فمن كفر بنبي واحد تعلم نبوته مثل إبراهيم ولـوط وموسى وداود وسليمان ويونس وعيسى فهو كافر عند جميع المسلمين حكمه حكم الكفار، وإن كان مرتداً استتيب فإن تاب وإلاَّ قتل.

ومن سب نبياً واحداً من الأنبياء قتل أيضاً باتفاق المسلمين وما علم المسلمون أن نبياً من الأنبياء أخبر به فعليهم التصديق به كما يصدقون بما أخبر به محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وهم يعلمون أن أخبار الأنبياء لا[3] تتناقض ولا تختلف[4]، وما لم يعلموا أن النبي أخبر به فهو كما لم يعلموا أن محمداً أخبر به ـ صلَّى الله عليهم أجمعين ـ[5] ولكن لا[6] يكذبون إلاَّ بما علموا أنه كذب كما لا يجوز أن يصدقوا إلاَّ بما علموا أنه صدق، وما لم يعلموا أنه كذب ولا صدق لم يصدقوا به ولم يكذبوا به كما أمرهم نبيهم محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ[7] وبهذا أمرهم[8]

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٥٥.

(٢) في ك، ط (أنزل).

(٣) سقطت (لا) من س.

(٤) في ط (تخلف).

(٥) في ط (ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، عليهم أجمعين).

(٦) سقطت (لا) من ط . وهو خطأ.

(٧) في ك، ط (عليه السلام).

(٨) في س (أمر).

المسيح ـ عليه السلام ـ[1] فقال: «الأمور ثلاثة: أمر تبين رشده، فاتبعوه، وأمر تبين غيه فاجتنبوه، وأمر اشتبه عليكم فكلوه إلى عالمه»[2].



(١) في أ، س (ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ).

(٢) الحديث: أخرجه الطبراني في الكبير ١٠/٣٨٦ ـ ٣٨٧ (١٠٧٧٤) بسنده قال: حدثنا علي بن عبد العزيز، ثنا محمد بن عمار الموصلي، ثنا المعافى بن عمران، ثنا موسى بن خلف العمي، عن أبي المقدام، عن محمد بن كعب القرظي، عن ابن عباس، عن النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ أن عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ قال: الأمور ثلاثة... وذكره.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/١٥٧، كتاب العلم، باب الأمور ثلاثة: رواه الطبراني في الكبير، ورجاله موثقون.

فصل[1]

وإن أرادوا بتصديقه كتبهم أنه صدق ما هم عليه من العقائد والشرائع التي ابتدعوها بغير إذن من الله وخالفوا بها ما تقدمه من[2] شرائع المسلمين أو خالفوا بها الشرع الذي بعث به مثل القول بالتثليث والأقانيم، والقول بالحلول والاتحاد بين اللاهوت والناسوت، وقولهم أن المسيح هو الله وابن الله وما هم عليه من إنكار ما يجب الإيمان به من الإيمان بالله واليوم الآخر، ومن تحليل ما حرمه الله ورسله كالخنزير وغيره وبين أنهم لا يدينون بدين الحق الذي أنزل به كتابه وأرسل به رسوله بل بدين مبتدع ابتدعه لهم أكابرهم كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ... ﴾[3].

---

(١) كلمة «فصل» هنا في غير موضعها لأنها بين كلام موصول.

(٢) في ط (مع) بدل (من).

(٣) سورة التوبة: الآية ٣١.
والأحبار: جمع حبر، وهو الذي يحسن القول، وينظمه، ويتقنه بحسن البيان عنه، ومنه ثوب محبر أي: جمع الزينة، وقيل في واحد الأحبار: حبر. بكسر الحاء، والمفسرون على فتحها، وأهل اللغة على كسرها. وحبر بالفتح تعني عالم، وبالكسر: مداد. والرهبان: جمع راهب مأخوذ من الرهبة، والرهبان: علماء النصارى وهم المنقطعون للعبادة، المتبتلون، الذين تركوا الزواج والعمل. والأحبار كثر إطلاقه على علماء اليهود. انظر تفسير القرطبي ١٢٠/٨ (مجلد ٤) وفتح القدير ٣٥٣/٢.

وقد بين النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ ذلك لعدي بن حاتم[1] وكان نصرانياً لما جاءه ليؤمن به وقد آمن به عدي وكان من خيار الصحابة فسمعه يقرأ هذه الآية:

﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[2].

قال عدي: قلت يا رسول الله ما عبدوهم.

قال: «إنهم أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم[3] فكانت تلك عبادتهم إياهم»[4].

---

(1) عدي بن حاتم الطائي، أبو وهب ابن حاتم الجواد المشهور أمير، صحابي من الأجواد والعقلاء كان رئيس طيء في الجاهلية، والإسلام. أسلم سنة ٩هـ وكان نصرانياً وشهد فتح العراق، وموقعة صفين وفيها فقئت عينه، روى ستة وستين حديثاً. ومات رضي الله عنه سنة ٦٨هـ بالكوفة وله أكثر من مئة سنة.
انظر: الإصابة لابن حجر ٢/٤٦٠ (٥٤٧٧)؛ والاستيعاب هامش الإصابة ٣/١٤٠؛ وتاريخ خليفة بن خياط ص ٣٣٣؛ والأعلام ٤/٢٢٠.

(2) سورة التوبة: الآية ٣١.

(3) سقطت (فأطاعوهم) من ك، ط.

(4) الحديث: رواه الترمذي ـ مختصراً ـ في التفسير، تفسير سورة التوبة ٥/٢٧٨ (٣٠٩٥) ثم قال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث.

قلت: عبد السلام بن حرب النهدي، الملائي. بضم الميم، وتخفيف اللام، قال عنه ابن حجر في تقريب التهذيب ١/٥٠٥ «ثقة حافظ، له مناكير، مات سنة ٨٧هـ».

وأما غطيف بن أعين الشيباني الجزري. فهو ضعيف كما قال ابن حجر ٢/١٠٦ =

فإن أرادوا بتصديقهم[1] في هذه الأمور أو أن محمداً ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ صدق ما عندهم مما لم يأت به الأنبياء عن الله فقد كذبوا على محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم[2] ــ كذباً ظاهراً معلوماً بالاضطرار من دينه وإنما صدق ما جاءت به الأنبياء قبله.

وأما ما أحدثوه وابتدعوه فلم يصدقوه كما أنه لم يشرع لهم أن يستمروا على ما هم عليه من الشرع الأول ولو لم يكن مبدلاً بل دعاهم وجميع الإنس والجن إلى الإيمان به وبما جاء به واتباع ما بعث به من الكتاب والحكمة، وحكم بكفر كل من لم يتبع كتابه المنزل عليه، وأوجب مع خلودهم في عذاب الآخرة جهادهم في الدنيا حتى يكون الدين كله لله وحتى تكون كلمة الله هي العليا.

وقد دعا أهل الكتاب من اليهود والنصارى عموماً ثم كلا من الطائفتين خصوصاً في غير موضع مع دعاته الناس كلهم: أهل الكتاب، وغيرهم كقوله ــ تعالى ــ :

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ

= تقريب التهذيب وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال ٣/٣٣٦ بالضاد المعجمة وقال: ضعفه الدارقطني وقد أخرج الحديث الإمام أحمد في مسنده من طريقين. لكن في إحداهما رجل مجهول ٤/٣٧٨، ٢٥٧. ورواه ابن جرير الطبري من عدة طرق ١٠/١١٤ (تفسير) وانظر: سيرة ابن هشام ٤/١٦٨؛ وتفسير ابن كثير ٢/٣٤٨ ــ ٣٤٩؛ وتفسير القرطبي ٨/١٢٠ (مجلد ٤)؛ وفتح القدير للشوكاني ٢/٣٥٥؛ والدر المنثور للسيوطي ٣/٢٣٠ ــ ٢٣١ وقال محقق جامع الأصول (الأرناؤط) ٢/هامش ١٦١: «لكن في الباب عن حذيفة موقوفاً أخرجه الطبري برقم (١٦٦٣٤) ربما يتقوى به».

(١) في ط زيادة لفظ (كتبهم).

(٢) سقطت جملة (صلَّى الله عليه وسلَّم) من س.

ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(١).

وقال ــ تعالى ــ يخاطب النصارى:

﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾(٢).

---

(١) سورة الأعراف: الآيات ١٥٦ ــ ١٥٨.

(٢) سورة النساء: الآيات ١٧١ ــ ١٧٣.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ . . . ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾[2].

أخبر ـ سبحانه ـ أن النصارى تركوا حظاً مما ذكرهم به، وبسبب ذلك أغرى بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة، فعلم أنه ـ سبحانه ـ بين أنهم تركوا بعض ما جاء به المسيح ومن قبله من الأنبياء، واستحقوا لذلك أن يغري بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[3].

فنهاهم عن الغلو في دينهم وعن اتباع أهواء الذين ابتدعوا بدعاً غيروا بها شرع المسيح، فضلوا من قبل هؤلاء الأتباع وأضلوا كثيراً من هؤلاء الأتباع وغيرهم، وضلوا عن سواء السبيل وهو وسط السبيل بين الضلال وقيده بعد أن أطلقه وأجمله.

---

(١) سورة المائدة: الآية ١٧ وآية ٧٢ من نفس السورة.

(٢) سورة المائدة: الآية ١٤.

(٣) سورة المائدة: الآية ٧٧.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾[1].

وقد خرج النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لقتالهم بنفسه عام تبوك واستنفر لقتالهم جميع المؤمنين، و[2]لم يأذن لأحد من القادرين على الغزو في التخلف، ومن تخلف لأنه لم ير قتالهم واجباً كان كافراً، وإن أظهر الإسلام كان منافقاً ملعوناً، بين الله أنه لا يغفر لهم ونهى نبيه عن الصلاة عليهم وأنزل في ذلك جمهور سورة براءة بالنقل المتواتر حتى بين كفر الذين استأذنوه في ترك الخروج معه لقتال النصارى:

قال ـ تعالى ـ :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْآخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

---

(١) سورة التوبة: الآية ٢٩.

(٢) سقطت الواو من أ، س، ك.

ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ
لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ
بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ
أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ
لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا
يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ
يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ
ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا
زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ
وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ
حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾(1).

• • •

(1) سورة التوبة: الآيات ٣٨ ـ ٤٨.

فصل[1]

فتبيَّن أن قولهم: فثبت بهذا ما معنا[2] نعم ونفي عن إنجيلنا وكتبنا التي في أيدينا التهم والتبديل لها والتغيير لما فيها بتصديقه إياها.

إن[3] أرادوا[4] به أنه ثبت ما جاءت الأنبياء قبله عن الله، فهذا حق.

وإن أرادوا به[5] أنه ثبت ما هم عليه بعد مبعثه من الشرع الذي خالف شرعه أو ما ابتدعوه[6] مما لم يأت به الأنبياء ـ عليهم السلام ـ قبله فهذا باطل.

وإن أرادوا بذلك[7] أنه صدَّق ألفاظ الكتب التي بأيدينا: أي التوراة والإنجيل فهذا مما يسلمه لهم بعض المسلمين، وينازعهم فيه أكثر المسلمين، وإن كان أكثر ذلك مما يسلمه أكثر المسلمين.

فأما تحريف معاني الكتب بالتفسير، والتأويل، وتبديل أحكامها

---

(١) في جميع النسخ أثبتت هذه الكلمة (فصل) وهي في غير موضعها كما سبق الإشارة إلى نظيرها.

(٢) في ط (معناه).

(٣) سقطت (إن) من س.

(٤) في ط (أراد).

(٥) سقطت (به) من س، ك، ط.

(٦) في أ (ومما).

(٧) سقطت (بذلك) من ط.

فجميع المسلمين واليهود، والنصارى يشهدون عليهم بتحريفها وتبديلها، كما يشهدون هم والمسلمون على اليهود، بتحريف كثير من معاني التوراة، وتبديل أحكامها، وإن كانوا هم واليهود يقولون: إن التوراة لم تحرف ألفاظها.

وحينئذ فلا ينفعهم بقاء حروف الكتب عندهم مع تحريف معانيها، إلا كما ينفع اليهود بقاء حروف التوراة والنبوات عندهم مع تحريف معانيها، بل جميع النبوات التي يقرون بها هي عند اليهود، وهم مع اليهود ينفون عنها التهم والتبديل لألفاظها مع أن اليهود عندهم من أعظم الخلق كفراً، واستحقاقاً لعذاب الله في الدنيا والآخرة وهم عند النصارى الذين يكفرون المسلمين أكثر من هؤلاء وشر منهم؛ فإن النصارى متفقون على أن المسلمين خير من اليهود، وكذلك اليهود متفقون على أن المسلمين خير من النصارى بل جميع الأمم المخالفين للمسلمين يشهدون أن المسلمين خير من سائر الأمم[1] والطوائف إلا أنفسهم، وشهادتهم لأنفسهم لا تقبل فصار هذا اتفاق أهل الأرض على تفضيل دين الإسلام.

فعلم أن بقاء حروف الكتاب مع الإعراض عن اتباع معانيها، وتحريفها لا يوجب إيمان أصحابها ولا يمنع كفرهم.

وحينئذ فليس شهادة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وأمته للمسيح ـ عليه السلام ـ ولما أنزل عليه من الإنجيل في تثبيت ما عند النصارى بأعظم من شهادة المسيح ـ عليه السلام ـ ، والحواريين، وسائر من اتبعه لموسى ولما أنزل عليه من التوراة في تثبيت ما عند

---

(١) سقطت (الأمم) من س، ك، ط.

اليهود، فإن المسيح أمر أتباعه باتباع التوراة إلا القدر اليسير الذي نسخه منها.

وأما محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فبعث بكتاب مستقل، وشرع مستقل كامل تام لم يحتج معه إلى شرع سابق تتعلمه أمته من غيره، ولا إلى شرع لاحق يكمل شرعه، ولهذا قال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ في الحديث الصحيح: «أنه[1] قد كان في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي أحد[2] فعمر»[3].

فجزم أن[4] من كان قبله كان فيهم محدثون وعلق الأمر في أمته، وإن كان هذا المعلق قد تحقق لأن أمته، لا تحتاج بعده إلى نبي آخر، فلأن لا تحتاج معه إلى محدث ملهم أولى وأحرى.

---

(١) في أ، س، ك (أنه قال)، وقال زائدة.

(٢) سقطت (أحد) من أ.

(٣) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة في كتاب الأنبياء ١٤٩/٤ بلفظ أنه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون، وأنه إن كان في أمتي هذه منهم فأنه «عمر بن الخطاب»؛ ورواه في كتاب أصحاب النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ باب مناقب عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ٢٠٠/٤؛ ورواه مسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل عمر ـ رضي الله عنه ـ من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ ١٨٦٤/٤ (٢٣) وزاد فيه (قال ابن وهب: تفسير محدثون ملهمون)، ورواه الترمذي في المناقب، باب في مناقب عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ٦٢٢/٥ (٣٦٩٣) من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ ، وأحمد في مسند أبي هريرة ٣٣٩/٢، وفي مسند عائشة ٥٥/٦. وعلق الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي على كلمة (محدثون) فقال: «اختلف تفسير العلماء للمراد بمحدثون فقال ابن وهب: ملهمون. وقيل: مصيبون، إذا ظنوا فكأنهم حدثوا بشيء فظنوه. وقيل: تكلمهم الملائكة. وقال البخاري: يجري الصواب على ألسنتهم».
انظر تعليقه في: صحيح مسلم ١٨٦٤/٤.

(٤) في س، وهامش ك، ط (بأن).

وأما من كان قبله فكانوا[1] يحتاجون إلى نبي بعد نبي فأمكن حاجتهم إلى المحدثين الملهمين ولهذا إذا نزل[2] المسيح بن مريم في أمته لم يحكم فيهم إلا بشرع محمد ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ ، وإذا كان مع هذا فشهادة[3] المسيح، والحواريين، وكل من آمن بالمسيح للتوراة بأنها حق، ولموسى بأنه رسول لا يمنع كفر اليهود لكونهم بدلوا شرع التوراة، وكذبوا بالمسيح وبالإنجيل.

فكيف تكون شهادة محمد وأمته للإنجيل بأنه منزل من عند الله، وللمسيح بأنه رسول الله مانعة من كفر النصارى مع تبديلهم شرع الإنجيل وتكذيبهم بمحمد ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ ، وشرع القرآن؟.

وأما إيمان من يؤمن منهم بأن محمداً رسول الله إلى العرب أو بكثير مما جاء به القرآن، فلا يمنع كفرهم إذا كفروا ببعض ما جاء به، بل من كذب بشيء مما جاءت به الرسل عن الله فهو كافر، وإن آمن بأكثر ما جاءت به الرسل كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴾[4].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن

---

(١) في ط (فإنهم كانوا).
(٢) في ط، (أنزل).
(٣) في أ ، س (شهادة).
(٤) سورة النساء :الآيتان ١٥٠، ١٥١.

يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾[1] .

وقد صرح بكفر النصارى في غير موضع وأمر بجهادهم وقتالهم، وحكم بكفر من لا يوجب جهادهم وقتالهم أو لا يرى ذلك عبادة لله وطاعة له كما تقدم التنبيه على ذلك، فإذا كان من لا يرى جهادهم عبادة لله، كافراً عند محمد ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ فكيف حالهم عنده صلّى الله عليه وسلّم ؟.



(١) سورة البقرة: الآية ٨٥.

فصل

ردّ دعواهم تناقض خبر الأنبياء السابقين مع ما أخبَرَ به محمد صلى الله عليه وسلم

وإذا تبيَّن للخاصة والعامة ممن آمن بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ومن[1] كفر به أنه كان مصدقاً لما بين يديه من الكتب، والأنبياء، مصدقاً للتوراة والإنجيل شاهداً بأن موسى ـ عليه السلامُ ـ، ومن كان متبعاً له على الحق، وأن المسيح ـ عليه السلام ـ ومن اتبعه على الحق، وإن كان يكفر جميع اليهود، والنصارى، وغيرهم ممن بلغته رسالته، ولم يؤمن به، وشهد عليهم بأنهم حرفوا كثيراً من معاني التوراة والإنجيل قبل نبوته، وأن أهل الكتاب كلهم مع[2] المسلمين يشهدون أيضاً بأن كثيراً[3] من معاني التوراة، والإنجيل حرفها كثير من أهل الكتاب، لم يجز لأحد من أهل الكتاب أن يحتج بقول محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ على صحة دينهم الذي شهد محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بأنه باطل مبدل منسوخ وأهله من أهل النار كما تقدم بسطه[4].

وإذا قالوا: نحن نذكر ذلك لنبين تناقضه حيث صدقها، وهي تناقض بعض ما أخبر به، أو لنبين أن ما أخبرت به الأنبياء قبله يناقض خبره فيكون ذلك قدحاً فيما جاء به.

---

(١) سقطت (من) من أ وزدناها من سائر النسخ.

(٢) في ط (من) بدل (مع). وهو خطأ.

(٣) في أ (كثير) وصححناه من سائر النسخ.

(٤) بسط ذلك في أول الكتاب، وانظر: ٣٨/١ من ط (المدني).

أجاب المسلمون عن هذا بعدة طرق:

أحدها: أن يقولوا: أما مناقضة بعض خبره لبعض كما يزعمه هؤلاء من أن[1] كتابه يمدح أهل الكتاب مرة ويذمهم أخرى وأنه يصدق الكتب المنزلة تارة، ويذمها أخرى، فهذا قد ظهر بطلانه، فإنه إنما مدح من اتبع موسى، والمسيح على الدين الذي لم يبدل ولم ينسخ.

وأما من اتبع الدين المبدل المنسوخ فقد كفره.

فأما دعواهم مناقضة خبره لخبر غيره فيقال: هو مصدق للأنبياء فيما أخبروا به.

وأما ما بدل[2] من ألفاظهم أو غيرها[3] بالترجمة أو فسر بغير مرادهم فلم يصدقه. ويقال أيضاً: إن نبوة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ تثبت[4] بمثل ما تثبت به نبوات الأنبياء قبله وبأعظم من ذلك، كما قد بسط في موضع آخر[5]، وبُيِّن أن التكذيب بنبوة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مع التصديق بنبوة غيره في[6] غاية التناقض والفساد، وأنه ما من طريق يعلم بها نبوة غيره إلَّا[7] ونبوته تعلم بمثل[8] تلك الطريق، وبأعظم منها. فلو لم تكن نبوته وطريق[9] ثبوتها[10] إلَّا

(١) في س (أهل) بدل (أن).
(٢) في ط (يدل) بالمثناة التحتية وهو خطأ.
(٣) في أ، س، ك (أو غير).
(٤) في ط (ثبتت).
(٥) انظر: ٣٣٤/١ من ط (المدني).
(٦) في س، ك، ط (فمن).
(٧) في س، ك (والَّا).
(٨) في س (مثل).
(٩) في س، ك، ط (بطريق).
(١٠) في س، ك، ط (نبوتها).

مثل نبوة غيره وطريق ثبوتها[1] لوجب التصديق بنبوته كما وجب التصديق بنبوة غيره؛ ولكان تكذيبه كتكذيب إبراهيم وموسى وغيرهما من الرسل. فكيف إذا كان ذلك[2] أعظم من وجوه متعددة؟

وحينئذٍ، فالأنبياء كلهم صادقون مصدقون معصومون فيما يخبرون به[3] عن الله لا يجوز أن يثبت في خبرهم عن الله خبر باطل، لا عمداً ولا خطأً، فلا يجوز أن يخبر أحدهم بخلاف ما أخبر به غيره، بل ولا يفترقون في الدين الجامع كما قال ـ تعالى ـ :

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾[4].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[5].

وإنما يقع النسخ في بعض الشرائع كما يقع النسخ في شريعة الرسول الواحد وحينئذٍ فيعلم أن كل ما ينقل عن الأنبياء المتقدمين مما يناقض[6] ما علم من أخبار محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فهو باطل. سواء كان اللفظ نفسه باطلاً لم يقله ذلك النبي أو قد قال لفظاً وغلط

---

(١) في س، ك، ط (نبوتها).

(٢) سقطت (ذلك) من ط .

(٣) سقطت (به) من س، ك، ط .

(٤) سورة الشورى: الآية ١٣ .

(٥) سورة المؤمنون: الآيات ٥١ ـ ٥٣.

(٦) في ط (ينقض).

المترجمون لـه من لغة إلى لغـة، أو كان اللفظ وتـرجمته صحيحين لكن وقع الغلط في معرفة مراد ذلك النبي[1] بذلك الكلام.

فـإن كـل مـا يحتـج بـه من الألفـاظ المنقـولـة عن الأنبيـاء أنبيـاء بني إسرائيل وغيرهم ممن أرسل بغيـر اللغة العـربية لا بـد في الاحتجاج بألفاظه من هذه المقدمات أن يعلم اللفظ الذي قاله ويعلم ترجمته ويعلم مراده بذلك اللفظ[2].

والمسلمون وأهل الكتـاب متفقون على وقـوع[3] الغلط في تفسير بعض الألفـاظ وبيان مـراد الأنبياء بهـا وفي ترجمـة بعضها؛ فـإنك تجـد بالتوراة عدة نسخ مترجمة وبينهـا فروق يختلف[4] بهـا المعنى المفهوم، وكذلك في الإنجيل وغيره فهذا الطريق في الجواب طريق عـام لكل من آمن بمحمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ وشهد أنه رسول الله باطناً وظاهـراً يخاطب به كـل يهودي ونصـراني على وجه الأرض. وإن لم يكن عـارفاً بمـا عند أهـل الكتاب فـإنه لا يقـدر أحد من أهـل الأرض يقيم[5] دليـلاً صحيحاً على نبوة مـوسى وعيسى وبطلان نبـوة محمد ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ ، فإن هذا ممتنـع لذاتـه. بل ولا يمكنـه أن يقيم دليلاً صحيحـاً على نبوة أحدهمـا إلاَّ وإقامـة مثل ذلـك الدليـل أو أعظم منـه على نبـوة محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ أولى. وحينئذٍ فلا يمكن أحـداً من أهل

---

(١) في س (الشي) وهو تصحيف.

(٢) أشار ــ رحمه الله ــ إلى هذه المقدمات في أول الكتاب عندما بـدأ مناقشتـه لهم في دعواهم خصوصية رسالة محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ ، بالعرب وحدهم.

(٣) في ط (وقع).

(٤) سيأتي توضيح لهذه المسألة فيما بعد إن شاء الله.

(٥) في ط (أن يقيم).

الكتاب أن يحتج بشيء من المنقولات عن الأنبياء المخالفة لما ثبت عن محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، سواء أقر بنبوته أو أنكرها، بل إن احتج بشيء مما نقل عن محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، بيِّن له بطلان احتجاجه به وأنه حجة عليه، لا له.

وإن احتج بشيء من المنقول عن غيره من الأنبياء ـ عليهم السلام ـ طولب بتقدير نبوة ذلك النبي مع تكذيب محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وإلَّا فبتقدير أن ينقل عن اثنين ادعيا النبوة وأتيا بالآيات التي تثبت بها النبوات خبران متناقضان لا يجوز تصديق هذا وتكذيب ذاك إن لم يتبيَّن ما يدل على صدق هذا وكذب هذا، وكذلك إذا عورض أحدهما بجنس ما يعارض الآخر.

وهذا لا يرد على المسلمين إذا ردوا ما يحتج به أهل الكتاب مما ينقلونه عن الأنبياء مخالفاً لخبر ـ محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ؛ فإن المسلمين لا يطعنون في نبوة[1] أحد من الأنبياء المعروفين، وإنما يطعنون في أنهم أخبروا بما يخالف خبر محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، فإن ذلك لا يثبت. أي لم يثبت اللفظ والترجمة، وتفسير اللفظ. وهذه المقدمات يمتنع[2] أن تقوم على شيء يخالف خبر محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لا جملة ولا تفصيلاً.

فأهل[3] الكتاب يطالبون فيما يعارضون به بثلاث مقدمات:

أحدها[4]: تقدير أن أولئك صادقون، ومحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كاذب.

---

(١) في س (قبره) وهو تصحيف ظاهر.
(٢) في ط (تمتنع) بالمثناة الفوقية.
(٣) في س (وأهل).
(٤) في ط (أحدهما) وهو خطأ.

والثاني: ثبوت ما أتوا به لفظاً.

والثالث: معرفة[1] المراد باللفظ ترجمة وتفسيراً. وإن قال الكتابي[2] للمسلم: أنت توافقني على نبوة هؤلاء المتقدمين. إجابة المسلم بوجوه:

منها أن يقول: إني لم أوافقك على نبوة واحد منهم مع التكذيب بمحمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بل دين المسلمين كلهم، أنه من آمن ببعض الأنبياء وكفر ببعض فهو كافر، فكيف بمن كفر بمن هو عند المسلمين أفضل الأنبياء وخاتمهم، بل قد يقول له أكثر المسلمين: نحن لم نعلم نبوة أولئك إلَّا بأخبار محمد، أنهم أنبياء، فلو قدحنا في الأصل الذي قد علمنا[3] به نبوتهم لزم القدح في نبوتهم، والفرع إذا قدح في أصله دل على فساده في نفسه، سواء قدر أصله صحيحاً أو فاسداً؛ فإنه إن كان أصله فاسداً فسد هو، وإن كان أصله صحيحاً وهو يناقضه بطل هو، فإنه إن كان أصله فاسداً فسد هو، وإن كان أصله صحيحاً وهو يناقضه بطل هو، فهو إذاً ناقض أصله[4] باطل على كل تقدير.

وكذلك إذا قال له الكتابي: قد اتفقنا على تصديق موسى والتوراة، و[5]المسيح والإنجيل.

قال له المسلم: إنما وافقتك على تصديق موسى وعيسى اللذين

---

(١) في ط (بمعرفة).

(٢) سقطت (الكتابي) من ك.

(٣) في س (علمت).

(٤) في أ(بان أصله) وقد علق على كلمة (بان) في الهامش فقال: «كأنها زائدة أو يكون بأن ما مضى: تبين، بمعنى ظهر ويكون (أن) ولكن سقطت والله أعلم».

(٥) في س، ك، ط (أو).

بشَّرا، بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، كما أخبرنا به محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عن الله حيث قال الله ـ تعالى ـ :

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ . . .﴾[1] الآية.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ . . .﴾[2].

إلى أمثال ذلك.

فأما الإيمان بموسى، الذي[3] ذكر أن شريعته مؤيدة لا ينسخ منها شيء، أو بمسيح ادعى أنه الله أو أن الله اتحد به أو حل فيه، ونحو ذلك مما يدعيه أهل الكتاب في الرسولين، والكتابين، ويخالفهم فيه المسلمون، فهذا من موارد النزاع، لا من مواقع الإجماع، فليس لأحد من أهل الكتاب أن يحتج على أحد من المسلمين بموافقته له على ذلك.

ومن تمام ذلك أن يقول المسلم: نعم أنا أقر بنبوة موسى والمسيح، وإن التوراة والإنجيل كلام الله، لكن يمتنع عقلاً الإقرار بنبوة واحد من هؤلاء، دون نبوة محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، فإن

---

(١) سورة الأعراف: الآيتان ١٥٦، ١٥٧.

(٢) سورة الصف: الآية ٦.

(٣) سقطت (الذي) من ك.

البراهين، والآيات، والأدلة الدالة على صدق موسى والمسيح تـدل على نبـوة محمـد ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ بـطريق الأولى، فلو[1] انتقضت تلك الأدلة لزم فسادها، وأن لا أصدق بأحد من الأنبياء، وإن كـانت حقاً لـزم تصـديقهم كلهم، فلزم[2] إمـا[3] أن نصـدقهم[4] كلهم، وإمـا أن نكذبهم[5] كلهم، ولهذا كان من آمن ببعض، وكذب ببعض كافراً.

ومن الأجوبة للمسلمين أن يقولوا: نحن نصدق الأنبياء المتقـدمين في كـل ما أخبـروا به لكن من نقـل عنهم أنهم أخبروا بمـا ينـاقض خبـر محمـد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فـلا بد لـه من مقدمتين، ثبـوت ذلـك اللفظ عن الأنبيـاء، والعلم بمعناه الـذي يعلم أنه منـاقض للمعنى الذي علم أن محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ عناه، ثم العلم باللفظ يحتـاج مع الخطاب بغيـر ألسن الأنبياء العـربية سـواء كانت عـربية، أو روميـة، أو سريانية، أو قبطية، إلى أن يعرف أن هذا اللفظ الذي تـرجم به لفـظه مطابق للفظه، ويمتنـع ثبوت المقـدمتين، لأن في ثبوتهمـا تناقض الأدلـة العلمية، والأدلة العلمية لا تتناقض[6].

الطريق[7] الثاني: أن يقول المسلمون: مـا تذكـرونه من المنقـول عن الأنبياء، مناقضة لما أخبر به محمـد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أمـور لم تعلم صحتها، فلا[8] يجوز اعتقاد ثبوتها، والجـزم بها، ولـو لم يعلم

---

(١) في ك (ولو).
(٢) سقطت (فلزم) من س.
(٣) سقطت (إما) من ك.
(٤) في ك، ط (أصدقهم) وفي س (صدقهم).
(٥) في س، ك، ط (أكذبهم).
(٦) في ك (تناقض).
(٧) سقط (الطريق) من ك.
(٨) في ك، ط (ولا).

أن محمداً ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ ، أخبر بخلافها فكيف إذا علم أنه أخبر بخلافها؟ وذلك أن العلم بثبوتها مبني على مقدمات:

أحدها: العلم بنبوتهم[1] وهذا ممتنع مع تكذيب محمد ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ .

والثانية: أنهم قالوا: هذه الألفاظ، وهذا يحتاج إلى إثبات تواتر هذه الألفاظ عن الأنبياء، ولم يثبت أنها تواترت عنهم.

والثالثة: أن معناها، هو المعنى المناقض لخبر محمد ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ ، ولم يعلم ذلك.

وكل واحدة من هذه المقدمات تمنع[2] العلم بثبوت هذه المعاني المناقضة لخبر محمد ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ فكيف إذا اجتمعت؟

وهي تمنع العلم بصحتها، ولو لم تناقض خبر محمد ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ فكيف إذا ناقضته؟

الطريق الثالث: طريق من يبيِّن[3] أن ألفاظ هذه الكتب لم تتواتر، ويثبتون ذلك بانقطاع تواتر التوراة[4]، لما خرب بيت المقدس، وانقطاع تواتر الإنجيل في أول الأمر.

الطريق الرابع: طريق من يبيِّن أن بعض ألفاظ الكتب حرفت،

---

(١) في ط (بنبوتها).

(٢) في ك، ط (يمنع) بالمثناة التحتية.

(٣) في ك، ط (يتبين).

(٤) في جميع النسخ بعد كلمة (التوراة) جملة زائدة لا مكان لها وهي (ويسط الأمر)، وأرى أن مكانها في آخر الجملة مع إضافة كلمة (يأتي) وسيتحدث عن ذلك بعد قليل.

ويقيم الأدلة الشرعية، والعقلية على تبديل بعض ألفاظها.

الطريق الخامس: أن يبيِّن أن الألفاظ التي بأيديهم لا تناقض ما أخبر به محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بل تدل على صدق محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ويتكلم على تفسير تلك الألفاظ بأعيانها.

وهذه الطريق[١] يسلكها من لا ينازع في ثبوت الألفاظ من المسلمين.

وأما الجمهور الذين يقولون بتبديل هذه الألفاظ فيسلكون هذه الطريق[٢]، ويسلكون أيضاً بيان عدم تواتر الألفاظ، بل بيان التبديل في ألفاظها.



(١) في س، ط (الطرق) والصواب ما أثبتناه.

(٢) في ك، ط (الطرق).

فصل[1]

وقوع التبديل في ألفاظ التوراة والإنجيل، وانقطاع سندهما

ومن حجة الجمهور الذين يمنعون أن تكون جميع ألفاظ هذه الكتب المتقدمة الموجودة عند أهل الكتاب منزلة من عند الله، لم يقع فيها تبديل، ويقولون: إنه وقع التبديل في بعض ألفاظها، و[2]يقولون: إنه لم يعلم أن ألفاظها منزلة من عند الله، فلا يجوز أن يحتج بما فيها من الألفاظ في معارضة ما علم ثبوته أنهم قالوا: التوراة والإنجيل الموجودة اليوم بيد أهل الكتاب لم تتواتر عن موسى، وعيسى ــ عليهما السلام ــ أما التوراة فإن نقلها انقطع لما خرب بيت المقدس أولاً، وأجلى منه بنو إسرائيل، ثم[3] ذكروا أن الذي أملاها عليهم بعد ذلك شخص واحد يقال له عزرا[4](*)، وزعموا أنه نبي.

---

(١) مكانه بياض في ك.

(٢) في س، ك، ط (أو).

(٣) في س (ثم قد ذكروا).

(٤) هو عزرا بن سرايا من نسل هارون، كاتب، وكاهن ماهر في العقائد الإسرائيلية ويذكر السموأل في إفحام اليهود ص ٥٠ ــ وهو من اليهود الذين أسلموا ــ أن هذا الرجل هو الذي جمع التوراة الموجودة بعد الغزو البابلي من محفوظاته ومن الكهنة وليست التوراة الأصلية.

(*) وينبغي أن نعلم هذه الحقائق فيما يتعلق بهذه المسألة:
أولاً: التوراة الأصلية مبرأة من التحريف والزيادة والنقصان.
ثانياً: استفاض عند علماء اليهود أن موسى ــ عليه السلام ــ أعطى التوراة الأصلية للهارونيين فقط، وأما بني إسرائيل عامة فإنه لم يعطهم التوراة خشية الاختلاف والانقسام. وإنما أبدى لهم نصف سورة لتكون شاهدة عليهم ولا تنسى من أفواه أولادهم كما ورد. =

ومن النـاس من يقول: إنـه لم يكن نبياً، وإنهـا قـوبلت بنسخـة، وجدت[1] عتيقة.

وقـد[2] قيل: إنـه أحضـرت نسخـة كـانت بـالمغـرب، وهـذا كله لا يـوجب تواتـر جميع ألفـاظها، ولا يمنـع وقوع الغلط في بعضهـا كمـا يجـري مثل ذلـك في الكتب التي يلي نسخهـا ومقـابلتهـا[3]، وحفـظهـا القليل. الاثنان والثلاثة.

= ثالثاً: عنـدما غـزا بختنصر ملك بـابل بني إسـرائيل أحـرق هيكلهم وقتل الهـارونيين واستولى على بيت المقدس، وأحـرق كتبهم فانقـطع السند بـذلك، وذهبت التـوراة الأصلية.

رابعاً: لما رجع بنو إسرائيل ورأى عزرا حالتهم، وتفرقهم، قرر أن يجمـع لهم كتابـاً يجتمعون عليه، فكتب التوراة من محفوظاته، وجمع ما تبقى عند الكهنة، فخـرجت التوراة الموجـودة في صورتهـا المحرفـة، والتي كانت من جمـع هذا الـرجل الـذي وصفه السموأل بأنه رجل فارغ، جاهل بالصفات الإلَهية فلذلك نسب إلى الله تعـالى مـا لا يليق به، مثـل الندم على مـا مضى، والإقلاع عن مثله. تعـالى الله علواً كبيـراً وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَـابَ بِأَيْـدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُـونَ هَٰذَا مِنْ عِنْـدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِـهِ ثَمَناً قَلِيْـلاً فَـوَيْـلٌ لَهُمْ مِمَّـا كَتَبَتْ أَيْـدِيهِمْ وَوَيْـلٌ لَهُمْ مِمَّـا يَكْسِبُونْ﴾ [البقرة: ٧٩].

انـظر: إفحام اليهـود ص ٥٠ ـ ٥١؛ وهدايـة الحيارى ٥٨٣ ـ ٥٨٤ (المجمـوع)؛ وكتاب شفاء الغليل فيما وقع في التوراة والإنجيل من التبديـل للجويني ص ٣١ فمـا بعدها بتحقيق الدكتور السقا؛ والتراث الإسـرائيلي للدكتور صـابر طعيمـة ص ٧٠ ـ ٧٦.

أما الأناجيل: فإنها كتبت بعد المسيـح ـ عليه السـلام ـ لتحدث النـاس عما أحـاط بـولادة عيسى ـ عليه السـلام ـ من العجائب والغـرائب، وتحكي تـاريخـاً، وسيـرة للسيد المسيح.

(١) في ك، ط (وجدوها).

(٢) سقطت (قد) من ك، ط.

(٣) في س، ك (ومقابلها).

وأما الإنجيل الذي بأيديهم فهم[1] معترفون بأنه لم يكتبه المسيح ـ عليه السلام ـ ولا أملاه على من كتبه، وإنما أملوه[2] بعد رفع المسيح «متى» و«يوحنا» ـ وكانا قد صحبا المسيح، ولم يحفظه خلق كثير يبلغون عدد التواتر ـ و«مرقس» و«لوقا»، وهما لم يريا المسيح ـ عليه السلام ـ ، وقد ذكر هؤلاء أنهم ذكروا بعض ما قاله المسيح، وبعض أخباره، وأنهم لم يستوعبوا ذكر أقواله، وأفعاله.

ونقل اثنين، وثلاثة، وأربعة يجوز عليه[3] الغلط، لا سيما، وقد غلطوا في المسيح نفسه حتى اشتبه عليهم بالمصلوب، ولكن النصارى يزعمون أن الحواريين رسل الله مثل عيسى بن مريم[4]، وموسى ـ عليهما السلام ـ ، وأنهم معصومون، وأنهم سلموا إليهم التوراة والإنجيل، وأن لهم معجزات، وقالوا لهم هذه التوراة وهذا الإنجيل، ويقرون مع هذا بأنهم ليسوا بأنبياء، فإذا[5] لم يكونوا أنبياء، فمن ليس بنبي ليس بمعصوم من الخطأ، ولو كان من[6] أعظم أولياء الله، ولو كان له خوارق عادات. فأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وغيرهم من أفاضل الصحابة عند المسلمين أفضل من الحواريين، ولا معصوم عندهم إلاّ من كان نبياً.

ودعوى أنهم رسل الله مع كونهم ليسوا بأنبياء تناقض، وكونهم رسل الله هو مبني على كون المسيح هو الله، فإنهم رسل المسيح، وهذا

---

(١) في س، ك، (فإنهم).
(٢) في ط (أملاه).
(٣) في ط (عليهم).
(٤) في أ، س (إبراهيم) مكان (عيسى بن مريم).
(٥) في س (وإذا).
(٦) سقطت (من) من أ وألحقناها من سائر النسخ.

الأصل باطل ولكن في طريق[١] المناظرة، والمجادلة بالتي هي أحسن نمنعهم[٢] في هذا المقام ونطالبهم بالدليل على أنهم رسل الله، وليس لهم على ذلك دليل فإنه لا يثبت أنهم رسل الله إن لم يثبت أن المسيح هو الله، وإثباتهم أن المسيح هو الله إما أن يكون بالعقل أو بالسمع. والعقل لا يثبت ذلك، بل[٣] يحيله وهم لا يدعون ثبوت ذلك بالعقل.

بل غاية ما يدعون إثبات إمكانه بالعقل لا إثبات وجوده مع أن ذلك أيضاً باطل وإنما يدعون ثبوت وجوده بالسمع، وهو[٤] ما ينقلونه عن الأنبياء من ألفاظ يدعون ثبوتها عن الأنبياء، ودلالتها على أن المسيح هو الله كسائر من يحتج بالحجة السمعية. فإن عامة بيان صحة الإسناد دون بيان دلالة المتن، وكلا المقدمتين باطلة.

ولكن يقال لهم في هذا المقام: أنتم لا يمكنكم إثبات كون المسيح هو الله إلاّ بهذه الكتب، ولا يمكنكم تصحيح هذه الكتب إلاّ بإثبات أن الحواريين رسل الله معصومون، ولا يمكنكم[٥] إثبات أنهم رسل الله إلاّ بإثبات أن المسيح هو الله فصار ذلك دوراً ممتنعاً[٦].

---

(١) في ك، ط (طرق).

(٢) في ك، ط (فنمنعهم).

(٣) سقطت (بل) من ك وفيها (بحيلة) بالباء الموحدة وهو تصحيف.

(٤) في ك (وهم) وسقطت منها (ما).

(٥) في س، ك، ط (يمكنهم).

(٦) الدور هو توقف الشيء على ما يتوقف عليه، ويسمى الدور المضمر كما يتوقف (أ) على (ب) وبالعكس أو بمراتب، ويسمى الدور المضمر كما يتوقف (أ) على (ب) و(ب) على (ج) و(ج) على (أ). هذا ما ورد في التعريفات للجرجاني ص ١١٠ ــ ١١١، وقال في دائرة معارف القرن العشرين ٤/ ٩١ «الدور: عود الشيء لأصله، جمعه أدوار».

فإنه لا تعلم إلّهية المسيح إلَّا بثبوت هذه الكتب، ولا تثبت هذه الكتب إلَّا بثبوت أنهم رسل الله، ولا يثبت ذلك إلَّا بثبوت أنه الله، فصار ثبوت الإلّهية متوقفاً على ثبوت إلّهيته[1]، وثبوت كونهم رسل الله متوقفاً على كونهم رسل الله، فصار ذلك دوراً ممتنعاً.

قد يدعون عصمة الحواريين، وعصمة أهل المجامع بعد الحواريين، كأهل المجمع الأول الذي كان بحضرة قسطنطين الذي حضره ثلاثمائة وثمانية عشر، ووضعوا لهم الأمانة التي هي عقيدة النصارى، التي لا يصح لهم قربان إلَّا بها[2] فيزعمون أن الحواريين

---

(١) في س (الإلّهية).

(٢) هذا مجمع (نيقية) بالكسر ثم السكون، وكسر القاف، وياء خفيفة، من أعمال إستانبول (إحدى مدن تركيا اليوم). انظر مراصد الاطلاع ١٤١٢/٣.
وقد عقد هذا المجمع ٣٢٥م بأمر من الملك الروماني (قسطنطين) الذي رأى الخلاف بين النصارى في شأن المسيح ـ عليه السلام ـ شديداً. فمن قائل أنه رسول، ومن قائل أنه أعلى من رسول، وأنه بمنزلة الابن لله، ومن قائل أنه ابن الله، له صفة القدم.
فكان هذا سبباً لعقد هذا المجمع ليتحدوا على رأي واحد. وقد ذكر سبب آخر وهو أن أريوس أحد علماء النصارى، كان قد قاوم كنيسة الإسكندرية التي كانت تبث ألوهية المسيح بين المسيحيين، وقد ذكر ابن البطريق في تاريخه (نظم الجوهر) مذهبه هذا وستأتي ترجمته.
كما أشار إلى هذا صاحب كتاب تاريخ الأقباط (زكي شنودة). وقد احتدم النزاع بين أريوس، والإسكندر صاحب كنيسة الإسكندرية، فتدخل قسطنطين ودعاهما للوفاق، ثم جمع بينهما، ولكنهما لم يتفقا، فجمع مجمع نيقية، وحضره ألفان وثمانية وأربعون أسقفاً انفصل منهم ثلاثمائة وثمانية عشر، برأي اتفقوا عليه وهو: تأليه المسيح ـ عليه السلام ـ وجنح قسطنطين إلى هذا القول؛ لموافقته هوى في نفسه، فهو الأقرب إلى وثنيته، واستبعد الجمع الغفير منهم، وأمر بعقد مجمع خاص بهؤلاء النفر، وأصدروا فيه ما يسمى عندهم قانون الأمانة الذي سبق نصه. وسنشير إلى بقية المجامع الرئيسية فيما بعد إن شاء الله. =

أو هؤلاء جرت على أيديهم خوارق، وقد يذكرون أن منهم من جرى إحياء الموتى[1] على يديه، وهذا إذا كان صحيحاً ـ مع أن صاحبه لم يذكر أنه نبي ـ لا يدل على عصمته[2]؛ فإن أولياء الله من الصحابة، والتابعين بعدهم بإحسان وسائر أولياء الله من هذه الأمة وغيرها لهم من خوارق العادات ما يطول وصفه، وليس فيهم معصوم، يجب قبول كل ما يقول، بل يجوز الغلط على كل واحد منهم، وكل أحد يؤخذ من قوله، ويترك إلاّ الأنبياء عليهم السلام.

ولهذا أوجب الله الإيمان بما[3] أوتيه[4] الأنبياء، ولم يجب الإيمان

= انظر: تاريخ ابن البطريق (نظم الجوهر) ص ١٣٥، ط مطبعة الآباء اليسوعية ببيروت ١٩٠٥م.

وخلاصة الأصول الإيمانية ص ٦٦؛ وحياة قسطنطين ص ٨٦، تأليف يوسابيوس القيصري.

(١) في س، ك، ط (الميت).

(٢) زعم النصارى بأن عيسى ـ عليه السلام ـ أيد بعض الحواريين بإحياء الموتى فأحيوا الموتى كمثل ما فعل عيسى، وقد وردت في الإنجيل فقرات تشير إلى هذا، ففي إنجيل متى الإصحاح العاشر ورد قوله: «وفيما أنتم ذاهبون أكرزوا (بلغوا) قائلين أنه قد اقترب ملكوت السماوات. اشفوا مرضى، طهروا برصاً، أقيموا موتى. أخرجوا شياطين».

قلت: وهذا ـ إن صح ـ أمر وليس إخباراً، ثم إنه لو حصل فإنه لا يدل على عصمة من حصل منه. كما ذكر ابن تيمية ـ رحمه الله ـ ويحتمل أن يكون المراد تطهير المرضى من دون الكفر، وشفاءهم وإحياءهم بالإيمان بالله، وقد ورد في كتاب الله ـ تعالى ـ في سورة الأنعام الآية ١٢٢: ﴿أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها﴾ الآية. وانظر: كتاب أبي عبيدة الخزرجي مقامع هامات الصلبان، بتحقيق د. محمد شامة والكتاب بعنوان بين الإسلام والمسيحية ص ٧٧.

(٣) في ط (بكل ما).

(٤) في أ، ك (أوتيته).

بكل ما يقوله كل ولي لله.

قال ـ تعالى ـ:

﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ﴾[1].

وقال ـ تعالى ـ:

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ...﴾[2].

ولهذا وجب الإيمان بالأنبياء جميعهم وما أوتوه كلهم.

ومن كذب نبياً واحداً تعلم نبوته، فهو كافر باتفاق المسلمين، ومن سبه وجب قتله كذلك، بخلاف من ليس بنبي فإنه لا يكفر أحد بمخالفته، ولا يقتل بمجرد سبه إلّا أن يقترن بالسب ما يكون مبيحاً للدم.

والذي عليه سلف الأمة كالصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة الدين، وجماهير المسلمين، أن أفضل هذه الأمة بعد نبيِّها أبو بكر ثم عمر وليس بعد الأنبياء أفضل منهما، وهذه الأمة أفضل الأمم، وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أنه قال: «قد كان قبلكم في الأمم محدثون فإن يكن في أمتي أحد فعمر»[3] والمحدث الملهم: المخاطب.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٣٦.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٧٧.

(٣) سبق تخريج الحديث.

وكان عمر قد جعل الله الحق على قلبه ولسانه، وما كان يقول لشيء: إني لأراه كذا وكذا، إلَّا كان كما يقول[1]، وكانت السكينة تنطق على لسانه، ومع هذا فلم يكن ـ لا هو ولا غيره ممن ليس بنبي ـ معصوماً[2] من الغلط، ولا يجب على المسلم قبول ما يقوله[3] إن لم يدل عليه الكتاب والسنَّة، ولا كان يجوز له العمل بما يلقى في قلبه إن لم يعرضه على الكتاب والسنَّة، فإن وافق ذلك قبله، وإن خالف ذلك رده.

وعند المسلمين أنه ليس في أتباع المسيح ـ عليه السلام ـ مثل أبي بكر وعمر ـ رضوان الله عليهما ـ فإذا قالوا عن الحواريين: أنهم ليسوا معصومين، فهم يقولون ذلك فيمن هو عندهم أفضل من الحواريين[4]، كما أنهم إذا قالوا عن المسيح: أنه عبد مخلوق ليس بإله، فهم يقولون ذلك فيمن هو عندهم أفضل من المسيح كمحمد وإبراهيم عليهما[5] أفضل الصلاة والسلام.

وفي الملاحدة المنتسبين إلى الأمة من فيه بدع من الغلو يشبه غلو النصارى كمن يدعي[6] الإلٓهية

---

(1) انظر: صحيح البخاري ٤/١٩٨ (مناقب عمر رضي الله عنه)؛ وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر وخصوصاً حديث رقم (٢٤)، (٢٥) وكيف أنه وافق ربه في أمور عدة وهي، مقام الحجاب، وأسارى بدر، وترك الصلاة على المنافقين، وتحريم الخمر، وغيرها ٤/١٨٦٥.

(2) في أ، س، ك (معصوم) وهو خطأ.

(3) في س (ويقول)، وفي ك سقط في هذا الموضع.

(4) في س (من الحواريون) وهو خطأ.

(5) في س، ك (عليهم).

(6) في ط (لمن يد يدعي).

من الإسماعيلية[1] كبني عبيد[2] القداح[3]، ـــــــــــــ

---

(١) الإسماعيلية: نسبة إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق الطالبي الهاشمي، سابع الأئمة. وهم إحدى فرق الباطنية، التي سبق الحديث عنها في أول الكتاب، وقد ساقوا الإمامة إلى جعفر، وزعموا أن الإمام بعده ابنه إسماعيل، وقد افترقوا إلى فرقتين:
فرقة منتظرة لإسماعيل بن جعفر، مع اتفاق أهل التواريخ على موت إسماعيل قبل أبيه كما قال الإسفراييني رحمه الله.
والفرقة الثانية: تقول كان الإمام بعد جعفر سبطه (محمد بن إسماعيل بن جعفر) حيث أن جعفراً، نصب ابنه إسماعيل للإمامة بعده، فلما مات إسماعيل في حياة أبيه، علم أنه إنما نصب ابنه إسماعيل للدلالة على إمامة ابنه محمد بن إسماعيل، قال الإسفراييني وهذا مذهب الإسماعيلية من الباطنية.
انظر في هذه الفرقة: الملل والنحل ٢/٥؛ وتلبيس إبليس ص ١٠٢؛ وفضائح الباطنية ص ٥٥؛ وقواعد عقائد آل محمد (الباطنية) للديلمي ص ٧٧؛ وسمط الحقائق لأحد دعاة الإسماعيلية علي بن حنظلة الوادعي ص ١٥ فما بعدها؛ والتبصير في الدين ص ٢٣؛ والفَرق بين الفرق ص ٦٢؛ واعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٥٤؛ والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص ٤٩٤ (رسالة ماجستير).

(٢) بني عبيد (هم الفاطميون) أصحاب مصر وهم العبيديون، وجدهم عبيد الله بن محمد الحبيب بن جعفر الفاطمي، العلوي من ولد جعفر الصادق، أسس دولة العلويين في المغرب، وفي نسبه خلاف طويل، ولد بالكوفة سنة ٢٥٩، وظهر سنة ٢٩٦هـ في المغرب (بسجلماسة) واستفحل أمره حتى بويع في القيروان سنة ٢٩٧هـ، ثم اختط مدينة (المهدية) بالمغرب سنة ٣٠٣هـ واتخذها قاعدة لملكه ومات بها سنة ٣٢٢هـ بعد حكم دام أربعاً وعشرين سنة.
انظر البداية والنهاية لابن كثير ١١/١٧٩، ووفيات الأعيان ١/٢٧٢، والأعلام ٤/١٩٧.

(٣) انظر: ميمون بن داود القداح. قيل: اسم أبيه ديصان، وقيل: غيلان، وهو رأس الفرقة الميمونية من فرق الإسماعيلية، كان يظهر التشيع، ويبطن الزندقة، وقد قيل: إن الفاطميين من نسله قال الزركلي في الأعلام ولم يصح هذا. وكانت وفاته سنة ١٧٠هـ. انظر: الأعلام للزركلي ٧/٣٤١.

كالحاكم[1] وغيره، و[2]يدعي الإلّهية في علي بن أبـي طالب أو غيره كدعوى النصيرية[3]، وهؤلاء كفار عند المسلمين.

وكذلك من يدعي الإلّهية في بعض المشايخ، كغلاة العدوية[4]، والحلاجية[5] واليونسية[6]، وغيرهم، وكذلك من يدعي عصمة بني عبيد أو عصمة الإثني عشر أو عصمة بعض المشايخ.

فإن النصارى يدعون عصمة الحواريين الإثني عشر، وهؤلاء يدعون عصمة الأئمة الإثني عشر[7].

---

(١) سبقت ترجمة الحاكم في أول الكتاب.

(٢) في ك، ط (أو من)، وفي س (أو يدعى).

(٣) النصيرية سبق التعريف بها في أول الكتاب.

(٤) نسبة إلى عدي بن مسافر، وسبق التعريف به وباتباعه.

(٥) نسبة إلى شيخهم أبـي مغيث الحسين بن منصور الحلاج، وسبقت ترجمته.

(٦) اليونسية: هم أتباع يونس بن عون السمري وقيل: النميري. ولم أقف له على ترجمة، وفرقته إحدى فرق المرجئة، ومن مذهبم: أن الإيمان: هو المعرفة بالله والخضوع له، وترك الاستكبار عليه، والمحبة له. وهو في القلب واللسان فقط. ومن اجتمعت فيه هذه الخصال فهو مؤمن، وما سوى ذلك من الطاعة فليس من الإيمان، ولا يضر تركه حقيقة الإيمان؛ ولا يعذب على ذلك.
انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري ١/٢١٤، ٢١٥؛ والملل والنحل ١/١٤٠؛ والتبصير في الدين للإسفراييني ص ٦٠؛ والفرق بين الفرق ص ٢٠٢؛ واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص ٧٠.

(٧) هم الاثنا عشرية: وهي إحدى فرق الشيعة الإمامية، يسوقون الإمامة في اثني عشر إماماً، ويقولون: الإمام المنتظر هو الثاني عشر وهو (محمد بن الحسن العسكري) وهو الذي يظهر ــ بزعمهم ــ فيملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً. وقد جعلهم الشهرستاني في اثنتي عشرة فرقة. ومن معتقداتهم: أن القرآن فيه نقص، وأن (قل هو الله أحد) كانت ثمانين آية، ويزعم الشيخ المفيد ــ وهو أحد أئمتهم الموثوقين عندهم ــ أن الأخبار مستفيضة عن أئمتهم باختلاف القرآن، وما أحدثه فيه بعض الظالمين ــ في زعمهم ــ من الحذف والنقصان. =

وهؤلاء يسندون أصل دينهم إلى قول الحواريين المعصومين عندهم ويقولون أنهم معصومون في النقل عن المسيح وفي الفتيا، وإن ما قالوه فقد قاله المسيح عليه[1] الصلاة والسلام .

وهؤلاء يقولون عن أولئك: إنهم معصومون في النقل والفتيا، وإن ما قالوه فقد قاله الرسول ـ عليه الصلاة والسلام[2] ـ، وهذا مبسوط في موضع آخر[3] .

والمقصود هنا أنه ليس مع النصارى نقل متواتر عن المسيح بألفاظ هذه الأناجيل ولا نقل لا[4] متواتر ولا آحاد، بأكثر ما هم عليه من الشرائع. ولا عندهم ولا[5] عند اليهود نقل متواتر بألفاظ التوراة ونبوات

= ويعطي مفسرهم (الطباطبائي) في تفسيره (الميزان) ـ الأئمة صفة ترفعهم عن مقام البشر والإمام له يقين يكشف به عالم الملكوت ـ كما يزعم.
انظر: أوائل المقالات في المذاهب والمختارات للشيخ المفيد العكبري ص ٩٨، ط الحيدرية رقم ٣ عام ١٣٩٣هـ .
والميزان في تفسير القرآن للطباطبائي ١/٢٧٣ ط ٢/١٣٩٤هـ بيروت، وقد ذكرت هذه الفرقة في كتب الفرق التالية: مقالات الإسلاميين ١/٩٠؛ والملل والنحل ٢/٥؛ والفصل لابن الحزم ٤/١٧٩؛ والفرق بين الفرق ص ٦٤؛ واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص ٥٥؛ والتبصير في الدين ص ٢١؛ والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان رسالة ماجستير ص ٤٧٢؛ وانظر: سلسلة إحسان إلّهي ظهير «الشيعة والقرآن، والشيعة وآل البيت، وكتاب (تبديد الظلام وتنبيه النيام للجبهان)».

(١) في ك، ط (عليه أفضل).
(٢) في ك (عليه السلام).
(٣) سبق حديث المؤلف عن زعم النصارى بأن الحواريين معصومون، والرد على هذه الفرية.
(٤) سقطت (لا) من ك، ط .
(٥) سقطت (لا) من ك.

الأنبياء كما عند المسلمين نقل متواتر بالقرآن، وبالشرائع الظاهرة المعروفة للعامة والخاصة، وهذا مثل الأمانة التي هي أصل دينهم، وصلاتهم إلى المشرق، وإحلال الخنزير، وترك الختان، وتعظيم الصليب، واتخاذ الصور في الكنائس، وغير ذلك من شرائعهم، ليست منقولة عن المسيح ولا لها ذكر في الأناجيل التي ينقلونها عنه. وهم متفقون على أن الأمانة التي جعلوها أصل دينهم وأساس اعتقادهم، ليست ألفاظها موجودة في الأناجيل ولا هي مأثورة عن الحواريين، وهم متفقون على أن الذين وضعوها أهل المجمع الأول الذين كانوا عند قسطنطين الذي حضره ثلاثمائة وثمانية[1] عشر، وخالفوا عبد الله بن أريوس[2] الذي جعل المسيح عبداً لله[3] كما يقوله المسلمون، ووضعوا هذه الأمانة.

وهذا المجمع كان بعد المسيح بمدة طويلة تزيد على ثلاثمائة سنة وبسط هذا له[4] موضع آخر، وإنما المقصود هنا الجواب عن قولهم: إن محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ثبت ما معهم، وأنه نفى عن إنجيلهم، وكتبهم التي بأيديهم التهم، والتبديل لها، والتغيير لما فيها بتصديقه إياها.

---

(١) في س، ط (وثمان).

(٢) أريوس كان قسيساً بالإسكندرية، ولد سنة ٢٥٦م، وتوفي سنة ٣٣٦م، ونشأ في عائلة مسيحية، ودرس اللاهوت في مدرسة الإنطاكية على يد المعلم لوقيانيوس.
انظر: الفصل لابن حزم ١/٤٨؛ والملل للشهرستاني ١/٢٢٧؛ ونظم الجوهر لابن البطريق ص ١٣٥؛ وتاريخ الأقباط لزكي شنودة ١/١٤٩؛ وتاريخ الفكر المسيحي للدكتور القس حنا جرجس ١/٦١٧.

(٣) في ط (عبد الله).

(٤) في س (ويسط له) وفي ط (وبسطه له)، وسقط هذا من ك وسيتحدث ـ رحمه الله ـ عن المجامع في الجزء الثالث.

وقـد تبين أن محمداً ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ ، لم يصدق شيئاً من دينهم المبدل، والمنسوخ، ولكن صـدق الأنبياء قبله ومـا جاؤوا بـه، وأثنى على من اتبعهم لا على من خالفهم أو كذب نبيـاً من الأنبياء. وإن كفـر النصارى من جنس كفـر اليهود، فـإن اليهود بـدلوا معـاني الكتـاب الأول، وكذبوا بالكتاب الثـاني، وهو الإنجيـل، وكذلـك النصارى بـدلوا معاني الكتاب الأول التـوراة، والإنجيل، وكـذبوا بـالكتاب الثـاني، وهو القرآن، وأنهم ادعوا أن محمداً ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ صـدق بجميع ألفاظ الكتب التي عندهم.

فجمهور المسلمين يمنعون هذا ويقولـون: إن بعض ألفاظهـا بدل كما قد * بـدل كثير من معـانيها ومن المسلمين من يقـول: التبديـل إنما وقـع في معانيهـا لا في ألفاظهـا *[1]، وهذا القـول يقر به عامـة اليهـود والنصارى.

وعلى القولين فلا حجـة لهم في تصديق محمـد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ لما هم عليه من الدين الباطل، فإن الكتب الإلّهية التي بأيديهم لا تدل على صحة ما كفرهم به محمد ــ صلَّى الله عليـه وسلَّم ــ وأمته. مثـل التثليث، والاتحاد، والحلول[2] وتغييـر شريعـة المسيح، وتكـذيب محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فليس في الكتب التي بـأيديهم مـا يدل لا نصاً ولا ظاهراً، على الأمانـة التي هي أصل دينهم، ومـا في ذلك من التثليث، والاتحـاد، والحلول، ولا فيها مـا[3] يـدل على أكثـر شـرائعهم

---

(١) ما بين النجمتين ساقط من س.

(٢) سقطت (والحلول) من أ، س. وسبق التعريف بهذه المصطلحات في أول الكتاب.

(٣) سقطت (ما) من ط .

كالصلاة إلى الشرق[1] واستحلال المحرمات من الخنزير والميتة ونحو ذلك، كما قد بسط في موضع آخر[2].

ويقال لهم: أين ما[3] معكم عن محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، مما يدل على أن ألفاظ الكتب التي بأيديكم لم يغير فيها[4] شيء؟ ومعلوم أن المسلمين، وغيرهم إذا اختلفوا لم يكن قول فريق حجة على الفريق الآخر.

فإذا كان المسلمون[5] قد اختلفوا في تبديل بعض ألفاظ الكتب[6] المتقدمة لم يكن قول فريق حجة على الأخرى، ولا يجوز لأحد من المسلمين، ولا منكم أن يضيف إلى الرسول قولاً إلَّا بدليل.

فأين في القرآن والسنَّة الثابتة عن محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ أن جميع ما بأيدي أهل الكتاب من التوراة، والإنجيل، والزبور، ونبوات الأنبياء لم تبدل بشيء من ألفاظها حتى يقولوا: إن محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ نفى عن كتبهم ذلك؟

وهؤلاء بنوا كلامهم على أن ألفاظ كتبهم تدل على صحة دينهم الذي هم عليه بعد مبعث محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وبعد تكذيبهم لمحمد[7] ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، وأنه لم يبدل شيء من ألفاظها.

---

(١) في ط (المشرق).
(٢) سبق الحديث عن بعض تشريعاتهم، وسيتحدث عن ذلك أيضاً في آخر هذا الكتاب.
(٣) سقطت (ما) من س، ك.
(٤) في ط (منها).
(٥) في س، ك (المسلمين) وهو خطأ.
(٦) في ط (الكتب الإلَهية). (٧) في ط (بمحمد).

وقد تبيَّن فساد ذلك من وجوه متعددة.

ثم زعموا أن المسلمين يدعون أن ألفاظ هـذه الكتب حرفت كلهـا بجميع لغاتها بعد مبعث محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، وهـذا القول لم يقله أحد من المسلمين ـ فيما أعلم ـ وظنوا أنهم بالجـواب عن هذا يكونون[1] قد أجابوا المسلمين.



---

(١) في أ(يكونوا).

فصل

الردّ على النصارى في دعواهم بأنّ المسلمين يقولون أنّ التحريف وَقَع بعد مَبْعث محمد صلى الله عليه وسلم

فقال الحاكي عنهم: فقلت لهم: إن قال قائل: إن التبديل والتغيير يجوز أن يكون بعد هذا القول فقالوا: إنا نعجب من هؤلاء القوم ــ على علمهم، وذكائهم، ومعرفتهم ــ كيف يحتجون علينا بمثل هذا القول؟ وذلك أنا أيضاً إذا احتججنا[1] عليهم بمثل هذا القول، وقلنا: إن الكتاب الذي في أيديهم يومنا هذا قد غيروه وبدلوه وكتبوا فيه ما أرادوا واشتهوا هل كانوا يجوِّزون كلامنا؟ قال الحاكي عنهم: فقلت لهم: هذا مما لا يجوز ولا يمكن أحداً أن يقوله، ولا يمكن أن يتغير منه إلى آخر الفصل[2]، وسيأتي بألفاظ بعد هذا.

والجواب أن هذا السائل النصراني الذي ذكر عن المسلمين سؤالاً لا يقولونه، وعن علماء النصارى جوابه، هو وهم بنوا كلامهم على أصلين فاسدين:

أحدهما: أن الرسول ثبت ما معهم، ونفى عن كتبهم التي بين أيديهم التهم، والتبديل، والتغيير لها. ومقصودهم بذلك لا يتم إلا إذا نفى التبديل عن لفظها، ومعناها، وهذا مما يعلم كل عاقل أن الرسول لم ينفه عنها بل النقل المتواتر عنه بنقيض ذلك. وهم أيضاً، وكل عاقل

---

(١) في جميع النسخ عدا (ط) احتجينا، والصواب ما أثبتناه؛ لأنه فعل مضعف أسند إلى ضمير رفع متحرك فوجب فك ادغامه.

(٢) ملخص: الشبهة: أن التبديل، والتغيير يجوز أن يكون وقع بعد هذا القول.

يعلم أن الكتب التي بأيديهم في تفسيرها من الاختلاف والاضطراب بين فرق النصارى، وبين النصارى واليهود ما يوجب القطع بأن كثيراً من ذلك مبدل محرف، وكذلك وقع في تغيير شرائع هذه الكتب، فإن الكتب تضمنت أصلين: الإخبار، والأمر. والإيمان بها لا يتم إلا بتصديقها فيما أخبرت، وإيجاب طاعتها فيما أوجبته.

* وأهل الكتاب يكذبون بكثير مما أخبرت ولا يوجبون طاعتها في كثير مما أوجبته وأمرت به *[1]، وكل فرقة منهم تشهد على الفرقة الأخرى بمثل ذلك.

والنصارى لهم سبع مجامع مشهورة عندهم[2]، وهم في كل

---

(١) سقط ما بين النجمتين من أ وزدناه من سائر النسخ.

(٢) تنقسم المجامع ـ عندهم بالنظر إلى عدد أربابها، ودرجاتهم، وشوكتهم ـ إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: مجامع عامة، ويقال لها مسكونية أي: تجمعهم من أنحاء العالم.

القسم الثاني: مجامع ملية: أي خاصة بطائفة دون غيرها.

القسم الثالث: مجامع إقليمية: أي خاصة بإقليم مخصوص دون غيره.

والمهم من هذه المجامع ـ عندهم ـ هي العامة، وقد ذكر العلماء بأنه بلغ عددها من القرون الأولى المسيحية إلى سنة ١٨٦٩م. عشرين مجمعاً.

الأول: مجمع نيقية (من أعمال استانبول) وعقد سنة ٣٢٥م. وسبق الحديث عنه، وهو أعظمها.

الثاني: المجمع القسطنطيني الأول سنة ٣٨١م؛ ويسمى الأول بالنسبة إلى مجامع أخرى انعقدت في قسطنطينية، وقد قرر هذا المجمع ألوهية الروح القدس.

الثالث: مجمع أفسوس الأول سنة ٤٣١م؛ (وهي بلد بثغرطرسوس) وقد قرر فيه أن المسيح اجتمع فيه الإنسان والإله، وأن مريم ولدت الاثنين معاً.

الرابع: مجمع خليكدونية سنة ٤٥١م؛ قرروا فيه أن المسيح طبيعتان منفصلتان لا طبيعة واحدة متحدة؛ (خلكدونية: صقع منه المصيصة وطرسوس) مراصد الاطلاع ١/٤٧٨).

=

مجمع يلعنون طائفة منهم كبيرة[1] ويكفرونهم ويقولون عنهم: إنهم كذبوا ببعض ما في تلك الكتب، ولم يوجبوا طاعة بعض أمرها. وتلك الطائفة تشهد على الأخرى بأنها كذبت ببعض ما فيها. ثم فرقهم الثلاثة المشهورة النسطورية، والملكية، واليعقوبية[2]، كل طائفة تكفر الأخرى وتلعنها وتشهد عليها أنها مكذبة ببعض[3] ما في النبوات غير موجبة لطاعة بعض ما فيها. بل اختلافهم في نفس التوحيد والرسالة، فزعم كل فريق منهم أن المسيح جاء بما هم عليه. والمسيح ـ عليه السلام ـ وجميع الرسل بريئون من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً وبريئون ممن يقول على الله غير الحق أو يقول على الله ما لا يعلم. وبريئون من كل قول باطل يقال على الله ـ عز وجل ـ وإن كان قائله مخطئاً لم يتعمد الكذب.

وفي مقالات النصارى من هذه الأنواع ما يطول وصفه. وقد بسط في غير هذا الموضع.

= الخامس: المجمع القسطنطيني الثاني سنة ٥٥٣م.

السادس: المجمع القسطنطيني الثالث سنة ٦٨٠م.

السابع: المجمع القسطنطيني الرابع سنة ٧٥٤م.

ثم تلاها مجامع أخرى بلغت عشرين مجمعاً، وكان آخرها سنة ١٨٦٩م. في رومة وفيه أثبتوا العصمة للبابا.

وسيتحدث المؤلف ـ رحمه الله ـ عن المجامع في الجزء الثالث.

وانظر: إغاثة اللهفان ٢/٢٧١ ـ ٢٨٤؛ ومحاضرات في النصرانية لأبي زهرة ص ١٤١ ـ ١٧٥؛ وسلسلة مقارنة الأديان (المسيحية) ص ١٩٤ ـ ٢٠٠؛ وكنز النفائس في اتحاد الكنائس ص ١٠٨؛ والتعصب والتسامح للغزالي ص ٦٩ وما بعدها.

(١) في ك، ط (كثيرة).

(٢) سبق الحديث عن هذه الفرق.

(٣) في س، ك، ط (لبعض).

وإذا عـرفت[1] أن جميـع الـطوائف: من المسلمـين والـيهـود والنصـارى، يشهدون أنـه قد وقـع في هذه الكتب تحـريف وتبـديـل في معـانيها وتفـاسيرهـا[2] وشرائعهـا فهذا القـدر كـاف. وهم من حين بعث محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ صار كل من لم يؤمن به كافراً، بخلاف حال النصارى قبل مبعث محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فإنه كان فيهم من هو متبع لدين المسيح. والمسلمون ـ وإن كان فيهم من حرَّف الدين وبدله ـ فجمهـورهم خالفـوا هؤلاء، فلا يـزال فيهم طائفـة ظاهـرة على الحق لا يضـرهم من خـالفهم، وخـذلهم حتى تقـوم السـاعـة، بخـلاف النصارى، فإنهم كفروا جميعهم، كما كفرت اليهود بتكذيب المسيح.

والمسلمـون يثبتون بـالدلائـل الكثيرة أنهم بـدلوا معـاني التـوراة، والإنجيل، والزبور، وغيرهم من نبوات الأنبياء، وابتدعوا شـرعاً لم يـأت به المسيح، ولا غيره، ولا يقوله عاقل، مثل زعمهم: أن جميـع بني آدم من الأنبيـاء، والرسـل، وغيرهم كـانوا في الجحيم في حبس الشيـطان، لأجل أن أباهم[3] آدم أكل من الشجرة، وأنهم إنما تخلصوا من ذلك لما صلب المسيح[4].

---

(١) في س، ك، ط (عرف).

(٢) في ط (وتفسيرها).

(٣) في أ (أبيهم) وصححناه من سائر النسخ.

(٤) صلب المسيح ـ كما يـزعم النصارى ـ فـداء عن الخليقة، من أهم عقـائدهم بعـد التثليث، فقد زعموا أن العـالم من عهد الخـطيئة، وهبـوط آدم، وبقاء بنيـه من بعده في الـدنيا بسبب تلك الخـطيئة، لكن الله ـ بـزعمهم ـ أرسـل ابنـه وحيـده عيسى؛ ليقرب آدم من ربه بصلبه فداء عن تلك الخطيئة، وليخلص العالم من ذلك جاء هذا في إنجيل مرقص الإصحاح العاشـر/ فقرة ٤٥، وفي إنجيـل لوقـا الإصحاح التـاسع عشـر/ فقرة ٥٦؛ وهكـذا في سائـر الأناجيـل، وفي رسالـة بـولس إلى أهـل روميـة الإصحاح الثالث/ فقرة ٢٣، فما بعدها. =

فإن هذا الكلام لو نقله ناقل عن بعض الأنبياء لقطعنا بكذبه عليهم، فكيف وهذا الكلام ليس منقولاً عندهم عن[1] أحد من الأنبياء؟ وإنما ينقلونه عمن ليس قوله حجة لازمة، فإن كثيراً من دينهم مأخوذ عن رؤوسهم الذين ليسوا بأنبياء.

فإذا قطعنا بكذب من ينقله عن الأنبياء فكيف إذا لم ينقله[2] عنهم؟ وذلك أن[3] الأنبياء ـ عليهم السلام ـ يخبرون الناس بما تقصر عقولهم عن معرفته، لا بما يعرفون أنه باطل ممتنع، فيخبرونهم

= وقد تناول هذه العقيدة الباطلة بالرد كثير من علماء المسلمين، ومنهم من أسلم وقد كان نصرانياً بسبب هذه العقيدة الفاسدة التي لا يقرها عقل، ولا يؤيدها نقل صحيح. وممن أسلم بسببها داود عبد الأحد فقد ذكر في مقدمة كتابه (الإنجيل والصليب) ص ١٢ ط القاهرة ١٣٥١هـ. إن هذه المسألة من المسائل التي حملته على التفكير في تغيير دينه (النصرانية) وتحوله إلى الإسلام، وتساءل مستغرباً كيف كانت الخطيئة مكتومة عن الأنبياء السابقين، ثم اكتشفتها حادثة الصلب فقال: «إن هذا السر اللاهوتي الذي كان مكتوماً عن كل الأنبياء والصالحين السابقين قد خيل أو كأنما كشف للكنيسة بواقعة صلب المسيح، وأن هوية الأقانيم الثلاثة، وأسرارها التي كان يجهلها أكابر الأنبياء كإبراهيم، وموسى، وداود، وعيسى ـ عليهم السلام ـ قد صار من مبادىء معلومات كل غلام مسيحي فضلاً عن القسيسين والرهبان...» إلخ ما ذكر راداً على هذه الفرية الباطلة، وقد رد القرآن الكريم هذه القضية، وقرر أولاً أن الله قد تاب على آدم من خطيئته في سورة البقرة: الآية ٣٧، وطه: ١٢١؛ ونفى القرآن أن يكون عيسى قد صلب كما في سورة النساء: الآيتان ١٥٧، ١٥٨، وقرر القرآن أن وزر كل ذنب لا يكون إلا على مقترفه فحسب كما في سورة الأنعام، وسورة النجم: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾، ويقرر كثير من الباحثين أن فكرة الفداء وثنية قديمة تسربت إلى النصرانية مؤخراً، وحيرت هذه الفكرة كثيراً من النصارى فكيف يجمعون بين عدل الله وبين هذه الفكرة؟!.

(١) في ط (من) بدل (عن).

(٢) في ك، ط (ينقل).

(٣) في س (يبين ذلك أن) وجاءت في ك، ط (ذلك فإن الأنبياء).

بمحيرات[1] العقول لا محالات العقول، وآدم ـ عليه السلام ـ وإن كان أكل من الشجرة ـ فقد تاب الله عليه واجتباه وهداه.

قال ـ تعالى ـ :

﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[3].

وليس عند أهل الكتاب في كتبهم ما ينفي توبته وإنما قد يقول قائلهم إنا لا نعلم أنه[4] تاب، أو ليس عندنا توبته، وعدم العلم بشيء ليس علماً بعدمه، وعدم وجود الشيء في كتاب من كتب الله لا ينفي أن يكون في كتاب آخر، ففي التوراة ما ليس في الإنجيل. وفيهما[5] ما ليس في الزبور، وفي الإنجيل والزبور ما ليس في التوراة، وفي سائر النبوات ما لا يوجد في هذه الكتب، والقرآن لو كان دون التوراة والإنجيل والزبور والنبوات أو كان مثلها لأمكن أن يكون فيه ما ليس فيها. فكيف إذا كان أفضل وأشرف وفيه من العلم أعظم مما في التوراة والإنجيل وقد بين الله ـ تعالى ـ فضله عليهما في غير موضع، كقوله ـ تعالى ـ :

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ . . .﴾[6].

---

(١) في أ، س، ك (بمحارات).

(٢) سورة طه: الآيتان ١٢١، ١٢٢.

(٣) سورة البقرة: الآية ٣٧.

(٤) سقطت (أنه) من س، ك.

(٥) في أ (ومنها).

(٦) سورة الزمر: الآية ٢٣.

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ ﴾[(١)] .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ. . . ﴾[(٢)] .

وسواء تاب آدم أو لم يتب فكيف يجوز أن يكون رسل الله الذين هم أفضل منه محبوسين في حبس الشيطان في جهنم بذنبه؟ وإبراهيم خليل الرحمن كان أبوه كافراً ولم يؤاخذه الله بذنبه فكيف يجعله[(٣)] في جهنم في حبس الشيطان بسبب ذنب أبيه الأقصى آدم، مع أنه كان نبياً؟ ونوح ـ عليه السلام ـ قد مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى عبادة الله وحده، وأغرق الله أهل الأرض بدعوته وجعل ذريته هم الباقين فكيف يكون في جهنم في حبس الشيطان لأجل ذنب آدم؟ .

وموسى بن عمران الذي[(٤)] كلمه الله تكليماً، وأظهر على يديه من البراهين، والآيات ما لم يظهر مثله على يدي المسيح، وقتل نفساً لم يؤمر بقتلها، فغفر الله له ذلك، وله من المنزلة عند الله والكرامة، ما لا يقدر قدره، فكيف يكون في جهنم في حبس الشيطان.

ثم أي مناسبة بين[(٥)] الصلب الذي هو من أعظم الذنوب، سواء

---

(١) سورة يوسف: الآية ٣.

(٢) سورة المائدة: الآية ٤٨.

(٣) في ط (يجعله الله).

(٤) سقطت (الذي) من س، ك، ط.

(٥) سقطت (بين) من س.

صلبوا المسيح، أو المشبه به، وبين تخليص هؤلاء من الشيطان؟ فإن الشيطان إن فعل ذلك بالذرية كان ظالماً معتدياً والله ـ عز وجل ـ قادر على منعه من ظلمهم، بل وعلى عقوبته إذا لم ينته عن ظلمهم.

* فلماذا أخر منعه من ظلمهم *[1] إلى زمن المسيح؟ وهو ـ سبحانه ـ ولي المؤمنين وناصرهم، ومؤيدهم، وهم رسله الذين نصرهم على من عاداهم، بل أهلك أعداءهم الذين هم جند الشيطان. فكيف لا يمنع الشيطان بعد موتهم أن يظلمهم، ويجعل أرواحهم في جهنم؟ هذا إن قدر أن الشيطان كان قادراً على ذلك، وكيف يجوز أن يجعل الشيطان بعد موت أنبيائه، وأوليائه، وسقوط التكليف[2] عنهم، واستحقاقهم كرامته، وإحسانه، وجنته بحكم وعده، ومقتضى حكمته، فجعله[3] مسلطاً على حبسهم في جهنم؟!.

وإن قالوا: الرب ـ عز وجل ـ ما كان يقدر على تخليصهم من الشيطان، مع علمه بأنه[4] ظالم معتد عليهم بعد الموت إلا بأن يحتال عليه بإخفاء[5] نفسه ليتمكن الشيطان[6] منه كما يزعمون ـ فهذا مع ما فيه من الكفر العظيم، وجعل الرب ـ سبحانه ـ عاجزاً كما جعلوه أولاً ظالماً ـ فيه من التناقض ما يقتضي عظيم جهلهم الذي جعلوا به الرب جاهلاً، فإنهم يقولون: إنه احتال على الشيطان ليأخذه بعدل، كما احتال الشيطان على آدم بالحية، فاختفى منه لئلا يعلم أنه ناسوت الإله،

---

(١) سقط ما بين النجمتين من أ وزدناه من سائر النسخ.

(٢) في س، ك (التكلف).

(٣) في ط (وجعله).

(٤) في أ (أنه).

(٥) في أ (باختفاء).

(٦) سقطت كلمة (الشيطان) من ط.

وناسوت الإله لم يعمل خطيئة قط بخلاف غيره.

فلما أراد الشيطان أخذ روحه ليحبسه في جهنم كسائر من مضى، وهو لم يعمل خطيئة. استحق الشيطان أن يأخذه الرب، ويخلص الذرية من حبسه.

وهذا تجهيل منهم للرب ـ سبحانه وتعالى ـ عما يقولون مع تعجيزه وتظليمه. فإنه إن كان هو سلط الشيطان على بني آدم كما يقولون. فلا فرق بين ناسوت المسيح وغيره، إذ الجميع بني آدم، وأيضاً فإذا قدر أن الناسوت يدفع[1] الشيطان عن نفسه بحق، فإنهم يقولون: إنه دخل الجحيم، وأخرج منه ذرية آدم.

فيقال: إن كان تسلط الشيطان على حبسهم في الجحيم بحق لأجل ذنوبهم مع ذنب أبيهم، لم يجز إخراجهم لأجل سلامة ناسوت المسيح من الذنب، وإن كانوا مظلومين مع الشيطان، وجب تخليصهم[2] قبل صلب الناسوت ولم يجز تأخير ذلك فليس في مجرد سلامة المسيح من الذنوب ما يوجب سلامة غيره، وإن قالوا أنه كان بدون تسلطه[3] على صلبه عاجزاً عن دفعه، فهو مع تسلطه على صلبه أعجز وأعجز.

الأصل الثاني الفاسد: الذي بنوا عليه سؤالهم الذي جعلوه من جهة المسلمين وجوابهم، ظنهم أن المسلمين يقولون: إن هذه الكتب حرفت ألفاظ جميع النسخ الموجودة منها بعد مبعث محمد صلَّى الله عليه وسلَّم.

---

(١) في س، ك، ط (دفع).

(٢) في أ، س (تخلصهم).

(٣) في ك، ط (تسلطهم).

وهذا مما لا يقوله المسلمون، ولكن قد يقول بعضهم: إنه حرف بعد مبعث محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، ألفاظ بعض[1] النسخ، فإن الجمهور الذين يقولون: إن بعض ألفاظها حرفت، منهم من يقول: كان هذا قبل المبعث[2].

ومنهم من يقول: كان بعده، ومنهم من يثبت الأمرين أو يجوزهما، ولكن لا يقول[3]: إنه حرفت ألفاظ جميع النسخ الموجودة في مشارق الأرض ومغاربها، كما حكاه هذا الحاكي عنهم، ولكن علماء المسلمين وعلماء أهل الكتاب متفقون على وقوع[4] التحريف في المعاني والتفسير.

وإن كانت كل طائفة تزعم أن الأخرى هي التي حرفت المعاني.

وأما ألفاظ الكتب، فقد ذهبت طائفة من علماء المسلمين إلى أن ألفاظها لم تبدل، كما يقول ذلك من يقوله من أهل الكتاب.

وذهب كثير من علماء المسلمين وأهل الكتاب إلى أنه بدل بعض ألفاظها.

وهذا مشهور عند[5] كثير من علماء المسلمين، وقاله أيضاً كثير من علماء أهل الكتاب.

حتى في صلب المسيح، ذهبت طائفة من النصارى إلى أنه إنما

---

(١) في ك ط (بعد) وهو تحريف.

(٢) في س، ك، ط (البعث).

(٣) في س، ك، ط (لا يقولون).

(٤) سقطت (وقوع) من أ وزدناها من سائر النسخ.

(٥) في س، ك، ط (عن).

صلب الذي شبه[1] بالمسيح، كما أخبر به القرآن[2]، وإن الذين أخبروا بصلبه كانوا قد[3] أخبروا بظاهر الأمر، فإنه لما ألقى شبهه على المصلوب ظنوا أنه هو المسيح، * أو تعمدوا الكذب *[4] ثم هؤلاء منهم الذين يقولون: إن في ألفاظ الكتب ما هو مبدل.

و[5] فيهم من يجعل المبدل من التوراة والإنجيل كثيراً منهما. وربما جعل بعضهم المبدل أكثرهما، لا سيما الإنجيل، فإن الطعن فيه أكثر وأظهر منه في التوراة[6].

ومن هؤلاء من يسرف حتى يقول: أنه لا حرمة لشيء منهما، بل يجوز الاستنجاء بهما.

ومنهم من يقول: الذي بدلت ألفاظه قليل منهما، وهذا أظهر.

والتبديل في الإنجيل أظهر، بل كثير من الناس يقول: هذه الأناجيل ليس فيها من كلام الله إلا القليل.

والإنجيل الذي هو كلام الله ليس هو هذه الأناجيل[7].

---

(١) في س (يشبه).
(٢) في ك، ط (في القرآن).
(٣) سقطت (قد) من أ، س وزدناها من ك، ط.
(٤) سقط ما بين النجمتين من أ وزدناه من سائر النسخ.
(٥) سقطت الواومن أ، س، ك وألحقتها من ط.
(٦) هنا جملة (أو تعمدوا الكذب) في ط وهي زائدة في هذا الموضع.
(٧) التحريف في كتب اليهود والنصارى على ثلاثة أنواع:
١ ـ تحريف لفظي: بتبديل ألفاظ التوراة والإنجيل.
٢ ـ تحريف بالزيادة في نصوص التوراة والإنجيل.
٣ ـ تحريف بالنقصان فيها.
وكيفية التغيير والتحريف: أنهم يلبسون الحق بالباطل، بحيث لا يتميز عنه، وتارة =

دعوة أهل الكتاب إلى الحكم بما في كتبهم من الألفاظ الصحيحة

والصحيح أن هذه التوراة الذي بأيدي أهل الكتاب، فيها[1] ما هو حكم الله، وإن كان قد بدل وغير بعض ألفاظهما كقوله[2] ـ تعالى ـ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ ﴾[3].

= يخفون الحق ويكتمونه، ولا يبينونه للناس، وتارة يلوون ألسنتهم بالكتاب ليحسبه السامع منه وليس منه، وتارة يحرفون الكلم عن مواضعه في ألفاظه وفي معانيه، وتارة يحرفون الكلم من بعد مواضعه، وهو إزالة الكلمة المنزلة، ووضع كلمة أخرى مكانها تحتمل معنيين: المعنى الأصلي، والمعنى الذي يريده، ومثال هذا النوع: «أقيم لهم نبياً من بني إخوتهم» تثنية إصحاح ١٨/١٨ فأزالوا كلمة (بني) وجعلوا مكانها (وسط) والأخيرة تحتمل أن يكون النبي من بني إسماعيل لأنه أخ لإسحاق أو من بني إسرائيل لأنهم إخوة بعضهم لبعض. وصدق الله العظيم إذ يقول في محكم كتابه: ﴿ . . . والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً من الذين هادوا يحرفوا الكلم عن مواضعه. . . ﴾ الآيتان: ٤٥، ٤٦ من سورة النساء.

وقد ساق الشيخ. . . رحمة اللّه الهندي في كتابه إظهار الحق ص ٢٠٦ فما بعدها أمثلة كثيرة لأنواع التحريف، ويأتي في الجواب الصحيح الجزء الثاني منه تفصيل لهذه القضية، وزيادة بيان وانظر: هداية الحيارى لابن القيم بتحقيق الدكتور السقا ص ١٠٥؛ ومقامع هامات الصلبان للخزرجي ص ١٠٩ (بتحقيق الدكتور محمد شامة) حيث ساق أقوال المفسرين في هذه المسألة، ص ٢٦٠. وكتاب المسيح في مصادر العقائد المسيحية للمهندس أحمد عبد الوهاب ص ٧٧ حديث عن الاختلاف الكثير في الأناجيل؛ وكتاب شفاء الغليل فيما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل للجويني * هذا كتاب كله في هذه القضية * وهو كتاب مفيد فيها جداً بتحقيق الدكتور السقا (ط ١ دار الشباب بمصر).

(١) ك، ط (فيه).

(٢) في ك، ط (لقوله).

(٣) سورة المائدة: الآية ٤١.

إلى قوله:

﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ . . . ﴾[1] .

فعلم أن التوراة التي كانت موجودة بعد خراب بيت المقدس، و[2] بعد مجيء بختنصر[3] وبعد مبعث المسيح، وبعد مبعث محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فيها حكم الله.

والتوراة التي كانت عند يهود المدينة على عهد رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وإن قيل: أنه غير بعض ألفاظها بعد مبعثه، فلا نشهد على كل نسخة في العالم بمثل ذلك، فإن هذا غير معلوم لنا، وهو أيضاً متعذر، بل يمكن تغيير كثير من النسخ، وإشاعة ذلك عند الأتباع حتى لا يوجد عند كثير من الناس إلا ما غير بعد ذلك، ومع هذا فكثير[4] من نسخ التوراة والإنجيل متفقة في الغالب، إنما تختلف[5] في اليسير من ألفاظها، فتبديل ألفاظ اليسير من النسخ بعد مبعث الرسول ممكن لا يمكن أحد[6] أن يجزم بنفيه، ولا يقدر أحد من اليهود والنصارى أن يشهد بأن كل نسخة في العالم بالكتابين متفقة الألفاظ، إذ هذا لا سبيل لأحد إلى علمه والاختلاف اليسير في ألفاظ هذه الكتب

---

(١) سورة المائدة: الآية ٤٣.

(٢) سقطت الواو من ك، ط.

(٣) سبقت ترجمة بختنصر، والإشارة إلى غزوه بيت المقدس، وقد كان خراب بيت المقدس سنة عشرين من ولاية بختنصر؛ وسنة ٤٥٣ مضت من عمارة بيت المقدس واستمر خراباً سبعين سنة.

(٤) في أ، س (التي) بدل (فكثير).

(٥) في ك، ط (يختلف) بالمثناة التحتية.

(٦) في ط (أحداً).

موجود في الكثير من النسخ، كما قد تختلف نسخ بعض كتب[1] الحديث، أو تبدل بعض ألفاظ بعض النسخ، وهذا خلاف[2] القرآن المجيد الذي حفظت ألفاظه في الصدور، بالنقل[3] المتواتر لا يحتاج أن يحفظ في كتاب كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[4].

وذلك أن اليهود قبل النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وعلى عهده، وبعده منتشرون في مشارق الأرض ومغاربها، وعندهم نسخ كثيرة[5] من التوراة.

وكذلك النصارى عندهم نسخ كثيرة من التوراة[6]، ولم يتمكن أحد من جمع هذه النسخ وتبديلها، ولو كان ذلك[7] ممكناً لكان هذا[8] من الوقائع العظيمة التي تتوفر الدواعي على نقلها، وكذلك في الإنجيل قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ... ﴾[9].

فعلم أن في هذا الإنجيل حكماً أنزله الله ـ تعالى ـ ، لكن

---

(١) في أ (كتب أهل الحديث).

(٢) في س، ك، ط (بخلاف).

(٣) في س، ك، ط (بالنقل).

(٤) سورة الحجر: الآية ٩.

(٥) في أ، س (كثير).

(٦) في أ، س (بالتوراة) وصححناه من سائر النسخ.

(٧) في ك، ط (هذا).

(٨) في ك، ط (ذلك).

(٩) سورة المائدة: الآية ٤٧.

الحكم هو من باب الأمر والنهي. وذلك لا يمنع[1] أن يكون التغيير في باب الإخبار، وهو الذي وقع فيه التبديل لفظاً، وأما الأحكام التي في التوراة، فما يكاد أحد يدعي التبديل في ألفاظها.

وقد ذكر طائفة من العلماء أن قوله ــ تعالى ــ في الإنجيل: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾، هو خطاب لمن كان على دين المسيح قبل النسخ والتبديل، لا الموجودين بعد مبعث محمد صلّى الله عليه وسلّم.

وهذا القول يناسب مناسبة ظاهرة لقراءة من قرأ: ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ ٱلْإِنْجِيلِ﴾ بكسر اللام كقراءة حمزة[2] فإن هذه لام كي، فإنه ــ تعالى ــ قال[3]:

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[4].

---

(١) في أ (يمتنع).

(٢) حمزة بن حبيب الزيات، التيمي، أحد القراء السبعة ولد سنة ٨٠هـ، كان عالماً بالقراءات، انعقد الإجماع على تلقي قراءته بالقبول والإنكار على من تكلم فيها كما قال الذهبي ونقل عن سفيان الثوري قوله: ما قرأ حمزة حرفاً إلا بأثر. مات ــ رحمه الله ــ سنة ١٥٦هـ. وقيل ١٥٨هـ.
انظر: ميزان الاعتدال للذهبي ١/٦٠٥ (٢٢٩٧)؛ وتهذيب التهذيب ٣/٢٧؛ والتبصرة في القراءات السبع ص ١٤؛ والأعلام للزركلي ٢/٢٧٧.

(٣) في س (فإنه قال تعالى).

(٤) سورة المائدة: الآيتان ٤٦، ٤٧.

فإذا قرئ[1] «وَلِيَحْكُمَ»، كان المعنى وأتيناه الإنجيل لكذا وكذا، وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه، وهذا يوجب الحكم بما أنزل الله في الإنجيل الحق، لا [2] يدل على أن الإنجيل الموجود في زمن الرسول هو ذلك الإنجيل.

وأما قراءة الجمهور[3]: «وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنْجِيلِ» فهو أمر بذلك. فمن العلماء من قال: هو أمر لمن كان الإنجيل الحق موجوداً عندهم أن يحكموا بما أنزل الله فيه، وعلى هذا يكون قوله ـ تعالى ـ: «وَلْيَحْكُمْ» أمر لهم قبل مبعث محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ. وقال آخرون: لا حاجة إلى هذا التكلف[4]، فإن القول في الإنجيل كالقول في التوراة. وقد قال ـ تعالى ـ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ

---

(١) في ك، ط (قرأ).

(٢) في ط (ولا).

(٣) قرأ حمزة (وليحكم) بكسر اللام، وفتح الميم، وقرأ الباقون بإسكان اللام والميم، وعلى القراءة الأولى ينصب الفعل (يحكم) على أن اللام لام كي وعلى قراءة الجمهور، اللام لام الأمر، والكلام مستأنف، والاختيار الجزم لأن الجماعة عليه، ولأن ما بعده من الوعيد والتهديد يدل على أنه إلزام من الله لأهل الإنجيل.
انظر: التبصرة في القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ص ٣١٦؛ وتفسير ابن جرير الطبري ٦/١٧١ (مجلد ٤)؛ وفتح القدير للشوكاني ٢/٤٧؛ والتيسر في القراءات السبع لأبي عمرو الداني ص ٩٩؛ والغاية في القراءات العشر للنيسابوري ص ١٤٠.

(٤) في أ، ك، ط (التكليف)، وما أثبتناه من س هو الأصح.

مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ . . . ﴾[1] .

فهذا قد صرح بأن أولئك الذين تحاكموا[2] إلى النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ من اليهود عندهم التوراة فيها[3] حكم الله، ثم تولوا عن حكم الله وقال بعد ذلك: (. . . وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه. . .)، وهذه[4] لام الأمر، وهو أمر من الله أنزله على لسان محمد، وأمر من مات قبل هذا الخطاب ممتنع، وإنما يكون الأمر أمراً لمن آمن

---

(1) سورة المائدة: الآيات ٤١ ـ ٤٦.
(2) في س(بأن أولئك يحاكمون).
(3) في ك (منها).
(4) في ك (وهذا).

به من بعد خطاب الله لعباده بالأمر، فعلم أنه أمر لمن كان موجوداً حينئذٍ أن يحكموا بما أنزل الله في الإنجيل، والله أنزل في الإنجيل الأمر باتباع محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ[1]، كما أمر به في التوراة، فليحكموا[2] بما أنزل الله في الإنجيل مما لم ينسخه محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، كما أمر أهل التوراة أن يحكموا بما أنزله مما لم ينسخه المسيح، وما نسخه فقد أمروا فيها[3] باتباع المسيح، وقد أمروا في الإنجيل باتباع محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ؛ فمن[4] حكم من أهل الكتاب ـ بعد مبعث محمد ـ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بما أنزل[5] الله في التوراة والإنجيل لم[6] يحكم بما يخالف حكم محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ؛ إذ كانوا مأمورين في التوراة والإنجيل باتباع محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ. . .﴾[7].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ. . .﴾[8].

---

(١) سقطت جملة (ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ) من أ، س، ك.
(٢) في أ، س (فيحكموا).
(٣) في ط (فيه).
(٤) في ك، ط (لمن).
(٥) في ط (أنزله).
(٦) في ط (ولم).
(٧) سورة الأعراف: الآية ١٥٧.
(٨) سورة المائدة: الآية ٤٨.

فجعل القرآن مهيمناً. والمهيمن: الشاهد الحاكم المؤتمن، فهو يحكم بما فيها مما لم ينسخه الله ويشهد بتصديق ما فيها مما لم يبدل ولهذا قال:

﴿... لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ...﴾[1].

وقد ثبت في الصحاح والسنن والمساند[2] هذا. ففي الصحيحين عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال[3]: إن اليهود جاءوا إلى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فذكروا له أن امرأة منهم ورجلاً زنيا فقال لهم رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: «ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟». قالوا: نفضحهم ويجلدون. فقال عبد الله بن سلام: كذبتم. إن فيها الرجم. فأتوا بالتوراة، فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم، فقرأ ما قبلها وما بعدها. فقال له عبد الله بن سلام[4]: ارفع يدك، فرفع يده، فإذا فيها آية الرجم. فقالوا: صدق يا محمد. فأمر بهما النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فرجما[5].

---

(١) سورة المائدة: الآية ٤٨.

(٢) في ك، ط (والمسانيد) وهي جمع مسند وتجمع على الوجهين مساند، ومسانيد كما جاء في القاموس المحيط ٣٠٣/١ (فصل السين باب الدال).

(٣) سقطت (أنه قال) من أ وزدناها من سائر النسخ.

(٤) سقط (ابن سلام) من ط.

(٥) رواه البخاري في كتاب الحدود، باب أحكام أهل الذمة ٣٠/٨ وفيه: «فرجما فرأيت الرجل يحني على المرأة يقيها الحجارة» * ويحني: يكب *.
ورواه بنحوه في كتاب الحدود، باب الرجم في البلاط ٢٢/٨؛ ورواه مسلم في الحدود، باب رجم اليهود وأهل الذمة في الزنا ١٣٢٦/٣ (١٦٩٩) بنحوه.
وأبو داود في الحدود، باب في رجم اليهوديين ٥٩٣/٤ (٤٤٤٦)؛ والترمذي ـ مختصراً ـ في الحدود، باب ما جاء في رجم أهل الكتاب ٤٣/٤ (١٤٣٦)؛ =

وأخرج البخاري عن عبد الله بن عمر أنه قال: أُتي رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بيهودي ويهودية قد زنيا، فانطلق حتى جاء يهود[1]. فقال: ما تجدون في التوراة على من زنى؟ قالوا: نسود وجوههما، ويطاف بهما. قال: **﴿فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين﴾**، قال: فجاءوا بها فقرأوها حتى إذا مروا بآية الرجم وضع الفتى الذي يقرأ يده على آية الرجم، وقرأ ما بين يديها وما وراءها، فقال عبد الله بن سلام وهو مع رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ: مره فليرفع يده فرفعها، فإذا تحتها آية الرجم. قالوا: صدق فيها آية الرجم، ولكننا نتكاتمه بيننا، وأن أحبارنا أحدثوا التحميم والتجبية. فأمر رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ برجمهما فرجما[2].

وأخرج مسلم عن البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: «مر على رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بيهودي محمم مجلود فدعاهم. فقال: هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ قالوا: نعم. فدعى رجلاً من علمائهم، فقال: أنشدك الله الذي أنزل التوراة على

= وابن ماجه ـ مختصراً ـ في الحدود، باب رجم اليهودي واليهودية ٢/٨٥٤ (٢٥٥٦)؛ ومالك في الحدود، باب ما جاء في الرجم ٢/٨١٩؛ وأحمد في المسند ٢/٥، ٦٢ ـ مختصراً ـ؛ والدارمي، باب في الحكم بين أهل الكتاب... ٢/١٧٨؛ وفي مسند ابن عمر ص ٣٧ (٥٩).

(١) في ط (يهودي).

(٢) رواه البخاري بنحوه في كتاب التفسير، باب: قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ٥/١٧٠، وليس فيه (وأن أحبارنا أحدثوا التحميم والتجبية).
وانظر المواضع السابقة في تخريج الحديث الذي قبله، وبين الحديثين تداخل وتقارب مع اختلاف في الألفاظ لا يضر بالمعنى.
والتحميم: تسويد الوجه، والتجبية: نكس الرأس، وسيأتي زيادة بيان.

موسى، أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم[1]؟ قال: لا، ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك، نجد الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، فقلنا: تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع، فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم. فقال: رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : اللَّهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه، فأمر به فرجم. فأنزل الله ـ تعالى ـ :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ. . . ﴾[2].

إلى قوله:

﴿ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ـ إلى ـ ٱلظَّـٰلِمُونَ ـ إلى ـ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾.

قال: هي في الكفار[3] كلها[4].

وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه[5] أنه قال: «رجم النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ رجلاً من أسلم؛ ورجلاً

---

(١) من قوله (قالوا نعم فدعى رجلًا) إلى هذا الموضع ساقط من س.

(٢) سورة المائدة: الآية ٤١.

(٣) في ط (الكفارة) وهو خطأ.

(٤) رواه مسلم في كتاب الحدود، باب رجم اليهود وأهل الذمة في الزنا ٣/١٣٢٧ (١٧٠٠)؛ ورواه أبو داود في كتاب الحدود، باب في رجم اليهوديين ٤/٥٩٥ حديث رقم (٤٤٤٧)، (٤٤٤٨)؛ وابن ماجه ٢/٨٥٥ (٢٥٥٨) في كتاب الحدود، باب في رجم اليهودي واليهودية؛ ورواه أحمد في المسند ٤/٢٨٦.

وانظر: لباب النقول للسيوطي ص ٨٨، ٨٩؛ وأسباب النزول للواحدي ص ١٤٥.

(٥) سقطت جملة رضي الله عنه من أ، ك، ط.

من اليهود»[1].

وأما السنن ففي سنن أبي داود عن زيد بن أسلم، عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: «أتى نفر من اليهود فدعوا رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ إلى القف فأتاهم في بيت المدراس[2]. فقالوا: يا أبا القاسم إن رجلاً منا زنى بامرأة فاحكم بينهم، فوضعوا لرسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وسادة فجلس عليها ثم قال: أئتوني التوراة فأتى بها فنزع الوسادة من تحته ووضع التوراة عليها، وقال: آمنت بك وبمن أنزلك. ثم قال: ائتوني بأعلمكم فأتي بشاب، ثم ذكر[3] قصة الرجم»[4].

---

(١) رواه مسلم في الحدود، باب رجم اليهود، أهل الذمة، في الزنا ١٣٢٨/٣ (١٧٠١)، وفيه زيادة (وامرأته)، والمقصود بها صاحبته التي زنا بها، ولم يرد زوجته، وفي رواية (وامرأة)؛ ورواه أبو داود في الحدود، باب في رجم اليهوديين ٦٠١/٤ (٤٤٥٥)، ولفظه «رجم النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ رجلاً من اليهود، وامرأة زنيا». ورواه الدارمي بنحوه في باب الاعتراف بالزنا ١٧٦/٢.

(٢) في ط (المدارس) وهو خطأ. ومدراس اليهود: كنيستهم، والجمع مداريس، مثل مفتاح ومفاتيح. انظر المصباح المنير ٢٦١/١.
والقف: بضم القاف، وتشديد الفاء: اسم وادٍ بالمدينة، قال في مراصد الاطلاع ١١١٤/٣ وهو ما ارتفع من الأرض وغلظ، ولم يبلغ أن يكون جبلاً، وهو علم لوادٍ من أودية المدينة.

(٣) في س (خرج) بدل (ذكر).

(٤) رواه أبو داود في كتاب الحدود، باب في رجم اليهوديين ٥٩٧/٤ (٤٤٤٩)، قال الشيخ ناصر الدين الألباني في إرواء الغليل ٩٤/٥: (إسناده حسن، وله شاهد من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: أتى رسول الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بيهودي، ويهودية قد زنيا، وقد أحصنا فسألوه أن يحكم فيهما، فحكم فيهما بالرجم. فرجمهما في قبل المسجد في بني غنم. . .) الحديث.
وأخرجه الحاكم في المستدرك ٣٦٥/٤، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. . .

وأخرج أيضاً أبو داود وغيره عن أبـي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «زنى رجل من اليهود بامرأة فقال بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى هذا النبي، فإنه نبـي بعث بـالتخفيف فإن أفتـانا بفتيـا دون الرجم قبلنـاها واحتججنـا بها عند الله، فقلنا: نبـي من أنبيائك، قالوا: فـأتوا النبـي ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ، وهـو جالس في المسجـد في أصحابـه فقالـوا: يا أبـا القاسم ما ترى في رجل وامرأة ـ منهم ـ زنيا، فلم يكلمهم كلمة حتى أتى بيت مدراسهم[1]، فقام على البـاب فقال: أنشـدكم بالله الـذي أنزل التـوراة على موسى ما تجدون في التوراة على من زنى إذا أحصن؟

قالوا: نحممه ونجبيه[2]، ونجلده ـ والتجبية: أن يحمـل الزانيـان على حمار، ويقابل أقفيتهما، ويطاف بهما ـ قال: وسكت شاب منهم، فلما رآه النبـي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ * ساكتاً، أنشـده *[3]. فقال: اللَّهم إذ[4] نشدتنا فإنّا نجـد في التوراة الـرجم. فقال النبـي ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ: فمـا أول مـا ارتخصتم أمـر الله؟ قـال: زنى ذو قـرابـة ملك[5] من ملوكنـا فأخـر عنه الـرجم ثم زنى رجل في أسـرة من النـاس

---

(١) في أ، ك، ط (مدراسهم).

(٢) قـال الخطابـي: التحميم، تسـويد الـوجه بـالحمم. والتجبية: مفسـر في الحديث، ويشبه أن يكون أصله الهمز، وهويجباً من التجبئة: وهو الردع والزجر. . . والتجبية أيضاً أن تنكس رأسه. . . وقد يحتمل أن يكون ذلك من الجبه وهو الاستقبال بالمكروه. وأصل الجبه إصابة الجبهة.

انظر: معالم السنن ٤/٥٩٩؛ وتفسير غريب الحديث لابن حجر ص ٧٦، ٥٢.

(٣) مكان ما بين النجمتين بياض في أ، وسقطت (أنشده) من س، وفي ك زيادة (أو نحو هذا) بعد أنشده.

(٤) في ط (إذا).

(٥) في ط (من ملك).

فأراد رجمه فحال[1] قومه دونه، وقالوا: لا يرجم صاحبنا حتى تجيء بصاحبك فترجمه فاصطلحوا هذه العقوبة بينهم. قال النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : فإني أحكم بما في التوراة، فأمر بهما فرجما».

قال الزهري: فبلغنا أن هذه الآية نزلت فيهم:

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟... ﴾[2].

فكان[3] النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ منهم[4].

وأيضاً فقد تحاكموا إليه في القود الذي كان بين بني قريظة والنضير، وكان النضير أشرف من قريظة، فكان إذا قتل بعض إحدى القبيلتين قتيلاً من الأخرى فيقتلونه، ولم يضعِّفوا الدية، وإذا قتل من القبيلة الشريفة قتلوا به، وأضعفوا الدية.

قال أبو داود سليمان بن الأشعث في سننه: حدثنا محمد بن

---

(١) في أ (فأحال).

(٢) سورة المائدة: الآية ٤٤.

(٣) في س، ك (كان)، وفي ط (وكان).

(٤) أخرجه أبو داود في الحدود، باب في رجم اليهوديين ٤/٥٩٨ ـ ٥٩٩ (٤٤٥٠)؛ والبيهقي في السنن الكبرى ٨/٢٤٦، ٢٤٧ من طريق الزهري قال: سمعت رجلاً من مزينة يحدث سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، به.
قال الخطابي في معالم السنن ٤/٥٩٩: «الحديث عن رجل لا يعرف».
وقال الشيخ الألباني في إرواء الغليل ٥/٩٥: «رجاله ثقات غير الرجل المزني فإنه لم يسم». وللحديث شاهد من حديث ابن عباس، وحديث ابن عمر، وحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهم.

العلاء[1]، حدثنا عبيد الله بن موسى[2] عن علي بن صالح[3]، عن سماك بن حرب[4]، عن عكرمة[5]، عن ابن عباس قال: «كان قريظة، والنضير، وكان النضير أشرف من قريظة، فكان إذا قتل رجل من قريظة رجلاً من النضير قتل به وإذا قتل رجل من النضير رجلاً من قريظة ودي ماية وسق من تمر.

فلما بعث النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قتل رجل من النضير رجلاً من قريظة فقالوا: ادفعوه إلينا نقتله. فقالوا: بيننا وبينكم محمد فأتوه فنزلت.

---

(١) محمد بن العلاء بن كريب الهمداني، الكوفي، الحافظ أحد الأثبات، قال ابن حجر: «ثقة حافظ، مات سنة سبع وأربعين ومائتين للهجرة».
انظر: تقريب التهذيب ٢/١٩٧ (٦٠١)؛ وتهذيب التهذيب ٩/٣٨٥؛ والخلاصة للخزرجي ص ٣٥٥.

(٢) عبيد الله بن موسى بن أبي المختار الكوفي، ثقة من التاسعة مات سنة ٢١٣هـ.
انظر: تقريب التهذيب ١/٥٣٩ (١٥١٢)؛ وتهذيب التهذيب ٧/٥٠؛ والخلاصة للخزرجي ص ٢٥٣.

(٣) علي بن صالح الهمداني، الكوفي. وثقه أحمد، وابن معين، والنسائي، وابن حبان، مات سنة ١٥١هـ.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٣٨ (٣٥٦)؛ وتهذيب التهذيب ٧/٣٣٢؛ والخلاصة للخزرجي ص ٢٧٤.

(٤) سماك بن حرب بن أوس البكري، الكوفي. قال ابن حجر (سماك): بكسر أوله وتخفيف الميم، صدوق وروايته عن عكرمة خاصة مضطربة، وقد تغير بآخره. مات سنة ١٢٣.
انظر: تقريب التهذيب ١/٣٣٢ (٥١٩)؛ وتهذيب التهذيب ٤/٢٣٢؛ والخلاصة للخزرجي ص ١٥٥.

(٥) عكرمة بن عبد الله، مولى ابن عباس، ثقة ثبت مات سنة ١٠٧هـ. وسبقت ترجمته.
انظر: تقريب التهذيب ٢/٣٠ (٢٧٧).

﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ . . . ﴾[1] .

والقسط: النفس بالنفس، ثم نزلت:

﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ . . . ﴾[2] .

قال أبو داود: قريظة والنضير من ولد هارون[3] .

وبسط هذا له موضع آخر، وعلى كل قول، فقد أخبر الله ـ عز وجل ـ أن في التوراة الموجودة بعد المسيح ـ عليه السلام ـ حكم الله، وأن أهل الكتاب اليهود تركوا حكم الله الذي في التوراة مع كفرهم بالمسيح، وهذا ذم من الله لهم على ما تركوه من حكمه الذي جاء به الكتاب الأول، ولم ينسخه الرسول الثاني.

وهذا من التبديل الثاني الذي ذموا عليه، ودل ذلك على أن في التوراة الموجودة بعد مبعث المسيح حكماً أنزله الله، أمروا أن يحكموا به، وهكذا يمكن أن يقال في الإنجيل.

---

(١) سورة المائدة: الآية ٤٢.

(٢) سورة المائدة: الآية ٥٠.

(٣) أخرجه أبو داود في أول كتاب الديات، باب النفس بالنفس ٤/٦٣٤ (٤٤٩٤)، بسند رجاله كلهم ثقات ما عدا سماك بن حرب فإنه صدوق.
وأخرجه النسائي في القسامة، باب تأويل قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ. . . ﴾ الآية ٨/١٨؛ وأخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره عند آية: ﴿فإن جاءوك فاحكم بينهم. . . ﴾ [الآية ٤٢ من سورة المائدة] ٦/١٥٧ (المجلد ٤)؛ ورواه الهيثمي في موارد الظمآن، كتاب التفسير، تفسير سورة المائدة ص ٤٣٠ (١٧٣٨).
وانظر لباب النقول للسيوطي ص ٨٨.
وقال الشوكاني ـ رحمه الله ـ في فتح القدير ٢/٤٤: «أخرج ابن إسحاق، وابن جرير، وابن المنذر، والطبراني، وأبو الشيخ، وابن مردويه عن ابن عباس: أن الآيات من المائدة التي قال الله فيها: «فاحكم بينهم. . .» إلى قوله: «المقسطين» إنما نزلت في الدية من بني النضير، وقريظة. . . وذكره».

ومعلوم أن الحكم الذي أمروا أن يحكموا به من أحكام التوراة، و[1]لم ينسخه الإنجيل ولا القرآن، فكذلك ما أمروا أن يحكموا به من أحكام الإنجيل هو مما[2] لم ينسخه القرآن، وذلك أن الدين الجامع أن يعبد الله وحده، ويأمر بما أمر الله به ويحكم بما أنزله الله في أي كتاب أنزله ولم ينسخه فإنه يحكم به.

ولهذا كان مذهب جماهير السلف والأئمة، أن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد شرعنا بخلافه[3]. ومن حكم بالشرع المنسوخ فلم يحكم

---

(١) سقطت (الواو) من س، ك، ط.

(٢) في أ، س، ك (ما).

(٣) هذا أحد الأصول الأربعة المختلف فيها، الثاني: قول الصحابي إذا لم يظهر له مخالف، الثالث: الاستحسان، الرابع: الاستصلاح.
وللعلماء في هذا الأصل (شرع من قبلنا...) قولان:
الأول: أنه شرع لنا إذا لم يصرح شرعنا بنسخه، أو خلافه، ومحل ذلك إذا قطع بأنه شرع لمن قبلنا: إما بكتاب، أو بخبر الصادق ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، أو بنقل متواتر. فأما الرجوع إليهم، أو إلى كتبهم فلا.
وقال بهذا: الشافعي، وأكثر أصحابه. واختاره الحلواني، وأبو الحسن التميمي وغيرهما، والأحناف، والمالكية، وابن عقيل، والمقدسي. وصحح هذه الرواية في المسودة. وذكروا لذلك أدلة كثيرة منها: قوله ـ تعالى ـ ﴿**إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا...**﴾ [الآية ٤٤ من سورة المائدة]، قالوا: والشريعة من جملة الهدى فتدخل في عموم قوله ـ تعالى ـ: ﴿... **فبهداهم اقتده**...﴾، وذكروا لذلك أدلة أخرى ليس هذا موضع بسطها. وهذا هو القول الراجح.
الثاني: أنه لا يكون شرعاً لنا. وذكروا أدلة منها قوله ـ تعالى ـ: ﴿**لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً**﴾، وبحديث غضب الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لما رأى نسخة في يد عمر. وقد أجيب عن الآية: بأن المشاركة في بعض الشريعة لا تمنع نسبتها بكمالها إلى المبعوث نظراً إلى الأكثر، والحديث يندفع بكون الشريعة الأولى لم تثبت بطريق موثوق به: بل قد أخبر الله بتحريف أهلها، وتبديلهم، فلذلك أنكر

بما أنزل الله، كما أن الله أمر أمة محمد ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ أن يحكموا بما أنزل الله في القرآن، وفيه[1] الناسخ، والمنسوخ[2]. فهكذا القول في جنس الكتب المنزلة.

قال ـ تعالى ـ:

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَـٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۙ

= النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ على عمر كتاب التوراة وصوب معاذاً في إعراضه عن كتبهم. . . إلخ.

انظر في هذه المسألة: روضة الناظر، وجنة المناظر ص ٨٢ ـ ٨٤؛ والمدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص ٢٨٩؛ والمسودة ص ١٩٣؛ وعلم أصول الفقه لخلاف ص ٩٣ ـ ٩٤؛ وفتح القدير ٢/٤٦.

(١) في س (ومنه).

(٢) في هامش س (وأن عليهم أن يحكموا بالناسخ دون المنسوخ).

إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾[1] .

فقد أمر نبيه محمداً ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، أن يحكم بما أنزل الله إليه، وحذره اتباع أهوائهم، وبين أن المخالف لحكمه هو حكم الجاهلية، حيث قال ـ تعالى ـ :

﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[2] .

وأخبره ـ تعالى ـ أنه جعل لكل من أهل التوراة، والإنجيل، والقرآن، شرعة ومنهاجاً، وأمره ـ تعالى ـ بالحكم بما أنزل الله أمر عام لأهل التوراة والإنجيل والقرآن، ليس لأحد في وقت من الأوقات أن يحكم بغير ما أنزل الله، والذي أنزله الله هو دين واحد اتفقت عليه الكتب والرسل، وهم متفقون في أصول الدين وقواعد الشريعة، وإن تنوعوا في الشرعة والمنهاج، بين ناسخ ومنسوخ، فهو شبيه[3] بتنوع حال[4] الكتاب الواحد[5]؛ فإن المسلمين كانوا أولاً مأمورين بالصلاة لبيت المقدس، ثم أمروا أن يصلوا إلى المسجد الحرام، وفي كلا[6] الأمرين إنما اتبعوا ما أنزل الله عز وجل .

---

(١) سورة المائدة: الآيات ٤٨ ـ ٥٦.

(٢) سورة المائدة: الآية ٥٠.

(٣) سقطت (شبيه) من أ.

(٤) سقطت (حال) من أ.

(٥) سقطت (الواحد) من أ، ك، ط وأثبتتها من س.

(٦) في ط (وفي كلام) وهو تصحيف.

وكذلك موسى ــ عليه السلام ــ ، كان مأموراً بالسبت محرماً عليه ما حرمه الله في التوراة، وهو متبع ما أنزلـه الله ــ عز وجـل ــ ، والمسيح ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ[1] أحل بعض ما حرمـه الله، في التوراة، وهـو متبع ما أنزل الله ــ عز وجـل ــ فليس في أمر الله لأهـل التوراة والإنجيـل أن يحكموا بما أنزل الله أمر بما نسخ، كما أنه ليس في أمر أهل القـرآن أن يحكموا بما أنـزل الله أمر بمـا نسخ، بـل إذا كان نـاسخ ومنسـوخ[2] فالذي أنزل الله هو الحكم بالناسخ دون المنسوخ. فمن حكم بـالمنسوخ فقد حكم[3] بغير ما أنزل الله ــ عـز وجل ــ[4]. ومما يوضـح هذا قـوله ــ تعالى ــ :

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[5].

فـإن هذا يبين أن هـذا أمر لمحمـد ــ صلّى الله عليـه وسلّم ــ أن يقـول لأهـل الكتـاب الـذي بعث إليهم: إنهم ليســوا على شيء، حتى يقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم. فدل ذلك على أنهم[6] عندهم ما يعلم أنه منزل من الله، وأنهم مأمورون بإقامته إذ كان ذلك مما

(١) في س (عليه السلام).
(٢) في ط (فقد حكم ومنسوخ) وهي زيادة في غير موضعها.
(٣) سقطت جملة (فقد حكم) من ط وزيدت قبل سطر في غير محلهـا. وهي منفردة عن سائر النسخ بذلك.
(٤) سقطت (عز وجل) من س، ك، ط .
(٥) سورة المائدة: الآية ٦٨.
(٦) في س (أن) بدل (أنهم).

قـرره محمـد ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ ، ولم ينسخـه. ومعلوم أن كـل ما أمر الله به على لسان نبـي، ولم ينسخه النبـي الثاني بـل أقره كـان الله آمـراً به على لسـان نبـي بعد نبـي، ولم يكن في بعثـة الثـاني مـا يسقط وجوب اتباع ما أمر به النبـي الأول، وقرره النبـي الثاني.

ولا يجوز أن يقال: إن الله ينسخ بالكتـاب الثاني جميـع ما شـرعه بالكتاب الأول، وإنما المنسوخ قليل بالنسبة إلى ما اتفقت عليـه الكتب، والشرائع.

وأيضاً ففي التوراة والإنجيل ما دل على نبوة[1] محمد ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ ، فإذا حكم أهـل التوراة والإنجيـل بما أنـزل الله فيهمـا، حكموا بما أوجب عليهم اتباع محمد صلَّى الله عليه وسلَّم.

وهذا يدل على أن في التـوراة والإنجيل مـا يعلمون أن الله أنـزله، إذ لا يؤمرون أن يحكموا بما أنزل الله، ولا يعلمون مـا أنزل الله، والحكم إنما يكون في الأمـر والنهي. والعلم ببعض معاني الكتب لا ينـافي عدم العلم ببعضهـا، وهذا متفق عليـه في المعـاني، فـإن المسلمين واليهـود والنصـارى متفقـون على أن في الكتب الإلٰهيـة الأمـر بعبـادة الله وحـده لا شـريك لـه، وأنه أرسـل إلى الخلق رسلاً من البشـر، وأنـه أوجب[2] العـدل وحرم الـظلم والفواحش والشرك، و[3]أمثال ذلـك من الشـرائـع

---

(١) انظر مثلاً: سفر التثنية ١٨/١٨ ـ ١٩؛ ٢/٣٣؛ وسفر التكوين ١٧/٢٠؛ ١٨/٢١؛ وإنجيـل يـوحنـا ٢٦/١٥ ـ ٢٧؛ ٧/١٦ ـ ١٥؛ وانـظر: كتـاب هـدايـة الحيـارى لابن القيم ص ١٠٠ بتحقيق الدكتور أحمد السقا. فقـد ساق فيـه اثني عشر وجهـاً، تدل على أنه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ مذكـور في الكتب المنزلـة. ثم بسط الكلام فيها، واستدل بأدلة من التوراة والأناجيل في ص ١٠٩ فما بعدها.

(٢) في ط (وجب).

(٣) في ط (أو).

الكلية وأن فيها الوعد بالثواب، والوعيد بالعقاب، بل هم متفقون على الإيمان باليوم الآخر، وقد تنازعوا في بعض معانيها، واختلفوا في تفسير ذلك كما اختلفت اليهود والنصارى في المسيح المبشر به النبوات، هل هو المسيح بن مريم ـ عليه السلام ـ أو مسيح آخر ينتظر[1]؟

(١) سمي عيسى ـ عليه السلام ـ مسيحاً؛ لسياحته في الأرض، وقيل: مسيح فعيل من مسح الأرض لأنه كان يمسحها، أي: يقطعها، وقيل: لأنه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن، وقيل: لأنه كان أمسح الرجلين، ليس لرجله أخمص، وقيل: لأنه كان لا يمسح ذا عاهة إلَّا برأه، وقيل: المسيح الصديق. ويرجع الدكتور محمد مرجان ـ في كتابه المسيح إنسان أم إله ـ هذا اللقب إلى الشعائر التي درجت عليها اليهودية، منذ أبيهم الأول يعقوب ـ عليه السلام ـ حيث اعتبر المسح بالزيت المقدس من أعظم شعائر التقديس، والتكريم للناس، والأماكن... ولا يمسح بالزيت المقدس سوى الكهنة، والملوك، والأنبياء لذلك سموا هؤلاء مسحاء الله، أي: المختارين، والمباركين من الله.

والمسلمون يؤمنون بالمسيح الصادق الذي جاء من عند الله بالهدى ودين الحق، والذي بشر بمحمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كما ورد في سورة الصف: ﴿**وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد...**﴾ الآية. وعيسى ـ عليه السلام ـ عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء، والنصارى تؤمن بمسيح دعا إلى عبادة نفسه وأمه، وأنه ثالث ثلاثة، وأنه ابن الله، وهذا هو أخو المسيح الكذاب لو كان له وجود، فإن المسيح الكذاب يزعم أنه الله، والنصارى في الحقيقة أتباع هذا المسيح. كما أن اليهود إنما ينتظرون خروجه، وهم يزعمون أنهم ينتظرون النبي الذي بشروا به، فعوضهم الشيطان بعد مجيئه من الإيمان به انتظاراً للمسيح الدجال كما قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ ، وهكذا كل من أعرض عن الحق يعوض عنه بالباطل.

انظر: تفسير غريب القرآن العزيز مخطوط للسجستاني المتوفى سنة ٣٣٠هـ/ باب الميم مخطوط بجامعة الإمام؛ وتفسير الطبري ٦/٢٤ (مجلد ٤)؛ وتفسير ابن كثير ١/٣٦٣؛ وهداية الحيارى ص ١٣٥، ١٣٦؛ وفتح الباري، كتاب الأنبياء ٦/٣٤٠؛ وكتاب المسيح إنسان أم إله ص ٨ ـ ٩، للدكتور محمد مجدي مرجان؛ وكتاب سيرة المسيح للدكتور جورج فورد، إصدار كنيسة قصر الدوبارة ص ١٧.

والمسلمون يعلمون أن الصواب في هذا مع النصارى، لكن لا يوافقونهم[1] على ما أحدثوا فيه من الإفك والشرك.

وكذلك يقال إذا بدل قليل من ألفاظها الخبرية لم يمنع ذلك أن يكون أكثر ألفاظها لم يبدل، لا سيما إذا كان في نفس الكتاب ما يدل على المبدل. وقد يقال أن ما بدل من ألفاظ التوراة والإنجيل ففي نفس التوراة والإنجيل ما يدل على تبديله، فبهذا يحصل الجواب عن شبهة من يقول: إنه لم يبدل شيء من ألفاظها، فإنهم يقولون: إذا كان التبديل قد وقع في ألفاظ التوراة والإنجيل قبل مبعث محمد ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ لم يعلم الحق من الباطل، فسقط الاحتجاج بهما ووجوب العمل بهما على أهل الكتاب، فلا يذمون حينئذ على ترك اتباعهما.

والقرآن قد ذمهم على ترك الحكم بما فيهما[2]، واستشهد بهما في مواضع.

وجواب ذلك أن ما وقع من التبديل قليل والأكثر لم يبدل، والذي لم يبدل فيه ألفاظ صريحة تبين بها المقصود من[3] غلط ما خالفها ولها شواهد ونظائر متعددة، يصدق بعضها بعضاً، بخلاف المبدل فإنه ألفاظ قليلة، وسائر نصوص الكتب يناقضها، وصار هذا بمنزلة كتب الحديث المنقولة عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، فإنه إذا وقع في سنن أبي داود والترمذي أو غيرهما أحاديث قليلة ضعيفة، كان في الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ما يبين ضعف تلك.

---

(١) في أ (يوافقهم).

(٢) في ط (فيها).

(٣) في س، ك، ط (صريحة بينة بالمقصود تبين غلط).

بـل[1] وكـذلـك صحيـح مسلم فيـه ألفـاظ قليلة غلط، وفي نفس الأحاديث الصحيحة مع القرآن ما يبين غلطها، مثـل ما رُوي أن الله خلق التربة يـوم السبت وجعل خلق المخلوقـات في الأيام السبعـة[2]، فإن[3] هذا الحديث قد بين أئمة الحديث كيحيـى بـن معين[4] وعبد الرحمن بن

---

(1) شطب على (بل) في س.

(2) رواه مسلم من حـديث أبـي هريـرة في كتاب صفـات المنافقين، وأحكـامهم، بـاب ابتـداء الخلق، وخلق آدم عليه السـلام ٢١٤٩/٤ (٢٧)، ولفـظه عن أبـي هـريـرة، قال: أخذ رسول الله ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ بيدي فقال: «خلق الله ــ عـز وجل ــ التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحـد، وخلق الشجر يـوم الاثنين، وخلق المكـروه يوم الثـلاثاء، وخلق النـور يوم الأربعـاء، وبث فيها الـدواب يـوم الخميس وخلق آدم ــ عليه السلام ــ بعد العصر من يـوم الجمعة. في آخـر الخلق، في آخر ساعة من ساعات الجمعة. فيما بين العصر إلى الليل».
ورواه أحمد في مسند أبـي هريرة ٣٢٧/٢
وسيأتي الكلام عليه بعد قليل.

(3) في أ (فإذا) وصوبناه من سائر النسخ.

(4) يحيـى بن معين بن عون، أبو زكريا البغدادي. الحافظ المشهور، كان إماماً عـالماً، حافظاً، متقناً. ولد بقـرية (نقيـا) قرب الأنبـار سنة ١٥٨هـ. وكـان أبوه على خـراج الري فخلف له ثروة كبيرة فأنفقها في طلب الحـديث. روى عنه كبـار أئمة الحـديث منهم: البخـاري، ومسلم، وأبو داود، وكـان بينـه وبين الإمـام أحمـد صحبـة. قـال الذهبـي ــ جاء عنه أنه قال: كتبت بيدي هذه ستمائة ألف حديث، وقال أحمد: كل حديث لا يعرفه ابن معين فليس بحديث، وقـال ابن حجر: إمـام الجرح والتعـديل.
من مؤلفاته: التاريخ والعلل ــ مطبوع في أربعة مجلدات، ومعرفة الرجـال، وغيرهـا مات ــ رحمه الله ــ بالمدينة سنة ٢٣٣هـ.
انظر في ترجمته: وفيات الأعيان ١٣٩/٦ (٧٩١) ؛ والعبر ٤١٥/١؛ وتـاريخ بغـداد ١٧٧/١٤ ــ ١٨٧ (٧٤٨٤)؛ وتذكرة الحفـاظ ٤٢٩/٢؛ وشذرات الـذهب ٧٩/٢؛ وتهـذيب التهـذيب ٢٨٠/١١ (٥٦١)؛ ومـرآة الجنـان وعبـرة اليقـظان ١٠٨/٢؛ والأعلام ١٧٢/٨.

مهدي[1]، والبخاري[2] وغيرهم أنه غلط، وأنه ليس في كلام النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، بل صرح البخاري في تاريخه الكبير أنه من كلام كعب الأحبار[3]، كما قد بسط في موضعه[4]. والقرآن يدل على

---

(١) عبد الرحمن بن مهدي البصري اللؤلؤي، أبو سعيد. من كبار حفاظ الحديث، ولد بالبصرة سنة ١٣٥هـ. قال ابن حجر: حافظ، إمام في العلم. روى عنه خلق كثير، وثقه ابن المديني، وابن سعد، والعجلي، وابن حبان، وغيرهم.
وقال الشافعي: لا أعرف له نظيراً في الدنيا. وقال ابن كثير: من سادة العلماء في الحديث، والفقه، وأسماء الرجال، له تصانيف في الحديث. مات ـ رحمه الله ـ سنة ١٩٨هـ.
انظر: تاريخ بغداد ٢٤٠/١٠؛ والبداية والنهاية ٢٤٤/١٠؛ وتهذيب التهذيب ٢٧٩/٦ ـ ٢٨١؛ والأعلام ٢٣٩/٣.

(٢) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي (بالولاء) البخاري. نسبة إلى بخارى من أعظم مدن ما وراء النهر. ولد سنة ١٩٤هـ. ثم رحل في طلب العلم إلى بلدان كثيرة. وسمع من نحو ألف شيخ فغدا حافظاً، إماماً، من أوعية العلم. صنف كتابه الصحيح من ستمائة ألف حديث، وهو أصح الكتب بعد كتاب الله ـ عز وجل ـ. وله كتاب التاريخ الكبير، والضعفاء في رجال الحديث، وخلق أفعال العباد، والأدب المفرد، وغيرها مات ـ رحمه الله ـ سنة ٢٥٦هـ.
انظر: تذكرة الحفاظ ٥٥٥/٢ (٥٧٨)؛ ووفيات الأعيان ١٨٨/٤ ـ ١٩١؛ وتهذيب التهذيب ٤٧/٩؛ وتهذيب الأسماء واللغات ٦٧/١ (وقد ذكر فيه أن عدد الأحاديث المسندة في صحيح البخاري (٧٢٧٥) بالمكررة، وبحذفها (نحو أربعة آلاف)؛ وانظر تاريخ بغداد ٤/٢ ـ ٣٦؛ والعبر ١٢/٢ ـ ١٣؛ ومرآة الجنان ١٦٧/٢؛ والأعلام ٢٥٩/٦.

(٣) هو كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري. أبو إسحاق، تابعي من الطبقة الأولى، كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن، وأسلم في زمن أبي بكر، وقدم المدينة في زمن عمر فأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيراً من أخبار الأمم الغابرة. وأخذ هو الكتاب والسنة عن الصحابة. خرج إلى الشام فسكن حمص، وتوفي بها سنة ٣٢هـ.
انظر: تذكرة الحفاظ ٥٢/١ (٣٣)؛ والإصابة ٢٩٧/٣ (٧٤٩٨)؛ والنجوم الزاهرة ٩٠/١؛ والأعلام ٢٢٨/٥.

(٤) علله الإمام البخاري في التاريخ الكبير: القسم الأول ٤١٣/١ (١٣١٧) باب الخاء =

غلط هذا، ويبين[1] أن الخلق[2] في ستة أيام، وثبت في الصحيح أن آخر الخلق كان يوم الجمعة، فيكون أول الخلق يوم الأحد.

وكذلك ما رُوي أنه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ، صلى الكسوف

وقال: «قال بعضهم عن أبي هريرة، عن كعب الأحبار، وهو أصح».

قال المناوي في فيض القدير ٣/٤٤٧ (٣٩٣٠): «قال الزركشي: أخرجه مسلم، وهو من غرائبه، وقد تكلم فيه ابن المديني، والبخاري، وغيرهما من الحفاظ، وجعلوه من كلام كعب الأحبار، وأن أبا هريرة إنما سمعه منه لكن اشتبه على بعض الرواة فجعله مرفوعاً».

وانظر كلام البيهقي في: الأسماء والصفات ص ٣٧٣، ٣٨٤؛ وكلام ابن كثير في تفسيره ٢/٢٢٠ الآية ٥٤ من سورة الأعراف؛ ٣/٤٥٧ الآية ٤ من سورة السجدة؛ ٤/٩٤ الآيات ٩ ـ ١٢ من سورة فصلت؛ والجامع الصغير للسيوطي ١/٦٠٦ (٣٩٣٠)؛ والمقاصد الحسنة ص ٢٠٠ (٤٤١)؛ والأنوار الكاشفة للمعلمي ص ١٨٨ ـ ١٩٣؛ وكشف الخفاء ومزيل الإلباس ١/٤٥٤ (١٢١٤)؛ وأسنى المطالب ص ١٣٦؛ وبسط الكلام عليه شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى ١٨/١٨ ـ ١٩ وابن القيم في المنار المنيف ص ٨٤ (١٥٣)، حيث علل بقوله: «إن الله أخبر أنه خلق السماوات والأرض، وما بينهما في ستة أيام، وهذا الحديث يقتضي أن مدة التخليق سبعة والله ـ تعالى ـ أعلم». وقد أحصى الشيخ عبد الفتاح أبو غدة المواضع التي ورد فيها التحديد بستة أيام في تعليق له في المنار المنيف ص ٨٦ وذكر أنها في سورة الأعراف الآية ٥٤؛ ويونس: ٣؛ وهود: ٧؛ والفرقان: ٥٩؛ والسجدة: ٤؛ وق: ٣٨؛ والحديد: ٤، ﴿**هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها...**﴾ الآية، ثم نقل عن الحافظ عبد القادر القرشي قوله: «اتفق الناس على أن يوم السبت لم يقع فيه خلق، وأن ابتداء الخلق يوم الأحد».

قلت: ولولا الإطالة لنقلت كلام شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى ١٨/١٨ ـ ١٩ فهو كلام جيد، ومفيد وفيه إيضاح وبيان لعلة السند، وما حصل فيه من وهم وخطأ.

(١) في أ، ك، ط وبين.

(٢) في س (الخلق كان).

بركوعين أو ثلاثة[1].

فإن الثابت المتواتر عن النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ، في الصحيحين، وغيرهما من حديث عائشة، وابن عباس، وعبد الله بن عمرو، وغيرهم أنه «صلى كل ركعة بركوعين»[2] ولهذا لم يخرِّج

---

(١) روى مسلم في صحيحه، كتاب الكسوف، باب صلاة الكسوف ٢/٦٢٠ (٩٠١)، قال: «حدثنا إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا محمد بن بكر، أخبرنا ابن جريج، قال سمعت عطاء يقول: سمعت عبيد بن عمير يقول: حدثني من أصدق (حسبته يريد عائشة) أن الشمس انكسفت على عهد رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ فقام مقاماً شديداً، يقوم قائماً ثم يركع، ثم يقوم ثم يركع، ثم يقوم ثم يركع، ركعتين في ثلاث ركعات، وأربع سجدات... الحديث.
قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوي ١٨/١٧ ـ ١٨ «انفرد مسلم بذلك عن البخاري، وضعفه حذاق أهل العلم، وقالوا أن النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ لم يصل الكسوف إلا مرة واحدة، يوم مات ابنه إبراهيم، وفي نفس هذه الأحاديث التي فيها الصلاة بثلاث ركوعات، وأربع ركوعات، أنه إنما صلّى ذلك يوم مات إبراهيم، ومعلوم أن إبراهيم لم يمت مرتين، ولا كان له إبراهيمان، وقد تواتر عنه أنه صلّى الكسوف يومئذ ركوعين في كل ركعة كما روى ذلك عنه عائشة، وابن عباس، وابن عمرو وغيرهم. فلهذا لم يرو البخاري إلا هذه الأحاديث، وهو أحذق من مسلم، ولهذا ضعف الشافعي وغيره أحاديث الثلاثة، والأربعة، ولم يستحبوا ذلك، وهذا أصح الروايتين عن أحمد. وروى عنه أنه كان يجوز ذلك قبل أن يتبين له ضعف هذه الأحاديث».
وقال النووي: «المشهور في مذهب الشافعي أنها ركعتان، في كل ركعة قيامان، وقراءتان، وركوعان، وأما السجود فسجدتان كغيرهما... وبهذا قال مالك، والليث، وأحمد، وأبو ثور وجمهور علماء الحجاز وغيرهم. وقال الكوفيون هما ركعتان كسائر النوافل عملاً بظاهر حديث جابر، وأبي بكرة أن النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ صلى ركعتين... إلخ كلامه في صحيح مسلم بشرح النووي ٦/١٩٨ ـ ١٩٩.
قلت وقد أخرج أبو عوانة في مسنده من حديث عائشة ٢/٤٠٣ (مختصراً) بلفظ (صلّى ست ركعات، وأربع سجدات).

(٢) رواه البخاري في كتاب الكسوف، باب خطبة الأيام في الكسوف ٢/٢٥ من حديث

البخاري إلا ذلك. وضعف الشافعي، والبخاري، وأحمد في أحد[1] الروايتين عنه، وغيرهم حديث الثلاث[2]، والأربع، فإن النبي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ إنما صلى الكسوف مرة واحدة، وفي حديث الثلاث والأربع، أنه صلاها يوم مات إبراهيم ابنه، وأحاديث الركوعين كانت ذلك اليوم فمثل هذا الغلط إذا وقع كان في نفس الأحاديث الصحيحة ما يبين أنه غلط، والبخاري إذا روى الحديث بطرق[3] في بعضها غلط في بعض الألفاظ، ذكر معه الطرق التي تبين ذلك الغلط، كما قد بسطنا الكلام على ذلك في موضعه[4].

فكذلك إذا قيل: أنه وقع تبديل في بعض ألفاظ الكتب المتقدمة كان في الكتب ما يبين لك الغلط، وقد قدمنا أن المسلمين لا يدعون أن كل نسخة في العالم من زمن محمد ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ بكل لسان من التوراة والإنجيل والزبور بدلت ألفاظها، فإن هذا لا أعرف

عائشة ــ رضي الله عنها ــ؛ ورواه في بدء الخلق ٤/٧٦؛ ورواه مسلم في أول كتاب الكسوف، باب صلاة الكسوف ٢/٦١٨؛ والترمذي في الصلاة، باب ما جاء في صلاة الكسوف ٢/٤٥٠ (٥٦١). قال وبهذا الحديث يقول الشافعي، وأحمد، وإسحاق. يرون صلاة الكسوف أربع ركعات في أربع سجدات؛ ورواه أبو داود في صلاة الكسوف، باب من قال أربع ركعات ١/٦٩٧ (١١٨٠)؛ والنسائي في الكسوف، باب كيف صلاة الكسوف ٣/١٣٠؛ وابن ماجة في إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في صلاة الكسوف ١/٤٠١ (١٢٦٣).

والحديث طويل فآثرت الاكتفاء بالإشارة إلى مواضعه.

(١) في ط (أخذ) بالخاء والذال المعجمتين، وهو تصحيف.

(٢) في س، ك، ط (الثلاثة).

(٣) سقطت كلمة (بطرق) من أ وزدناها من سائر النسخ.

(٤) للمؤلف ــ رحمه الله ــ مبحث جيد ومفصل في هذا الموضوع في مجموع الفتاوى مجلد ١٨ من أوله.

أحداً من السلف[1] قالـه، وإن كان من المتـأخرين من قـد يقول ذلـك، كما في بعض المتأخرين من يجوِّز الاستنجاء بكل ما في العالم من نسخ التـوراة والإنجيل، فليست هـذه الأقوال ونحـوهـا من أقـوال سلف الأمـة وأئمتهـا. وعمر ابن الخـطاب ـ رضي الله عنـه ـ ، لمـا رأى بيـد كعب الأحبـار نسخة من التـوراة قال: «يـا كعب إن كنت[2] تعلم أن هـذه هي التوراة التي أنزلها الله، على موسى بن عمـران فاقـرأها»[3]، فعلق الأمـر

---

(1) في أ (المسلمين) والصواب ماأثبتناه من سائر النسخ.

(2) سقطت (كنت) من أ وزدناها من سائر النسخ.

(3) ساق المترجمون لكعب الأحبار أثناء ترجمتهم له أخباراً، وآثـاراً كثيرة جـداً وخاصـة أبو نعيم في حلية الأولياء، والذهبـي في سير أعلام النبلاء، وابن سعد في الطبقات، غير أني لم أقف على الأثر الذي ساقه المؤلف بنصه، وإنما ساق الإمام الذهبـي في سير أعلام النبلاء ٤٩٣/٣ ـ ٤٩٤ قصة طويلة ذكر فيها أنه كان بيد كعب نسخـة من التوراة قال عنها: «إنها التوراة كما أنزلها الله على مـوسى، ما غيِّـرت ولا بدلت. . .» إلخ. ثم عقب الذهبـي على هـذه القصة بقـوله: «هكـذا رواه ابن أبـي خيثمة، عن هدبة، عن همّام، وشهر ـ يعني ابن حوشب أحد رجال السند ـ لم يلحق كعباً»، ثم قـال الـذهبـي: «وهـذا القـول من كعب دال على أن تيـك النسخـة مـا غيِّـرت، ولا بدِّلت، وأن ما عداها بخلاف ذلك، فمن الذي يستحل أن يورد اليوم من التـوراة شيئـاً على وجه الاحتجـاج معتقـداً أنهـا التـوراة المنـزلـة، كـلا والله». اهـ كـلامـه ـ رحمه الله ـ .

قلت: وقد ساق أبو نعيم في الحلية آثاراً كثيرة في ترجمة كعب في الجزءين الخامس من ص ٣٦٤ إلى ٣٩١ نهـايته، وفي الجـزء السادس من أولـه إلى ص ٤٨، وتتبعتها كلها فلم أجد مـا ذكره المؤلف بنصـه، وقد جـاء في ٣٨٩/٥ أن كعباً مـر بعمر وهـو يضرب رجلاً فقال: على رسلك يا عمر فوالـذي نفسي بيده إنـه لمكتوب في التـوراة ويل لسلطان الأرض من سلطان السماء. . . فقال عمر: إلا من حاسب نفسه، فقـال كعب: والذي نفسي بيده أنها لفي كتاب الله المنـزل ما بينهمـا حرف إلا من حـاسب نفسه».

وجاء في الحلية ٤٣/٦: أن كعباً قال لعمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ : هل تـرى في

على مـا يمتنع العلم بـه، ولم يجزم عمـر ــ رضي الله عنه ــ بـأن ألفـاظ تلك مبدلة لما لم يتأمل كل ما فيها.

والقـرآن والسنـة المتـواتـرة يـدلان على أن التـوراة والإنجيـل الموجودين في زمن النبـي ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ فيهما[1] ما أنزله الله ــ عز وجل ــ، والجـزم بتبديـل ذلك في جميـع النسخ التي في العـالم متعذر، ولا حاجة بنا إلى ذكره، ولا علم لنا بـذلك، ولا يمكن أحـداً من أهل الكتاب أن يدعي أن كل نسخة في العالم بجميع الألسنة من الكتب متفقة على لفظ واحد، فإن هذا ممـا لا يمكن أحداً من البشـر أن يعرفـه باختباره[2] وامتحانه، وإنما يعلم مثل هذا بالـوحي وإلا فلا يمكن أحـداً

= منامك شيئاً؟ فانتهره عمر، فقـال: إني أجد رجـلاً يرى في منـامه مـا يكون في هـذه الأمة.

هـذه أقرب النصـوص التي وجدتهـا إلى النص الذي ذكـره المؤلف عن كعب، وقـد تتبعت ترجمته في كتب كثيرة سأشير إليها بأجزائها وصفحاتهـا، ثم تتبعت كتب الآثار وخصوصاً مصنف ابن أبـي شيبة، وعبد الـرزاق، ومعجم الطبـراني، وتهذيب الآثـار للطبري، وكتب التفسير التي تعني بالآثار كتفسير ابن جرير، والسيوطي، وابن كثيـر، وابن أبـي حـاتم، وغيـرهـا فلم أقف على النص الذي أورده المؤلف وذلك بعد جهد طويل، واستفسار عنه من طلاب العلم المشتغلين بهذا، والله تعالى أعلم.

انـظر: طبقـات ابن سعـد لـه تـرجمـة في ٧/٤٤٥؛ وسـاق لـه آثـاراً في ٣/٣٣٢، ١/٣٦٠، ٣٦٢ وغيرها؛ وحلية الأولياء ٥/٣٦٤ ــ ٣٩١، ٦/١ ــ ٤٨؛ وسير أعلام النبـلاء للذهبـي ٣/٤٩٠ (ترجمـة رقم ١١١)؛ والتاريـخ الكبير للبخـاري ٧/٢٢٣؛ والعبر في خبر من غبـر ١/٣٥؛ وتذكـرة الحفاظ ١/٤٩؛ والنجـوم الزاهـرة ١/٩٠؛ وتهـذيب التهذيب ٨/٤٣٨؛ والإصـابة ٣/٢٩٧ (٧٤٩٨)، وجمهـرة أنساب العـرب لابن حزم ص ٤٣٤؛ والجرح والتعديل لابن أبـي حـاتم ٧/١٦١؛ وتهذيب الأسمـاء واللغات للنووي ٢/٦٨ (٩١).

(١) في أ، س، ك (فيها).

(٢) في ط (باختياره) بالياء التحتية.

من البشر أن يقابل كل نسخة موجودة في العالم بكل نسخة من جميع الألسنة بالكتب الأربعة والعشرين، وقد رأيناها مختلفة في الألفاظ اختلافاً بيناً، والتوراة هي أصح الكتب، وأشهرها عند اليهود، والنصارى، ومع هذا فنسخة السامرة مخالفة لنسخة اليهود والنصارى، حتى في نفس الكلمات العشر، ذكر[1] في نسخة السامرة منها من أمر استقبال الطور ما ليس في نسخة اليهود والنصارى، وهذا مما يبين أن التبديل وقع في كثير من نسخ هذه الكتب؛ فإن عند السامرة نسخاً متعددة[2].

---

(١) سقطت (ذكر) من أ.

(٢) نسخ العهد القديم (التوراة) ثلاث نسخ:

الأولى ـ العبرانية: وهي المعتبرة عند اليهود، وجمهور علماء البروتستانت.

الثانية ـ اليونانية: وهي المعتبرة عند الكنيسة اليونانية، وعند كنائس المشرق.

(وهاتان النسختان تشتمل على جميع أسفار العهد القديم).

الثالثة ـ السامرية: وهي المعتبرة عند السامريين، وتشتمل على سبعة أسفار من العهد القديم؛ الخمسة المنسوبة إلى موسى ـ عليه السلام ـ، وسفر يشوع، والقضاة. ولا يسلِّم السامريون الأسفار الباقية.

وقد أخرج الدكتور أحمد السقا كتاباً بعنوان «من الفروق بين التوراة السامرية، والعبرانية في الألفاظ والمعاني»، ويقع في ست وسبعين صفحة طبعة دار الأنصار.

فمن الفروق التي ذكرها على سبيل المثال:

في سفر التكوين: الإصحاح الأول فقرة/٢.

في السامرية (ورياح الله هابة على وجه الماء).

وفي العبرانية (وروح الله...).

ثم ساق الفروق في سفر التكوين كله، وانتقل بعد ذلك إلى ذكر الفروق في سفر الخروج، ثم في بقية الأسفار. وهذا الكتاب عظيم الفائدة، وجدير بالقراءة. وقد أورد الأستاذ موريس بوكاي، جملاً عظيمة من التناقضات الكثيرة بين الأناجيل وكتب التوراة في كتابه (دراسة الكتب المقدسة) طبعة دار المعارف من ص ٧٥ ـ ١٣١.

وكذلك رأينا في الزبور نسخاً متعددة تخالف بعضها[(١)] بعضاً، مخالفة كثيرة في كثير من الألفاظ والمعاني، يقطع من رآها أن كثيراً منها كذب على زبور داود ـ عليه السلام ـ[(٢)]، وأما الأناجيل فالاضطراب فيها أعظم منه في التوراة.

فإن قيل: فإذا كانت الكتب المتقدمة منسوخة، فلماذا ذم أهل الكتاب على[(٣)] ترك الحكم بما أنزل الله منها؟ قيل النسخ لم يقع إلا في قليل من الشرائع، وإلا فالإخبار عن الله، وعن اليوم الآخر، وغير ذلك لا نسخ فيه[(٤)].

وكذلك الدين الجامع والشرائع الكلية لا نسخ فيها، وهو ـ سبحانه ـ ذمهم على ترك اتباع الكتاب الأول، لأن أهل الكتاب كفروا من وجهين[(٥)]: من جهة تبديلهم الكتاب الأول، وترك الإيمان، والعمل ببعضه. ومن جهة تكذيبهم بالكتاب الثاني وهو القرآن، كما قال ـ تعالى ـ:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[(٦)].

فبيَّن أنهم كفروا قبل مبعثه بما أنزل عليهم وقتلوا الأنبياء كما

---

(١) في ط (بعضهما).
(٢) في نسخة أ زيادة جملة (ليست من زبور داود عليه السلام).
(٣) في ط (عن).
(٤) في ط (فلم تنسخ).
(٥) في ط (جهتين).
(٦) سورة البقرة: الآية ٩١.

كفروا حين مبعثه[1] بما أنزل عليه، وقال ـ تعالى ـ :

﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[4].

وإذا كان الأمر كذلك فهو ـ سبحانه ـ يذمهم * على ترك اتباع ما أنزله في التوراة والإنجيل *[5] وعلى ترك اتباع ما أنزله في القرآن ويبين[6] كفرهم بالكتاب الأول، وبالكتاب الثاني، وليس في شيء من ذلك أمرهم أن يحكموا بالمنسوخ من الكتاب الأول، كما ليس فيه أمرهم أن يحكموا بالمنسوخ في الكتاب الثاني[7].

• • •

(1) في س، ك (مبعثك).

(2) سورة ال عمران: الآية ١٨٣.

(3) سورة آل عمران: الآية ١٨٤.

(4) سورة القصص: الآيتان ٤٨، ٤٩.

(5) سقط ما بين النجمتين من أ وزدناه من سائر النسخ.

(6) في س، ط (مبين).

(7) هنا ينتهي القسم الأول من الكتاب، وبه ينتهي القسم المطلوب منا تحقيقه ودراسته.

انتهى المجلد الثاني ويليه المجلد الثالث
وأوله فصل [قياس النصارى كتبهم على القرآن قياس باطل]



فهرس الجزء الثاني